الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 قالمة

الكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

القسم: التاريخ

مخبر التوطين: مخبر التاريخ للدراسات والأبحاث المغاربية

أطروحة

لنيل شهادة دكتوراه في الطور الثالث

الميدان :علوم إنسانية الشعبة :تاريخ

الاختصاص: العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية

إعداد:

عبد الرزاق زعبي

بعنوان

العلاقات السياسية والعسكرية بين الامارات الصليبية في بلاد الشام

5-7 هـ / 11- 13م

تاريخ المناقشة : 2026/01/25

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	الرتبة	الجامعة
أ.د. مسعود خالدي	رئيسا	أستاذ التعلم العالي	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
أ.د. فؤاد طوهارة	مشرفا ومقررا	أستاذ التعلم العالي	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
د. أحلام يوسف	عضوا	أستاذ محاضر –أ–	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
أ.د. خميسي بولعراس	عضوا	أستاذ التعلم العالي	جامعة محمد لمين دباغين سطيف -2-
أ.د. محمد قويسم	عضوا	أستاذ التعلم العالي	سكيكدة1955أوت 20جامعة

السنة الجامعية: 2025-2026م/ 1446-1447هـ

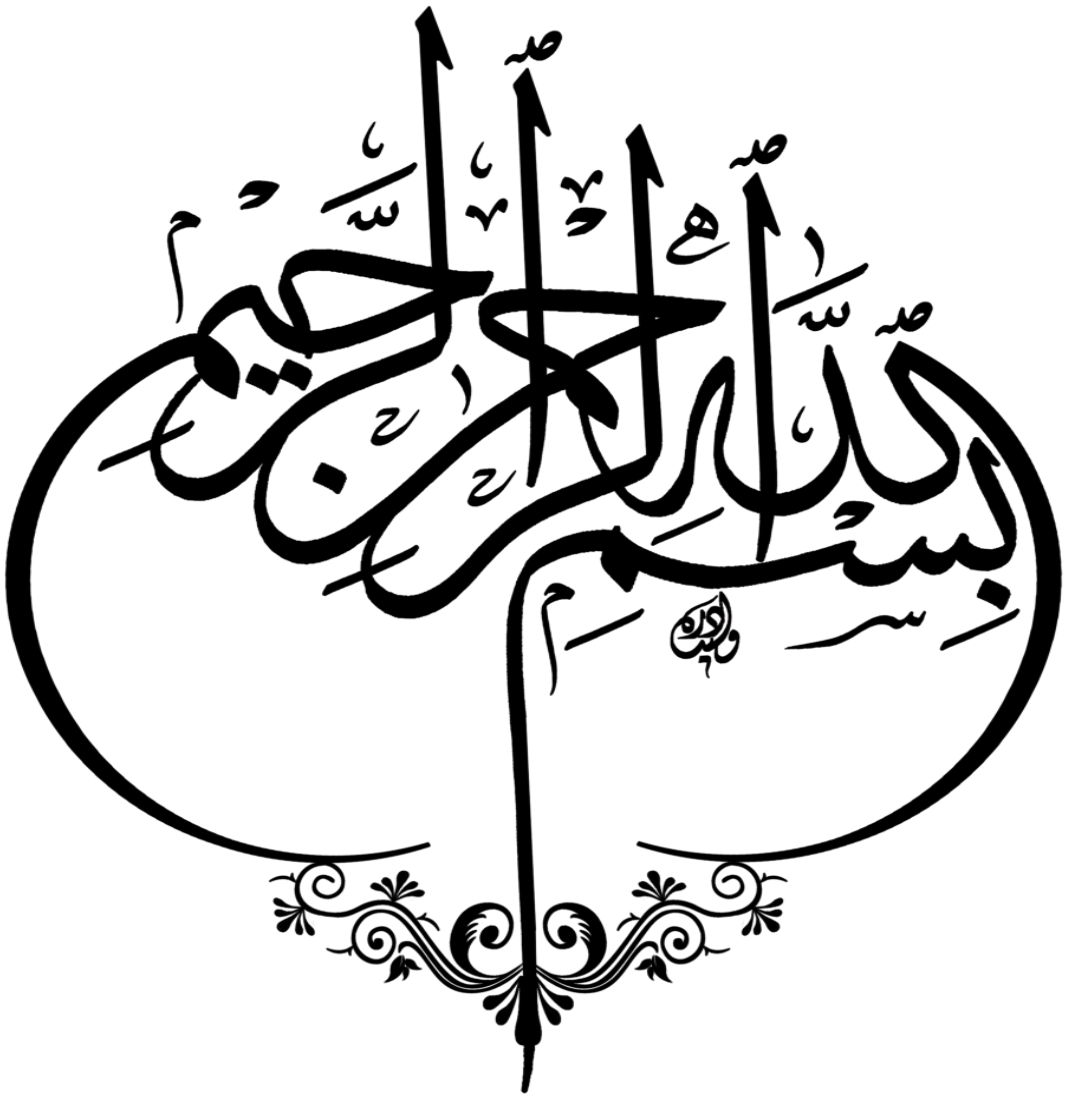
بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والتقدير

أتقدم بخالص شكري وامتناني
إلى أستاذي المشرف على هذه الأطروحة الأستاذ الدكتور "فؤاد طوهارة"
الذي كان خير عونا لي، فلم يبخل عليا بتوجيهاته العلمية ونصائحه القيمة
طيلة فترة الإنجاز
فجزاه الله عني خير الجزاء.
والشكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة التي شرفتني بمناقشة الأطروحة
مع تمنياتي بالاستفادة من خبراتهم وتوجيهاتهم.

الإهداء

إلى من رحلوا عن الدنيا وبقيت بركاتهم تسري في حياتي،
إلى والديّ الغاليَين، رحمكما الله وجعل الجنة داركما،
أهدي ثمرة هذا الجهد، وفاءً وعرفانًا لما قدمتماه لي في حياتكما.

إلى رفيقة دربي، زوجتي العزيزة،
شكرًا لصبرك، دعمك، وتفانيك، كنتِ النور في طريقٍ طويلٍ ومرهق.

إلى أبنائي الأحبّة،
أنتم الدافع والمستقبل، ومن أجلكم كان الإصرار والعزيمة.

وإلى كل من مدّ لي يد العون، دعمًا أو دعاءً أو كلمة طيبة،
لكم مني خالص التقدير، فأنتم شركاء هذا الإنجاز.

مقدمة

تعد الحروب الصليبية من أهم الأحداث الفاصلة في تاريخ العلاقات الدولية بين الغرب الأوروبي والعالم الإسلامي خلال فترة العصور الوسطى، حيث كانت حدثا بارزا وغير مسبوق تاريخياً، شملت ثماني حملات رئيسية، تفاوتت في حجمها وقوتها ومقدار نجاحها، وكان مقصدها الأساسي المشرق الإسلامي بتوجيه دقيق من الكنيسة الكاثوليكية وتحت شعار الصليب من أجل تحقيق أهداف وغايات دينية مقدسة.

ومن الطبيعي جدا أن تنكشف الأهداف والغايات الحقيقية للحملات العسكرية الأوروبية، التي استمرت نحو قرنين من الزمن، ليبقى البُعد الديني مجرد مطيةً أو أداة لتبرير العدوان، وتتضح بذلك الأبعاد الاستيطانية والدوافع الاجتماعية والاقتصادية للقوى الصليبية في تحريك مجريات الصراع في جميع الحملات المعلنة على المشرق الاسلامي بين عامي 1096 و1291م.

فبعد اجتياز الجيوش الصليبية لأراضي الأناضول، ظهرت أطماع القادة الصليبيين ونواياهم الحقيقية في بلاد المسلمين اذ تمكن بلدوين البويوني من تأسيس الرها كأول إمارة صليبية في المشرق الإسلامي سنة 1098م/491هـ، حيث بدأ التنافس الفعلي بين بقية قادة الحملة ليثبتوا وجودهم ويؤسسوا إمارات خاصة بهم على حساب المسلمين، أين تمكن بوهيموند النورماندي من تأسيس إمارة أنطاكية الصليبية في عام 1098م/491هـ، وذلك قبل استيلاءهم على بيت المقدس في عام 1099م/492هـ وتحويلها إلى مركز للتواجد الصليبي تحت سلطة جودفري ثم كمملكة بداية من حكم بلدوين الأول لها في عام 1100م/493هـ، و بعد عدة محاولات تمكن ريموند صنجيل أحد أبرز قادة الحملة الصليبية الأولى من تأسيس إمارة طرابلس في عام 1109م/502هـ، والتي تُعتبر آخر الإمارات الصليبية التي تأسست في بلاد الشام.

حاولت هذه الإمارات تأسيس حكم دائم في المنطقة وتحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية، ورغم نجاحها في التوسع، إلا أن أنها سرعان ما واجهت صعوبات كبيرة في الحفاظ على سيطرتها وتحقيق أهدافها في ظل الصراعات الدائرة في المنطقة.

لقد كان التواجد الصليبي في المشرق الإسلامي والدويلات التي تأسست في هذا المجال عبارة عن وحدات متفرقة جغرافيًا وغير متصلة بعضها ببعض، وتعكس في آن واحد الواقع السياسي والعسكري في تلك الفترة ، إذ أن هذه الإمارات كانت تعمل دوما على حماية مصالحها وتسعى لتحقيق أهدافها السياسية والدينية، رغم التحديات القوية التي كانت تواجهها من الداخل والخارج، فالتهديدات المستمرة من المسلمين كانت تستدعي بناء علاقات استراتيجية فيما بينها، وذلك لتعزيز الدافع المشترك ومواجهة التهديدات بشكل فعال ، وكانت طبيعة هذه العلاقات تختلف حسب الظروف السياسية والعسكرية والاقتصادية لتلك الفترة، وتنبع من المصلحة المشتركة لجميع الأطراف المعنية بالحفاظ على الوجود الصليبي في المنطقة وحماية مصالحه.

وعلى ضوء ماسبق، أردنا البحث في مسار وطبيعة العلاقات بين الإمارات الصليبية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية خاصة في الجانبين السياسي والعسكري، وأثرها في توجيه مجريات الأحداث التي شهدتها المنطقة ونتائج ذلك على الطرفين، فجاء موضوع الدراسة موسومًا بـــــ:

" العلاقات السياسية والعسكرية بين الإمارات الصليبية في بلاد الشام خلال القرنين 5-7 هـ / 11-13 م".

أولا: أهمية موضوع الدراسة:

استقطبت الحروب الصليبية اهتماما خاصا من قبل مجموعة من المؤرخين والباحثين في العالم العربي أو الإسلامي حيث تنوعت أبحاثهم وتعددت عناوين مؤلفاتهم ورسائلهم ، وقد تمحورت أغلبها حول جوانب مختلفة ذات ارتباط وثيق بأصول وطبيعة الحركة الصليبية ودوافع قيامها، وتطوراتها التاريخية، ووقائع أحداثها ، السياسية والعسكرية، ونتائجها على طرفي الصراع الإسلامي الصليبي، ضمن النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية و الحضارية بشكل عام ، إلا أن القليل من الباحثين من تناول موضوع العلاقات الصليبية - الصليبية، خاصة في شقها السياسي والعسكري ، و لا ننكر وجود بعض الأبحاث التي تطرقت إلى بعض الجوانب من هذا الموضوع، إلا أنها غالبًا ما كانت عبارة عن دراسات أجنبية أو مترجمة، ولم تلق الضوء الكافي على الغموض الذي ميزّ العلاقات الصليبية-الصليبية.

ومن هنا جاءت أهمية هذا الموضوع من أجل تسليط الضوء على العلاقات السياسية والعسكرية بين الإمارات الصليبية ببلاد الشام خلال القرنين 5-7 هـ / 11-13 م".

- **الإطار الزماني:**

يشمل موضوع البحث الفترة الممتدة بين القرنين الخامس والسابع الهجريين (11-13 ميلادي)، وهي الفترة التي استغرقتها أحداث الحروب الصليبية على العالم الإسلامي، وعرفت تأسيس الامارات الصليبية

في بلاد الشام، مما أحدث واقعًا جديدًا في الأحداث الجيوسياسية في المشرق الإسلامي لمدة قرنين من الزمن.

وقد شهدت الإمارات الصليبية خلال هذه الفترة علاقات متباينة مع المسلمين، في وقت كانت هناك جهود كبيرة من جانب الصليبيين للتمسك بالأراضي التي سيطروا عليها والبقاء بها، من خلال اقامة علاقات تعاون والعمل مع بعضهم بعضا لتحقيق أهداف مشتركة مثل الدفاع عن الأراضي المحتلة وتعزيز نفوذهم في المنطقة، ومع ذلك فقد كانت هناك أيضًا حالات تآمر وصراع بين الإمارات الصليبية نفسها، أغلبها كان على السلطة والنفوذ.

ثالثا : أسباب اختيار الموضوع وأهدافه:

إن اختيار موضوع البحث حول العلاقات الصليبية في بلاد الشام كان نابعًا من اقتراحات الأستاذ المشرف على البحث، وقد توافق هذا الاقتراح مع رغبتي الشخصية في استكشاف الحقائق وتتبع التطورات التي صادفتها في قراءاتي المتنوعة حول الحروب الصليبية في بلاد الشام ومصر، إذ يُعَدّ هذا الموضوع جديدًا في مجاله ويستحق البحث، حيث يفتح نافذة جديدة لفهم العلاقات الصليبية – الصليبية في بلاد الشام وتأثيراتها على الجوانب السياسية والعسكرية في المنطقة.

وقد تُعتَبَر حاجة الجامعة الجزائرية لمزيد من الباحثين المختصين في تاريخ المشرق الإسلامي والحروب الصليبية حالة نقص أكاديمي، مما جعلني أقدم مساهمة في هذا المجال، خاصةً في ظل الارتباط التاريخي الكبير بين المشرق والمغرب الإسلامي، والتأثير المتبادل بينهما على مر العصور.

لذا، تأتي هذه الدراسة كمحاولة لتسليط الضوء على جانب مهم من تاريخ العلاقات الصليبية في بلاد الشام، حيث لم يتم التطرق له بشكل مباشر في الدراسات السابقة، وظلت تفاصيلها مخفية بين طيات المصادر الأولية، على الرغم من أن بعض الباحثين عرضوا جزءا منها ضمن السياق العام لبحوثهم.

رابعا: إشكالية الدراسة:

تستهدف اشكالية الدراسة البحث في طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية بين الإمارات الصليبية في بلاد الشام خلال القرنين 5-7 هـ / 11-13 م، وتوضيح الأسباب والظروف الحقيقية التي دفعت الامارات الصليبية لاقامة هذه العلاقات، وما أفرزته من نتائج ايجابية أو سلبية في توجيه أحداث الصراع الاسلامي الصليبي في المنطقة، وموقف المسلمين من هذه العلاقات.

وللاجابة على هذه الاشكالية، قمنا بطرح مجموعة من التساؤلات الفرعية:

- لماذا قبل الأمراء والقادة الصليبيون المشاركة في مشروع الحملات الصليبية على بلاد الشام؟ هل كان ذلك نابع من تخطيط مسبق قصد تحقيق أهداف استراتيجية؟ أم أن المصالح الشخصية هي الدافع الحقيقي للمشاركة؟

-ماهي الخطوات التي اتبعها الأمراء من أجل تثبيت أركان اماراتهم الجديدة ، وعدم السماح بحدوث قلائل أو اضطرابات في المنطقة ؟

- كيف كانت العلاقة بين الإمارات الصليبية قبل سقوط الرها؟ وماهي مظاهرها السياسية والعسكرية؟

- هل كان لسقوط إمارة الرها انعكاسات على العلاقات القائمة بين بيت المقدس، أنطاكية وطرابلس؟ وفيما تمثلت ردود فعل بقية الامارات على سقوط الرها؟

-كيف كانت مساهمة الإمارات الصليبية في الحملة الصليبية الثانية 1148م/ 543هـ على بلاد الشام؟

- وهل لكان لسياسة نور الدين محمود زنكي وصلاح الدين الأيوبي 1146-1187م/541-583هـ تأثيرات ايجابية أم سلبية على العلاقات القائمة بين الإمارات الصليبية؟ ولصالح من كان ذلك؟

- ما طبيعة العلاقات القائمة بين أنطاكية وطرابلس وعكا بعد تأسيس مملكة عكا1193م/ 589هـ؟

-كيف كان دعم البابوية والإمبراطورية للإمارات الصليبية بعد حطين1187م/583ه ـ؟ وهل كانت جهودها كافية لتقوية العلاقات العسكرية فيما بينهم؟

- ما مدى تأثير الهيئات الدينية الصليبية على الوجود الصليبي في بلاد الشام؟

وتجدر الإشارة إلى اعتمادي في معالجة إشكالية البحث على التسلسل الكرونولوجي للأحداث التاريخية وذلك بتبويبها ضمن عناصر تخدم التساؤلات البحثية في كل فصل، فالعلاقة بين الإمارات خلال الحروب الصليبية عرفت تطورا كرونولوجيا يتماشى مع طبيعة الأحداث والمستجدات التي واجهتهم أثناء وجودهم في بلاد الشام، وواقعهم المضطرب وخلافاتهم المستمرة التي كان لها بالغ الأثر في استقرارهم بالمنطقة، ومواجهتهم مع القوى الإسلامية التي لم تتوان في استرجاع أراضي المسلمين من سيطرتهم.

خامسا: المنهج المعتمد في الدراسة:

التزمت في هذه الدراسة باعتماد المنهج التاريخي تحديدا، بما يتناسب وطبيعة الموضوع الذي يتطلب استخدام:

- المنهج الوصفي: اعتمدت على المنهج الوصفي في اعادة بناء ووصف الأحداث التاريخية التي تخدم موضوع الدراسة، والمتوفرة بشكل خاص في مصادر مؤرخي الحروب الصليبية من بدايات انطلاقها حتى نهايتها، مع الاستعانة بما ورد في المراجع والدراسات الأكاديمية من معلومات تاريخية مناسبة مع عناصر الموضوع، ومدى أهمية كل مرجع من خلال ما نقله من معلومات، وما اعتمد عليه من مصادر، والدور الذي لعبه في سير الأحداث خلال الفترة التي تؤرخ لها الدراسة خاصة إذا كان معاصرا لها.

- المنهج التحليلي النقدي : حاولت قدر المستطاع توظيف المنهج التحليلي النقدي لكي ألتزم بالموضوعية التاريخية قدر الامكان و أبتعد عن إصدار الأحكام المسبقة، وأتجنب الوقوع في المغالطات التي تحملها بعض النصوص التاريخية التي قد يكون أصحابها متأثرين بنزعات فكرية وتوجهات معينة، خاصة وأن موضوع الدراسة له ارتباط بالحروب الصليبية، وضخامة التأليف الغربي عن ذلك، وهنا وجب الحذر في النقل عنهم وتوظيف النقد والتحري الجيد للوصول إلى نتائج أكثر موضوعية ، خاصة في المواضيع الحساسة التي كانت محطات لإثارة الخلاف بين المؤرخين المسلمين والغربيين.

وهنا وجب إخضاع كل ما تم جمعه من مادة خبرية للمساءلة والنقد والتحليل والمقارنة إن أمكن ذلك لتشخيص الواقع الحقيقي للظاهرة ومحاولة تفسير دور كل إمارة صليبية في بلورة العلاقات السياسية والعسكرية في المنطقة، وأثرها في تثبيت الوجود الصليبي أو انحساره زمن القوة والضعف، للوصول إلى نتائج واقعية.

سادسا: الدراسات السابقة:

بالنسبة للدراسات الأكاديمية التي تطرقت لواقع العلاقات بين الإمارات الصليبية في بلاد الشام ، في حدود اطلاعي لم أجد دراسة قائمة بذاتها خاصة ضمن الإطار الزماني والمكاني الذي عالجته الدراسة خلال القرنين(13-11م/5-7هـ) ، إذ أن اغلبها تناول الإمارات الصليبية منفصلة مثل ما قامت به الدكتورة علية عبد السميع الجنزوري من خلال كتابها" **إمارة الرها الصليبية**"أو رسالة الدكتوراه للباحث محمود فالح الرويضي والموسومة بعنوان" **إمارة الرها الصليبية**"وأيضا كتاب حسين محمد عطية **"إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون"**، ورسالة الماجستير للباحث عبد العزيز محمود عبد الدايم بعنوان

" إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثاني عشر"، وكتاب **"إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري"** لنهى فتحي الجوهري.

وأيضا الدراسات التي تناولت أوضاع للإمارات حسب فترة حكم أمراءها وقادتها مثل رسالة ماجستير للباحثة هنادي محمود السيد بعنوان" **مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول (512-494هـ/1100-1118م)**" وأيضا كتاب سرور علي عبد المنعم بعنوان" **السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك فولك الانجوي (1142-1131م/526-538هـ)**"، وأيضا كتاب ياسر كامل محمود أحمد **" مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الرابع(1174-1185م/570-581هـ).**

ولقد وقفت على رسالة ماجستير للباحثة وفاء جوني موسومة ب **" الحياة الإدارية والسياسية في الإمارات الإفرنجية في بلاد الشام"** وقد اهتمت هذه الدراسة بالجانب

الإداري والسياسي لكل إمارة على حدا ولم تتطرق للعلاقات التي كانت بين الإمارات، إلا بشكل بسيط وخلال المراحل الأولى لتأسيسها.

إذ أن هذه الدراسات رغم تعددها وتنوعها فإن مضامينها توضح من خلال عناوينها بأنها تتقاطع مع بحثنا بالجزء اليسير، ولم تتطرق للعلاقات البينية بين الإمارات الصليبية، إذ اهتم الغالب منها بفترة كل حاكم منها وعلاقاته بالمسلمين خلال فترة حكمه، إلاأنها أفادتنا وقدمت لنا مادة قيّمة أفادتنا في كثير من الجوانب، ولذلك أرجو أن أكون قد وفقت في اختيار الإطار التاريخي المناسب الذي يحتاج للعناية والبحث.

سابعا: عرض لأهم المصادر والمراجع:

تتطلب دراسة الحروب الصليبية الرجوع إلى عدد كبير ومتنوع من المصادر التاريخية الأوربية منها والإسلامية، من أجل التعرف على وجهة نظر كل طرف، وإجراء المقارنات والموازنات بين الأحداث التاريخية المختلفة من اجل الوصول إلى الحقيقة التاريخية المجردة، بعيدا عن الأهواء والميول، هذا إلى جانب أن المصادر الإسلامية والغربية تعتبر متممة لبعضها بعضا، ولا غنى للباحثين في تاريخ الحركة الصليبية من الاعتماد عليها.

ولما كان موضوع هذا البحث يتناول دراسة العلاقات السياسية والعسكرية بين الإمارات الصليبية، كان لا بد لنا من الرجوع إلى المصادر التاريخية المعاصرة سواء الأوربية أو الإسلامية، لما تضيفه هذه المصادر من معلومات حول التواجد الصليبي في بلاد الشام وما نشأ بينهم من علاقات مختلفة على الصعيدين السياسي والعسكري، ومن أهم المصادر والمراجع الأساسية التي اعتمدنا عليها في هذا البحث نذكر:

1- المصادر:

أ- المصادر الأجنبية:

من أهم المصادر اللاتينية التي اعتمدت عليها كتاب " وليم الصوري" William of Tyre المعروف باسم **"تاريخ الأعمال التي تمت وراء البحر" A History of Beyond the Sea Deeddone**، ولقد اعتمدت على الترجمة العربية للأستاذ حسن حبشي بعنوان:

" الحروب الصليبية" في أربعة أجز اء، وقد اعتمدت عليه بشكل أساسي رغم انه لا يشمل الفترة الزمنية الكاملة للدراسة، اذ أنه يغطي حوالي قرن كامل من فترة الحروب الصليبية حتى عام 1184م/ 580هـ.

وقد أتيحت لوليم الصوري بحكم المناصب التي شغلها، والأعباء التي اضطلع بها [1] فرصة سانحة لمعرفته بواطع الأمور في مملكة بيت المقدس وفي الإمارات الصليبية وفي بيزنطة والغرب الأوربي، وتكمن أهمية هذا الكتاب أن المؤلف كان شاهد عيان

[1] كان رئيسا لكنيسة صور، ومربيا لابن عموري الأول. وليم الصوري، الحروب الصليبية (تاريخ الاعمال المنجزة ما وراء البحار)، تر: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991، ج1، ص24.

على أهم الأحداث التي شهدتها الإمارات الصليبية في القرن الحادي عشر ميلادي/ السادس الهجري.

ومن المصادر الصليبية المعاصرة التي اعتمدت عليها كتاب:" **أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس"**

"Gesta Francorum Jherusalem peregrinantium" لفوشيه الشارتري[2]

" Fulcher of Chartres " وقد ترجمه للعربية زياد العسلي وتكمن أهمية هذا الكتاب بالنسبة لدراستي في أن مؤلفه كان معاصرا لأحداث الحملة الصليبية الأولى، كما انه شاهد عيان لمعظم الأحداث التي دونها في كتابه، فضلا عن المعلومات والإخبار التي استقاها من شهود العيان، لذلك يعتبر من المصادر الهامة لدراسة الحروب الصليبية، وقد زودنا الشارتري بمعلومات قيمة أفادت البحث كثيرا، خاصة العقود الثلاثة الأولى من عمر الكيان الصليبي أو فيما يتعلق بسير الحملة وتأسيس الإمارات الصليبية في بلاد الشام، وأحوال الصليبيين في بداية تواجدهم بالمنطقة. اذ انه لم يدون الا الاحداث التي شاهدها بنفسه، أو جمعها من مصدر موثوق، فهو من أوثقالمصادر في تاريخ تلك الفترة وعنه نقل أكثر المؤرخين من بعده، الى ان انتهى بالتأريخ الى احداث سنة 1127/521م.

ويلي كتاب فوشيه في الأهمية ما ألفه ألبرت دي اكس[3] Albert d' Aix تحت عنوان **" تاريخ بيت المقدس" " Historia Hierosolymitani"**، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى احتوائه على مادة تاريخية عن الحملة الصليبية الأولى، وتأسيس مملكة جديدة في بيت المقدس، على الرغم من أن المؤلف كان قد وضع كتابه بناء على ما سمعه ممن اشترك في الحملة الأولى ثم عاد إلى فرنسا بعد أن تحقق نجاح الصليبيين في الاستيلاء على عديد المدن الإسلامية ومنها بيت المقدس، فضلا عما استقاه من المصادر المعروفة وبعض المراسلات، وأفادنا كثيرا في التوسع الصليبي في المرحلة الأولى من تواجدهم وأيضا الخلافات بين قادة الحملة والصراع الصليبي الصليبي فترة الاستيلاء على بيت المقدس.

---

[2] ولد فوشيه الشارتري بمدينة شارتر الفرنسية في الفترة الواقعة بين سنتي 1058-1059م/450-451هـ، واشترك في الحملة الصليبية الأولى في شهر أكتوبر 1096م/489هـ، وكان مرافقا لبلدوين الأول واقام معه في الرها حيث كان يحكمها نحو عامين، ثم انتقل معه الى بيت المقدس، وبقي ملازما له حتى وفاته عام 1118م/511هـ، ثم ان فوشيه مكث في بيت المقدس حتى عام 1127م/521هـ. السيد الباز العريني، مؤرخو الحروب الصليبية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1962م، ص37-44؛ جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص6-8.

[3] ينتمي ألبرت الى مدينة اكس لاشابيل Aix la Chapelle أو اخن Aachen الألمانية، وكان هذا المؤلف كاهنا واميناً لكنيسة اكس، الباز العريني، المرجع السابق، ص86-98. جوزيف يوسف، المرجع السابق، ص10-11.

أما في يخص القرن الثاني من الحروب الصليبية يأتي على رأس الكتابات التاريخية اللاتينية المهمة مجوعة من المصادر كتابا **ورود التاريخFlores Haustorium**، والتاريخ الكبير المكملان لبعضهما زمنيا.

فالأول كتب من قبل روجر اوف ويندوفرRoger of Wendover، اذ يعد بالغ الأهمية وفيه مادة مفيدة جدا عن الاحداث داخل الامارات الصليبية حتى سنة 1235م/ 632ه، رغم أنه كتاب موسوعي تناول دراسة التاريخ منذ ظهور الكتابة الى سنة 632/1235هـ أي قبل سنة من وفاته، إلاّ أن الخمسة عشر سنة الأخيرة من التأليف ركز فيها على الحروب الصليبية واحداثها، والحملة الصليبية السادسة، والأحداث التي كانت أثناء معاهدة يافا بين فردريك الثاني والملك الكامل الأيوبي، ولا غنى عن الكتاب في الفترة الثانية من الحروب الصليبية على بلاد الشام.

أما الثاني الموسوم بالتاريخ الكبير**Chronicles of Matthew Paris** فقد كتب من قبل متى الباريسي Matthew Paris، حيث بدأ كتابه حيث انتهى كتاب ورود التاريخ فأرخ لأحداث عام 1235م/631هـ، وأوصل كتابه حتى أحداث 1273م/672هـ، فكان بشكل أو بأخر تكملة لكتاب ورود التاريخ وقد ضم مادة علمية ومصدرية مهمة عن الأحداث والحروب الصليبية في المشرق من خلال سجلاته التاريخية، وقد وثق الأحداث والتطورات التي حدثت خلال هذه الحروب التي وقعت بين القرون الحادية عشر والثالث عشر، حيث وصف الباريسي بشكل مفصل المعارك والصراعات بين الجيوش المسيحية والمسلمة في بلاد الشام خاصة أثناء استرجاع المسلمين لبيت المقدس 642/1244هـ وأيضا أرخ للحملة السابعة تحت قيادة الملك لويس التاسع، وما تلي ذلك من أحداث في بلاد الشام إلى 672/1273هـ.

والجدير بالذكر أن هذه المصادر كانت تفتقد إلى الموضوعية أثناء تناولها للمسلمين حيث تصفهم بأوصاف مشينة بالأجرام والهمجية تارة والوثنية والبدائية تارة أخرى، وفي المقابل تعظم الجانب المسيحي وتمجدهم ولتبرر لأعمالهم البشعة ضد المسلمين، ولذلك لابد من توخي الحذر عند الرجوع الى هذه المصادر.

ب- **المصادر العربية:** من بين المصادر العربية التي كانت لها أهمية كبيرة في دراستي، أذكر على سبيل المثال:

- **"تاريخ دمشق" للمؤرخ ابن القلانسي** (ت 555ه/1160 م): يُعتبر مصدرًا أساسيًا لفهم تاريخ الشام خلال فترة الحروب الصليبية (970ه-1145 م). يتميز الكتاب برؤيته المعاصرة للأحداث، حيث يقدم تفاصيل دقيقة عن الأحداث السياسية والعسكرية التي شهدتها تلك الفترة. لقد استفدت من هذا الكتاب في الفصل الأول من خلال تناولي للحملة الصليبية الأولى، وما أفرزته من تشكيل الإمارات الصليبية. كما استفدت منه في تسليط الضوء على ردود فعل المسلمين تجاه نشأة الإمارات الصليبية،

وتناول العلاقات بين الصليبيين والإسلاميين. في الفصل الثاني، يقوم الكتاب بتحليل العلاقات بين الإمارات الإسلامية والصليبية.

-**الروضتين في أخبار الدولتين لأبو شامة المقدسي** (ت 665ه/1267 م):

يُعد هذا الكتاب مصدرًا أساسيًا لدراستي، خاصة في الفصل الثالث، حيث يتناول علاقات التنافس والصراع بين الإمارات الصليبية وقادتها حول عرش بيت المقدس. كما يبرز جهود القادة المسلمين مثل نور الدين محمود زنكي وصلاح الدين الأيوبي في التصدي للصليبيين وتوحيد الصفوف الإسلامية.

في هذا الفصل، تناولت بالدراسة معركة حطين واسترجاع صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس، بالإضافة إلى أحداث الحملة الصليبية الثالثة وتأسيس إمارة عكا الصليبية. مما يجعل كتاب أبو شامة المقدسي مصدرًا مهمًا لدراستي، باعتباره شاهد عيان على الأحداث التي عاصرها، وموثقًا للأحداث السياسية والعسكرية والدبلوماسية، خاصة أنه من المقربين لصلاح الدين الأيوبي.

الكامل في التاريخ لعز الدين ابن الأثير الجزري (ت630هـ/1232م):

تناول فيه مؤلفه الأحداث التاريخية منذ بداية الزمان، وتكون الليل، والنهار، وابتداء الخلق، وحتى أحداث سنة 628 هـ / 1230 م، ويتميز الكتاب بترتيبه على نظام الحوليات، وقد أرخ فيه ابن الأثير لخمس حملات صليبية، كان معاصرا فيها لثلاث حملات، وقد أفادنا الكتاب بالعديد من المعلومات العسكرية والسياسية والاجتماعية حول أحداث نهاية القرن الخامس والقرن السادس الهجريين.

- **معجم البلدان لياقوت الحموي (ت626هـ/1229 م):**

يعد من أهم المصادر العربية في مجال الجغرافيا الإسلامية، يقدم المعجم العديد من المعلومات حول مدن بلاد الشام التي كانت تحت سيطرة الصليبيين، بما في ذلك كثافة السكان فيها والموقع الجغرافي للعديد من المدن والقرى، يعتبر مصدراً قيماً للباحثين والدارسين في مجال الجغرافيا والتاريخ الإسلامي، حيث يوفر معلومات مفصلة وشاملة عن العديد من المدن والمواقع الجغرافية في المنطقة.

- **الاعتبار لابن جبير (ت614هـ/1217 م):**

من كتب الرحلة الشهيرة أثناء عصر الحروب الصليبية يتناول الأوضاع الاجتماعية للعرب المسلمين في المناطق التي كانت تحت سيطرة الصليبيين، ويقدم معلومات حول التوزع الجغرافي للعرب المسلمين في تلك الأماكن.

يبدو أن الكتاب يقدم شهادات عيان ومعلومات هامة حول حياة العرب المسلمين في تلك الفترة وعلاقتهم مع الصليبيين والمناطق التي كانت تحت سيطرتهم. وانفرد ابن جبير بجانب من العلاقات السلمية بين المسلمين والصليبيين وبخاصة العلاقات التجارية بينهما.

على الرغم من أهمية هذه المصادر العربية في دراسة الحروب الصليبية بصورة عامة، ودراسة العلاقات الصليبية الصليبية بصورة خاصة، إلا أن هناك بعض الملاحظات الهامة التب يمكن حصرها في النقاط التالية:

- أغلب المؤرخين المسلمين اتبعوا في كتاباتهم طريقة السرد الحولي، أي ذكر الأحداث التاريخية عامًا بعام، وبالإضافة إلى ذلك، تكاد المعلومات الواردة في المصادر العربية صورة طبق الأصل لبعضها بعضًا، تماشياً مع ما درج عليه المؤرخون المسلمون في النقل عن سابقيهم وبشكل حرفي في بعض الأحيان.

- ركزت هذه المصادر في دراساتها على جهود المسلمين في مواجهة الصليبيين وأهملت الحياة السياسية والعسكرية للإمارات الصليبية والعلاقات التي كانت بينها، إلاأن هذا لا يقلل من شأن المؤرخين المسلمين، الذين أكملوا ما أغفله المؤرخون الصليبيون، وسدوا بعض الثغرات التي ظهرت في المصادر الأوروبية.

2– المراجع:

حاولت الاعتماد على أهل الاختصاص من كبار المؤرخين في الحروب الصليبية وقد صنفتها إلى مراجع أجنبية وعربية ومترجمة.

أ- باللغة الأجنبية:

- تاريخ الحروب الصليبية Histoire des Croisades لرينيه غروسيه (René Grousset) يعتبر مرجعًا مهمًا لدراسة الحروب الصليبية، بتتبع صاحب الكتاب سلسلة الحملات الصليبية منذ بدايتها في القرن الحادي عشر حتى نهاية الحملة الرابعة في القرن الثالث عشر، ويستعرض أحداث الحروب الصليبية بتفصيل واسع، مشيرًا إلى الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية التي كانت تحيط بهذه الحملات ويقدم تحليلاً شاملاً للتأثيرات البعيدة المدى لهذه الفترة التاريخية المهمة، معتمدا في كتابه على مصادر تاريخية متنوعة.

- تاريخ الحروب الصليبية **History of the Crusades" لكينث ميل ستون (Kenneth M. Setton)**

يتألف هذا الكتاب من عدة مجلدات ويعتبر أحد الأعمال الرئيسية في دراسة الحروب الصليبية، حيث يقدم تحليلًا شاملاً للسياسة والأحداث العسكرية التي وقعت خلال تلك الفترة التاريخية، كما أنه يُعتبر مرجعًا أساسيًا للباحثين والدارسين في تاريخ الحروب الصليبية وتأثيرها على العالم الإسلامي والغربي، ولقد أفادنا هذا المرجع في دراستنا هذه من خلال تناوله الجوانب العسكرية والسياسية للإمارات الصليبية في بلاد الشام.

ب- باللغة العربية:

- **"الحركة الصليبية"** للمؤرخ المصري **سعيد عبد الفتاح عاشور**، بجزأيه الأول والثاني، يعتبر مرجعًا

أساسيًا في دراسة الحروب الصليبية من وجهة نظر عربية، ويتميز الكتاب بتفرده في تناول المجال الزمني لتواجد الصليبيين في بلاد الشام ومصر، وهو يقدم تحليلًا شاملاً ومتعمقًا للأحداث والتطورات التي حدثت خلال هذه الفترة.

يعتمد المؤلف في كتابه على مصادر متنوعة ويتناول مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والعسكرية للعلاقات بين الإمارات الصليبية ببلاد الشام، وتكمن أهمية هذا الكتاب في تسليط الضوء على وجهة نظر عربية حول هذه الفترة التاريخية المهمة، ويعتبر مصدرًا مهمًا للدراسات العربية والإسلامية حول الحروب الصليبية، ولقد اعتمدنا عليه في جميع فصول الدراسة.

ـ **"تاريخ الحملات الصليبية"** للمؤرخ الإنجليزي **ستيفن رنسيمان Runciman Steven** ترجمه المؤرخ المصري السيد الباز العريني للعربية، وتكمن أهميته في توفير رؤية شاملة وعميقة للحملات الصليبية من وجهة نظر غربية، حيث قام المؤلف بتحليل سير وتطورات هذه الحملات على مدار العقود، مع التركيز على الأحداث الرئيسية والشخصيات المهمة وتأثيراتها على العالم الإسلامي والغرب الأوروبي.

ويسلط الضوء على الدوافع والأسباب الدينية والسياسية والاقتصادية التي دفعت بالصليبيين للقيام بالحملات الصليبية، بالإضافة إلى التأثيرات الواسعة التي خلفتها هذه الحملات على المجتمعات المتأثرة بها، وبفضل تحليله العميق والمتوازن مقارنة بباقي المؤرخين الغربيين، يقدم رنسيمان رؤية شاملة للتحولات السياسية والاجتماعية التي شهدها الشرق والغرب نتيجة للحملات الصليبية، مما يسهم في فهم أعمق لهذه الفترة التاريخية المهمة.

بالإضافة إلى مراجع أخرى لا يسع المجال لذكرها تعتبر إضافات قيمة لدراسة الحروب الصليبية وتوفر رؤى مختلفة ومكملة لفهم هذه الفترة التاريخية المهمة، ومنها على سبيل المثال:

- **"تاريخ الحروب الصليبية" لـ هانز ابيرهارد ماير Hans Eberhard Mayer**: يعتبر هذا الكتاب من بين الأعمال الرئيسية في دراسة الحروب الصليبية، ويوفر نظرة شاملة للأحداث والتطورات التي شهدتها تلك الفترة.

- **"الاستيطان الصليبي" ليوشع براورJoshua Prawer**: يقدم هذا الكتاب دراسة متخصصة في الاستيطان الصليبي في بلاد الشام والمنطقة المحيطة بها، مما يسلط الضوء على التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية لهذا الظاهرة.

- **"الشرق الأوسط والحروب الصليبية" للسيد الباز العريني**: يقدم تحليلًا معمقًا لتأثير الحروب الصليبية على بلاد الشام ومصر، مع التركيز على نشأة الإمارات الصليبية مثل مملكة بيت المقدس وإمارة أنطاكية وكونتية طرابلس. يناقش الكتاب تأثير هذه الإمارات على التوازن السياسي في المنطقة، وكيف ساهمت في خلق تحالفات وصراعات جديدة. كما يبرز الكاتب الأثر الثقافي والاجتماعي لهذه الإمارات

من خلال التبادل الحضاري والتجاري بين الصليبيين وسكان المنطقة. وفي النهاية، يتناول أسباب تراجع هذه الإمارات، مشيرًا إلى دور المقاومة الإسلامية وقيادة صلاح الدين الأيوبي في استعادة الأراضي.

إن هذه المراجع تعزز من تعميق الفهم وتوفر رؤى متنوعة وشاملة حول الحروب الصليبية وتأثيراتها على المنطقة والعالم بشكل عام.

ثامنا: خطة البحث

تمثل خطة البحث جهداً شاملاً لتجميع جميع جوانب الموضوع المدروس، حيث حرصت على صياغتها بعناية متناسقة تتلاءم مع المادة العلمية والمعطيات التاريخية المتاحة، التي تجيب على الإشكالية الرئيسية وتساؤلاتها الفرعية، حيث قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

جاء الفصل الأول بعنوان **"قادة الحملة الصليبية الأولى ودورهم في تأسيس الإمارات ببلاد الشام "**في خمسة مباحث رئيسية، حيث قمت بدراسة تاريخية لقادة الحملة الصليبية الأولى ودورهم في تأسيس الإمارات الصليبية في بلاد الشام. بدأت بدراسة جودفري البويوني الذي كان أول من استولى على بيت المقدس وأصبح "حامي القبر المقدس"، مرورًا بمسيرته العسكرية من الغرب اللاتيني عبر القسطنطينية إلى بلاد الشام. كما تناولت بوهيمند النورماني الذي أسس إمارة أنطاكية بعد استيلائه على المدينة في 1098، وأبرزت دور ريموند الصنجيلي في تأسيس إمارة طرابلس من خلال مسيرته التي شملت التفاعل مع الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين والتقدم نحو الشام. كما تم تسليط الضوء على بلدوين البولوني الذي بدأ بتأسيس إمارة الرها قبل أن يصبح ملكًا على القدس، وأخيرًا تناولت دور تانكرد النورماني الذي تولى حكم أنطاكية بعد استيلائها، وناقشت علاقاته مع الإمبراطور البيزنطي وموقفه من السياسة الإقليمية. من خلال هذه المباحث، تم إبراز جهود هؤلاء القادة في تأسيس الإمارات الصليبية المهمة في بلاد الشام، مثل إمارة الرها، أنطاكية، القدس وطرابلس، وكيف أن كل منهم لعب دورًا محوريًا في تحقيق هذا الوجود الصليبي في المنطقة.

أما الفصل الثاني بعنوان **"الإمارات الصليبية في المشرق الإسلامي 1098-1144م / 491-539هـ"**، فقد تم تقسيمه إلى ثلاثة مباحث رئيسية، حيث تناول المبحث الأول إشكالية العلاقة بين مملكة بيت المقدس وبقية الإمارات الصليبية، حيث كان لبيت المقدس دور مركزي في إدارة شؤون الحروب الصليبية وتوجيه السياسة العسكرية للصليبيين في بلاد الشام. تطرقت إلى علاقات التعاون والتنافس بين مملكة القدس والإمارات الأخرى، بالإضافة إلى التوترات التي كانت تحدث بسبب محاولات بعض الإمارات تعزيز نفوذها على حساب بيت القدس، مما أثر في تحالفات القادة الصليبيين.

في **المبحث الثاني**، تناولت العلاقات البينية بين باقي الإمارات الصليبية، مع التركيز على الجوانب السياسية والعسكرية التي تجمع هذه الإمارات، مثل إمارات الرها، أنطاكية، وطرابلس. هذا المبحث استعرض التفاعلات المختلفة بين هذه الإمارات، من تحالفات إلى صراعات، وكيف كانت تسعى كل إمارة لتحقيق مصالحها على حساب الأخرى في ظل البيئة السياسية المتوترة. أما في **المبحث الثالث**، فتمت دراسة الأوضاع التي واجهتها الإمارات الصليبية بعد سقوط إمارة الرها بيد المسلمين في 1144م، وأوضحت ردود فعل الإمارات الصليبية على هذه الهزيمة، حيث حاولت هذه الإمارات إعادة ترتيب صفوفها وحماية مصالحها. كما تم استعراض مساهمة الإمارات في الحملة الصليبية الثانية عام 1148م، وكيف كانت هذه الحملة جزءًا من رد الفعل الصليبي على الخطر المتزايد من المسلمين. وأخيرًا، تم تناول العلاقات البينية بين الإمارات خلال فترة الدولة النورية والصلاحية (1174-1148م)، حيث سادت فترة من التحالفات والتوترات الداخلية، بالإضافة إلى صراع الصليبيين مع صلاح الدين الأيوبي الذي بدأ في بسط نفوذه في المنطقة.

الفصل الثالث بعنوان "الإمارات الصليبية من تأسيس المملكة الأسمية بعكا إلى سقوط آخر معاقلهم ببلاد الشام 1193-1291م/589-690هـ" يُعد تحليلًا شاملاً لتطور الإمارات الصليبية في بلاد الشام خلال فترة زمنية حساسة من تاريخ الحروب الصليبية.

في المبحثين الأول والثاني، تناولت تأسيس المملكة الأسمية بعكا باعتبارها المركز الأساسي للصليبيين بعد الحملة الصليبية الثالثة عام 1191م/587هـ. كما جرى تسليط الضوء على العلاقة التي ربطت هذه المملكة بإمارتي طرابلس وأنطاكية، موضحًا الأوضاع السياسية والعسكرية لتلك الإمارات بعد الحملة الصليبية، وكيف انعكست هذه العلاقات على تماسك الكيان الصليبي في المنطقة.

أما في المبحث الثالث، فقد ركزت على الدعم الذي قدمته البابوية والإمبراطورية الرومانية المقدسة للإمارات الصليبية خلال القرن الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري، سواء من حيث الإمدادات العسكرية أو الدعم السياسي. كما تناول المبحث الصراعات الداخلية بين الصليبيين أنفسهم، والتي أضعفت موقفهم بشكل كبير. وقد برزت هذه الصراعات بوضوح في تلك الفترة، ما أدى إلى تداعيات خطيرة على مصير الإمارات الصليبية، بدءًا بسقوط أنطاكية عام 1266م/664هـ، ثم طرابلس عام 1289م/688هـ، وأخيرًا عكا عام 1291م/690هـ، التي شهدت نهاية الوجود الصليبي في بلاد الشام.

يبرز الفصل فهمًا معمقًا لتفاعلات القوى السياسية والعسكرية في تلك الحقبة، مع التركيز على الأسباب التي أدت إلى انهيار الإمارات الصليبية بعد قرنين من الوجود في المنطقة.

أما **الفصل الرابع**، فقد خُصص لدراسة العلاقات العسكرية بين الإمارات الصليبية، تحت عنوان **"دور التنظيمات العسكرية والدينية في العلاقات العسكرية بين الإمارات الصليبية"**، وقد تضمن ثلاثة مباحث ركزت على الجوانب العسكرية والتنظيمية لهذه الإمارات.

في **المبحث الأول**، تناولت الجيوش النظامية للإمارات الصليبية في بلاد الشام، موضحًا أقسامها المختلفة وبُنيتها التنظيمية. تم التركيز على المكونات الرئيسية لهذه الجيوش، بما في ذلك القوات المحلية والمرتزقة، مع تسليط الضوء على أهم التحصينات الدفاعية التي شيدتها هذه الإمارات لمواجهة التهديدات المتواصلة. كما تم التطرق إلى الإمدادات التي تلقتها من الغرب الأوروبي، والتي شملت الدعم العسكري والمادي، وأثر ذلك على استمرارية قوتها في وجه التحديات.

أما **المبحث الثاني**، فقد خُصص لدراسة الهيئات الدينية الصليبية في بلاد الشام، مع تقديم تعريف شامل بها وبيان أهم أهدافها التي بدأت كنشاطات دينية بحتة، ثم تحولت تدريجيًا إلى العمل العسكري. وقد برزت هذه الهيئات كقوة عسكرية مؤثرة، ليس فقط في حماية الإمارات الصليبية، بل أيضًا في تعزيز سلطتها. كما تطرقت الدراسة إلى طبيعة العلاقات التي جمعت هذه الهيئات بالحكام الصليبيين والإمارات، وكيف أثرت هذه العلاقات في توجيه السياسات العسكرية.

يُبرز هذا الفصل التكامل بين الأدوار العسكرية والدينية، حيث شكلت التنظيمات العسكرية والدينية عمودًا فقريًا في الحفاظ على الكيان الصليبي في بلاد الشام، بالرغم من التحديات الداخلية والخارجية التي واجهتها تلك الإمارات.

وجاءت **الخاتمة** تحصيلا منطقيا لما توصلنا إليه من نتائج وإجابات لما تم وضعه من إشكالية وأسئلة فرعية بقدر من التخصص والموضوعية، حيث حرصت على تبسيطها لتعزيز الفائدة المرجوة من البحث.

تاسعا: الصعوبات

من بين التحديات التي واجهتني في هذه الدراسة حتى وان كانت جزء من واجباتي البحثية:

- طول الفترة الزمنية لموضوع الدراسة والتي شملت قرنين من الزمان (1098-1291م/491-690هـ) الى جانب شساعة المجال الجغرافي، حيث تطلب ذلك وقتا وجهدًا إضافيًا لتغطية هذا المجال بشكل شامل ومفصل، إذ أن العمل ضمن هذا المجال يدفعنا للتريث والصبر، ومحاولة البحث عن المصا در والمراجع الهامة لموضوع بحثنا حتى ولو كانت اصدارات جديدة، واستقرائها بشكل دقيق لتحقيق الاستفادة منها قدر الامكان.
- إن قلة الد راسات العربية التي تناولت موضوع العلاقات بين الإمارات الصليبية حتم علينا الاعتماد بشكل أساسي على الدراسات الأجنبية، وهذا يتطلب منا جهدًا

مضاعفًا من خلال القيام بعمليات الترجمة والتحليل، والتأكد من النقل الموضوعي للمعلومات.

كما أن الاعتماد على الدراسات الأجنبية قد يُعرّضنا لمشكلة عدم الموضوعية في بعض الأحيان، فقد تكون بعض الدراسات محدودة أو متأثرة بالاتجاهات الثقافية والسياسية للمؤلفين، وبالتالي يجب الانتباه والحذر والقيام بتقييم هذه الدراسات ونقدها قدر الإمكان قبل الاعتماد عليها.

- عدم الاستفادة من التربصات الجامعية خارج الوطن خاصة دول المشرق أو دول أوروبا والتي حالت

دون حصولنا على بعض الدراسات أو المخطوطات التي لم أتمكن من الوصول إليها والتي قد تقدم الاضافة الى بحثنا.

وفي الأخير لا يسعني إلا أنْ أُجَدِّدَ شكري وعرفاني بالجميل للأستاذ المشرف البروفيسور فؤاد طوهارة على سعة صدره وصبره معي طوال الخمس سنوات التي قضيناها في إعداد هذه الأطروحة، ورغم انشغاله الدائم، بسبب الأعباء الإدارية والبيداغوجية، إلا أنه كان لي نعم الرفيق في هذا الدرب الصعب، وكان هدفنا المشترك إخراج هذا العمل على أكمل وجه، مع أنّ هذا لا يمنع من السهو والنسيان اللذين جبل عليهما الإنسان، فإن وفقت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأتمنى أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يكون إضافة إلى المكتبة الجزائرية والإسلامية، وأن يجد فيه طلاب العلم ضالتهم.

الفصل الاوّل:

قادة الحملة الصليبية الأولى ودورهم في تأسيس الامارات ببلاد الشام

المبحث الأول: جودفري البويوني واستيلائه على بيت المقدس

1- شخصيته
2- من الغرب اللاتيني الى القسطنطينية
3- دوره في آسيا الصغرى وبلاد الشام
4- جودفري حامي القبر المقدس

المبحث الثاني: بوهيمند النورماني وتأسيسه لإمارة انطاكية

1- شخصيته
2- بوهيمند في البلاط الملكي البيزنطي
3- بوهيمند في آسيا الصغرى
4- استيلاء بوهيمند على انطاكية وتأسيس الإمارة

المبحث الثالث: ريموند الصنجيلي (كونت تولوز) ودوره في تأسيس إمارة طرابلس

1- شخصيته ومكانته في الغرب اللاتين
2- موقف ريموند الصنجيلي من الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين
3- ريموند من آسيا الصغرى الى شمال بلاد الشام
4- مسير ريموند نحو بيت المقدس
5 – دور ريموند الصنجيلي في تأسيس إمارة طرابلس

المبحث الرابع: بلدوين البولوني: من تأسيسه لإمارة الرها إلى تنصيبه ملكًا لبيت المقدس

1- شخصيته
2- دوره في الحملة الصليبية الاولى
3- تأسيسه لإمارة الرها
4- بلدوين ملكا لبيت المقدس

المبحث الخامس: تانكرد حاكما لإمارة انطاكية

1- شخصيته
2- المشاركة في الحملة الصليبية الاولى وموقفه من الامبراطور البيزنطي
3- تانكرد في آسيا الصغرى ودوره في الاستيلاء على انطاكية
4- تانكرد وصيا ثم حاكما على انطاكية

انطلقت الحملة الصليبية الأولى من الغرب اللاتيني سنة 1096م/ 489هـ[1]، بقيادة أمراء إقطاعيون جاءوا من مختلف جهات أوروبا، اختلفت معها أهدافهم وأطماعهم ودوافعهم وتجسّد ذلك بداية من التباين في تاريخ الخروج والأحداث التي سوف يكون عليها مسيرهم بالانطلاق م ن أوروبا وصولا للشرق الإسلامي.

ومن الممكن تقسيم حملة الأمراء إلى أربع مجموعات كبرى[2]، وهناك من قسمها إلى ثلاث[1]، اعتمد تنظيمها على التقسيمات الجغرافية والوضع العرقي واللغوي لكل

[1] انظر الملحق رقم : 2.

[2] مؤنس عوض محمد، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، 2000/1999، ص72.

منها، وهذا ما سيؤدي إلى تكوين إمارات أو دويلات لاتينية على أراضي المسلمين، وليس مملكة أو دولة ينطوي الجميع تحت غطاءها ، وسوف يبرز هذا الاختلاف بين القادة الأوائل في طبيعة العلاقات القائمة بين هذه الإمارات المتأرجحة بين السلم والعداء والتعاون والتدخل الأجنبي في شؤونها أو في سهولة سقوطها واسترجاعها من المسلمين، مما كان له الأثر الكبير على الوجود الصليبي في الشرق لمدة قرنين من الزمن.

المبحث الأول :جودفري البويوني واستيلائه على بيت المقدس

1-شخصيته:

من كبار رجال الإقطاع التابعين للإمبراطورية الرومانية الألمانية، ولد نحو عام 1060م/452هـ، وهو الابن الثاني للكونت أوستاش الثاني Ustas II البويوني[2] ،الذي ينتمي من خلاله للسلالة الكارولينجية، أما والدته فهي ايدا ابنة دوق لوثارينجيا[3]، ودوقيته هي منطقة اللورين[4] السفلى، الواقعة على ضفة نهرالراين، وتدخل في نطاقها مناطق أردن Ardennes وهانوHangout ، وبرابان Brabant ،على الشاطئ الغربي ، وكولونيا Cologne، واكس لاشابيل Exlachabil، على الشاطئ الشرقي، وأغلب سكان هذه البلاد يتكلمون الفرنسية ، ولو أنها تقع داخل ألمانيا نفسها ، وقد قام الإمبراطور هنري الرابع[5] بتنصيب جودفري على هذا الإقطاع عام 1089م/482ه، وكان من المؤيدين للإمبراطور في نزاعه مع البابوية، ولكنه لم يذهب إلى أكثر من التأييد المعنوي[6].

---

[1]باركر ارنست، الحروب الصليبية، تر: السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، ط2، بيروت، 1997، ص27.

[2]تعود أصول هذه العائلة الى مدينة بوايونBouillonالواقعة في شمال غرب فرنسا على القنال الإنجليزي، كنيث سيتون، تاريخ الحروب الصليبية، تر: سعيد عبد الله البيشاوي واخرون، منشورات بيت المقدس، فلسطين، 2004، ج1، ص131.

[3]ميشال بيلار، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني (من القرن الحادي عشر الى القرن الرابع عشر الميلادي)، تر: بشير السباعي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، ص73؛ رنسيمان ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، تر: السيد الباز العريني، دار الثقافة، ط3، بيروت،1993، ج1، ص224-225؛

T. A. Archer, Charles Lethbridge, The Crusades, The Latin Kingdom of Jerusalem, Third impression, Fisher union, London, 1894, p42.

[4]اللورين: Lorraine، إقليم تاريخي في الجزء الشمالي الشرقي من فرنسا، وهو يعد جزء الأراضي الألمانية فترة الدراسة. هالة الوريكات، الحملة الصليبية الأولى على بلاد الشام، أطروحة دكتوراه، جامعة الأردن، 2010، ص45.

[5]هنري الرابع، من اباطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة المشهورين تولى الحكم وهو في سن الخامس عشر من عمره 1065م/457ه، تحت وصاية أمه، الا انه لم يباشر الحكم بمفرده الاسنة 465/1072ه، دخل في صراع مرير مع البابوية.

أنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص307.

[6] نسيم يوسف، المرجع السابق، ص179-180. Setton (K M) ,A history of the Crusades, London, 1969, vol1, p267؛ A. Archer, The Crusades, op.cit. p42..

كان جودفري شديد الالتصاق بالفكرة المسيحية ليبدو أول "فارس مسيحي" في تاريخ العصور الوسطى بكل ما تنطوي عليه هذه الصفة من معنى ومدلول تلك العصور، ومن ثم فقد برز في تاريخ الحروب الصليبية على صورة تحمل المرء مهما اختلف واياه على تقديره لإيمانه لما نهض من أجله، وقد جمع جودفري بين النقيضين، حيث أخلص في خدمة الإمبراطور هنري الرابع وطاعته [1]، ولكنه كان في الوقت ذاته شديد الالتصاق بالكنيسة مؤمنا أشّد الإيمان بوجوب استرداد بيت المقدس وطاعة أوامر البابا [2].

كان يشغل معظم وقته قبل اشتراكه في الحملة الصليبية في حروب صغيرة ومحدودة ضد رجال الإقطاع المجاورين له، وهو يعبر عن صورة كاملة للفارس الإقطاعي في الغرب الأوروبي في العصور الوسطى، كان طويل القامة مفتول العضلات، عريض المنكبين كما كان محاربا شجاعا، ومع ذلك فقد اشتهر بالورع والتقوى، وبحسن سجاياه، ودماثة خلقه[3].

و قد تتناول شخصية جودفري كثير من الكتاب اللاتينيين القدامى والمؤرخين الغربيين المحدثين بالدراسة والتحليل ،فمنهم من رماه بضعف الشخصية، ومنهم من أشار إلى الأساطير التي رويت عنه، ومنهم من اتخذ موقفا وسطا فوصفه بالاتزان والاعتدال،وضمن الفريق الأول نجد المؤرخ شالندونChalandon،الذي يرى أن جودفري لم يكن قوي الشخصية والإرادة ، و رغم الشجاعة التي اشتهر بها في الغرب لم يظهر براعة ملموسة في قيادة الجيش الصليبي في الشرق،وأنه رغم مركزه المرموق فقد كان نفوذه قويا إذا ما قورن بزملائه من رؤساء الحملة الصليبية الأولى مثل بوهيمند وسان جيل وشقيقه بلدوين[4]،وحتى لا يثير الشقاق بينهم انتخب أول حاكم دنيوي لبيت المقدس،أما شارل ديل CHARLESDIEHLفيقول أنه نشأت أسطورة حول شخصية جودفري يشوبها التهويل والمبالغة وجعلت منه محرك الحروب الصليبية[5] ، في حين يرى ستونSetton أن مشاركته في الحروب الصليبية كانت بسبب تدهور الوضع في دوقيته لأنه كان إداريا سيئا على ما يبدو اذ لم يتمكن من أن يستمد منها السلطة ولا الثروة [6].

ولكن في الطرف الثاني يبرز ألبرت اكس albert de Aix الذي اشترك فيها ودوّن مشاهداته عنها في كتاب وصل إلينا مجّد فيه جودفري دي بوايون ونسب إليه الدور

[1]حسن حبشي، الحرب الصليبية الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1958، ص65-66.
[2] نفسه، ص 66.
[3] نسيم يوسف، المرجع السابق، ص179-180.
[4] نسيم يوسف، المرجع السابق، ص 180-181.
[5]علي سرور عبد المنعم، "جودفري البويوني حاكما للكيان الصليبي في بلاد الشام 1099-1100م/493-494هـ"، مجلة بحوث الشرق الأوسط، عدد14، 2004م، جامعة عين شمس، القاهرة، ص 231.
[6]Setton ; vol1, p267.

الأول في قيادة الجيوش الصليبية، والغالب أنه كان متحيزا لسيده وهذا ما تميز به مؤرخو الحملة الصليبية الأولى[1] ، ولكن المؤرخ رينيه غروسيهRene Grousset يرى أن اعتدال هذا الرجل وحسن أخلاقه كان عاملين هامين في تقريب وجهات النظر المختلفة المتضاربة بين رؤساء الجيوش الصليبية[2].

ويقول حسن حبشي عن ذلك: تأثر جودفري الكبير بالتعاليم الكولونياليه، حتى أنه من أوائل المجندين لدعوة اوربان الثاني Urban II[3] لاستخلاص القبر المقدس، تلك الدعوة التي شغفت قلبه وآمن بها إيمانا حمله على أن يلقى السلاح من يده حتى يدخل بيت المقدس وأبى أن يتوج ملكا في المكان الذي توج فيه السيد المسيح بالشوك[4]،وثم دليل آخر على تشبعه للفكرة الصليبية هو أنه باع مقاطعاته الواقعة على نهر الموبز[5]،ورهن قلعة بويون عند أسقف ليون لينفق من دخل ذلك كله على من معه من القوات[6].

وعلى الرغم من كل ما أشيع عن اشتراك جودفري في الحملة الصليبية من قصص وأساطير ونوازع من الدين والتقوى[7]، إلا أنه من الجلي البين أن هذا الأمير بدل جهدا كبيرا خاصة من جانب الأعطيات والهبات للكنائس والأديرة وذلك من أجل تحسين صورته في نظر معاصريه[8]، ويبدو أن جودفري كان فاقدا للأمل في أن يكون له مستقبل كبير في اللورين، في الوقت الذي كان يملأه الحماس للتعويض عما فقده من

---

[1]ألبرت فون أخن(اكس)، تاريخ الحملة الصليبية الأولى، تحقيق وترجمة: سهيل زكار، دمشق، 1427هـ/ 2007م، ج51، ص32،

[2]رينيه غروسيه، موجز تاريخ الحروب الصليبية، تر: احمد إيبش، ط1، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، 2014، ص45-46.

[3]البابا أوربان الثاني: هو أودو دي لا جنيOddo de Lagny، ولد بمدينة شاتيون Châtillon بفرنسا عام 1035، تلقى تعليمه الكنسي على يد القديس برونو s.t Bruno، ثم تدرج في المناصب الكنسية حتى صار رئيسا لدير كلوني Cluny، ثم كردينالا لأوستيا Ostia ثم دخل في خدمة البابا جريجوري السابع Gregory VII، وفي عام 1084-1085م صار نائبا لهذا البابا، وقد خلف البابا فيكتور الثالث VictorIII في رئاسة البابوية في 12 مارس 1088م، وظل به حتى وفاته عام 1099م، بعد أسبوعين من سقوط بيت المقدس على يد الصليبيين. بطرس تديبود، تاريخ الرحلة الى بيت المقدس، ترجمة: حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص65.

[4] حبشي، المرجع السابق، ص66.

[5]نهر الموبز: بالفرنسيةLa Meuse الميز : من أهمّ أنهار شمال غرب القارّة الأوروبيّة، ويبدأ مساره من بوليي-أون-باسينيي الفرنسيّة ثم يتجه شمالا حتى المصبّ في بحر الشمال، بإجمالي طول 925 كم. النهر يعبر ثلاث دول هامّة هي بلجيكا وهولندا وفرنسا.يجدر الذكر أنّ ثلث مسار النهر يقع داخل إقليم والوني البلجيكي. قامت الدول الثلاث المذكورة بالإضافة إلى دوقيّة لوكسمبورغ و ألمانيا بالتوقيع على اتفاقية تفاهم حول استعمالات النهر.
أنظر: https://www.marefa.org. 3جانفي 2024، 10:35سا

[6] حبشي، المرجع السابق، ص66 Setton, vol1, p267.

[7]وليام الصوري، المصدر السابق، ص ص155،158.

[8]قاسم عبده قاسم، الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة،1999، ص100.

أمجاد وأملاك، ولكن هذه المرة لم تكن أوروبا هي محط أنظاره ،إنما هو المشرق الإسلامي حيث الثروة وبيت المقدس[1] ، أي حيث المجد الذي لا يضاهيه مجد.

مهما اختلف المؤرخون حول شخصيته، فإن جودفري استطاع تحقيق هدفه الأسمى وهو تأسيس مملكة في بيت المقدس وأخذها من المسلمين.

2 - من الغرب اللاتيني إلى القسطنطينية:

شرع جودفري في الاستعداد للقيام بحملته تجاه الشرق، وقد تطلب الأمر مجهودات مضنية لتجميع الأموال من جهة وتجهيز الجيش للقتال من جهة أخرى، ومن الطبيعي جدا أن قادة الحرب قد أخذوا كذلك على عاتقهم مسؤولية تجهيز كتائبهم للمشاركة في الحرب الصليبية وفقا للنظام الإقطاعي[2] السائد في أوروبا آنذاك، ومع ذلك ظل العبء الأكبر على عاتق جودفري لكونه القائد العام للجيش[3].

وحتى يتمكن جودفري من توفير المبالغ المطلوبة قام برهن قلعته بوايون لدى أحد الأساقفة، مقابل ألف وثلاثمائة مارك فضي وثلاث قطع من الذهب، وفي حالة عدم عودة جودفري فسوف يذهب إلى أخيه يوستاش[4]،كما قام ببيع العديد من أراضيه وأملاكه لنفس الأسقف وإلى آخرين، بقيمة بلغت عائداتها ثلاثة آلاف مارك فضي[5] .

واللافت للنظر أن الأساقفة ورؤساء الأديرة في اللورين وغيرها من مقاطعات ومناطق الغرب الأوروبي ممن كانوا يذمون الجشع والطمع بالأقوال كانت جل أعمالهم على النقيض من ذلك،إذ لم يكونوا من المعارضين لجمع الثروات و العقارات و لو على حساب الصليبيين مستغلين في ذلك حاجة الفرسان والأمراء إلى النقود ، ومن الأمثلة على ذلك أن أحد أحبار الكنيسة اشترى أملاك ومنقولات القادة والفرسان الذاهبين للمشرق بأسعار زهيدة خاصة مع الحماس الكبير الذي أظهره الفرسان للتوجه لبيت المقدس والاستغناء عن أملاكهم في غرب أوروبا[6]، وجمع أكبر قدر من الأموال

---

[1] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص211.

[2] النظام الاقطاعي،feudal system : احدى اهم حلقات التاريخ الأوربي الوسيط، وهو يعتبر تعاقد بين السيد الاقطاعي وأفصاله على أساس من الحقوق والواجبات المتبادلة، وهو على علاقة كبيرة بخدمة السيد وارضه والتبعية له. جوزيف نسيم يوسف، العصور الوسطى الأوربية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ،1984، ص 104-139.للمزيد حول النظام الاقطاعي أنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج2، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة ،1986، ص 257،276؛ كوبلاند وفينوجرادوف، الاقطاع والعصور الوسطى في غرب أوروبا، ت: محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية، ط3، القاهرة، 1958.

[3] Setton, vol,1, p268.

[4] ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، تر: الياس شاهين، دار التقدم، موسكو،1986، ص 65.
يوستاش: هو شقيق جودفري الأكبر، شارك في الحملة الصليبية الأولى، وأسهم في الاستيلاء على نابلس عام 492هـ/ 1099م، ثم عاد الى بلاده، البيشاوي السعيد، نابلس في عصر الحروب الصليبية، د.ن، ط1، عمان، 1991، ص48،67.

[5] زابوروف، المرجع السابق، ص66 ,Setton, vol1, p267.

[6] زابروف، نفسه، ص66.

للقيام بحملة ناجحة ، وهذا أمر غريب ويتناقض مع دعوة الكنيسة للحملة الصليبية ، وفي نفس الوقت هي من رهنت واشترت كل أملاك القادة والفرسان.

وقد تحصل جودفري أيضا على مصدر آخر للأموال وهم اليهود، اللذين سمعوا بعض الشائعات تقول بأن جودفري البويوني آلى على نفسه أن يأخذ بدم المسيح من اليهود، إذأنهم استطاعوا عن طريق المال الذي دفعوه له أن يضمنوا لأنفسهم السلامة[1].

بعد أن أتم جودفري تجهيزاته، خرج على رأس أول حملة صليبية نظامية متجها إلى المشرق الإسلامي وبصحبته عدد من السادة الإقطاعيين[2]، منهم أخواه يوستاشEustache وبلدوين Baudoin ودي بورج Borg[3] وجابييه دي جاراي Gabeir de Garay، وبلدوين كونت هينولب، واينزور كونت دي، ورينولد كونت أورنجReynold, comte d'Orange، ووليام كونت فوريز Guillaume, comte du Forez وغيرهم[4].

ويبدو أن المكانة البارزة التي تتمتع بها جودفري دي بويون في الإمبراطورية المقدسة وأهمية الإمارات التي شارك أصحابها في حملته الصليبية جعلت لها مكانة خاصة دفعت كثيرا من الفرسان إلى الانضمام إليها، مما أكسبها طابعا مميزا من أول الأمر، هذا مع ملاحظة أن معظم المشتركين في هذه الحملة كانوا من الإقطاع اللاتيني في الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ولم يكن من الإقطاع الألماني سوى القليل، مما جعل الطابع العام لحملة جودفري بويون فرنجيا أي فرنسيا[5]، وكان خروجه في الخامس عشر من شهر أوت من سنة 1096م/498هـ، وهو التاريخ الذي حدده البابا اوربان الثاني لانطلاقة الجيوش الصليبية[6].

سلك جودفري الطريق البري حتى إذا شارف حدود بلاد المجر في أكتوبر من تلك السنة أرسل سفارة الى ملكها كولمانColoman[7]، ليأذن له عبور بلاده، وكانت

---

[1] حبشي، المرجع السابق، ص55.

[2] سعيد عاشور، الحركة الصليبية، مكتبة الانجلو مصرية، ط1، القاهرة، 2010، ج1، ص 147؛ حبشي، المرجع السابق، ص69.

[3] بلدوين دي بورج: سيعرف باسم بلدوين الثاني فيما بعد، ينحدر من اسرة حاكمة في فرنسا، وهو ابن هيو الأول كونت رينيل، وأخو كونت تولوز والد جودفري وبلدوين الأول من امه، وكان قد شارك في الحملة الصليبية الأولى مع مجموعة الامراء البولونيين تحت قيادة أبناء عمه جودفري وبلدوين الأول، وكان بلدوين دي بورج متمرسا في استخدام السلاح وفنون الحرب، وبارعا في سياسة الخيل.
الرويضي محمود، امارة الرها الصليبية1097-1155/ 490-550هـ، أطروحة دكتوراه، جامعة الأردن، 1997، ص220.

[4] الصوري، المصدر السابق، ج1، ص110؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص225-226.

[5] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص120،119.

[6] نسيم يوسف، المرجع السابق، ص 181.

[7] كولمان: ملك المجر من 1095-1116م، سمح في البداية لجيوش الحملات الصليبية بالمرور عبر المجر. حينما وصلت الحملة الصليبية الأولى عام 1096 طريقها نحو البلاد الإسلامية، ووضع كولمان قيوداً أكبر على الجيوش المتتالية، كأخذ رهائن وتجنيد جيشه الخاص لحماية أراضيه من افعالهم. الصوري، المصدر السابق، ج1، ص136،129،112.

تجربة كولمان المريرة مع الصليبيين السابقين قد ازعجت خاطره، لكن روابط المودة والصداقة التي كانت بينهما ومنذ سنوات طويلة حالت دون ذلك ، فاقترح مقابلة جودفري للتشاور في هذه المسألة[1] .انتهت المفاوضات على ضمان جودفري سلامة رعايا أرض المجر من اعتداء الصليبيين، ووضع أخيه بلدوين وعائلته كرهائن عند الملك كولمان حتى تتجاوز الحملة أراضي المجر[2]، مقابل السماح لهم بالاتجاه نحو الشرق وتزويدهم بالمؤن والذخيرة بأسعار زهيدة[3].

وهكذا دخل جودفري في أملاك بيزنطة، وتلقى ترحيبا كبيرا من حاكمها، وذلك مرجعه الى تلك الفئة من الصليبيين الذين سبقوه بقيادة هيج كونت فيرماندوHugues comte de Vermandois،[4] الذي كان يزدريه الترحيب والتعظيم، وقد لقاهم الامبراطور الكسيوس كومنينAlexiusComnenus[5] لقاءا طيبا وبالغ في إكرامه، وإن كان أشبه لديه بالأسير[6]، وبلغت حملة جودفري القسطنطينية يوم 23ديسمبر 1096م/490هـ، حيث أقامت خارج المدينة امتثالا لأمر الامبراطور حتى يأذن لها بالدخول ثم المرور الى وجهتها[7].

عسكر جودفري حيث شاء الإمبراطور، غير أن ما طلبه الكسيوس آثار مشكلة أمام الفارس الصليبي، إذ كيف يقطع يمين الولاء لإمبراطور شرقي؟ ألا يترتب على ذلك تبعية إقطاعية له؟ و هل تلزمه هذه اليمين محاربة الصليبيين إن جد من الأمور ما يحمل الإمبراطور البيزنطي على قتالهم؟ ضف إلى ذلك فإن جودفري كاثوليكي المذهب والإمبراطورار أرتوذكسي، ولا طاعة للثاني على الأول، وكان يعتبر الحركة الصليبية ذات صبغة دينية بحثه وليست مسألة سياسية[8].

---

[1]حبشي، المرجع السابق، ص70،69. ألبرت اكس، المصدر السابق، ص33
T. A. Archer, Charles Lethbridge, The Crusades, p43. Setton, vol1, p268.

[2]Setton, vol1, p268 ؛ T. A. Archer , Charles Lethbridge, The Crusades, p43.

[3]وليام الصوري، المصدر السابق، ج1، ص146.

[4]هيج كونت فرماندو:(1102-1057م/448-495هـ)، هو الابن الأصغر لملك فرنسا هنري الأول من زوجته ان، وكان له من المكانة والقدر ما يزيد على ما لديه من ثروة. رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص219.

[5]الكسيوس كومنين: نجح في الوصول لعرش الإمبراطورية وهو في الثلاثين من عمره،1081م/474هـ، حكم لمدة سبعة وثلاثين سنة مما ساعد على استمرارها لمدة ثلاثة قرون أخرى، وذلك لما اتصف به من سرعة البديهة. رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص ص119،118.

[6] فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، تر: زياد العسلي، ط1، دار الشروق، 1990، عمان، ص 40-41؛ حبشي، المرجع السابق، ص 70.

[7]نفسه، ص 70.

[8]نسيم يوسف، المرجع السابق، ص 186.

لقد رأى جودفري هذا القسم خيانة للإمبراطور هنري الرابعHenryIV[1] والبابا أوربان الثاني، لذلك عمد لتأجيل البث في كل المسائل حتى تفد بقية الجيوش، وحيث ذلك لا يستطيع الإمبراطور أن يفرض عليه هذا الطلب الجائر[2].

بقي جودفري إلى غاية شهر مارس 1097م/490هـ، دون أن يلتقي بالإمبراطور، ومع سماع الإمبراطور بقدوم بوهيموند النورمندي Bohémond de Normand ابن عدوه روبرت جويسكارد Robert Guiscard[3] خشي أن تنظم القوات الصليبية إلى بعضها البعض، ففكر في تضييق الخناق على جيش جودفري، وبدأ يوقف إرسال العلف إلى الخيول، حتى إذا مضت الأيام كف يده عن إرسال المؤونة والسمك والخبز عن الجيش[4]، على أن الإمبراطور بالغ في مضايقة جودفري حيث بعث إليه يأمره بالعبور إلى آسيا الصغرى، حتى ولو لم يقطع له اليمين المرجو، فغضب جودفري ومن معه وشرعوا في محاربة القوات البيزنطية و انهزمت قواته، وهنا كان له من الرضوخ لطلب الإمبراطور، قطع يمين الولاء[5]، والانتقال عبر البوسفور لأسيا الصغرى[6] ، وسبب رفض جودفري أيضا لهذا اليمين كان لاستشارة القادة الصليبيين الآخرين وهو يعلم أنهم على وشك الوصول[7].

بعد هزيمته ضد الإمبراطور اقسم جودفري وبلدوين ولورداتهم على الاعتراف بالإمبراطور سيدا أعلى في جميع غزواتهم وعلى أن يسلموا إلى مسؤولي الإمبراطور جميع الأراضي المستردة التي كانت تابعة للإمبراطور فيما سبق ، ثم تسلموا هدايا وفيرة وأموال، وهكذا نقل جودفري وجيشه إلى آسيا الصغرى لانتظار بقية قادة الحملة، ومن بعدها التوجه نحو الأراضي المقدسة[8]، ومع ذلك نلاحظ انه كان هدف الصليبيين الذي قاموا من اجله بحركتهم هو انتزاع الأراضي المقدسة من المسلمين،

---

[1]هنري الرابع: ابن هنري الثالث امبراطور الدولة الرومانية المقدسة، من الأسرة الفرنكونيةFranconian ، ولد ونشأ في گوسلار بألمانيا (Goslar)، تقلد الحكم بعد وفاة والده وهو في السادسة من عمره، فتولت والدته اكنس المتدينة الوصاية عليه، ومع أنه كان موهوباً وذكياً منذ صغره لكنه كان متهوراً ومتسرعاً في اتخاذ القرارات. نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في اوربة، دار الفكر، دمشق، 1402-1982، ج1، ص667-669.

[2]حبشي، المرجع السابق ، ص 71-72.

[3]روبرت جويسكارد: يعتبر المؤسس الحقيقي للجماعة النورماندية في جنوب إيطاليا وصقلية بسبب صفاته، فقد اشتهر بالدهاء والشجاعة ومن صفاته انه لا يعرف الرحمة او الوفاء بالعهد، كما اشتهر بالمكر وسعة الحيلة ومعنى اسمه اللفظي الحذر. عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج1، ص328؛ ايضا السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية323-1081م، دار النهضة العربية، بيروت، دت، ص813.

[4]انا كومنينا، الكسياد، تر: حسن حبشي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1 ، القاهرة، 2004، ص403.

[5]يمين الولاء: هو أن يتعهد قائد الحملة ان يكون رجل الامبراطور، وان يرد الصليبيون جميع الأقاليم والمدن التي كانت في حوزة الدولة البيزنطية قبل موقعة ملاذكرد، وذلك بعد اخراج الاتراك منها، ويشمل اسيا الصغرى والمدن الكبرى مثل انطاكيا والرها التي كانت تحت حكم بيزنطة منذ وقت قريب. نسيم يوسف، المرجع السابق، ص 189.

[6]كومنينا، المرجع السابق، ص 402؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص253-254.

[7]كومنينا، المرجع السابق، ، ص 397؛ حبشي، المرجع السابق، ص74.

[8]رنسيمان، المرجع السابق، ص 256.

والإمبراطور البيزنطي أراد استغلال ذلك لمصالحه واسترداد أملاكه الذي استولى عليها الأتراك منذ عهد قريب، وهذا ما يؤكد ويجسد الخلاف الصليبي الصليبي منذ بداية الحركة الصليبية والذي سوف يتطور فيما بعد، كما سوف نرى في فصل هذا البحث.

3-دوره في آسيا الصغرى وبلاد الشام:

بعد أن قطعت جيوش الحملة الصليبية الأولى مضيق البوسفور كان هدفها الأول والرئيسي هو الاستيلاء على مدينة نيقية[1] عاصمة دولة سلاجقة الروم ومركز زعيمهم قلج أرسلان[2]، وكان أول الواصلين إليهاجودفري في 21جمادى الأولى 490هـ/6ماي 1097، حيث توزعت قواته في شمال المدينة، بعد أن قسم أمراء الحملة المهمة بينهم في كيفية السيطرة عليها[3] ، وبعد حوالي شهر من الحصار، تم الاستيلاء على المدينة واستسلامها للقوات البيزنطية، وتحصل الكسيوس كومنين على تعهدات والتزامات جديدة من قادة الجيش الصليبي بإعادة انطاكية الى سلطته[4].

واجه الصليبيون في طريقهم نحو انطاكية العديد من الصعوبات والمخاطر، لكنهم كانوا يفيضون حماسة وقوة ، ولم يلبثوا أن انقسموا إلى قسمين ، وذلك لتسهيل عملية التموين أثناء الزحف من ناحية[5] ، وللقضاء على جيوب سلاجقة الروم في أكبر مساحة ممكنة من ناحية أخرى، أما القسم الأول فقد ضم النورمان جميعا، أي نورمان إيطاليا بزعامة بوهيمند وتانكردTancrède، ونورمان فرنسا بزعامة روبرت كونت نورماندي، وتوجهت نحو الشمال الشرقي، والقسم الثاني كان على رأسها أدهيمارAdihemar of Monteil وجودفري بويون وريموند سان جيل Raymond de Saint-Gilles، وتوجهت نحو الجنوب الشرقي[6] وكان الاتفاق على أن تكون دوريليوم[7] موقع الالتقاء.

تمكنت قوات النورمان من الوصول أولا ، إلا أنها سرعان ما ووقعت في مأزق كبير، اذ وجدت نفسها محاطة بالسلاجقة من جهة والتركمان من جهة أخرى، فطلب

---

[1]نيقية: ذكرها ياقوت وقال انها من أعمال إسطنبول على البر الشرقي. انظر: ياقوت الحموي شهاب الدين ابي عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1995، ج5، ص333.

[2]قلج أرسلان:(ت 501هـ/1107م)، داود بن سليمان المعروف في المصادر العربية باسم قليج، تولى سلطنة سلاجقة الروم في عام 485هـ/1092، وواجه الحملة الصليبية الأولى في أراضي آسيا الصغرى. هالة الوريكات، المرجع السابق، ص53.

[3]الباز العريني، المرجع السابق، ص206.؛ الوريكات، المرجع السابق، ص81.

[4]كومنينا، المرجع السابق، ص423.

[5]العريني، الدولة البيزنطية، ص 210.

[6]عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص134.

[7]دوروليوم: أو ضورليوم،Dorylaeum : مدينة قديمة في آسيا الصغرى، قريبة من المدينة الحالية اسكى شهر بتركيا. ر.سي. سميل، فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر، تر: وليد الجلاد، مركز الدراسات العسكرية، دمشق، 1985، ص57.

بوهيمند النجدة من بقية القادة، وكان جودفري أول من لب الطلب وهنا تغير مصير المعركة المقبلة[1]، وصارت الغلبة للصليبيين ، كان ذلك في جويلية1097/شعبان 490هـ، واستولوا على كثير من المؤن والغنائم، وقد جاء انتصار الصليبيين بمثابة إعلان للعالم بظهور قوة جديدة على مسرح الشرق، هي قوة الصليبيين الغربيين الذين أبانوا عن تفوق حربي كبير في آسيا الصغرى، التي عجزت بيزنطة سابقا في المحافظة على أملاكها فيها أو مواجهة السلاجقة هناك[2].

ومع ذلك صادف الصليبيون في تلك المرحلة كثيرا من المتاعب بسبب قسوة الطبيعة وصعوبة الأرض وقلة الزاد وندرة الماء وارتفاع درجة حرارة الصيف، واستمروا في زحفهم إلى أن دخلوا قونية[3]دون مقاومة بعدا أن أخلاها السلاجقة[4]، وكان لجودفري وبقية قادة الحملة أن توغلوا في أراضي الأرمن واستولوا على العديد منها مثل قيصرية وبلاكنتيا، واخترقوا جبال طوروس[5] وأظهر الأرمن لهم الود والصداقة، ثم وصلوا إلى مرعش[6] وكان ذلك في 13 أكتوبر1097/ذو القعدة 490هـ[7]، وبعد ذلك يمكن القول أن الصليبيين بدأوا فعليا في غزو بلاد الشام.

تمركز جودفري وقواته أثناء حصار انطاكية في الجهة الشمالية الغربية مقابل إحدى أبوابها[8]، واستمر حصارها لمدة سبعة أشهر، وأخذ شبح المجاعة يهددهم أمام أسوارها، وبسبب تأثير الجوع والإنهاك نشبت الفوضى وسوء النظام بين الجند، فأخذ البعض منهم يفرون من المعركة ويتسللون خفية، حتى أن جودفري سقط طريح الفراش لمدة طويلة ولما استرجع قواه وعافيته خطب في قومه ودعاهم للثبات والصمود من أجل تحقيق أهدافهم وأحلامهم[9].

---

[1]ريموناجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، تر: حسن محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية، 1990، ص79.

[2]العريني، الشرق الأوسط، ص 213؛ عاشور، المرجع السابق، ج1، ص135.

[3]قونية: يقول الحموي، بأنها من أعظم مدن الإسلام بالروم، وبأقصرا سكنى ملوكها، وهي مدينة وسط الاناضول. الحموي، المصدر السابق، ج4، ص415.

[4]عاشور، المرجع السابق، ج1، ص136؛ العريني، المرجع السابق، ص215.

[5]جبال طوروس: تؤلف شريط الجبال الهامشية الجنوبية في تركيا، تساير سواحل البحر المتوسط وحدود تركيا مع سوريا والعراق، وتصفها مصادر الحملة الأولى بأنها وعرة مخيفة فأطلقت عليها اسم جبال الشيطان. الوريكات، المرجع السابق، ص46.

[6]مرعش: مدينة في الثغور، بين الشام وبلاد الروم. انظر: الحموي: المصد، ج5، ص107؛ أبو الفداء إسماعيل(ت732ه)، تقويم البلدان، ت: رينود وماك كوكين ديسلان، طبعة باريس، دار صادر، بيروت، 1850، ص262.

[7]عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 136.

[8]ألبرت اف أخن(اكس)، المصدر السابق، ص61.

[9]نفسه، ص63، 68.

لم يلبث الصليبيون أن دخلوا أنطاكية، وتطرف الصليبيون في قتل من وجدوه من المسلمين فيها مالا يدركه الحصر[1]، واستطاعوا الاستيلاء على مركز مهم للمسيحيين الشرقيين سابقا، ومركز تبادل تجاري كبير حاليا بين المسلمين والبيزنطيين، وبعد عدة أشهر من البقاء في أنطاكيا، قصد جودفري أخاه بلدوين في الرّها الذي أعطاه تل باشر[2]والراوندان[3] ، فرحب بذلك رغبة في تولي بعض النواحي، وأيضا هربا من الطاعون الذي أجتاح أنطاكية في ذلك الوقت وهلك به كثيرون[4].

عاد جودفري إلى أنطاكية في سبتمبر1098م /شوال491هـ ، و عقد تحالفا مع عمر والي عزاز[5] ضد رضوان صاحب حلب ، ويعتبر هذا أول تحالف لجودفري الصليبي مع حاكم مسلم ضد أمير مسلم آخر، ورحب الدوق بذلك لما تنطوي عليه من الاعتراف الصريح بخطورة شأن الصلبيين في بلاد الشام[6]، ودليل على تفكك العالم الإسلامي، وتتيح لهم الاستيلاء على المدن الإسلامية دون الدخول في حرب ودون تدخل بيزنطة، وأكثر من هذا أن عمر أرسل ابنه ليظل رهينة عند جودفري ، لإثبات عدم نيته في الغدر والتغرير بالصليبيين[7]، وهذه الفكرة في الغالب هي لجودفري لأنه حدث معه نفس الشيء أثناء مروره بأراضي المجر ، حيث ترك أخاه بلدوين رهينة عند ملك المجر كولمان حتى يظهر حسن نيته للملك، وبعدها أعلن والي عزاز تبعيته لجودفري منتصف سبتمبر491/1098هـ، وأخيرا تحركت الحملة الصليبية الأولى نحو بيت المقدس، بعد أن ظلت قرابة خمسة عشر شهرا في شمال الشام أي من أكتوبر 1097م/ذو القعدة490هـ إلى جانفي 1099م/ربيع الأول 492هـ، اتجه جودفري في طريقه بداية بحصار جبلة[8]، واستطاع الحصول من حاكمها على المؤونة والمال والخيل وكان ذلك في مارس 1099/جمادى الاولى492هـ، ثم اتجه إلى عرقة تلبية لنداء ريموند الذي طلب مساعدته[9]، وعندما طال حصارها اعترض جودفري على

---

[1]ابن الأثير عز الدين الجزري(ت630هـ)، الكامل في التاريخ، مراجعة وتحقيق: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط4، بيروت، 2002، المجلد التاسع، ص15.

[2]تل باشر: حصن على مرحلتين من حلب، فيه المياه والبساتين، انظر: أبو الفداء، المصدر السابق، ص232.

[3]الروندان: قلعة صغيرة على رأس جبل بين الشام وبلاد الروم، كانت صعبة الوصول اليها؛ انظر: الغزي كامل بن حسين(ت1351هـ)، نهر الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، ط2، سوريا، 1419هـ، ج1، ص292.

[4]حبشي، المرجع السابق، ص150.

[5]عزاز: بليدة فيها قلعة، شمالي حلب، من جهة الشرق بينهما يوم واحد، انظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص، 132،133.

القلقشندي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي(ت821ه/1418م)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م، ج4، ص172.

[6] حبشي، نفسه، ص154.

[7] ألبرت، المصدر السابق، ص 110.

[8] جبلة: قلعة مشهورة بساحل الشام من اعمال حلب، قرب اللاذقية. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص105.

[9]مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، تر: حسن حبشي، دار الفكر العربي، مصر، 1958، ص 111؛ ألبرت، المصدر السابق، ص123.

ذلك، وأن الاستمرار في حصارها لا يعادل الفائدة المرجوة من وراء الاستيلاء على تلك المدينة الصغيرة[1].

أصر جودفري أن يترك الصليبيون حصار عرقة في الحال ليواصلوا زحفهم على بيت المقدس، وسانده في ذلك تانكرد وروبرت كونت الفلاندرز، وبرز جودفري كقائد وموجه للصليبيين بعد انطاكية، خاصة بعد بقاء بوهيمند فيها، مما أضر بمركز ريموند ضررا بليغا، لأنه كان يريد الزعامة ودفع مقابل ذلك مبلغ كبير من المال، وبدأ التوتر بينهما في طريقهم لبيت المقدس [2]، وما هذه إلا عينة بسيطة من الخلافات والصراعات التي كانت محتدمة في جميع مراحل الحملة الصليبية الأولى.

استطاع جودفري بويون وبمساندة روبرت كونت الفلاندرز إجبار ريموند الصنجيلي على احترام رأي جموع الصليبيين في الزحف دون تأخر على بيت المقدس، مما اكسبه محبة الصليبيين وتقديرهم، وهنا تقرر الزحف على بيت المقدس مباشرة ، و مما زاده حماسا وجرأة التقاؤه ببعض المسيحيين الوافدين من بيت لحم حيث شجعوه أيضا على الإسراع لبيت المقدس[3]، وهنا أرسل جودفري فرقة من الفرسان بقيادة تانكرد إلى بيت لحم حيث استقبلهم المسيحيين مهللين لهم وفرحين بهم ، منتظرين ساعة الخلاص من المسلمين[4]، و لم يحل يوم 7جويلية1099م/رمضان491هـ، إلا وكان الصليبيون جميعا أمام أسوار بيت المقدس.

طال حصار الصليبيين لبيت المقدس واشتدت حرارة الصيف، مما آثار مخاوفهم خاصة بعد سماع إشاعة أن جيشا فاطميا كبير خرج من مصر في طريقه إلى بيت المقدس لتخليصها، مما جعلهم يقومون بمحاولة قوية وبسرعة للاستيلاء عليها[5] ، وقد حدث الهجوم الشامل ليلة 14 جويلية إلى 15 جويلية 1099م/شعبان 492هـ، حتى استطاعوا اقتحامها بعد حصار دام أكثر من أربعين يوما، ولم يستطع المسلمون الدفاع عنها ولا الفرار منها، وارتكب الصليبيون مذبحة وحشية رهيبة، حتى أن الجنود المسيحيين وصلت الدماء إلى سيقانهم[6].

4-جودفري حامي القبر المقدس:

أثار تملك الفرنجة للقدس مشكلة داخلية فيمن يتولى حكمها، هل يكون ذلك لأحد الزعماء الحربيين أو لأحد رجال الدين؟ واختلفوا حول هذا الأمر اختلافا كبيرا، وبدأت تظهر رغبة الكثير في التوجه لترك الأمر لرجال الدين، وحجتهم في ذلك أن الحملة

[1] الشارتري، المصدر السابق، ص68.
[2] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص188.
[3] ألبرت، المصدر السابق، ص 130. وهنا يمكن تبرير اسراع الدوق جودفري بقواته لبيت المقدس، خوفا بأن يحدث لهم مثلما وقع عند حصارهم لأنطاكية.
[4] الشارتري، المصدر السابق، ص70.
[5] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص425.
[6] مجهول، المصدر السابق، ص120.

الصليبية حملة دينية بابوية، دعا إليها البابا أوربان الثاني، وما يؤكد ذلك أنه عهد لها إلى نائبه الأسقف أدهيمار دي مونتيل، وبذلك اتسمت منذ اللحظة الأولى بالسمة الدينية، ثم أن هدفها الأول كان استخلاص بيت المقدس وتأمين الحجاج المسيحيين[1]، حتى أن عدد رجال الدين كان كبيرا في الحملة لذلك طلب عند الاستيلاء على بيت المقدس أن يكون انتخاب بطرك للمدينة قبل الشروع في اختيار حاكم لها، حتى يرأس مجمع انتخاب الحاكم او الملك ويقر هذا الاختيار، وبذلك تكون له الصبغة الشرعية اللازمة[2] ، لكن من كان يحترمه الجميع وانعقد الإجماع عليه، حرموا منه بوفاته وهو الأسقف ادهيمار مندوب البابا، أي أن الطرفين سواء السلطة الدينية أو العلمانية كانت أمام عديد الخيارات[3].

نظر القوم حولهم فلم يجدوا من يشغل البطريركية، واضطروا تحت هذه الظروف الى صرف النظر مؤقتا عن اختيار بطرك بيت المقدس وراحوا يفكرون في اختيار حاكم لهم من بين المدنيين[4] ، ومهما كان الأمر فقد تجاهل العلمانيون مطالب رجال الدين[5]، وكانت لديهم أسبابهم فمع طول المدة الزمنية بين خروج الصليبيين من أوربا حتى وصولهم إلى القدس كان الحماس الديني قد تلاشى وظهرت الغلبة للأمور المادية عن الروحية، بل وتشكل تصور للذين قرروا البقاء في الشرق من القادة العسكريين حول إمكانية أن يصيروا حكاما لأقاليم علمانية[6].

كان هناك أربعة شخصيات هامة تتولى زعامة الحجاج المحاربين، وساهموا في الاستيلاء على بيت المقدس وهم ريموند كونت صنجيل والدوق جودفري دي بوايون، وروبرت كونت الفلاندرز وروبرت دوق نورمانديا، أماتانكرد فإنه على الرغم من بسالته وإقدامه لم يكن لديه إلا قلة من الأتباع، ولم يكن له من الأهمية سوى أنه من أقارب بوهيمند الفقراء، وكان لكل هؤلاء الأربعة ما يزكيه في توليه حكم بيت المقدس، أما عن روبرت كونت الفلاندرز فلم يكن طامعا في الحكم بل كان يفضل الرجوع إلى إمارته بعد أن حقق الصليبيين ما خرجوا من أجله، ونفس الشيء بالنسبة لروبرت دوق نورمانديا[7]، وهنا انحصرت المنافسة وتوجهت الأنظار نحو كل من ريموند كونت تولوز وجودفري دي بوايون ، وكان الاختلاف فيما بينهم وتفضيل احدهم صعبا نظرا

---

[1]Grosset, Histoire des Croisades et du royaume franc de Jérusalem, Paris, 1934, vol1, p 317.

[2]ريموناجيل، المصدر السابق، ص257. رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص430-431؛ حبشي، المرجع السابق، ص 180-181. عاشور، المرجع السابق، ج1، ص202.

[3]حبشي، المرجع السابق، ص181.

[4]Grosset, op. cit. vol1, p317.

[5]ريموناجيل، المصدر السابق، ص257.

[6]عاشور، المرجع السابق، ج1، ص205.

[7]Grosset, op. Cit. Vol1, p, 319.

لمساهمة كل منهما ودوره في الحملة منذ الخروج من الغرب الأوربي 1096م/491هـ[1].

أما ريموند كونت تولوز فسيرته وتزكيته من طرف البابا أوربان الثاني ومرافقة المندوب البابوي أدهيمار لرحلته كان دليل على مكانته وكان على اتصال كبير بالبابا حتى قبل مجمع كلير (1095م/489هـ)[2]، وأيضا إحساسه بأنه خذل في أنطاكية وفي الطريق نحو بيت المقدس من طرف قادة الحملة، فلذلك رأى أن فرصته تلوح له أخيرا لتولي مافقده، لكنه لم يكن محبوبا من رفاقه، وأظهر ريموند عادة من التباهي والغطرسة [3].

لم يبقى من الأمراء بعد هؤلاء إلاجودفري، فباعتباره دوق اللورين الأدنى، شغل في السابق من المناصب العليا مالم يشغله سائر زملائه، ومع ذلك اشتهر بأنه لم يكن حازما قويا في قراراته، ويعتبر الأفضل بالنسبة للواصلين لبيت المقدس من المسيحيين، خاصة وأن جميع الأمراء ورجال الدين يكرهون أن يتولى الأمور رجل له من الشخصية والقوة ما يحول بينهم وبين ما يطمحون في تحقيقه[4].

تردد جودفري في أول الأمر، ولكن بقية الزعماء أجبروه على قبول حكم بيت المقدس في 22جويلية1099م/رمضان491هـ[5]، ولم تكن مهمته سهلة هينة إذ كان عليه أن يعاني كثيرا بسبب عدم إخلاص ريموند بوجه خاص[6]، ومهما يكن من أمر فمن الملاحظ أن جودفري لم يحمل لقب ملك بيت المقدس، واكتفى باتخاذ لقب متواضع هو"حامي القبر المقدس" أو"حامي بيت المقدس"،[7] Advocatus sanctiSepulchri، وذلك حسب عدد من مؤرخي العصر أنه رفض أن يرتدي تاجا في المكان الذي ارتدى فيه المسيح تاجا من الشوك[8]، ومن الواضح أن اختيار جودفري هذا اللقب[9] جاء اعترافا منه بأن الدولة الجديدة ليست لها الصفة السياسية البحتة، وان لها صفتها الدينية التي تجعل للكنيسة الحق في الإشراف عليها، وهكذا أدى تواضع

---

[1] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص 433.

[2] مجمع كليرمونت: انعقد في وسط فرنسا في نوفمبر 1095م، وفيه أطلق البابا اوربان الثاني دعوته الشهيرة للشروع بأولى الحملات الصليبية لانتزاع القدس من يد المسلمين وجعلها خاضعة للكنيسة الكاثوليكية. انظر: الصوري، المصدر السابق، ج1، ص 34، 98، 105، 107.

[3] Grosset, v1, p319.

[4] رنسيمان، المرجع السابق، ص 434.

[5] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 204.

[6] Grosset, v1, p320.

[7] رنسيمان، المرجع السابق، ص 434.

[8] Grousset, v1, p323.

[9] ذكر محمد مؤنس عوض أن تخلي جودفري عن لقب "ملك" واتخاذه للقب "حامي القبر المقدس" ليس من قبيل تواضع جودفري وتدينه، بل يرجع الى دهائه السياسي، ورغبته في عدم اغضاب المؤسسة الدينية. انظر: مؤنس عوض، الحروب الصليبية، ص90.

جودفري إلى تأخير قيام مملكة صليبية قوية ومنظمة تستطيع بيت المقدس في ظلها أن تعيش وسط الأخطار الجسيمة المحيطة بها[1].

وبهذا التتويج تهيأت الظروف لمدينة بيت المقدس أن تشغل في العالم المسيحي الشرقي مكانة الرياسة الدينية والسياسية في نظر الصليبيين، وذلك على اعتبار أن رئيسها حامي القبر المقدس والأماكن المقدسة التي يحج إليها النصارى من جميع بقاع العالم وعلى اختلاف مذاهبهم الدينية، كذلك كان انتخاب جودفري دي بوايون يحدد نقطة هامة في تاريخ الحروب الصليبية، اذ انه كان بمثابة قرار حاسم بتكوين مملكة أو مجتمع أوربي لاتيني جديد بالأراضي المقدسة[2].

المبحث الثاني : بوهيمند النورماني وتأسيسه لإمارة انطاكية

1- شخصيته:

اسمه الأصلي مرقص Marcus، واشتهر بإسم بوهيمند Bohemond، كان والده الزعيم النورماني روبرت جويسكارد RobertGuiscard [3] شديد الإعجاب به منذ ولادته، لما كان يتمتع به من قوة جسمانية، لذلك اختار له لقب بيموند نسبة إلى عملاق أسطوري اسمه "بيموندجيجاس"، كان يسيطر على إعجاب جويسكارد وطغى هذا اللقب على الاسم الحقيقي لبوهيمند حتى أصبح معروفا به طوال حياته[4].

عرف بوهيمند بطول القامة، وقوة الشخصية جذابا له ابتسامة مخادعة وكان سياسيا ودبلوماسيا، يقنع سامعيه بأقواله، له رأي سديد ويوصف بأنه كان بعيد النظر، أجاد اللغة اللاتينية تحدثا وكتابة الى جانب اللغة اليونانية، وقد أشار البعض إلى معرفته باللغة العربية ولكن من الصعب التأكد من مقدرته على النطق بها، وقد أصبح خير نموذج لما اتسم به النورمان من همة عالية، وكان الساعد الأيمن لوالده جويسكارد أثناء الصراع بينه وبين الدولة البيزنطية[5].

---

[1] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص435؛ عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 205.

[2] حبشي، المرجع السابق، ص191.

[3] روبرت جويسكارد: والد بوهيمند ، وجد تانكريدلامه، هو المؤسس الحقيقي للجماعة النورمانية في جنوب إيطاليا وصقلية اشتهر بالهاء والشجاعة ومن صفاته انه كان لا يعرف الرحمة او الوفاء بالعهد كما اشتهر بالمكر وسعة الحيلة التي اعطته اسم جويسكارد ومعناه" الحذر اليقظ"، مما مكنه من المضيء قدما في إتمام فتحه لتلك المناطق، وتوج ذلك بالاستيلاء على كلابريا مع شقيقه الأصغر روجر Roger الذي قدم معه وتمكنا من احراز العديد من الانتصارات، منحه البابا نيقولا الثاني Nichola2(1057-1061/449-453هـ)،لقب دوق ابولياوكلابريا ثم سيدا على صقلية وهو اعتراف من البابوية بالوجود النورماني في إيطاليا، بالمقابل اعترف جويسكارد بالتبعية للبابوية مع دفع مبلغ من المال سنويا. عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ص 286-288؛ ، الباز العريني، المرجع السابق، ص 136 ،

RalphYewdale, Bohémond 1. Prince Of Antioch, University of Wisconsin, USA, 1917, p.4.5.

[4] Bohemond, op. cit. p5.

[5] اميرة مصطفى أمين، العداء بين النورمان والبيزنطيين وأثره على موقف الاميرين النورمانيين بوهيمند وتانكريد من امبراطور القسطنطينية اثناء تقدم الحملة الصليبية الأولى عام 1097م، مجلة كلية الآداب، المجلد 2، العدد 26، 2013، جامعة طنطا، مصر، ص854-855.

كانت الدوقية الكبرى للنورمان هي مدينة نورمانديا Normandy بفرنسا، ثم خرج النورمان منها واستقروا بإيطاليا[1]، لأنهم رأوا في جنوبها مفتاحا لإقامة إمبراطورية لهم في مناطق البحر المتوسط النائية والغربية، والتي كان يسكنها المسلمون، وأيضا كانت بعض الممتلكات الإيطالية الجنوبية جزءا من الإمبراطورية البيزنطية[2]، لذا بدا الاحتكاك بين الطرفين، فكما هو ملاحظ سوف ينشأ بوهيمند في بيئة أساسها القتال والحرب ورغبة شعبه في الامتلاك والتوسع، وهذا ما سيظهر طموحاته ويغذيها فيما بعد مع أحداث الحملة الصليبية.

استطاع النورمان بعددهم القليل ومهاراتهم أن يقوموا بمجهود فردي في خدمة الأحزاب المختلفة في إيطاليا، وانتقلوا من خدمة أمير إلى آخر من الأمراء اللمبارديون[3] ، وحرصوا على عدم تغلب أولئك الأمراء على بعضهم البعض، حتى لا يتم الاستغناء عنهم، وسرعان ما استقروا هؤلاء وأسسوا إمارة لأنفسهم، وهي أول إمارة نورمانية تأسست في إيطاليا سنة 1030م/422هـ، وتحديدا في أفرسا AVERSA[4] شمال نابولي[5].NAPLES

اتخذت البابوية في بداية الأمر موقفا عدائيا من النورمان ولكن مع نهاية خمسينيات القرن الحادي عشر كان البلاط البابوي قد أدرك أن النورمان يمكن أن يستخدموا كقوة في مواجهة النبلاء الرومان المشاغبين والأسر الملكية في أوروبا وخاصة الإمبراطورية الألمانية والبيزنطية[6].

حاول بوهيمند اقتطاع أجزاء من أملاك الإمبراطورية البيزنطية لتأسيس مملكة للنورمان في الشرق إلا

،أنه فشل في ذلك ليعود لإيطاليا محاصرا لمدينة أمالفي Amalfi، جنوب إيطاليا [7]،وتم خلال هذه الفترة الاعلان عن القرارات المتعلقة بالحرب الصليبية، وكانت جماعة من الايطاليين الجنوبيين قد عبرت البحر إلى الشرق، إلاّ أن بوهيمند لم يتحقق من أهمية هذه الحركة إلا عندما وصلت جيوش الصليبيين المتحمسين إلى إيطاليا قادمة من فرنسا، وبعد أن سألهم عن وجهتهم وشعارهم و السلاح الذي يحملونه والهدف الذي

---

[1] عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص 103.

[2] نورمان كانتور، التاريخ الوسيط قصة الحضارة البداية والنهاية، ترجمة قاسم عبده قاسم، دار المعارف، ط2، 1997، ج2، ص394،393.

[3] اميرة مصطفى امين، المرجع السابق، ص 852.

[4] افيرسا: **أفيرسا** بالإيطالية :مدينة جنوب إيطاليا في مقاطعة كازيرتا ضمن إقليم كامبانيا ، وتبعد عن مدينة نابولي 5 كم شمالا.

20 جانفي 2024، 11.53 سا ،https://www.marefa.org

[5] اميرة مصطفى، المرجع نفسه، ص 853.

[6] نورمان كانتور، المرجع السابق، ص 376.

[7] عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص 104؛ تيدوبوه بطرس، المصدر السابق، ص 76.

ينشدونه من حركتهم[1]، أدرك أنه بوسعه استغلال الحركة الصليبية لمصلحته[2] فقد وجد في الفكرة الصليبية فرصته الذهبية للظهور بمظهر المسيحي الورع التقي، الذي يترك بلاده للدفاع المسيحية وتحرير قبر المسيح ،ولكنه في قرارة نفسه كان يفكر في مصالحه الخاصة وأطماعه الذاتية[3]، لاسيما وأن عمه روجر الصقلي Roggero ii لم يكن يسمح له البتة بضم دوقية أبوليا كلها، وسوف يجد لنفسه أفضل مكان في الشرق إذا نجحت الحملة الصليبية[4] ، وهنا أعلن بوهيمند أنه سوف يأخذ الصليب دعما للبابوية، ودعا جميع جنوده الايطاليين للانضمام لحملته، وأما جيشه المحتشد خلع ردائه ومزقه قطعا وصنع منها صلبانا لقادته[5].

كان بوهيمند وقت ذاك يبلغ الأربعين من عمره، ونظرا لتجربته الحربية في ألبانيا، أثناء اشتراكه مع أبيه في القتال بهذه الجبهات في الفترة من 1081-1085م/474-478ه[6]، تفوق على بقية الأمراء والقادة في إعداد جيشه رغم انه اقل عددا[7]،وأسرع أمراؤه التابعون له فحذوا حذوه ومعهم الكثير من أمراء أخيه وأمراء عمه [8]، وابن أخته تانكريد الذي سوف يكون له دورا بارز في بلاد الشام.

2- بوهيمند في البلاط الملكي البيزنطي:

نزلت الحملة النورمانية في افلونا Avalon aعلى شاطئ ألبانيا، في نوفمبر 1096م/486هـ، ومنها اخترقت البلقان شرقا عن طريق تراقيا[9] ، وأثناء سيرهم في البلقان نجح بوهيمند في كبح جماح جنوده فمنعهم من الاعتداء على الأهالي وأموالهم[10]، و على العكس من ذلك ، فكثيرا ما أظهر البيزنطيون وأهل البلقان عدائهم للنورمان، في الوقت الذي قابل فيه بوهيمند تلك الإساءة بشيء من ضبط النفس والتسامح حتى لا يثير شكوك الإمبراطورية، بل وأطلق سراح بعض الأسرى البيزنطيين الذين كانوا في حوزته اثر مناوشة وقعت بين النورمانديين وجيش

---

[1] مجهول، المصدر السابق، ص 25؛ بطرس تيدوبوه، المصدر السابق، ص 77..Bohémond, op. Cit. P 35

[2] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص236.Setton،.op.cit. P270

[3] نسيم يوسف، المرجع السابق، ص 192.

[4] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص257 Bohémond, . p34

[5] مجهول، المصدر السابق، ص26؛ تيدوبوه، المصدر السابق، ص 77.

[6] Bohémond, op. cit.p9.

[7] الباز العريني، المرجع السابق، ص 190.

[8] مجهول، المصدر السابق، ص 25.

[9] تراقيا: هي منطقة تاريخية وجغرافية في جنوب شرق البلقان كانت مغطاة بالغابات الكثيفة والنباتات المتشابكة، وكانت صعبة الاختراق، كانت تابعة للإمبراطورية البيزنطية. انظر: الصوري، المصدر السابق، ج1، ص153.

[10] مجهول، المصدر السابق، ص 26.

الكسيوس[1] حتى يكسب بذلك رضى الإمبراطور وهذا كله لكي يحصل على تأييده له ومساعدته إياه في تحقيق مطامعه في الشرق.

كان على الإمبراطور الكسيوس مواجهة المشكل الأكبر في الحرب الصليبية الأولى ألا وهو الأمير بوهيمند النورماندي ابن روبرت جويسكارد، الذي مازال اسمه عالقا بأذهانه، فقد أدرك الإمبراطور نوايا بوهيمند الخبيثة منذ سماعه بخروجه[2]، وعند ذلك دخل القلق في نفسه لخبرته بتنظيمات جيش الأمير الجيدة وشدة بأسه وتسلحه، لذلك أصدر أوامره إلى قادة جيوشه بمسايرة القوات الصليبية باستمرار وجنبا إلى جنب، وشن الغارات المفاجئة المتوالية على الجيش المتقدم كلما سنحت الفرصة سواء في الليل أو النهار سرا وعلانية، فلقد كان لدى الكسيوس هواجس شديدة ومخاوف من قدوم بوهيمند، لأنه سبق وقد عانى كثيرا منه ومن والده، ويعتبر بوهيمند مثالا سيئا على سلوك النورمان كما كان من أشدهم عنادا وغدرا[3]، والكسيوس شب وهو حانق على المرتزقة النورمان شديد الكراهية لعنصرهم وطباعهم الماكرة وقد تجلى ذلك العداء في تمكنه من القضاء على رسل باليل[4] باسيل في عهد ميخائيل السابع[5]، وظلت تلك المحاولة راسخة في تفكيره وأصبحت درسا في ذاكرته، بل يمكن القول إنها كونت عقدة من أولئك النورمان الذي أدرك انه لا يمكن الوثوق بهم، خاصة ان طموحاتهملم تقتصر على جنوب إيطاليا بل تخطتها إلى طموحات واسعة في الاستحواذ على العرش البيزنطي وامتلاك القسطنطينية نفسها[6].

سببت حملة النورمان الصليبية فزعا للبلاط البيزنطي أكثر من حملة جودفري، فهل كانت الحملة النورمانية الكبيرة مجرد حملة صليبية استهدفت محاربة المسلمين واسترداد بيت المقدس؟ أم أن لها أهدافا أخرى في قلب الدولة البيزنطية نفسها؟[7]، لأن بوهيمند قد غير من نظرته وهدفه تجاه بيزنطة وتأكد أنه ليس بوسعه مهاجمة الدولة البيزنطية في أوربا لقوتها وبأسها لذلك فقد عول منذ تلك اللحظة على تجربة حظه في

---

[1] مجهول، نفسه، ص 27.

[2] كومنينا، المصدر السابق، ص 406.

[3] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص 240. Bohémond op. cit ; p 39.

[4] رسل باليل، باسيل: او كوغ باسيل أي اللص فاسيل، ارمني الجنسية تحايل على العديد من القلاع والثغور جنوب اسيا الصغرى واستولى عليها. انظر: ابن القلانسي، ابي يعلي حمزة، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الإباء اليسوعيين، بيروت، 1908، ص183.
ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص147.

[5] ميخائيل السابع:Michael vii Diucas عين امبراطورا لبيزنطة عام 1071، وكان ضعيف الشخصية وفي عهده ارتفعت أسعار القمح واستعان بالأتراك السلاجقة ضد المعارضين مما سمح لهم بالتقرب من بيزنطة، تنازل عن منصبه عام 1078. انظر: أسد رستم، الروم في سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوفة، ط2، لبنان، 1956، ج2، ص108.

[6] أميرة مصطفى آمين، المرجع السابق، ص858.

[7] سعيد عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 125.

ميدان جديد لعله ينجح فيما أخفق فيه سابقا، ويستوي عنده ان كان ذلك على حساب العرب أو على حساب بيزنطة نفسها[1].

اتجهت أهداف بوهيمند منذ البداية نحو تأسيس موقع له في سوريا [2] ، إذ لم تكن تعنيه مصالح بيزنطة أو مسألة تحرير القبر المقدس، حيث يرى المؤرخ هانس ابرهارد ماير أن بوهيمند كان الأكثر جشعا بين قادة الحملة الصليبية، لم تكن لديه من صفات المقاتل الصليبي الحقيقي إلا القليل، في حين لديه الكثير من قلق النورمان وجشعهم للسلطة وأن بوهيمند عرف كيف يستغل الفكرة الدينية لأغراضه الشخصية والسياسية[3].

عند نزوله على حدود القسطنطينية وحرصا منه على أن تكون نيته سليمة اتجاه الأمبراطور قام بوهيمند بارسال سفراء له ، وأظهروا له ودا ومسالمة كبيرة هو وجيشه بمدن وقرى بيزنطة التي كانت في طريقهم تجاه عاصمتها[4] ، وفي أول أفريل وصل الجيش النورماني إلى روسا[5]Rossa، وقرر بوهيمند أن يسرع الخطى إلى القسطنطينية لمعرفة ما يتفاوض عليه الأمراء الصليبيون الذين سبقوه مع الإمبراطور، واتخذ الكسيوس الترتيبات اللازمة والاستعدادات لمقابلة بوهيمند لوحده ليتسنى له اكتشاف موقفه[6]، كان بوهيمند يطمح إلى إنشاء إمارة نورماندية في الشرق، ولذلك اختار تبنّي نهج اللين والتقارب مع الإمبراطورية البيزنطية، متجاوزًا ما كان متوقعًا منه. فلم يظهر منه أي عداء لبيزنطة أو محاولات لعرقلة مصالحها خلال تلك الفترة، بل سعى لكسب ود البلاط البيزنطي. وأوضح دليل على رغبته في تعزيز العلاقات هو مبادرته لأداء يمين الولاء للإمبراطور، الذي بدوره أغدق عليه الهدايا النفيسة والمكافآت الثمينة[7].

كان بوهيمند يدرك أن القيادة العامة للجيوش الصليبية أبعد ما تكون عنه لا سيما أن البابا أوربان الثاني لم يصرح له بذلك[8]، بل كان يدرك جيدا أن هناك شخصا آخر اصطفاه البابا، ونعني به ريموند كونت تولوز، فلو أن بوهيمند نجح في الحصول على تفويض من الإمبراطور في أن يمثله شخصيا في قتال المسلمين، فانه سيكون بذلك في

---

[1] نسيم يوسف، المرجع السابق، ص 192.

[2] أرنست باركر، المرجع السابق، ص 29.

[3] هانس ابرهارد ماير، تاريخ الحروب الصليبية، تر: عماد الدين غانم، د.ن، ليبيا، 2008، ، ص98.

[4] الباز العريني، الشرق الأوسط، ص 192؛ حبشي، الحرب الأولى، ص 74-75.. Bohémond, op. Cit. P 40

[5] روسا: Rossa مدينة في إقليم تراقيا وتسمى الآن كيشان Keeshan، أنظر: ريموناجيل، المصدر السابق، ص73.

[6] مجهول، المصدر السابق، ص 29؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص240.

[7] حبشي، المرجع السابق، ص 79.

[8] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص 241.

موقف يجعله في الواقع على رأس المحاربين الصليبيين، وسيصبح المرجع الأعلى الذي سيسلمه المقاتلون الغربيون الأراضي التي يتم فتحها لردها لبيزنطة[1].

والظاهر أن بوهيمند أراد أن يكون له النصيب الوافر والخير الكبير من سرعة قبول بل واقتراح عقد يمين الولاء لالكسيوس، وأن يبعد بقية القادة والأمراء عن الإمبراطور، بحيث يخبرنا وليام الصوري، أنه بينما كان جودفري رافضا للقاء الإمبراطور لوحده عالما بمكره وخداعه، وخوفا من أن يختلي به دون القادة الآخرين، وصلته رسالة من بوهيمند يحذره ويخوفه فيها من الكسيوس واصفا إياه بأبشع الصفات، وأوصاه بالابتعاد عن المدينة والإقامة في الضواحي[2].

حينئذ ألحّ بوهيمند على الكسيوس أن يعينه قائدا عاما لقواته في آسيا الصغرى، وهو ما جعل الإمبراطور يتوجس خيفة في نفسه، لأنه كان ولا زال موقنا في قرارة نفسه بأطماع بوهيمند، ولازال ينظر إليه على أنه مخاطر نورماندي، غير أنه كان في الوقت ذاته يخشى إغضابه فلم يجد وسيلة إلا إرجاء الموضوع إلى فرصة أخرى، وكان بوهيمند دبلوماسيا بارعا فلم يصر على مطلبه، ولم يتعنت، بل بادر إلى استقدام بقية جنده، وبعث بهم إلى آسيا الصغرى[3].

والواقع أن بوهيمند أظهر حكمة بالغة حيث كان يدرك جيدا قوة الإمبراطورية البيزنطية، وأن الصليبيين لن يستطيعوا تحقيق هدف واحد من أهدافهم في الشرق، دون مساعدتها له فضلا عن أن النزاع بين الصليبيين والبيزنطيين لن يعود الاّ بالخسارة على الطرفين، في حين من الممكن أن يحقق التحالف بين الطرفين نتائج مفيدة للمسيحيين أجمعين[4].

أقسم بوهيمند يمين الولاء للإمبراطور، وأعلن تبعيته له، فغمره هو الآخر بالأموال والهدايا الثمينة، ولما كانت هذه التبعية تحمل بين طياتها مبدأ الحد من أطماع بوهيمند ونشاطه في الشرق، لأنه سيفتح ما يفتحه من بلاد باسم الإمبراطور البيزنطي، رأى أن يحتاط ويأّمن نفسه ومستقبله، فطلب من الإمبراطور أن يمنحه إقطاعا كبيرا في إقليم أنطاكية ولبى الكسيوس طلبه، فوعده بمنطقة واسعة حول أنطاكية طولها مسيرة خمسة عشر يوما وعرضها ثمانية أيام[5]، وبذلك تكون الاتفاقية قد حددت مولد إمارة أنطاكيا

[1] رنسيمان، نفسه، ص 242، حبشي، المرجع السابق، ص 75.
[2] وليام الصوري، المصدر السابق، ج1، ص 163-164.
[3] رنسيمان، المرجع السابق، ص 242؛ حبشي، المرجع السابق، ص76.
[4] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص241؛ الباز العريني، المرجع السابق، ص193؛ عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 127.
[5] مجهول، المصدر السابق، ص 31.

النورمانية وهي الإمارة التي صار لها شأن كبير فيما بعد في تاريخ الصليبيين في الشام[1].

لقد كان الوفاق تاما بين الكسيوس وبوهيمند وستستمر العلاقة بينهما في جو يسوده التفاهم حتى سنة 1098م/ 491هـ، عندما تظهر في الأفق مشكلة أنطاكية، وهنا يقلب بوهيمند للإمبراطور ظهر المجن وتظهر شخصيته على حقيقتها دون أي تصنع، ويكشف عن خبيئة نواياه، ويقوم النزاع بينه وبين الإمبراطور، ذلك النزاع الذي سيؤثر تأثيرا بالغا في تطور العلاقات بين الصليبيين والبيزنطيين طيلة القرن الثاني عشر الميلادي، السادس الهجري[2].

3- بوهيمند في آسيا الصغرى:

بدأ الصليبيون يتجهزون للمغادرة ومتابعة سيرهم إلى أنطاكية بعد أسبوع من الاستيلاء على نيقية، ففي 26جويلية 1097م/رجب 490هـ، أخذت مقدمة الجيش الصليبي في التحرك[3]، بعد أن عقدوا مؤتمر تقرر فيه تقسيم الجيش إلى فرقتين لتسهيل عملية التموين، و أن يكون الفاصل بين الفرقتين مسيرة يومين، وما أن تقسم الجيش حتى أخذ بوهيمند طريقه على رأس الفرقة الأولى إلى ضورليوم، وسلكت الفرقة الثانية نفس الطريق ولكن إلى ناحية أخرى بحثا عن المرعى والماء الغزير[4].

لم ييأس السلطان قلج أرسلان لما أصابه في نيقية وفشله في استعادتها، وزاده تصميما أن يعيد الكرة مرة أخرى، فاتجه إلى الشرق وعقد اتفاق مع الأمراء الدانشمنديين[5] لمواجهة الخطر الجديد الذي لم يكن يتوقعه أحد من أمراء آسيا الصغرى من الأتراك، وبدأ ألب أرسلان[6] في إرسال عيونه وجواسيسه لتتبع أثر الفرنج ومسيرتهم، فعلم أنهم سيمرون بوادي ضورليوم فكمن لهم هناك[7].

---

[1] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص127.

[2] نسيم يوسف، المرجع السابق، ص204.

[3] رنسيمان، المرجع السابق، ص 276.

[4] مجهول، المصدر السابق، ص38.

[5] الدانشمند: لفظ فارسي معناه عالم اوذكي، وقد أشار ابن الاثير الى ان الدانشمند كان معلما للتركمان، وتقلبت به الأحوال حتى ملك بعض البلاد، واختلف المؤرخون حول اصولهم، وترجع بداية ظهورهم على مسرح الاحداث بعد هزيمة البيزنطيين في معركة ما نزكرت في عهد السلطان الب أرسلان. للمزيد أنظر: علي بن صالح المحيميد، الدانشمنديين وجهادهم في بلاد الاناضول، مؤسسة شباب الجامعة، ط1، الإسكندرية، 1414/1994هـ، ص16-17.

[6] الب أرسلان: السلطان عز الدين الب أرسلان ابن السلطان مسعود بن الب أرسلان بن سليمان بن قتلمش بن إسرائيل بن بيغو بن سلجوق، التركماني، الغزي، وهو ثاني سلاطين الدولة السلجوقية. انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الارناؤوط، تركي مصطفى، دار احياء التراث العربي، ط1، 2000، بيروت، ج2، ص230؛ سعيد عاشور، المرجع السابق، ج1، ص73.

[7] الصوري، المصدر السابق، ج1، ص 223؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، المرجع السابق، ج1، ص 278.

وفاجأ السلطان أرسلان بوهيمند بجيش كبير[1] انطلق من الجبال تحت التهليل والتكبير[2]، أين تجمع الصليبيون وسط معسكرهم يبحثون عن النجدة، فبعث بوهيمند رسله إلى الفرقة الثانية من جيشه لتسارع لنجدته، كما عقد اجتماعا سريعا مع قادته حثهم فيه على الاستعداد لخوض قتال عنيف وأن يلتزموا أولا لأمر خطته الدفاعية[3].

أحاط الترك من كل جانب بالصليبيين وأثخن بوهيمند بالجراح، ولم يكن أمام جيشه سوى الاستسلام ، وزادت حرارة الجو في فصل الصيف من متاعبهم واستولت الدهشة عليهم من قوة الترك، ومن مقدرة السلطان ألب أرسلان على جمع هذا العدد من المقاتلين[4]، ولم ينقذهم من هذه المعركة إلا وصول ريموند كونت تولوز(الصنجيلي) قائد الفرقة الثانية الذي أسرع بجيشه وألتحم في القتال مما قوى عزيمة الصليبيين وأضعف من قوة الترك، وكان في ميسرة الجيش الصليبي بوهيمند وروبرت النورماندي[5] وسيتفن بلوا[6]، وكان في الوسط ريموند وروبرت فلاندرز، وفي الميمنةجودفري وهيوج، وأخذ الصليبيون في القيام بهجوم شامل[7].

انقلب ميزان المعركة إلى جانب الإفرنج حيث استطاعوا بالدعم الجديد أن يحولوا الهزيمة إلى انتصار ساحق على الأتراك[8]، ويحدد وليام الصوري خسائر الإفرنج بأربعة آلاف من العامة وقائدين من كبار القواد، بينما يحدد خسائر الترك البشرية بثلاثة آلاف من الرجال البارزين[9].

وبفضل هذا الانتصار الذي حققه الفرنج في ضورليوم[10]، أصبحوا واقعا حقيقا على الأرض وقوة لا يمكن الاستهانة بها، أو تجاهلها في الصراع الجديد في الشرق، [11]، ولم يكن وقع الهزيمة عظيما على السلاجقة فحسب بل على المسلمين قاطبة، ويصف ابن القلانسي أثر هذه الهزيمة بقوله: "...وتواصلت الأخبار بهذه النوبة

---

[1]يقدره وليام الصوري، المصدر السابق، ج1، ص، 224، بأنه جاوز مائتي ألف مقاتل سوى الخيالة، ويقدره ريموناجيل، المصدر السابق، ص79، بمائة وخمسين ألف مقاتل، وفوشيه يذهب بعيدا في المبالغة فيقدره بثلاث مئة وستين ألف مقاتل، انظر: تاريخ الحملة، ص48. وكذلك المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص40.

[2]مجهول، المصدر السابق، ص 39.

[3]كومنينا، المصدر السابق، ص 152؛ مجهول، المصدر السابق، ص39.

[4]مجهول، نفسه، ص 40،39.

[5]روبرت النورماندي: هوابن وليم الفاتح ملك إنجلترا، حشد حشدا كبيرا من النورمان والإنجليز خلال مشاركته في الحملة الصليبية الأولى. الشارتري، المصدر السابق، ص 41.

[6]ستيفن بلوا: هو أحد امراء الحملة الصليبية الأولى القادمين من الغرب الاوربي، عنه بالتفصيل، انظر: جوناثان ريلي سميث، المرجع السابق، ص65، 109، 114، 115، 130، 133، 137.

[7]مجهول، المصدر السابق، ص40؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص279.

[8]الشارتري، المصدر السابق، ص 50؛ مجهول، المصدر السابق، ص 41.

[9]الصوري، المصدر السابق، ج1، ص 227.

[10]للمزيد عن معركة ضورليوم، انظر: رنسيمان، المصدر السابق، ج1، ص277-280.

[11]الباز العريني، المصدر السابق، ص 213.

المستبشعة في حق الإسلام فعظم القلق وزاد الخوف والفرق واشترى ملك الروم من السبي خلقا كثيرا وحملهم إلى القسطنطينية..."[1].

لقد كان هذا النصر إيذانا بفتح أبواب الأناضول أمام الصليبين فأصبحت معنوياتهم أكثر مما كانت بعد سقوط نيقية، فلم يوجد حينئذ من يشاركهم الغنائم، وتراءى لهم أنه ليس ثمة شيء سيقف في طريقهم، ولكن طريق القدس مازال طويلا وعسيرا[2].

4- استيلاء بوهيمند على أنطاكية وتأسيس الإمارة:

اتفق الصليبيون جميعًا على جعل أنطاكية هدفًا رئيسيًا لهم، إدراكًا منهم أنه لا يمكنهم التقدم نحو بيت المقدس دون السيطرة أولًا على هذا الحصن المنيع. وكانت أنطاكية آنذاك تضم غالبية سكانية من المسيحيين، بما في ذلك اليونانيون والأرمن والسريان[3]، بينما كان يحكمها القائد المسلم ياغي سيان[4]،

غير انه عندما اقتربت الحملة الصليبية من المدينة شرع ياغي سيان في اتخاذ تدابير شديدة، فألقى في السجن البطريرك الذي يعتبر رأس أهم جالية في أنطاكية وتقرر طرد عدد كبير من الزعماء المسيحيين الناقمين على حكمه والتواجد السلامي فيها، وغيرها من الإجراءات خوفا من الخيانة التي قد يتعرض لها [5]، لان المدينة حقيقة دفاعاتها الطبيعية والبشرية محكمة ويصعب إن لم نقل يستحيلإسقاطهاإذ لم تكن للخيانة يد في الأمر.

بلغ الجيش الصليبي نهر الاورنت[6] في 20أكتوبر1097/ذو القعدة489هـ، عند الجسر الحديدي، حيث يلتقي الطريقان القادمان من مرعش وحلب، ليجتازا النهر في هذا الموضع بعد اتحادهما، واشتهر الجسر بشدة مناعته وقوة استحكامه، إذ ارتفع على

---

[1]ابن القلانسي، المصدر السابق، ص134.

[2]انتوني بردج، تاريخ الحروب الصليبية، تر: أحمد سبانو، نبيل الجيرودي، دار قتيبة، سوريا، 2014، ص 72؛ الباز العريني، المرجع السابق، ص 213.

[3]رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص320.

[4]ياغي سيان: مؤيد الدين بن محمد السلجوقي، أحد أشهر قادة السلطان السلجوقي ملكشاه بن الب أرسلان، الذي سيطرت دولته على فارس والعراق وأجزاء من الشام من عام 464-484/1072-1092م، حاول الدفاع المستميت عن انطاكية لكن قتل بعد حصار لها من طرف الصليبيين فاق السبع أشهر. انظر: ابن القلانسي، المصدر السابق، ص135؛ ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، الطبعة الاميرية، القاهرة، 1957، ج1، ص19؛ ابن تغري بردي جمال الدين ابي المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1357ه-1938م، ج1، ص344-349.

[5]رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص321.

[6]نهر الاورنت: نهر العاصي هو نهر ينبع في لبنان ويمر في سوريا ليصب في البحر المتوسط. ينبع نهر العاصي من أعالي سهل البقاع في لبنان وليس له منبع وحيد بل ثلاث مجموعات، ويقال له العاصي والمقلوب، لأنه يخالف انهار الدنيا كلها، لأنه يجري من الجنوب الى الشمال...ويخرج الى انطاكية فيحف بالمدينة من جهة الغرب، وينفصل عنها فيصب في البحر المتوسط. ابن العديم، كمال الدين، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1996، ج1، ص390.

جانبي مدخله برجان خشبيان، وبعد قتال مع حاميته من الجنود، استطاعوا شق طريقهم عبره وأضحت أنطاكية أمامهم مباشرة[1]، وفي اليوم الموالي وصل إلى أسوارها بوهيمند على رأس مقدمة الجيش، وجاء في أثره بقية الجيش[2].

أما مدينة أنطاكية نفسها فكانت من أقوى مدن ذلك العصر تحصينا، بحيث لا يمكن مقارنتها في مناعتها وقوة تحصينها إلاّ بالقسطنطينية، فهي محاطة بالجبال من جهتي الشرق والجنوب أما من ناحية الغرب يحدها مجرى نهر العاصي، فضلا على أنها قلعة حصينة يصعب الاستيلاء عليها[3]، وعندما وصل بوهيمند تمركز مع رجاله في الجهة الشمالية من المدينة أي عند باب بولس، ثم لحق بعده روبرت كونت فلاندرز وروبرت دوق نورماندیا واتخذوا الجهة الشرقية منطقة نزولهم، أما ريموند الصنجيلي والمندوب البابوي أدهيمار فقد استقروا رفقة قواتهم في الجهة الغربية على مقربة من باب الكلب، وأخيرا عسكر جودفري دي بوايون في الجهة الشمالية الغربية أي في مواجهة باب الجنينة (باب الدوق فيما بعد)[4].

اجتمع القادة الصليبيين للتشاور حول أنطاكية، وانقسموا إلى فريقين أحدهما برئاسة كونت صنجيل، والآخر ترأسه بوهيمند ولم يكن أحد هذين الزعيمين يطمئن إلى الآخر، بل لقد رأينا اختلاف وجهة نظر كل واحد منهما عن الآخر منذ أن كانا بالقسطنطينية في حضرة الإمبراطور[5]، وكان من رأي ريموند الشروع في الهجوم حالا ودك أسوار المدينة، وذلك لمفاجئة سكانها والتضييق عليهم، حتى يصعب نجدتهم، لكن بوهيمند عارض هذا الرأي معارضة شديدة ورأى التريث أولا واعادة تنظيم قواتهم حتى يلحق بقية الجيش الفرنجي بقيادة تانكريد[6].

ولعل الظروف كانت تصب في صالحهم بمقدم الأسطول البحري وما ترامى إلى الأسماع من أن الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين يعتزم المجيء بنفسه على رأس قواته إلى جانب المغيرين ، ولم تكن معارضة بوهيمند لريموند صادرة عن إخلاص للصالح الصليبي العام بقدر ما تبعث عليها أطماعه الشخصية ، ذلك أنه كان يطمع أن تكون أنطاكية خاصة له دون سواه، وكان يدرك أنّ إتباع خطة ريموند ينطوي على خطرين من وجهة نظره الخاصة، أولهما أن الفتح بهذه الصورة فتح جماعي يكون قد اشترك فيه القادة الصليبيون كافة، وحينذاك لا يتأتى له أن يطالب بحكمها وامتلاكها لنفسه، وثانيهما أنها إذا صارت له وجب أن لا يراها مخربة منهوبة،

---

[1]الصوري، المصدر السابق، ج1، ص270.

[2]رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص324.

[3]Bohémond. Op.cit. p 52.

[4]عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 155-156؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص321؛ أيضا زابروف، المرجع السابق، ص 86. Bohemond. Op.cit. p52.

[5]حبشي، الحرب الصليبية، ص113.Bohémond، op. cit. p50

[6]ريموناجيل، المصدر السابق، ص85.

ولذلك رأى أن يعيق حركة الفتح الجماعية ويستقل هو بذلك بالاستحواذ عليها حتى لا يقع في نفس الأمر الذي حدث في نيقية للصليبيين[1].

كانت خطة بوهيمند إذ ترمي إلى تأجيل الفتح وبذلك تتاح له فرصة طويلة من الوقت يعمل خلالها على الاتصال بالحامية –إن أمكن- والمسؤولين بالمدينة وهذا ما فعله فيما بعد في الحقيقة[2].

انقاد الصليبيون لرأي بوهيمند في تأجيل الهجوم وطال وقوفهم خارج أنطاكية حتى انقضى الخريف وحل الشتاء (21 اكتوبر1097-3جوان 11/1098ذوالقعدة490-2رجب491هـ)، وكان من الممكن ألا تطول مدة الحصار على هذا النحو، لو أن الصليبيين باغتوا المدينة بالهجوم فور وصولهم، ولم يضيعوا وقتا طويلا في الانتظار والتفكير، خاصة مع حالة الارتباك والفزع التي استولت على أهالي أنطاكية عندما علموا بوصول الصليبيين، وزاد من موقف الصليبيين قوة أنهم أمّنوا طريق الاتصال وشاطئ البحر فيما بينهم ، وذلك عند ميناء السويدية[3]- عند مصب نهر العاصي- في حوالي 17 نوفمبر1097م/ 08ذو الحجة 490هـ أسطولا بحريا يحمل إمدادات هامة للصليبيين[4].

أخذ شبح المجاعة مع ذلك يهدد الصليبيين أمام أنطاكية، ولم تكفهم المعونة المتقطعة التي كانت تأتيهم من قبرص والغرب أحيانا، وتحت تأثير الجوع والإنهاك نشبت الفوضى وساء النظام بين الجند[5]، وفي تلك الظروف الحرجة والأوضاع الصعبة ، أخذ الصليبيين يفرّون من المعركة ويتسللون عائدين خفية، ولم تقتصر هذه الظاهرة على الجند المغمورين، بل إن بطرس الناسك نفسه ووليام النجار اختفيا فجأة، فجد تانكريد في أثرهما حتى قبض عليهما وأعادهما إلى بوهيمند الذي وبّخهما لهروبهما، وأخذ عليهما عهدا بعدم ترك الجيش الصليبي حتى يتم الاستيلاء على بيت المقدس[6].

لقد ظهر بوهيمند في تلك الأوضاع الصعبة التي واجهت الصليبيين أمام أنطاكية، في صورة الرجل القوي الذي تركزت فيه آمال الصليبيين، ونظرا لأطماعه في هذه المدينة، برع في إحباك خطة في أصعب أوقات الحصار وأشدها حرجا - في أوائل جانفي سنة 1098م/ صفر491هـ، ليعلن أنه قرر الانسحاب والعودة إلى إيطاليا وأنه

---

[1] W.B. Stevenson, thecrusades in the East, London,1907, p31-32.

[2] حبشي، المرجع السابق، ص114.

[3] ميناء السويدية: اسكندرونة أو سمعان أو سان سيمون حسب المصادر الأجنبية، يقع على بعد 25 كم من انطاكية، قرب الحدود السورية على البحر المتوسط. يحي الشامي، موسوعة المدن العربية والاسلامية، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، 1993، ص307.

[4] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص158.

[5] مجهول، المصدر السابق، ص 55-56. Bohemond.op, cit. . p57

[6] مجهول، المصدر السابق، ص 55 Bohemond. Op.cit. . p58

لا يستطيع الاستمرار في تلك العملية الحربية الطويلة التي لم يكن مستعدا لها، ولا يمكنه أن يصبر على رؤية رجاله وفرسانه وخيوله وهم يتساقطون كل يوم صرعى من الجوع و البرد أمام أسوار أنطاكية[1]، ومن الواضح أن هذا التهديد الخطير كان يعني تعرض الصليبيين جميعا لكارثة محققة لأن بوهيمند ورجاله صاروا بمثابة العصب الرئيسي والعمود الفقري للقوات الصليبية المحاصرة لأنطاكية ووعدوه بتسليمه إياها فور الاستيلاء عليها، تعويضا عن أملاكه في جنوب إيطاليا، وكان ذلك هو كل ما استهدفه بوهيمند من وراء مناورته، فلم يبق له بعد ذلك سوى إظهار مقدرته وكفايته في الاستيلاء عليها[2].

لنجاح خطته وجه بوهيمند أنظاره نحو القوات البيزنطية المتواجدة معهم في حصار أنطاكية، واتهم قائدها بالخيانة ومساعدة الأتراك، ففر القائد البيزنطي خائفا من انتقام الصليبيين، وهنا تحول شعورهم إلى العداء نحو البيزنطيين ، وبدأوا يلقون اللوم على الإمبراطور الكسيوس وأنه سبب طول الحصار وزيادة أزمتهم بجوار أنطاكية[3]، ويقولون بأنه لو ساعدهم بإخلاص لما وصل حالهم إلى الأوضاع التي أمسوا عليها، وهكذا دفع هذا الشعور كافة الأمراء الصليبيين إلى التنكر لوعودهم للإمبراطور البيزنطي، على أساس أن البيزنطيين أنفسهم هم الذين بدأوا بنقض اتفاقية القسطنطينية، وبذلك نجح بوهيمند في إحكام خطته ولم يبق في طريقه ما يحول دون تسلمه أنطاكية عند سقوطها في أيدي الصليبيين[4].

وفي تلك الأثناء لم تتوقف الاشتباكات بين الأتراك وحامية أنطاكية من جهة والصليبيين من جهة أخرى، ويبدو أن كفة الصليبيين كانت هي الراجحة خاصة بعد أن استطاع بوهيمند صد قوات رضوان تتش[5] أمير حلب وسقمان بن أرتق[6] حاكم ديار بكر وأمير حماة، فضلا عن قوات أخرى من حمص و إقليم الجزيرة، بعد أن اجتمعت كلها في حارم، وهي قلعة تبعد حوالي ثلاثين كيلومترا من أنطاكية، وانتهت بانحسار

---

[1] ريموناجيل، المصدر السابق، ص90.

[2] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص337؛ عاشور، المرجع السابق، ج1، ص159.

[3] ريموناجيل، المصدر السابق، ص 92؛ كومنينا، المصدر السابق، ص426. Bohemond. Op. cit. p59

[4] ريموناجيل، المصدر السابق، ص99؛ كومنينا، المصدر السابق، 426.

[5] رضوان بن تتش: هو فخر الدولة رضوان بن السلطان تتش بن الب أرسلان، ولي سلطنة حلب بعد وفاة أبيه في سنة 488هـ -1095م، وتوفي بها 507هـ -1113م. انظر: ابن القلانسي، المصدر السابق، ص189؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج5، ص205.

[6] سقمان بن أرتق: بن أكسب معين الدولة، التركماني، حاكم ديار بكر، توفي 498هـ-1104م. انظر: شمس الدين الذهبي(ت748هـ) ، سير اعلام النبلاء، تح: شعيب الارناؤوط واخرون، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، 1405-1985، ج19، ص234.

المسلمين وتراجعهم، وساهم ذلك أيضا في استيلاء الصليبيين على حصن حارم بمساعدة أهلها من السريان والأرمن[1].

كان بوهيمند في هذه الأثناء في اتصال مع أحد متولي أبراج المدينة يدعي فيروز ، وأقنعه بتسليم البرج للصليبيين مقابل الحصول على المال وعديد المزايا والدخول في الديانة المسيحية[2]، علما أن فيروز كان ينحدر من أصول أرمينية وهو من بقايا الحامية البيزنطية للمدينة قبل سيطرة السلاجقة عليها ، وبالتالي فإن فيروز كان يتبع الديانة المسيحية ، حسب العديد من المؤرخين المعاصرين لتلك الفترة كرودولف دي كان[3]، وأنا كومنينا[4] ووليام الصوري[5]، وهو تركي الأصل حسب المؤلف المجهول[6]وريموندا جيل[7]، أما المؤرخين المسلمين للحملة الصليبية كابن القلانسي[8] وابن الأثير[9] فيتكلمون عن وظيفته وأنه كان من جماعة الزرادين[10]، وقد اتفق على تسليم أنطاكية نتيجة رغبته في الانتقام من ياغي سيان لإساءة تعرض لها منه وبسبب مصادرته لأمواله[11]، وقال لبوهيمند : " أنا في البرج الفلاني ، وأنا أسلم أنطاكية إن أمنتني وأعطيتني كذا وكذا "[12].

عندما تيقن بوهيمند من إمكانية سقوط المدينة بيده فضلا عن الأنباء التي انتشرت عن وصول جيش كبير جدا من الموصل بقيادة كربوغا[13] لنجدة أنطاكية ، استغل الأمر كي يعرض على بقية القادة الصليبيين امتلاكه وسيلة للاستيلاء على المدينة شرط وضعها تحت حكمه، إلا أن ذلك اصطدم بمطامع القادة الآخرين، فكل واحد منهم يطمع

---

[1]بطرس تيوديبوه، المصدر السابق، ص141-142؛ ريموناجيل، المصدر السابق، 104.

[2]Bohémond. Op. cit ; p66

[3]رودولف دي كان، أعمال تانكرد ملك صقلية في الحملة على بيت المقدس، تر: حسن عبد الوهاب، طلعت عبد الرزاق زهران، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، مصر، 2019، ص 250.

[4]انا كومنينا، المصدر السابق، ص426.

[5]الصوري، قوله بانه تركي، المصدر السابق، ج1، ص 335.

[6]مجهول، المصدر السابق، ص 66.

[7]ريموناجيل، المصدر السابق، ص 119.

[8]ابن القلانسي، المصدر السابق، ص135.

[9]ابن االأثير، الكامل، ج9، ص14.

[10]الزرادين: هم صانعي الدروع، ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1388ه، مج3، ص1824؛ الصوري، المصدر السابق، ج1، ص 335.

[11]ابن القلانسي، المصدر السابق، ص135؛ ابن الاثير، المصدر السابق، ج9، ص14-15؛ ابن العديم، المصدر السابق، ص239.

[12]ابن العديم، نفسه، ص239؛ وقد أورد المؤرخ المجهول، أن فيروز كان يقوم على حراسة ثلاثة أبراج وليس واحد. مجهول، المصدر السابق، ص68-69.

[13]كربوغا: هو قوام الدين أبو سعيد بن عبد الله الجلالي، امير تركماني من مماليك السلطان السلجوقي ملكشاه، كان امير للموصل، وتولى تربية عماد الدين زنكي وتعليمة فنون الفروسية والقيادة والقتال، ظهر على السياسة عقب وفاه السلطان السلجوقي جلال الدولة ملك شاه، توفي عام 495هـ/1101م؛ ابن القلانسي، المصدر السابق، ص127 ابن العديم، المصدر السابق، ج 2، ص 112.

بأن يمتلك المدينة[1]، ولكنهم ومع اقتراب وصول جيش كربوغا وافقوا على تسليم حكم المدينة بعد سقوطها لبوهيمند، شرط الالتزام بعهودهم للإمبراطور البيزنطي واحترام حقوقه، مع أنهم سبق وأن اتهموا الإمبراطور وقائده بالتخاذل والخيانة، ولكن ليحرموا بوهيمند من الاستتار بها لوحده دونهم ، وقد عارض اقتراح بوهيمند ريموند الصنجيلي الذي كان في عداء شديد معه[2].

شرع بوهيمند بتنفيذ مشروعه في صباح 1رجب 491هـ/3جوان 1098، حيث تسلم الأبراج من فيروز وقام برفع راياته عليها، وعندما رأى بقية الصليبيين ماحدث بادروا بالهجوم وسرعان ما سقطت المدينة، وفي خضم ذلك فقد ياغي سيان صوابه وظن بأن القلعة سقطت فهرب مع بعض خاصته، وتمكن بعض الفلاحين الأرمن من قتله واهداء رأسه للصليبيين[3].

وعندما دخل الصليبيون المدينة قتلوا من سكانها الكثير ولم ينج منها إلاّ من تمكن من الهرب إلى قلعة أنطاكية التي بقيت صامدة، ويصف ابن العديم (ت660هـ/1261م)، خسائر سكان أنطاكية بقوله:" استشهد في ذلك اليوم بأنطاكية ما يفوق الإحصاء ويجاوز العدد، ونهبت الأموال والآلات والسلاح وسبي من كان بأنطاكية "[4] ، بينما قدر روجر أوف ويندوفر عدد قتلى العرب والمسلمين بأكثر من عشرة آلاف شخص[5] ، وبذلك سقطت مدينة أنطاكية بعد حصار استمر من شوال سنة 490هـ - 1رجب 491هـ/21اكتوبر1097 – 3جوان 1098.

ولم يلبث أن آثار خبر سقوط مدينة أنطاكية موجة من الذعر في البلدان الإسلامية القريبة، فهرب من كان بها من المسلمين وتسلمها الأرمن، وكان لسقوطها صدى هائل في العالم المسيحي لا يفوقه إلاّ أثر استيلاءهم على بيت المقدس نفسها في أيدي الصليبيين فيما بعد[6].

كان على بوهيمند والصليبيين في هذه الأثناء أن يواجهوا قوات كربوغا التي وصلت بعد أربعة أيام من سقوط أنطاكية، وقامت بمحاصرتها وهنا زاد سوء أوضاع

---

[1]تيوديبوه، المصدر السابق، ص 181-182؛ زابوروف، المرجع السابق، ص 90؛ مجهول، المصدر السابق، ص 66.

[2]مجهول، المصدر السابق، ص67.

[3] وبالنسبة لمقتل ياغي سيان يصف ابن القلانسي ذلك بقوله:" وخرج في خلق عظيم فلم يسلم منهم شخص، ولما حصل بالقرب من ارمناز ضيعة بالقرب من معرة مصرين، سقط على فرسه على الأرض، فحمله بعض أصحابه واركبه، فلم يثبت على ظهر الفرس، وعاود وسقط، فمات رحمه الله". ابن الاثير، الكامل، ج9، ص14-15؛ ابن القلانسي، المصدر السابق، ص135؛ مجهول، المصدر السابق، ص70؛ ريموناجيل، المصدر السابق، ص120؛ تيوديبوه، المصدر السابق، ص184؛ ابن العديم، المصدر السابق، ص240.

[4] نفسه، ص240.

[5]روجر اوف ويندوفر، ورود التاريخ(1200-1099م)، تر: سهيل زكار، الموسوعة الشامية، دمشق، 2000، ج39، ص56.

[6]عاشور، الحركة ، ج1، ص167.

الفرنجة، لكنهم استغلوا حالة الشقاق والنزاع التي انتشرت بين القوات الإسلامية، وشكل بوهيمند ست فرق عسكرية لم يتمكن كربوغا من الصمود أمامها فانهزمت قواته وعاد إلى الموصل، وخسر بذلك المسلمون جانبا كبيرا من قواتهم وعتادهم، ليتأكد سقوط أنطاكية في أيدي الإفرنج ي 28جوان1098م/26رجب491هـ[1].

وهكذا نتيجة لانقسام المسلمين وتفرق كلمتهم استولى الصليبيون على أنطاكية ليقيم بوهيمند النورماندي ثاني إمارة لاتينية في الشرق، وإذا كانت أنطاكية كمدينة تتمتع بأهمية كبيرة على مر العصور، فإنها كإمارة صليبية كانت ذات أهمية أكبر بالنسبة للكيان الصليبي بصفة عامة ولمملكة بيت المقدس بصفة خاصة ويتضح ذلك إذا ما تفحصنا بدقة أحوال الشرق في تلك الفترة فبسقوط أنطاكية -مفتاح سوريا الى الجنوب- لم تعد هناك أمامالإفرنج في طريقهم إلى بيت المقدس[2]، وسوف تكون علاقات متعددة ومختلفة الجوانب بين إمارة أنطاكية وبقية الإمارات الصليبية التي تم تشكيلها في ديار المسلمين.

المبحث الثالث : ريموند الصنجيلي (كونت تولوز) [3] ودوره في تأسيس إمارة طرابلس

1-شخصيته ومكانته في الغرب اللاتيني:

ظهر بين أمراء الحملة الصليبية الأولى وزعمائها الأمير ريموند الرابع كونت تولوز الذي نسب إلى سان جيل[4]، وهو الابن الثاني لبونز دي تولوز Pons de Toulouse، والمودي دي لامارشAlmodis de la Marche، اقتسم مع أخيه وليام الرابع أملاك أبيهما البونز، ولكن بعد وفاته أخذ ريموند جميع أملاكه وأهمها كونتية تولوز.[5]

يعد ريموند أغنى الصليبيين قاطبة وبفارق كبير، استطاع أن يجمع جيشا هائلا من إقطاعاته فقط [6]، وبفضل زواجه من الأميرة الفيرا Elvira صاحبة أرغون ارتبط بالبيت الملكي في إسبانيا، وعند إعلان الحملة الصليبية لم تكن المرة الأولى التي أعلن فيها الحرب على المسلمين، إذ سبق له وأن شارك في حربهم في اسبانيا، مما جعله

---

[1]حسين عطية، امارة انطاكية الصليبية والمسلمون 1171-1268م/567-666هـ، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية،1989، ص122.

[2]نفسه، ص122-123. Bohemond. op. cit. p68

[3]درج المؤرخون المسلمون على تسمية ريموند صنجيل الفرنجي، انظر: ابن الاثير، الكامل، ج9، ص55؛ ابن العديم، المصدر السابق، ص240؛ وغالبا ما استخدم المؤرخون اللاتين والمسلمون اسم كونت سان جيل للإشارة الى كونت تولوز.
ريموناجيل، المصدر السابق، ص55.

[4]سان جيلSaint-Gilles: مدينة مزدهرة تقع عند مصب نهر الدون، تعد من أهم ممتلكات ريموند الرابع في فرنسا وأقربها إلى قلبه حبا. أنظر: ريموناجيل، المصدر السابق، ص55، عبد العزيز محمود الدايم، امارة طرابلس الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1971، ص24.

[5]Setton, op. cit. vol1, p234.

[6]ماير، المرجع السابق، ص99.،Setton. op.cit. P272

يظهر في صورة بطل من أبطال المسيحية كما سبق له أن حج بيت المقدس[1] ، وكان سنه عند قيامه بالمشاركة في الحملة الصليبية الأولى، ما بين الستين والخامسة والخمسين والغالب أنه من مواليد 1041-1042م/432-433هـ، أي أنه كان رجلا صقلته التجارب وأوغل في خبرة الأيام[2].

ومهما يكن من أمر فإن ريموند قام بدور هام في الإعداد للحملة الصليبية الأولى بعد مؤتمر كليرمونت[3]، واشتهر بتأييده المطلق للبابوية سواء في نزاعها المعروف مع الإمبراطورية والقوى الزمنية الأخرى، أو فيما تدعوا إليه من حروب مقدسة ضد المسلمين في اسبانيا[4]، وهو أول من تطوع من رجال الإقطاع في سلك الحرب الصليبية، وتم ذلك بعد بضعة أيام من انتهاء مؤتمر كليرمونت، مما يوحي بأنه كان على اتفاق مع البابا في هذا الشأن حتى قبل انعقاد المؤتمر المذكور[5]، وهو من نبه البابا اوربان الى ضرورة الاعتماد على مساندة قوة بحرية ، مما جعل البابا يرسل مبعوثين الى جنوى يطلب مساهمتها في الحملة الصليبية[6] ، وقامت بعد ذلك الحملة البروفانسالية[7] وزعيمها ريموند الرابع دي سان جيل وماركيز بروفانس(1088-1105/ 481-504هـ)[8]، وقد عين البابا ادهيمار دي مونتيل[9] أسقف لي بويه رئيسا روحيا لها ومندوبا له في التوجه لبيت المقدس[10] ،كان الاتفاق بين ريموند وادهيمار، اذ ترجع العلاقات بينهما الى عهد بعيد كما كانت اسرة الاسقف تعمل في تبعية الكونت[11].

كان من المفروض أن هذا الجيش أعد ليكون الجيش الصليبي الموحد، ولكن جيوش أخرى جهزت وتعقدت المسألة بشكل كبير، ويلاحظ أن ريموند كان ينزع دائما الى الرئاسة والسيطرة والى فرض ارادته على باقي الفرنج، ومما لا شك فيه أن وجود

---

[1] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص243؛ حبشي، الحرب الصليبية، ص 67.

[2] ريموناجيل، المصدر السابق، 269؛ ماير، المرجع السابق، ص99. Setton, op.cit. p272.

[3] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص 243.

[4] نسيم يوسف، المرجع السابق، ص205.

[5] المرجع نفسه، ص 205. Setton, vol1, p234.

[6] محمود الدايم، امارة طرابلس، ص25.

[7] بروفانس: برينصة أو بروفنسة أو بروفنس، منطقة في جنوب شرق فرنسا تطل على البحر المتوسط تجاور إيطاليا. حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، ط1، القاهرة، 1987، ص279.

[8] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص111.

[9] ادهيمار دي مونتيلAdhémar de Monteil: من أصل فرنسي، وينتمي الى اسرة كونتات فالنتينو Valentinois، زار بيت المقدس حاجا في عام 1086م، وقد عين من قبل البابا جريجوري السابع أسقفا لي بوية، تميز ببراعته في التبشير، وبدبلوماسيته الماهرة، عين قائدا روحيا للحملة الصليبية الأولى.
انظر: المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص22؛ ريموناجيل، المصدر السابق، ص56، فوشيه الشارتري، المصدر السابق، ص88؛ بطرس تيوديبوه، المصدر السابق، ص83-84، Setton, op. cit. v1, p234.

[10] نسيم يوسف المرجع السابق، ص204.

[11] نفسه، ص205.

الاسقف في جيشه كان عاملا هاما على التخفيف من غلوائه وبالتوفيق بينه وبين الامراء والقادة الاخرين[1]، وأيضا حرص البابا اوربان على اخضاع الحملة الصليبية لزعامته الروحية مع ارساله ادهيمار معه في الحملة[2].

خرج ريموند في هذه الحملة مصطحبا معه زوجته في أكتوبر 1096م/ دو القعدة489هـ، وأقسم أن لا يعود ثانية الى موطنه، وقد برز في صفوف قادة الحملة على أنه أقل واحد بينهم جشعا، ولا يمكن أن يقال بأنه حمل الصليب بسبب الطمع والمادة[3]، ولكنه في الوقت نفسه اتصف بالزهو والترفع والطموح والحقد والعناد، وهي الصفات التي سببت له العديد من المضايقات والصراعات سواء في حياته، أو أثناء وبعد الحملة على المشرق الكبير [4].

باع ريموند أغلب ممتلكاته لكي يحصل على الأموال للإنفاق على حملته الأمر الذي ساعده على تجهيز جيشه، لدرجة أن المؤرخ ريموناجيل المعاصر لحملته أشاد بذلك وقال أن أحدا لم يمت جوعا خلال مسيرتهم في دالماشيا بالرغم من قلة الطعام في تلك المناطق[5] ، ويذكر أن جيشه كان يتألف من هؤلاء الذين أتو من برجنديا Burgundy، وافرن Auvergne، وغيرها من مناطق جنوب فرنسا ولذا اشترك في حملته عدد كبير من نبلاء جنوب فرنسا[6].

انطلقت الحملة وعبرت جبال الالب عن طريق كول دي جنيفر الى شمال إيطاليا وصولا الى رأس الادرياتيكي، وقرر ريموند عدم السفر بحرا وانما بمحاذاة شاطئه الشرقي، ويعلل رنسيمان ذلك لأسباب اقتصادية خاصة مايتعلق بتكلفة كراء السفن[7] ، لكن الأمر قد يعد غريبا في وجود الإمكانات المادية التي هي في حوزة ريموند الصنجيلي والذي يعتبر أكثر القادة جاه ومالا، فكيف يصعب عليه كراء سفن؟

---

[1] نفسه، ص 205.

[2] عبد العزيز محمود، المرجع السابق، ص25. Setton, op. cit. vol1, p250.

[3] ماير، المرجع السابق، ص99.

[4] عبد العزيز محمود، المرجع السابق، ص 25.

[5] ريموناجيل، المصدر السابق، ص60. Setton. Op.cit. p273.

[6] ماير، المرجع السابق، ص99؛ كان من بين هؤلاء النبلاء، وليم أسقف أورانج,William of Orangeورينبولد كونت المدينة التي حملت اسمه، وجاستون دي بيزيريس، وجيرارد دي رو سيللون، ووليم دي مونتبللر، ووليم كونت او فورز، وريموند بيليت، وغاستون دي بيرين، ووليم امانجيو.
أنظر: الصوري، المصدر السابق، ج1، ص217؛ روجر اوف ويندوفر، المصدر السابق، ج1، ص28؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص244، حبشي، المرجع السابق، ص67.

[7] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص 245. Setton. Op.cit. p273.

دخل الجيش الى دالماشيا[1] وواجهته العديد من الصعوبات خاصة في فصل الشتاء، بسبب انها منطقة مهجورة وشديدة المخاطر كوعورة مسالكها وجبالها، وطبيعة سكانها العدائية فلم يمدوا الصليبيين بما يحتاجونه من مؤن وأدلاء، بل انهم قتلوا كل من شرد وبقي متأخرا من جيش ريموند وصعب على الجيش ملاحقتهم لخبرتهم بالمنطقة[2].

رغم الصعوبات التي ظهرت إلاّ أن ريموند أبان عن شجاعة كبيرة في هذه المنطقة وكان حكيما في مواجهة السلاف[3] عادة ما يكون في مؤخرة الجيش لكي يحمي حملته[4]، وبعد أربعين يوما تقريبا في دالماشيا تمكن من عبور هذه البلاد، الى سكوتاري[5]Scutari ولم يهلك أحدا من رجاله في هذه الرحلة بسبب الجوع، ولكن عندما وصلوا الى هذه المنطقة، بدأ تموينهم يتناقص[6]، وهنا حاول الكونت ريموند وادهيمار مسالمة السلاف و، تمكنا من مقابلة الأمير المحلي قسطنطين بودين Constantin Bodin[7]،الذي وافق بعد أن حصل على هدايا ثمينة على السماح للصليبيين بحرية الشراء من أسواق المدينة والمرور بسلام[8]، وبسبب قلة الغذاء في هذه المدينة اضطر الجيش الى مواصلة مسيرته وهو في حالة من الجوع والبؤس المتزايد يوما بعد يوم[9] حيث تعرضوا الى القتل والذبح وواجهوا ظروف صعبة جدا في هذه المناطق لعديد الأيام[10].

وخلال هذه الرحلة اتجاه القسطنطينية، أسر البنجاك[11] الأسقف أدهيمار وضرب رأسه بشدة، وشعر ريموند وجنوده بالاستياء لما تعرض له الأسقف [12]، لأنه كان يمثل

---

[1]دالماشيا:Dalmatia ، مقاطعة في كرواتيا على ساحل البحر الادرياتيكي، وصفتها مصادر الحملة الأولى بأنها أرض جبلية، مهجورة سكانها سلاف همجيون، قاوموا جنود الحملة الأولى ولم يبدو أي تعاون معهم، ويعود ذلك الى العلاقة التي ربطت الأهالي مع جنود الحملة الشعبية1095. ريموناجيل، المصدر السابق، ص59؛ الوريكات، المرجع السابق، حاشية ص45.

[2]ريموناجيل، المصدر السابق، ص59.

[3]السلاف Slaves: مجموعة من الشعوب الهندو أوروبية، التي كانت تقطن المنطقة الواقعة ما بين البلقان وأوراسيا، وكان المؤرخون والجغرافيون العرب قد أطلقوا عليهم اسم الصقالبة وهي تعني الرقيق المجتلب من أوروبا، عملت بيزنطة على الاستفادة منهم اقتصاديا وعسكريا من خلال اخضاعهم وضمهم للجيش البيزنطي. شعبان محمد خلف، المرجع السابق، ص64.

[4]ريموناجيل، المصدر السابق، ص59؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص265.

[5]سكوتاري: احدى مدن العصور الوسطى وتعرف الآن باسم شكودر في ألبانيا، وصلها الجيش االبروفانسي نهاية جانفي1097م/ 491ه. ريموناجيل، المصدر السابق، ص 64.

[6]الصوري، المصدر السابق، ج1، ص179.

[7]رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص 245.

[8]ريموناجيل، المصدر السابق، ص60؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص245.

[9]رنسيمان، المرجع السابق، ص 245.

[10]ريموناجيل، المصدر السابق، ص60.

[11]البنجاك: قبيلة من الأتراك، وهم في أصلهم من تركستان الصينية، وكانت مساكنهم في الأورال والفولغا بجوار الخزر، وتم طردهم من المنطقة حوالي 860م. أنظر: ابن فضلان(ت309هـ-921م)، رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة الى الترك والخزر والروس والصقالبة، تح: سامي الدهمان، دار صادر، لبنان، د.ت، ص106.

[12]ريموناجيل، المصدر السابق، ص69.

الجانب الروحي والكنيسة البابوية في الحملة الصليبية، وفيما بعد تم إنقاذه من الأسر طمعا فيما عنده من أموال من طرف أحد الجنود البنجاك[1].

2- موقف ريموند الصنجيلي من الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين:

أرسل ريموند سفارة للقسطنطينية للإعلان عن وصوله الى حدود بيزنطة، وكان رجاله مطبوعين على التمرد وعدم الالتزام، وأدى ميلهم العنيد للنهب الى صدام متكرر مع سكان وجنود بيزنطة في تلك المناطق[2] ، وفي هذه الأثناء وصل مبعوثو الامبراطور داعين ريموند الإسراع للعاصمة مضيفين الى أن بوهيمند وجودفري في شوق للقياه[3]، وعلى ريموند التخلي عن جيشه وحضوره مع عدد قليل من الأتباع بدون سلاح[4].

عمل ريموند بنصيحة المبعوثين وتوجه للقسطنطينية بمفرده ومن دون سلاح، تاركا حامية في معسكره، وبرحيله ومرض أدهيمار لم يبقى أحد لحفظ النظام في الجيش الذي بدأ على الفور في الاغارة على الريف، وهنا تحركت قوات بيزنطة التي كانت متمركزة في الجوار لمهاجمة المغيرين والتصدي لهم وأسفرت عن هزيمة رجال ريموند هزيمة نكراء فولوا الأدبار مخلفين وراءهم أسلحتهم وأمتعتهم وعدد كبير من القتلى والجرحى والأسرى[5].

استقبل الكسيوس ريموند بكل احترام، ونزل في قصر خارج الأسوار ، وفي هذه الأثناء علم بهزيمة رجاله وماحدث لهم وتأكد بأنه قد ضلل[6]، وسعى للانتقام لما لحق به هو وجيشه من خيانة لمحو عار الهزيمة، لكن بقية الأمراء الآخرين لم يوافقون على ذلك، موضحين له أنه من الحماقة أن يقاتل المسيحين بعضهم والأتراك على مقربة منهم[7] ، وهنا طلب الامبراطور من ريموند أن يقسم له يمين الولاء والتبعية مثلما فعل من سبقه من زعماء الجموع الصليبية[8]، فوجد ريموند نفسه في موقف لا يحسد عليه[9]، لأن ظروفه تختلف عن ظروف زميليه اللذين سبقاه، ذلك أن علاقته بأوربان الثاني كانت تملي عليه الا يلقى التوجيه في مثل هذا الامر من أحد غير المندوب البابوي الذي كان قد تخلف اذ ذاك مع بقية الجيش في بلاد اليونان لوعكة صحية ألمت به[10].

---

[1] نفسه، ص69.

[2] Setton ; op.cit. p274.

[3] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص247.

[4] ريموندا جيل، المصدر السابق، ص70.

[5] نفسه، ص70؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص247؛ نسيم يوسف، المرجع السابق، ص209 Setton. . Op.cit.p274

[6] نسيم يوسف، المرجع السابق، ص210.

[7] نفسه، ص70.

[8] نفسه، ص71.

[9] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص128.

[10] Setton, op.cit. p287.

كذلك لم يغب على بال ريموند أن قطعه اليمين للإمبراطور يجّب ما بينه وبين اوربان من صلات هو أشد ما يكون حرصا عليها[1]، وأيضا كانت مخاوفه من خطر لآخر، فقد كان ريموند من الذكاء بحيث أدرك في الحال أن بوهيمند هو أخطر غريم له، وسرت شائعة أنه يحظى بود الامبراطور وسوف يعيّنه على رأس القوات المتجهة للشرق، وهذا ما سوف يجعله تحت إمرته باعتباره ممثلا للإمبراطور[2].

حاول ريموند التخلص من هذه اليمين، موضحا بأنه جاء لخدمة الرب في بلاد المشرق، بيد أنه مستعد للعمل تحت لواء الامبراطور ان خرج بنفسه على رأس الجيش الى جانب الصليبيين في قتالهم للمسلمين وهي الغاية التي خلق من أجلها وطنه وبنيه[3]، وأظهر بهذا التنازل استياءه من بوهيمند وليس الامبراطور، فأراد الكسيوس التملص من القيادة والتخلص من هذه الورطة، معتذرا عن الزحف متعللا باضطراب الأمور في الأملاك البيزنطية وخوفا من نهب المجريون والالمان والكومان وغيرهم امبراطوريته اذا ذهب الى المشرق مع الحجاج[4].

أصر ريموند على هذا المطلب جاعلا إياه شرطا لتحقيق رغبة الامبراطور، وهنا اجتمع مجلس الأقطاب مؤلفا من ريموند الصنجيلي وبوهيمند النورماندي وجودفري البوايوني، والامبراطور الكسيوس وكان النقاش بطبيعة الحال بين الأول والأخير، وأخذت الأمور تتعقد بعد أن اثار الصنجيلي ما أثار من مشكلة مصاحبة الامبراطور للحملة، وأدرك بوهيمند ما يهدف اليه ريموند من العمل على اضعاف موقفه الخاص، وكان يريد أن يكون قائدا للقوات المسيحية شرقية كانت أم غربية في آسيا الصغرى وفي غيرها من النواحي التي تخترقها الحملة الصليبية مما يتيح له الحصول على نصيب الأسد حين توزيع الغنيمة ، وحين ذاك انقسم المجلس الى فريقين أحدهما الى جانب الامبراطور وقوامه جودفري وبوهيمند والآخر يتألف من ريموند كونت تولوز وحده[5].

ازداد الصراع والتنافس حدة وبدأ يظهر الخلاف بين قادة الحملة الصليبية، ثم تطور الجدل اذ أنذر بالشر بينهم حين اندفع بوهيمند وهو في أقصى درجات غضبه مهددا بالوقوف بسلاحه وجنده الى جانب الكسيوس كومنين، ان فكر ريموند في محاربته او إذا تأزمت الأمور بين الاثنين تأزما أدى الى اندلاع قتال بينهما[6]، في حين أشار جودفري الى الضرر الذي سيلحق بالقضية المسيحية نتيجة لموقفه هذا، وابتعد

[1] حبشي، المرجع السابق، ص77.
[2] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص248.
[3] حبشي، المرجع السابق، ص77-78.
[4] ريموناجيل، المصدر السابق، ص 71.
[5] حبشي، المرجع السابق، ص79-80.
[6] الشارتري، المصدر السابق، ص45.

الكسيوس عن تلك المناقشات ومنع عن ريموند الهدايا التي سبق أن اهداها للأمراء الاخرين[1] حتى يلين ويتراجع عن موقفه ، فلما كان يوم 26 أفريل ، أي بعد خمسة أيام من وصول ريموند للقسطنطينية بدت بوادر التقارب بين وجهتي نظر المتنازعين، حين وافق ريموند على أن يقسم يمينا معدلا وعد فيها بالمحافظة على حياة الامبراطور وشرفه، وألا يقوم هو أو أحد من اتباعه بعمل شيء ينطوي على الاضرار به[2] ، فما قيمة هذا اليمين؟.

الواقع ان الكسيوس كومنين لم يبدي أدنى معارضة في قبول هذا اليمين الجديدة غير المتوقعة، لأنه كان يدرك أن مثل هذا العهد من العهود الاقطاعية الفصلية المعترف بشرعيتها في فرنسا منذ القرن التاسع ميلادي[3].

وبعد انتهاء المفاوضات عبر بوهيمند وجيشه الى آسيا الصغرى، ولم تلبث أن تحسنت العلاقات بين الامبراطور البيزنطي وريموند بفضل وساطة أدهيمار المندوب البابوي، والاغلب أنّ ترحيل بوهيمند أسهم اسهاما كبيرا في ذلك[4]، هذا الى جانب أنّ ريموند اتيحت له فرصة عقد اجتماع منفرد مع الكسيوس كومنين، وهنا أبان الامبراطور عن تخوفه من بوهيمند والنورمان، وأنه لا يمكنه أن يثق فيهم ويقلدهم قيادة القوات، وهنا أدرك ريموند أنه يمكن أن تكون له علاقات ود وصداقة مع الامبراطور و أن يكون حليفا ضد بوهيمند وأطماعه، ومن هنا تغيرت معاملة ونظرة ريموند تجاه القسطنطينية تغيرا تاما[5].

فهل هناك أفصح من هذا في الدلالة على أنّ الهوة قد اتسعت في الخلاف بين زعماء الحملة الصليبية؟ وهل يعد هذا انتصار لسياسة الكسيوس في تشتيت وحدة الرأي والاجماع بين قادة الصليبيين مما يفيده فيما بعد؟[6].

وبالرغم من تضارب المصالح واختلاف الأهداف والأطماع فإنه كان لا مفر من الاتفاق بين الامبراطور والأمراء، فزعماء الفرنج بدورهم شعروا بأنه لا بد من الحصول على تأييد الإمبراطورية البيزنطية ومدها لهم بالمؤن والدعم حتى يستطيعوا ان يحققوا الهدف الذي أعلنوا انهم جاؤوا من اجله[7]، وبيزنطة رأت ان من مصلحتها استخدام هذه الجيوش فيما يحقق لها أهدافها السياسية في استعادة الأراضي التي سبق وان فتحها السلاجقة منذ عهد قريب.

3- ريموند من آسيا الصغرى الى شمال بلاد الشام:

[1] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص249.
[2] نفسه، ص 249؛ حبشي، المرجع السابق، ص 79.
[3] نفسه، ص80.
[4] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص 249؛ كومنينا، المصدر السابق، ص 139.
[5] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص129-130.
[6] حبشي، المرجع السابق، ص81.
[7] الشارتري، المصدر السابق، ص 45.

قرر الصليبيون الانطلاق في اتجاه نيقية، خاصة مع قرب قدوم فصل الصيف، وجرى اختيار الوقت المناسب لذلك في ظل غياب القائد السلجوقي قلج أرسلان عن عاصمته[1] ، ووصل الجيش الصليبي لها تباعا، حيث عسكر جودفري أمام السور الشمالي، بينما عسكر تانكرد خارج السور الشرقي ، أما السور الجنوبي فاختص به جيش ريموند، وكان الكونت قد وصل لها في 16ماي1097/ 1جمادى الثانية490هـ ووزع عساكره أمام السور الجنوبي[2]، وبذلك كان قد اكتمل حصار نيقية، ودخل في مناوشات مع قوات الاتراك لكنها سرعان ما انسحبت[3].

وصل السلطان قلج أرسلان إلى المدينة من جهة الجنوب في 21 ماي ، وبادر بمهاجمة الصليبيين، محاولا أن يشق له طريقا ينفذ منه الى المدينة، وقد تحمل الصدمة كل من ريموند وأدهيمار اسقف لي بويه[4]، ولحق بهما روبرت كونت فلاندرز وعساكره، ودار رحى القتال ليوم كامل، واستطاع الصليبيين الصمود رغم خسارتهم للعديد من الأرواح[5] ، وبعد ذلك حاول ريموند احداث ثقب في أحد الأبراج الواقعة الى الجنوب، لكنه لم ينجح في ذلك[6]، وبعدها استسلمت المدينة للإمبراطور وجيشه من خلال اتفاق سري بين السلاجقة والبيزنطيين، رغم ما أثاره ذلك من انزعاج لدى القادة ، لكنهم فرحوا في الوقت نفسه لما حققوه في أول تجمع عسكري وأول مدينة يقومون بالهجوم عليها في آسيا الصغرى، وأن هدفهم هو بيت المقدس وليس هذه المدن، وأيضا بسبب أن الامبراطور بدل لهم مقادير كبيرة من الذهب والجواهر، واستغل الامبراطور الكسيوس ذلك، لإعادة تذكير القادة الصليبيين بيمينهم وطلب من الفرسان الذين لم يحلفوا بعد يمين الولاء له، أن يبادروا الى ذلك، خاصة تانكرد على أنه لم يطلب من ريموند أن يفعل أكثر مما فعل من قبل، وهذا دليل لمكانة الكونت في الحملة، واكتفاء الامبراطور بما حصل عليه منه[7].

انطلاقا من نيقية اتخذ الجيش الصليبي الطريق البيزنطي القديم الذي يخترق آسيا الصغرى من الشمال الى الجنوب الشرقي، وتقرر تقسيم الجيش الى قسمين وذلك لتسيير أمر مؤونته، فيتقدم أحدهما الآخر، وقاد ريموند الجيش الثاني مع عساكر اللورين وكونت فرماندوا متوجهين نحو دوريليوم[8]، وفي هذه المنطقة كادت أن تكون موقعة قد تؤدي الى إبادة الجيش الصليبي، بعد محاصرة القسم الأول منهم من طرف

[1]ريموناجيل، المصدر السابق، ص77.
[2]ريموناجيل، المصدر السابق، ص77.
[3]رنسيمان، المرجع السابق، ص267.
[4]Setton, op.cit. p290.
[5] مجهول، المصدر السابق، ص34.
[6]نفسه، ص35.
[7]رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص273.
[8]الباز العريني، المرجع السابق، ص210.

المسلمين، لكن التدخل السريع للقسم الثاني من الجيش الصليبي مكن من تحقيق النجاح والنصر[1]، وكان لريموند الدور الكبير في ترجيح كفة النصر للصليبيين.

توجه الصليبيون نحو قونية[2]، ثم الى هرقلة ومنها الى قيصرية (قبادوقيا)، وبلغوها في آواخر سبتمبر1097/ شوال490هـ،[3] ولم يلقوا مقاومة من قبل الترك الذين درجوا على خطة الانسحاب ومحاولة عرقلة طريق الصليبيين، بما لجأوا اليه من تجريد المدن من الزاد والمؤن وتخريب البلاد أمامهم، والواقع أن النجاح الذي حققه الصليبيون في هذه المناطق يرجع إلى أن هذه البلاد يسكنها مسيحيون يونانيون وأرمن، هذا بالإضافة الى انقسام القوات الإسلامية بحيث أنها لم تحتشد تحت قيادة واحدة[4].

اشتد المرض في هذه المرحلة بريموند كونت تولوز، حتى كاد أن يموت ثم استرد عافيته، وواصل المسير مع الجيش الصليبي[5]، وبعد أن مر الصليبيون ببعض القرى والضياع الأرمينية رحب بهم الأرمن وأظهروا لهم الود والصداقة ، ثم واصلوا طريقهم فاخترقوا مجموعة من سلاسل جبال طوروس العالية للوصول الى مرعش، وكانت مرعش مدينة أرمينية عظيمة معظم سكانها من الأرمن فرحبوا كذلك بالصليبيين عند وصولهم اليها في 13اكتوبر1097م/ذو القعدة 490هـ وأعتبروهم منقذين لهم وحماة للمسيحية في تلك الجهات، وهنا سلم الصليبيون مرعش للسلطات البيزنطية، ومنها اتجهوا نحو الشام فوصلوا إلى جسر الحديد على نهر العاصي شرقي انطاكية في 20 أكتوبر 1097م/دو القعدة 490هـ وبذلك يمكن القول أنه بدأ الغزو الصليبي الفعلي لبلاد الشام[6].

اجتمع قادة الصليبين في مجلس للتشاو في كيفية أخذ انطاكية، وانقسموا الى فريقين، أحدهما برئاسة ريموند والثاني على رأسه بوهيمند، ولم يكن أحد هذين الزعيمين يطمئن للآخر، بل لقد رأينا اختلاف وجهة نظر كل منهما عن الآخر منذ أن كانا بالقسطنطينية في حضرة الامبراطور، وكاد اختلافهما اذ ذاك يؤدي الى محاربة بعضهما البعض[7].

كان من رأي ريموند البدء بالهجوم فورا وتدمير أسوار المدينة وبذلك لن يتمكن حاميتها من طلب المساعدة أو على الأقل قبل وصول الدعم لهم، فيكون العمل مفاجئ، ورغم ما في هذا الرأي من وجاهة إلاّ أنه لقى معارضة شديدة من بوهيمند الذي رفضه

---

[1]مجهول، المصدر السابق، ص40.

[2]قونية: من أعظم مدن الإسلام بالروم، تقع في وسط جنوب الاناضول. انظر: سلامين اديب موسى، دور تنكريد في الحروب الصليبية، أطروحة دكتوراه، جامعة مؤتة، الأردن، 2016، ص52.

[3]الباز العريني، المرجع السابق، ص213.

[4]نفسه، 214.

[5]رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص284؛ ريموندأجيل، المصدر السابق، ص 79.

[6]عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 136.

[7]حبشي، المرجع السابق، ص113.

بشدة نظرا لعديد الأهداف التي رأيناها سابقا في دراسة شخصيته أثناء التواجد قرب أسوار انطاكية[1].

عسكر ريموند الصنجيلي في مواجهة باب الكلب مع الأسقف أدهيمار[2]، وبعد فترة من طول الحصار وما تعرض له الصليبيون عند أسوارها من فقدان للأقوات الى حد المجاعة واشتداد البرد عليهم ، تيقنوا حينئذ لما ارتكبوه من أخطاء عند محاصرتها ، مع عدم الأخذ برأي ريموند كونت تولوز [3]، وفي ظل هذه الأوضاع بدأ عدد من المحاربين يفكر في الهروب، وتقرر عقد مجلس اتفق فيه الأمراء على ارسال فرقتين من الجيش بقيادة بوهيمند وروبرت كونت فلاندرز للبحث عن الطعام وتكفل ريموند تولوز وأدهيمار وجودفري بالقيادة في المعسكر[4]، وفي تلك الأثناء لم تتوقف الاشتباكات بين الأتراك وحامية أنطاكية من جهة والصليبيين من جهة أخرى[5]، ويبدو أن كفة الصليبيين كانت هي الراجحة حتى أنهم اطمأنوا أخيرا ان أمنوا اتصالهم بالبحر عن طريق ميناء السويدية[6] من جهة وبإمارة الرها التي غدا يحكمها واحد منهم هو بلدوين البولوني من جهة أخرى.

كان لريموند دور كبير في صمود الصليبيين وعدم استسلامهم خاصة مع الفترة الطويلة لحصار أنطاكية، حتى أنه قبيل سقوطها وبداية اتصال بوهيمند بفيروز وطلبه من القادة الوفاء بوعدهم له في حالة سقوطها يكون حاكما عليها، كان ريموند المعترض الوحيد على ذلك، وبعد سقوطها في أيديهم (الصليبيين) دخل في صراع كبير مع بوهيمند، رغبة منه ألا يتفوق عليه أمير صليبي في الحملة الأولى ورأى بأن يفي قادة الحملة بوعودهم وبيمينهم للإمبراطور البيزنطي الكسيوس و أن تسلم له المدينة، لأن هدفهم بيت المقدس[7].

شرع ريموند وبقية القادة خلال الأشهر الأولى من استيلائهم على أنطاكية في الهجوم على المدن والقرى المجاورة لها، اذ اشترك مع جودفري في مهاجمة مدينة عزاز[8]، حيث نهبوا وحصلوا منها على خير كثير، ثم رجع الى انطاكية واستولى على

---

[1] ريموناجيل، المصدر السابق، ص85
Setton.op.cit.p310.
[2] الصوري، المصدر السابق، ج1، ص283.
[3] حبشي، المرجع السابق، ص116.
[4] ريموناجيل، المصدر السابق، ص 88.
[5] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 166.
[6] السويدية: ميناء مدينة انطاكية، أبو الفداء، المصدر السابق، ص29.
[7] Setton, op.cit. p316.
[8] عزاز: Azaz أو Hazar وهي مدينة من مدن العصور الوسطى، بها قلعة تقع على بعد أربعين كيلومترا شمالي حلب، على الطريق الرئيسي بين انطاكية من ناحية والرها وتل باشر من ناحية أخرى. ريموناجيل، المصدر السابق، ص160.

الروج على نهر الاورنت على مسافة 30ميلا من انطاكية[1]، ومن هذا الموضع هاجم البارة[2]، فأخذها بالأمان بعد أن حاصرها وقل بها الماء، غير أنه غدر بأهلها واستولى على أموالهم وسبى بعضا وقتل بعضا[3]، وأنشأ بها أول كنيسة لاتينية بهذه الجهات، بأن حول المسجد الى كنيسة[4].

اجتمع الامراء في نوفمبر1098م/ محرم492ه بأنطاكية حسبما اتفقوا للتشاور في أمر المسير الى بيت المقدس، وقرروا مواصلة السير وأنذروا قادتهم بتدمير أسوار انطاكية قبل رحيلهم، اذ ظلوا يتشاحنون على امتلاك المدينة[5]، ثم انتهى كبار الأمراء الى قرار وافق عليه ريموند بشرط أن يقسم بوهيمند بأنه لن يرجئ مسير الحملة أو ينزل بها ضررا على أن مسألة انطاكية لم تتم تسويتها نهائيا، على الرغم من أن بوهيمند سيطر على القلعة وثلاثة أرباع المدينة، بينما لا زال ريموند يحتفظ بالجسر الجديد وقصر ياغي سيان، ولم يتحدد اليوم الذي يمضي فيه العساكر الى بيت المقدس[6].

قبل السير نحو بيت المقدس استطاع ريموند أن يسيطر على معرة النعمان[7]، لكن غالبية الحجاج

والقادة طلبوا منه المضي الى بيت المقدس، ولوحوا له إذا دبر أمر الرحيل سيعترفون به قائدا لكل الحملة، ولقيت هذه الإشارة الترحيب عنده، لما تبادر الى ذهنه بأنه يستطيع بذلك أن يكبح جماح بوهيمند، وبدأ ريموند يجتذب الأمراء الى جانبه بما بدله من الأموال لهم عند الاجتماع بهم في الروج، فخرج من المعرة حافي القدمين على هيئة قائد للحجاج، وصحبه أمير الرها فبقيا في البلاد التي فتحاها واستطاع بوهيمند أن يجلي عن انطاكية ما تركه بها ريموند من حامية[8].

وهنا يمكن القول أن نزاع بوهيمند وريموند حلّ مؤقتا، حيث أصبح ريموند قائدا للحملة نحو بيت المقدس، في حين حاز بوهيمند على انطاكية.

---

[1] ابن العديم، المصدر السابق، ص 243-244.

[2] البارة: بليدة وكورة من نواحي حلب، وبها حصن، وهي ذات بساتين ويسمونها زاوية البارة. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص320.

[3] ابن العديم، المصدر السابق، ص245؛ ريموناجيل، المصدر السابق، ص163؛ مجهول، المصدر السابق، ص 101؛ الصوري، المصدر السابق، ج2، ص 33.

[4] مجهول، المصدر السابق، ص101.

[5] نفسه، ص102. Setton. Op.cit. p326.

[6] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص385-386. Setton, op.cit. p324-326.

[7] ابن العديم، المصدر السابق، ص245؛ ابن اثير، الكامل، ج9، ص 16؛ مجهول، المصدر السابق، ص 106. معرة النعمان: مدينة تقع على الطريق بين حماه وحلب، تنسب إلى النعمان بن بشير الأنصاري، الحموي، المصدر السابق، ج5، ص156.

[8] مجهول، المصدر السابق، ص 107؛ الصوري، المصدر السابق، ج2، ص38-40؛ ريموناجيل، المصدر السابق، ص 165.

4- مسير ريموند نحو بيت المقدس:

سار ريموند في جانفي 1099م/ ربيع الاول492هـ بقواته الى كفر طاب[1] واستولى على بعض الحصون والأسرى[2]، وبدأت تصله الرسل من قبل بعض أمراء العرب في تلك المناطق يعرضون عليه تقديم الأدلاء والمؤن بأسعار رخيصة، إذا لم يتعرضوا للأذى في البلاد التي سيجتازونها [3] ، ودارت المناقشة بين ريموند وبقية القادة حول الطريق الذي يكون أقل خطرا نحو بيت المقدس، اذ رأى تانكرد أن يكون المسير على امتداد نهر الاورنت، الى واد البقاع ثم الى رأس نهر الأردن، غير أن ريموند كان يرى المسير غربا، واجتياز جبال القيصرية الى ساحل البحر المتوسط، فيظل الاتصال بأنطاكية وقبرص، ونظرا لمخاطر الطريقين[4] اتفقا على حل وسط بينهما، حيث تقرر أن يسير الجيش الى سهل البقيعة الواقع بالقرب من جبال قيصرية وجبال لبنان ثم يتجه الى البحر المتوسط فيبلغه بالقرب من طرابلس[5].

في هذا الوقت قدم على ريموند الرسل من قبل امير حماة الذي بادر اميرها بعقد معاهدة معه وتعهد بمد الجيش الصليبي بالمؤن ودفع مبالغ من المال مقابل عدم مهاجمته من قبل الصليبيين، وقبل ريموند ذلك[6]، ثم امر بمهاجمة عرقة[7] الواقعة على مسافة 15 ميل من طرابلس، في 14فيفري 1099/ ربيع الأول 492هـ، ثم وجه حملة نحو الساحل السوري، فهاجمت طرسوس[8] التي لم تلبث ان اعترفت بسيادة ريموند[9].

طال حصار عرقة ولم يتمكن الصليبيون من اختراق أسوارها لمناعتها وقوة حاميتها، ولاحت مؤشرات الخصام بين الصليبيين من جديد ، وبدأ ريموند يفقد مكانته في قيادة الجيش لصالح جودفري، سيما بعد خسارته للعديد ممن رجاله ، وقاومت عرقة الحصار الشديد(14فيفري -13ماي1099م/ ربيع الأول -رجب 492هـ[10]، وهنا تقرر رفعه والسير تجاه الطريق الساحلي، حتى يتيسر الاتصال بالأسطولين الجنوي

---

[1]كفر طاب: بلدة صغيرة من جند حمص غربي حماة، على الطريق بين معرة النعمان وشيزر، وبينها وبين المعرة وشيزر اثني عشر ميلا. الحموي، المصدر السابق، ج4، ص470.

[2] ريموندا جيل، المصدر السابق، ص 172-181.

[3]نفسه، ص181.

[4] نفسه، ص219.

[5]العريني، المرجع السابق، ص262.

[6]الصوري، المصدر السابق، ج2، ص43.

[7]عرقة: من المدن الشامية القديمة، تقع شمال شرق طرابلس وعلى بعد نحو اثني عشر ميلاً منها، وتبعد عن البحر مسافة أربعة او خمسة أميال. أنظر: الصوري، المصدر السابق، ج2، ص 45، يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ترجمة وتعليق: سعيد البيشاوي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1998، ص138.

[8]انطرسوس: طرسوس، تبعد عن عرقة 20 ميلا، وطرسوس مدينة كبيرة كثيرة المتاجر، والعمارة والخصب الزائد وبينها وبين البحر اثنا عشر ميلاً. وفي سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة تغلب الروم على طرسوس، تبعد عن عرقة 20 ميلا، أنظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، أحداث سنة ست ووثمانين وخمسمائة، ص21

؛ وانظر كذلك: القلقشندي، صبح الاعشى، ج4، ص133، الحميري، الروض المعطار، ص 388، 389؛ الصوري، المصدر السابق، ج2، ص48.

[10]ريموندا جيل، المصدر السابق، ص 215-216؛ الصوري، المصدر السابق، ج2، ص 54.

والإنجليزي وإذ خشى الصليبيون نفاذ المؤن، حرصوا على الا يتعرضوا للمدن التي يجتازونها بالأذى والضرر، خاصة اذا بادرت تلك المدن بطلب الهدنة والصلح والأمان كطرابلس مثلا[1]، ثم تجهوا الى صيدا وبعدها عكا ثم حيفا، حتى ارباض قيسارية[2] في 26 ماي 1099/ رجب 492هـ، ومنها الى ارسوف[3] وهنا بدأ التوجه نحو الداخل مجتازين الرملة[4] الى بيت المقدس[5]، التي وصلوا اليها في 3يونيه دون ان يصادفوا أي مقاومة، وفي 7 من نفس الشهر عسكر الصليبيون امام بيت المقدس[6] وبسبب بداية طول الحصار في فصل الصيف ادرك الصليبيون انه ليس بوسعهم ان يتحملوا الحصار الطويل وينبغي ان يبادروا بمهاجمة المدينة والاستيلاء عليها حيث اقام ريموند على جبل صهيون وركز قواته في تلك الجهة[7].

واقتحمت بيت المقدس من طرف الصليبيين بعد حصار دام أربعين يوما، فاستبيحت المدينة ولم ينج من أهلها الا القليل وعلى رأسهم حاكمها الأمير الفاطمي افتخار الدولة ورجاله، الذين بدل لهم ريموند الأمان، فخرجوا الى حامية عسقلان[8]، اذ ان الصليبيين انطلقوا في شوارع المدينة والى المساجد والكنائس، يقتلون كل من صادفهم من الرجال والأطفال والنساء وتعرضت لأبشع أنواع المجازر التي شهدها التاريخ، فقد كانت إبادة المسلمين شبه تامة في المدينة،وقد افاض عديد المؤرخين وحتى اللاتين عن مجزرة مروعة وقعت للمقدسيين في ذلك اليوم[9]، ووصفت وحشية وهمجية الصليبيين.

وهنا تقرر البدء في اختيار حاكم بيت المقدس، وكما رأينا كان التنافس بين ريموند وجودفري فاشتهر ريموند بالنضوج والخبرة والثروة وكان وثيق الصلة بالأسقف

---

[1]مجهول، المصدر السابق، ص112؛ ألبرت أخن، المصدر السابق، ص125؛ ريموناجيل، المصدر السابق، ص215،185؛ الصوري، المصدر السابق، ج2، ص62-63.

[2]قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام تعدّ في أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام، وكانت قديما من أعيان أمهات المدن واسعة الرّقعة طيبة البقعة كثيرة الخير والأهل وأما الآن فليست كذلك وهي بالقرى أشبه منها بالمدن. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص421.

[3] أرسوف: مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا، استولى عليها جودفري 494هـ. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص151.

[4]الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين وكانت قصبتها قد خربت الآن، وكانت رباطا للمسلمين. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج3، ص69.

[5]ألبرت، المصدر السابق، ص 128؛ مجهول، المصدر السابق، ص114؛ الصوري، المصدر السابق، ج2، ص64-65.

[6] المصدر نفسه، ص94.

[7]مجهول، المصدر السابق، ص114؛ ريموناجيل، المصدر السابق، ص236؛ الشارتري، المصدر السابق، ص 74؛ الصوري، المصدر السابق، ج2، ص126.

[8]مجهول، المصدر السابق، ص120. ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص19.

[9] مجهول، المصدر السابق، ص119. ألبرت، المصدر السابق، ص 147؛ الشارتري، المصدر السابق، ص75؛ ريموناجيل، المصدر السابق، ص 247؛ الصوري، المصدر السابق، ج2، ص126. ابن الاثير، المصدر السابق، ج8، ص425-426.

ادهيمار، وهو الوحيد الذي التمس البابا اوربان منه النصح والمشورة اثناء الدعوة الى الحروب الصليبية[1]،

غير ان رفاقه كانوا ينكرون عليه كثرة ادعاءاته فانزعجوا من سياسته مع بيزنطة وحرصه على التعاون معها، بل ان هذا الاجراء ذاته اثار سخط قومه، وانتقص من شهرته مع انه الأمير الوحيد الذي يمينه مختلف عن باقي الامراء لالكسيوس عند سير الحملة كان اكثر من يريد الحفاظ على حقوق بيزنطة في الشرق كما يدعي البيزنطيون وريموند، وأيضا دوره في حصار عرقة وفشله في ذلك باعتباره قائدا عاما[2]، وأيضا يوجد الرأي الذي يتكلم ان جميع الامراء ورجال الدين يكرهون ان يتولى الأمور رجل له من شخصية وقوة ما يحول بينهم وبين ما يطمعون في تحقيقه، فالأمراء يريدون ملكا لا يقف حجر عثرة في سبيل مطامعهم واهدافهم الدنيوية، وادركوا في يسر انهم لابد وارتطموا بشخصية ريموند القوية وحينذاك لا يصده شيء عن كبح جماحهم، واما رجال الدين فقد كانوا اميل لرجل يحسون عطفه على الدين ولا شك ان جودفري هو من يخدمهم في هذا[3]. على الرغم من التسليم بما اشتهر به ريموند من التقوى والشجاعة لم يثق الناس في سياسته وقيادته، هذا ما اعطى جودفري الحق على ان يكون حاكم بيت المقدس[4].

وهنا تتوجه انظار ريموند نحو مدينة او منطقة أخرى حتى يكون له موطن قدم في الشرق، لما من المكانة التي يتمتع بها، فساعد جودفري في معركة قرب الرملة ضد الفاطميين في 12 اوت 1099/رمضان 492هـ، وحقق الصليبيين النصر على الفاطميين الذين فروا الى عسقلان[5] ولحقهم الصليبيون اليها. وبعدها تخلى ريموند عن مساعدة جودفري بسبب رغبته في انشاء امارة له على شواطئ فلسطين في ارسوف وعسقلان، لكنه لم يستطع ذلك بسبب وقوف جودفري له وبقيت المدينتين في حوزة المسلمين بسبب الصراع بين الامراء الصليبيين[6].

وبعد ذلك توجه ريموند الى شمال الشام واستقر مؤقتا في اللاذقية ليعمل بمساعدة حلفاءه البيزنطيين على الحد من قوة بوهيمند امير انطاكية[7].

5- دور ريموند الصنجيلي في تأسيس إمارة طرابلس:

---

[1]Setton, op. cit. p234.

[2]العريني، المرجع السابق، ص 272.

[3]حبشي، المرجع السابق، ص187-188.

[4]عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص206-210؛ ماير، المرجع السابق، ص127.

[5]عسقلان: مدينة على الساحل الفلسطيني، بين غزة وبيت جبرين ويقال لها" عروس الشام" استعادها صلاح الدين من الصليبيين عام 583هـ-1187م، ثم خربها بعد فتحهم لعكا في عام 587هـ-1191م. أنظر: الحموي، ج4، المصدر السابق، ص122.

[6]عاشور، المرجع السابق، ج1، ص210.

[7]الصوري، المصدر السابق، ج2، ص168.

فكر ريموند في تأسيس امارة على شاطئ الشام، وعند تواجده باللاذقية أحس بتهديد بوهيمند مرة أخرى لأطماعه، لذلك قرر أن يتحالف مع الكسيوس ضده، كما كان أيضا تحت تصرف البيزنطيين في اللاذقية وطرسوس وأنهما ليستا مدينتين خاصتين به كبقية الامارات الصليبية في الشام[1]، هذا بالإضافة الى الدور الكبير الذي قام به لمنع بوهيمند من الاستيلاء على عرش بيت المقدس عقب وفاة جودفري بوايون بحيث منعت قواته رسالة موجهة لبوهيمند من دايمبرت[2].

بعد رحيل ريموند الى القسطنطينية في صيف عام 1100م/ 493هـ ، وصلت من الغرب الأوربي حملة صليبية جديدة اليها متجهة نحو الشرق، ففرح ريموند بذلك اذ رأى في هذه الحملة أداة صالحة يمكن أن يستخدمها في تحقيق بعض أهدافه في الشام[3] ، إلاّ أن هذه الحملة سرعان ما تعرضت لهزيمة نكراء سنة 1101م/ 494ه ،كان ذلك على يد السلاجقة في منطقة آسيا الصغرى وبمساعدة رضوان ملك حلب، وأيضا غازي كمشتكين بن داشمند ، الذي استطاع أسر بوهيمند قبل ذلك، ونقله إلى قلعة على حدود البحر الأسود، واضطر ريموند الى الفرار ومعه القوات البيزنطية وبقية الصليبيين الى أن وصلوا الى القسطنطينية بعد أن تعرضوا لمجزرة رهيبة قدرها العديد من المؤرخين سيما الصليبيين أنفسهم ما بين مائة ومائة ستين ألف[4].

أما سبب فشل الحملة، فقد كان تنوع أصول قادتها واختلاف توجهاتهم وأهدافهم حين التوجه نحو الشرق، بالإضافة إلى غياب القيادة الحكيمة. كما شهدت الحملة انقسامًا بين القادة؛ فبعضهم كان يفضل السير مباشرة نحو بيت المقدس، في حين كان الآخرون يركزون على تحرير بوهيمند، وكان هؤلاء من اللمبارديين الذين شكّلوا جزءًا كبيرًا من الحملة. لكنهم أخطأوا في اتجاههم، إذ توجّهوا إلى أقصى الشمال الشرقي لآسيا الصغرى حيث تعرضوا للإبادة[5]، وتمكن قلج أرسلان من تحقيق نصر أنسى الجميع هزيمته في دورولیوم سابقا.

حقيقة لو تحقق هدف هذه الحملة بالوصول الى بلاد الشام لغيرت الكثير على أرض الواقع اجتماعيا وعسكريا واقتصاديا وغيرت من واقع الكيانات الصليبية في المنطقة.

---

[1] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص278. Stevenson, op, cit, p51.

[2] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص228.

[3] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 279-280. Stevenson, op. Cit. P51.

[4] ألبرت اكس، المصدر السابق، ص 209.

[5] ألبرت اكس، المصدر السابق، ص209-210.

لم يكتب لريموند الاستفادة من هذه الحملة، فنزل بميناء السويدية سنة 1102م/ 495هـ وتم القبض عليه من طرف جماعة تانكرد ليعتقل في قلعة بأنطاكية وتوجه له تهمة الخيانة لصالح بيزنطة، ولكن فيما بعد أطلق سراحه بشروط قاسية منها التخلي عن طموحاته في كل من أنطاكية واللاذقية التي سلبت منه[1].

اقتنع ريموند بعد هذه الحادثة بوجوب العمل لصالحه الخاص، وتوجه نحو الساحل الشامي لتأسيس امارة لنفسه على حساب المسلمين[2]، بدلا من الاستمرار في الصراع مع قادة الحملة حول ما امتلكوه، و انطلق من انطاكية مع من تبقى على قيد الحياة من أمراء الحملة الصليبية في عام 1101م/ 494هـ للاستيلاء على طرسوس وقد تم له ذلك بمساعدة أسطول جنوي كان راسيا قبالة الشاطئ ، الى جانب ضعف المقاومة التي أبداها حاكم المدينة من البر والبحر ، وسقطت المدينة في يده في منتصف فيفري 1102م/ 495هـ واتخذها ريموند بعد ذلك قاعدة للانطلاق نحو تحقيق مخططاته في الهجوم على طرابلس قصد الاستيلاء عليها، مما جعل ناقوس الخطر يدق في العالم الاسلامي ، وأرسل فخر الملك[3](1099م-1108/ 492-501هـ)، إلى أمير حمص وإلى الدقاق الدمشقي يحذرهما ، واستنفر الجميع جيوشهم لمواجهة ريموند والدفاع عن طرابلس لكنهم تعرضوا لهزيمة نكراء رغم كثرة أعدادهم بفضل خطط ريموند العسكرية وطريقة ادارته للقتال [4].

لم يتمكن ريموند بعد انتصاره على المسلمين من الاستيلاء على طرابلس بتحصيناتها الهائلة، واكتفى بفرض جزية باهضة على صاحبها من المال والخيل، وعاد بعد ذلك الى طرسوس في مارس - أفريل 495/1102هـ، ثم توجه نحو حمص ، وملك في طريقه حصن الاكراد[5] ذو الموقع الحربي[6] الاستراتيجي اذ أنه يشرف على كل الأقاليم بين طرسوس وطرابلس من جهة الساحل وحمص من الداخل، واستطاع أن

---

[1]راودلف دي كان، المصدر السابق، ص 201-202؛ ألبرت، المصدر نفسه، ص219.

[2]Stevenson, op. Cit. P51.

[3] ولي فخر الملك أبو الفضل علي بن محمد بن عمار طرابلس بعد وفاة أخيه جلال الملك أبي الحسن علي بن محمد سنة 492هـ-1098م، وكان من الأعيان والملوك، غزير المروءة عالي الهمّة، في أيامه ملك ريموند الفرنجي جبيل وأقام بالقرب من طرابلس وعمل حصنا يقابلها، فخرج فخر الملك ومعه ثلاثمائة فارس فأحرق الحصن ووقف صنجيل على بعض سقوفه المذهبة المحرقة ومرض ومات وقام مقامه ابن أخيه، دامت حربه ضد الفرنج حوالي خمس سنين. أنظر: ابن الفوطي(ت723هـ)، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، ط1، إيران، 1416هـ، ج3، ص94.

[4]ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص55؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص 89-90.

[5]حصن الأكراد: Kirk des chevaliers، ويطلق عليه حصن السفح، ويسمى حاليا قلعة الحصن، ويقابل حمص من جهة الغرب، تصفه مصادر الحملة الأولى انه قلعة حصينة منيعة محاطة بالجبال على واد خصب. الحموي، المصدر السابق، ج2، ص264.

[6]ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص56.

يفرض على حاكم حمص جزية مالية ، وبعدما سمع بقدوم ملك دمشق لفك حصارها انصرف عنها[1].

عاد ريموند في شتاء 1103م/496هـ، لمهاجمة طرابلس من جديد وذلك بمساعدة الاسطول الجنوي لكنه فشل في الاستيلاء عليها[2]، ثم توجه جنوبا نحو جبيل، وهي قلعة صغيرة على الساحل بين طرابلس وبيروت، لم تستطع الصمود في وجه الحصار البحري والهجوم البري الذي فرض عليها ، فاضطرت للاستسلام في أواخر 1104م/ 498هـ وتعرض سكانها لمذبحة كبيرة ، وكافأ ريموند الأسطول الجنوي باعطائه ثلث المدينة[3] وأصبحت مدينة تجارية ذات طابع إيطالي.

بعد السيطرة على مدن وقرى شمال وجنوب طرابلس ثم وضع الحدود المتوقعة لإمارة طرابلس الصليبية، ولم يتبقى إلاّ الاستيلاء على المدينة الكبرى طرابلس، وبسبب تحصيناتها الطبيعية لم يتمكن ريموند من اخضاعها بسهولة رغم طول المواجهة ، فلجأ الى بناء قلعة كبيرة[4] تحمل إسم سانت جيل Saint Gilles [5]، لمواجهة طرابلس مباشرة، وذلك لإحكام الرقابة عليها وقطعها عن العالم الداخلي[6].

حاول بنو عمار[7] احراق هذه القلعة وهدمها، ولكنهم لم يتمكنوا من تحقيق هدفهم، بسبب أن ريموند كان قد أصيب بجروح نتيجة لسقوط بعض أجزاء القلعة المشتعلة عليه مما عجلت بوفاته في 28 فيفري1105م/جمادى الثانية498هـ[8]، قبل أن يحقق امنيته في الاستيلاء على مدينة كبيرة في الشام وتأسيس امارة له تشبه انطاكية أو بيت المقدس[9].

---

[1]عاشور، المرجع السابق، ج1، ص289.

[2]رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص91.

[3]رنسيمان، الحروب الصليبية، ج2، ص 91؛ ألبرت، تاريخ الحملة، ص232.

[4]Stevenson, op. Cit. P54.

[5]سانت جيل: قلعة حصينة سميت بهذا الاسم نسبة الى منشئها ريموند الصنجيلي تعرف في المصادر العربية بقلعة الصنجيل، بناها ريموند ليستخدمها كقاعدة عسكرية في إسقاط طرابلس، وقد أعانه على بنائها الامبراطور البيزنطي الذي أرسل إليه الميرة والأخشاب والمعدات اللازمة من جزيرة قبرص. أنظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص56، عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 290.

[6]يعقوب الفيتري، المصدر السابق، ص 41.

[7]بنو عمار: أسرة تعود أصولها إلى قبيلة كتامة المغربية، كان شيوخ هذه القبيلة عند قيام الدولة الفاطمية ممن لهم الصدارة في مؤسساتها الإدارية والعسكرية، نذكر منهم الحسن بن عمار الذي كان من أبرز رجال الخليفة الفاطمي العزيز بالله، استقلت هذه الاسرة بطرابلس سنة 462هـ -1070م، وامتدت حدود إمارتهم حتى تخوم بيروت من جهة وأرباض إنطاكية من جهة ثانية. وشملت نواحي جبلة في سوريا إلى قلعة صافيتا وحصن الأكراد والبقيعة. أنظر: الأصبهاني عماد الدين الكاتب، تاريخ دولة ال سلجوق، تحقيق: يحي مراد، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1424هـ-2004م، ج1، ص163.

[8]ماير، المرجع السابق، ص140؛ الصوري، المصدر السابق، ج2، ص 259؛ ألبرت، المصدر السابق، ص 236؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص96.

[9]عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 291 Stevenson, op. cit. . p55

اذ كانت مدينة طرابلس لم تسقط في يد ريموند إلاّ أنه كان صاحب الفضل في تأسيسها ووضع حدودها وتسهيل مهمة الاستيلاء عليها أمام خلفائه ، وقد شاءت الظروف أن تكون آخر مدينة كبرى بالشام تسقط في أيدي الصليبيين وآخر امارة يتم تأسيها من طرفهم بعد الرها وانطاكية وبيت المقدس، إلأ أنها في نفس الوقت كانت آخر امارة صليبية يستردها المسلمون سنة1289م/688ه ـ، ويصف المؤرخ هانس ابرهارد ماير[1] ريموند بأنه أبرز شخصيات الحملة الصليبية الأولى والرجل الوحيد الذي كان قادرا على أن يقف في وجه بوهيمند أمير انطاكية، وهو الذي رأت فيه المجموعات العامة صورة القائد ولو اعتبر أبرز الفرسان للاستيلاء على بيت المقدس لما كان في ذلك مبالغة.

المبحث الرابع : بلدوين البولوني: من تأسيسه لإمارة الرها إلى تنصيبه ملكًا لبيت المقدس

1- شخصيته:

بلدوين البولوني ابن أوستاش الثاني وايدا من اللورين، وهو الشقيق الأصغر لاوستاش الثالث وجودفري دي بوايون، ولد عام 1058م/ 450هـ، وتوفي في أبريل 1118م/ 512هـ [2]، يعد أحد قادة الحملة الصليبية الأولى، تلقى في طفولته ثقافة واسعة شملت مختلف النواحي المدنية والدينية فلم يختلف بلدوين عن بقية صغار العائلة العظيمة ، اذ تربى تربية أميرية حسب معايير العصر، هذا فضلا عن أنه كرّس في طفولته للدولة الاكليروسية [3].

كان مقدرا لبلدوين أن يصبح قسيسا ، لذا لم يخصص له أي شيء من الإرث الذي وزع على الأسرة 1076م/ 469هـ ، ولكن طباعه لم تكن طباع رجل كنيسة، فلم يستطع البقاء فيها وعاد الى الحياة الدنيوية ، ومن الواضح أنه التحق بالخدمة مع أخيه جودفري في اللورين[4]، وكان يصغره بسنة أو سنتين، وقد جمعتهما بعض الصفات المشتركة ، فقد كانا جنديين ذوي مقدرة عالية[5]، و يشكلان من حيث الصفات الجسمانية تناقضا مذهلا، فقد كان بلدوين أطول من جودفري، وشعره داكنا بقدر ما كان شعر أخيه أشقرا، ولكن جلده شديد البياض، وبينما نجد جودفري كريم الطباع كان بلدوين

---

[1]ماير، الحروب الصليبية، ص 140.

[2]Encyclopedia Britannica, article Baldwin king of Jerusalem, six the edition,2001. https://www.universalis.fr/encyclopedie/baudouin-ier-1058-1118-roi-de-jerusalem-1100-1118 25 جانفي 2024. 17:41سا.

[3]الجنزوري علية عبد السميع، امارة الرها الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001، ص73.
Grousset, op. cit, v2, p16.

[4]رنسيمان، الحروب الصليبية، ج1، ص ص246-247؛ حبشي، المرجع السابق، ص 66-67.
الاكليروسية: مجموعة رجال الدين الذين يشتغلون في خدمة الكنيسة. أنظر: صبحي حموي اليسوعي، معجم الايمان المسيحي، دار المشرق، ط2، بيروت، 1994، ص57.

[5]الجنزوري، المرجع السابق، ص 72،73.

متعاليا ، كثير الغطرسة والتكبر، يحب الأبهة والترف رغم قدرته على تحمل المشاق الهائلة ، وكان كثيرا ما ينغمس في الملذات وشهوات الحياة[1]، ويمثل الخلق اللاتيني أصدق تمثيل[2].

بحث بلدوين عن خطة محكمة لتحسين وضعه المادي، فاختار الزواج من أسرة ذات نفوذ في البيت النورماندي، حيث استقر في إقطاعية والد زوجته. ورغم ذلك، لم يرافق بلدوين كونت النورماندي في الحملة، بل خرج مع أخيه جودفري دوق اللورين، وأخذ معه زوجته جودفير أف توسني وأطفاله الصغار كرهائن لضمان إرث النورماندي. يظهر هذا بوضوح اهتمام بلدوين في الحصول على الأملاك والأراضي والسلطة، حتى وإن كان ذلك على حساب المبادئ التي نشأ عليها، وهذا يعكس طمعه وجشعه بأوضح صورة، وهو ما مهد له الطريق لتأسيس أول إمارة صليبية في الشرق الإسلامي.

اكتشف بلدوين منذ البداية أنه لا يستطيع الاعتماد إلاّ على خاصته، وعلى الرغم من أنه لم تكن له شعبية مثل أخيه جودفري أو بوهيمند، إلاّ أنه عرف كيف يجعل نفسه محترما مهاب الجانب ، فشجاعته وحسمه للأمور فرضت على كل من أصدقائه وأعدائه احترامه ، ومع ذلك كان قليل الأصدقاء بسبب صفاته السابقة ، ولكن ذلك لم يمنعه من تحقيق مآربه عن طريق المهادنة حينا والتهديد بالقوة أحيانا كثيرة [3] ، و مهما تضاربت الأقوال في ذكر صفاته إلاّ آ نها في مجموعها لا يمكن أن تقلل من مكانته بين الأمراء الذين تفخر بهم الحروب الصليبية[4]، ويقترن هذا كله بالأعمال الكثيرة والنظم الإدارية التي أدخلها على مملكة الصليبيين في الأراضي المقدسة[5].

2- دوره في الحملة الصليبية الاولى:

بعد الإعلان عن قيام الحملة الصليبية، سار بلدوين على رأس أحد الجيوش الصليبية التي جنّدت من فالونيا وفلاند واللورين ، وضم إليه أخويه وابن خاله بلدوين دي بورج[6]، وعند مرور الحملة على أراضي المجر لم يكن بوسع ملكها كولمان الترحيب بغزو جديد، نظرا لما عاناه من صليبي الحملة الشعبية بقيادة بطرس الناسك، واشترط أثناء مرور الجيش الصليبي أن يبقى بلدوين رفقة زوجته وأولاده كرهائن، عنده بعد أن استنتج بفراسته أنه أخطرهم، إلاّ أن بلدوين رفض في البداية تسليم نفسه

---

[1] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص247؛ الجنزوري، المرجع السابق، ص 73. Grosset, op. cit. v2, p17.

[2] نسيم يوسف، المرجع السابق، ص180.

[3] الجنزوري، المرجع السابق، ص 72،73.

[4] نفسه، ص73.

[5] نسيم يوسف، المرجع السابق، ص181.

[6] الجنزوري، المرجع السابق، ص72.

لكنه سرعان ما رضخ لذلك، بسبب إصرار أخويه على أن من مصلحة الجيوش الصليبية السلم مع ملك كولمان لنجاح الحملة الى الشرق[1].

بعد دخول الأراضي البيزنطية كانت هناك بعض الاشتباكات مع اليونانيين الذين عانوا أيضا من حملة الشعوب، وعند وصول جودفري الى القسطنطينية ورفضه في البداية القيام بيمين الولاء للإمبراطور، قام كومنين بارسال جنوده وأمرهم بالانقضاض على اللاتين، وعندما علم بلدوين بذلك سارع للعثور على رجال الامبراطور، وفي النهاية صادفهم يهاجمون رجاله فرد عليهم بقوة، وتمكن من دحرهم ، وقتل بعضهم واقتاد الاخرين الى معسكرهم وأسر ستون منهم[2]، وهنا تظهر شجاعته وتفوقه استراتيجيته الحربية وعلمه بنوايا الامبراطور ضدهم.

لم يتوقف الكسيوس عند هذا الحد بل عاد وأرسل جيشا ضخما ومنظما لمواجهة بلدوين وجودفري خاصة بعد أن علم بقرب وصول بوهيمند، وتمكن من هزم الصليبين شر هزيمة، و بعد أن تأكد جودفري من ضعف جيشه وإخوته و عدم قدرته على المواجهة رضخ للمطالب التي أملاها عليه الامبراطور منها: اعلان قسم الولاء وانتقال جيشه عبر البوسفور، وهنا أقسم جودفري وبلدوين ولورداتهم الرئيسيون على الاعتراف بالإمبراطور سيدا في جميع غزواتهم و أن يمنحوه كل الأراضي التي يتم فتحها وكانت تابعة له سابقا[3].

لم يكن الدور الكبير الذي قام به بلدوين في مواجهة الكسيوس مثل بقية الامراء بحكم أنه كان تحت امارة أخيه جودفري، ولكنه سيكون أول من يؤسس امارة (الرّها)كانت بيزنطة دائما ما تعول عليها كقاعدة وواجهة دفاعية لصد المسلمين ومراقبتهم[4] ، وبعد هذه المرحلة سيتعاظم دوره لما أبان عليه من قدرات كبيرة في الحكم، وسيبدأ في الظهور كأول ملك مؤسس لإمارة بيت المقدس الصليبية بالمشرق الإسلامي وسيصبح من أبرز القادة الصليبيين بل حتى أن شهرته تجاوزت شهرة بقية رجال وقادة الحملة مجتمعين[5].

3-تأسيسه لإمارة الرها:

بعد أن استراح الجيش الصليبي أربعة أيام في هرقلة افترق تانكرد وبلدوين البولوني عن الجيش الرئيسي في 14 سبتمبر 1097م/ 04شوال 490هـ، وتوجها صوب

---

[1] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص249.

[2] مجهول، المصدر السابق، ص24؛ تيوديبوه، المصدر السابق، ص 75-76؛ الصوري، المصدر السابق، ج1، ص161.

[3] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص249.

[4] الجنزوري، المرجع السابق، ص45.

[5] الرويضي، المرجع السابق، ص175.

الجنوب[1]، واجتازا بجيوشهما دروب قليقية التي تفصل جبال طوروس عن جبل اللكام[2]، ومن ثمة نحو سهل طرسوس ، لكن بلدوين لم يطل بقائه في قليقية بحيث قدم للجيش الرئيسي في مرعش ليدرك زوجته وهي تعاني سكرات الموت ولم يلبث بعد وفاتها أن ارتحل من جديد متجها هذه المرة نحو الشرق، كي يقيم لنفسه إمارة كما يتضح فيما بعد، بحيث أنه لم يحفل كثيرا بما للإمبراطور من حقوق ورأى أن يسلك الطريق الحربي القديم الذي يؤدي الى رأس ممر قليقية، واستغرق وقتا طويلا في عبور الدرب[3]، وعند وصوله الى طرسوس دخل في صراع مع تانكرد من أجل السيطرة على هذه المنطقة ، واستطاع أن يتفوق عليه بالقوة العسكرية وأيضا بعد وصول أاسطول صليبي قدم من الأراضي المنخفضة[4].

ومن الواضح أن سياسة بوهيمند أوحت الى بلدوين شقيق جودفري بأن ينافسه في هذه الناحية فحاول من جهة أن يحبط جهود تانكرد ابن أخ بوهيمند حين شرع في تأسيس امارة لعمه بالشرق، حيث استولى على قليقية، ومن جهة أخرى أقام بلدوين لنفسه امارة في الرها[5].

لم يتحقق لبلدوين انشاء امارة للفرنج في قليقية حسب اتفاقهم مع الامبراطور البيزنطي، غير أنه لم يتخل عن هذا المشروع، اذ لم يمكث في مرعش إلاّ أياما قليلة، وافترق مع أصحابه متوجها صوب الشرق كي يحقق مبتغاه [6]، والواقع أن نجاح الصليبين في عبور آسيا الصغرى يرجع الى حد كبير الى ما قام به الأرمن من دور أساسي في هذه الحرب، فهم الذين هيأوا للصليبيين الطرق المؤدية الى الشام[7]. بشهادة البابا جريجوري الثالث عشر في قوله: "لم يقدم أي شعب أو أية أمة مساعدات تلقائية للصليبيين أكثر من الأرمن، الذين أمدوهم بالرجال والخيول والسلاح والطعام"[8] ، وفي الحقيقة أنّ للأرمن عداء ديني وتاريخي ضد السلاجقة من جهة والبيزنطيين من جهة أخرى.

---

[1]الباز العريني، المرجع السابق، ص225؛ الصوري، المصدر السابق، ج1، ص231.

[2]جبل اللكام: تعدد أسماء هذا الجبل بحسب الأماكن، فهو يبدأ من العرج بين مكة والمدينة، حتى يتصل بالشام، وأرمينية.

أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 11، 22.

[3]العريني، المرجع السابق، ص223؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص286.

[4]الشارتري، المصدر السابق، ص51؛ الصوري، المصدر السابق، ج1، ص243،239.

[5] ارنست باركر، المرجع السابق، ص28.

[6]الواقع ان اهتمام بلدوين بالأرمن يرجع الى زمن حصار نيقية، اذ توطدت أواصر الصداقة بينه وبين أرميني كان خادما للأمبراطور البيزنطي الكسيوس، وهو باكراد شقيق كوغ باسيل، وحرص باكراد ان يبدل بلدوين جهده في مساعدة الامارات الارمينية الواقعة بالقرب من نهر الفرات. انظر: رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص296.

[7]Cloud Cahen, La Syrie Du Nord A l'époque des croisades et la principaute franque d'Antioche ; libraire orientalistePaulGeuthner, paris VI, 1940, p209.

[8]الجنزوري، المرجع السابق، ص52.

حرص بلدوين وبمساعدة بقراط(باكراد) أن يتصل بالأرمن وأمراءهم، وسرعان ما لقي ترحيبا في كل مكان اذ اعتبره الأرمن محررا لهم[1] ، و استطاع في طريقه أن يستولي على حصنين رئيسيين يقعان بين عينتاب ونهر الفرات وهما الراوندان[2] وتل باشر[3] ، ووضع عليهما أميرين أرمينيين لاثبات حسن نيته تجاههم[4]، وهكذا أضحى في الطريق الصحيح لتحقيق هدفه ، فالإقليم الذي أراد أن يتخذ منه إمارة له كان فعلا في أيدي الأرمن الموالين له، يضاف الى ذلك أنه كان على اتصال وتشاور مستمر بأمراء الأرمن خاصة كوغ باسيل شقيق بقراط الذي تقع امارته الى الشرق من مرعش[5].

عندما كان بلدوين في تل باشر استنجد به ثوروس[6]Toros حاكم الرها لمشاركته في حكم الامارة والدفاع عنها، فأعد نفسه لعبور الفرات، ولم تكن رحلته آمنة خاصة في سميساط[7]، ولكنه نجى بفضل مساعدات الأرمن في تلك المنطقة[8] ، ويبدو أن ثوروس كان يعلم جيدا بعد هذه الدعوة أن امارته الأرمنية قد انتابها الضعف ولم يعد قادرا على مواجهة السلاجقة الا بفضل سياسة المهادنة، وقد وجد في بلدوين الشخص المناسب الذي يتمناه[9].

لم يكد بلدوين يتلقى سفارة ثوروس حتى استجاب لها في الحال لما رأى فيها من اتفاق مع طموحه، فجدّ في السير فورا ليعبر الفرات في نحو ثمانين فارسا فقط، في حين ترك بقية أتباعه لحراسة القلاع والبلاد الواقعة على الضفة الغربية للفرات[10]، وكانت فرحة أهل الرها وحاكمها بتلك النجدة عظيمة، فاستقبلوها استقبالا حافلا، كما استقبلها رجال الدين الأرمن بغبطة بالغة، مما يشير الى أنه لم تكن هناك فجوة واسعة بين الكنيستين الأرمينية والكاثوليكية اللاتينية مثلما كان بين الكنيسة الأمينية من ناحية والأرثوذكسية الرومية من ناحية أخرى[11]، مما أثار شعور الغيرة والحسد في نفس ثوروس الذي أخذ يحس أن زمام الأمور سوف تفلت من يديه أمام قوة شخصية هذا

---

[1]الصوري، المصدر السابق، ج1، ص256.

[2]الراوندان: قلعة حصينة عالية على جبل مرتفع من نواحي حلب. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 19.

[3]تل باشر: قلعة منيعة وسوق عامرة بينها وبين حلب يومان، تقع في الطريق الرابط بين الرها وأنطاكية، أهلها نصارى أرمن. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص40.

[4] الجنزوري، المرجع السابق، ص 52.

[5]الصوري، المصدر السابق، ج1، ص257.

[6]ثوروس: أمير الرها، بدأ حياته المهنية كمسؤول امبراطوري، وأصبح فيما بعد أحدأكبر مساعدي الحاكم الأرمني فيلاريتوس الذي حكم بين عامي 1078-1085 من قليقية الى الرها، وعند وفاة فيلاريتوس استولى السلاجقة على الرها، وتمكن ثوروس من استعادتها عام 1094م، واحتفظ بها اقطاعية له من قبل السلطان السلجوقي، لكن وضعه فيها كان غير آمن كمسيحي أرثودوكسي وكان مكروها من رعيته الأرمن السريان اليعاقبة. Setton, op.cit. p303.

[7]سميساط: وهي مدينة صغيرة على الفرات، ولها قلعة حصينة. انظر: ابن العديم، المصدر السابق، ج1، ص257.

[8]الجنزوري، المرجع السابق، ص 55-56؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص 305.

[9]الشارتري، المصدر السابق، ص52؛ الصوري، المصدر السابق، ج1، ص259.

[10]الصوري، المصدر السابق، ج1، ص259.

[11]الشارتري، المصدر السابق، ص53؛ الصوري، المصدر السابق، ج1، ص260.

القائد و حب الأهالي الجارف له [1] ، ويوضح فوشيه الشارتري ذلك بقوله: "ما أن عبرنا أمام الأرمن واتضح أننا نتقدم ونحمل الصلبان والأعلام معلنين حبنا للسيد المسيح، حتى قبلوا أقدامنا وثيابنا الممزقة، لأنهم سمعوا أننا في سبيلنا لحمايتهم من الأتراكّ"[2].

أخذ ثوروس في التراجع عما اتفق عليه مع بلدوين خوفا على حكمه في الرها، فعرض عليه العمل ثانية تحت سيادته كمرتزق وأغدق عليه الأموال والهدايا لإغرائه بذلك، ويبدو أن بلدوين قد أدرك أيضا مكانته بين سكان الرها فأصر على موقفه، وعبّر أمام الجميع عن رغبته في العودة الى تل باشر، وكأنه أراد بذلك اثارة سكان المدينة الذين طالما انتظروه ليعتقهم مما هم فيه، فسارعوا الى ثوروس ملحين عليه تنفيذ الشروط التي تم الاتفاق عليها مع بلدوين من قبل، فلم يكن من ثوروس أمام المطالبة الجماعية من سكان الرها وزعمائهم أن يتراجع عما وعد به بلدوين تحسبا لحدوث ثورة تطيح بحكمه[3].

استطاع بلدوين بذلك أن يحقق الخطوة الثانية من طموحاته بعد استيلائه على المناطق الواقعة غرب الفرات، وأخذت طموحاته تتزايد بعد اطلاعه على أوضاع الأرمن في الرها والمناطق المحيطة بها، وبعد أن أصبح هناك نوع من الوصاية الافرنجية على امارة الرها الأرمينية، والذي أصبح العنصر الافرنجي بحكم هذه الوصاية الوريث الشرعي للعنصر الأرمني في حكم الرها[4] ، ولم تلبث أن اتيحت الفرصة لأهل الرها للتعبير عن استيائهم من ثوروس، وبوصول بلدوين إليهم قامت ثورة عامة فيها في شهر مارس 1098م/ 491 هـ، وهي الثورة التي انتهت بقتل ثوروس وانتقال مقاليد الأمور في الرها الى يد بلدوين البولوني[5].

ومع أن اقوال المؤرخين المعاصرين [6] تشهد كلها على أن تلك الثورة كانت داخلية، حركها وأشعلها فريق من الأرمن من أهل المدينة، إلاّ أننا لا يمكن أن نبرأ بلدوين تماما من تهمة المشاركة ولو بالشيء القليل في تحريض الثوار، أو على الأقل من تهمة التفريط في حياة ثوروس وعدم القيام بواجبه كاملا في حمايته[7]، وقد تم ذلك في مارس

---

[1] الصوري، المصدر السابق، ج1، ص 260.
[2] الشارتري، المصدر السابق، ص53.
[3] الصوري، المصدر السابق، ج1، ص260. الحريري، الاخبار السنية، ص17.
[4] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 149.
[5] الشارتري، المصدر السابق، ص53.
[6] الصوري، المصدر السابق، ج1، ص 264؛ مونروند مكسيموس، تاريخ الحروب المقدسة في المشرق المدعوة حرب الصليب، تر: مكسيموس مظلوم، دير الرهبان الفرنسيسكانيين، القدس، 1865م، م1، ص88.
[7] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص149-150؛ الجنزوري، المرجع السابق، ص 69. Setton, op.cit. p304.

1098م/491هـ حيث تلقى بلدوين دعوة من سكان الرها لتولي مقاليد الحكم بصورة رسمية .

استطاع بلدوين البولوني تأسيس أول امارة افرنجية في الشرق الإسلامي تحت سيادته، وتولى زمام الحكم فيها ليس كتابع للفرنج أو للإمبراطور البيزنطي، انما كمستقل بذاته وبصفته حاكما للرها، واتسمت حكومته بصبغة لاتينية أرمينية[1] ، وقد رأى بعض الباحثين، أن تأسيس هذه الامارة يعد سابقة خطيرة، لأنه شجع بقية أمراء الحملة الصليبية الأولى، أن يحذوا حذو بلدوين في تكوين امارات مستقلة لأنفسهم[2]، مما هدد وحدة الكيان الصليبي في الشرق، وبالفعل هذا ما تم حدوثه.

أضحى بلدوين بعمله هذا من أقوى أمراء الحملة الصليبية الأولى، وأصبح نجاحه موضع حسد لجميع الأمراء المحاصرين لأنطاكية الذين ما إن وصلتهم الأنباء حتى أخذوا يحذون حذوه لتأسيس امارات مماثلة لهم ويسارعون للسيطرة على انطاكية[3]، أما بالنسبة لأحقية بلدوين في تأسيس إمارة الرها الافرنجية فإن ذلك غير مقبول ولا يمكن تبريره، لا من ناحية الأهداف التي خرجت من أجلها الحركة الصليبية ولا من حيث شروط الاتفاق الذي أبرم بين قادة الافرنج والامبراطور البيزنطي، فإذا أخذنا بالناحية الأولى فإن الرها لم تعد ضمن الأراضي المقدسة التي سعت الحركة الصليبية من أجل تحريرها[4]، وأن اقامته لهذه الامارة وعدم مساهمته في الاستيلاء على بيت المقدس فيما بعد لهو أكبر دليل على بعده عن الهدف الذي قدموا من أجله قادة الحملة الصليبية.

هذا فضلا على موقعها في شمال الجزيرة جعل تلك الامارة الصليبية الجديدة على جانب كبير من الأهمية في حماية ممتلكات الصليبيين بالشام ضد أي هجوم يأتي من الشرق[5]، وحقيقة هو لم يشارك في أهم منجزات الحملة - الاستيلاء على مدينتي انطاكية وبيت المقدس- بل أقام له كيان بعيد عن التواجد الصليبي في المشرق ودون استشارة أو أخذ رأي وموافقة القادة في الحملة، مع أن الرها كانت تطالب بها بيزنطة باستمرار.

سرعان ما أحس بلدوين بضرورة القيام ببعض الأعمال التي سترفع من شأنه في نظر رعاياه الجدد من الأرمن، وتضفى على حكمه جانب من الشرعية والأهمية ، لذلك بدأ يخطط للاستيلاء على سميساط بسبب موقعا الاستراتيجي ، وقبل الشروع في حصارها أرسل إليه حاكم المدينة يعرض عليه تسليم سُمَيْساط مقابل عشرة آلاف دينار ذهبي، الأمر الذي وافقَ عليه بُلدوين ورآه فرصة لا تعوض ، ومن الخطوات التي

[1] الرويضي، المرجع السابق، ص 175.
[2] ماير، المرجع السابق، ص104.
[3] Setton, op.cit. p304.
[4] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص 310-311.
[5] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص150.

اتبعها بلدوين لكسب الأرمن الى جانبه هو تحرير الأسرى والرهائن من السجون واعادتهم إلى عوائلهم الأرمينية دون مقابل مما اكسبه شعبية بين أهل الرها[1].

بعد السيطرة على سميساط أزيل الحاجز الذي كان يشكل عائقا في الاتصال بين مناطق إمارة الرها الافرنجية في الجزيرة الفراتية وبين مناطقها الواقعة في الشمال الشرقي والمتمثلة بإمارة كركر الأرمينية التي كان يعمل أميرها تحت سيادة بلدوين[2]، كما أصبحت حدود إمارة الرها الافرنجية في الشمال تصل الى حدود إمارة كوغ باسيل شمال آسيا الصغرى[3].

لم يقتنع أهل الرها على سمسياط وإنما طمعوا في الاستيلاء على مناطق أخرى في الجنوب الشرقي فكان زحف بلدوين على سروج[4] ومعه آلات الحصار فخاف أهلها وأبدوا رغبتهم في تسليم المدينة مقابل جزية يدفعونها، ولا شك أن الاستيلاء على سروج جاء متمما لفتح الرها ومؤمنا لهذه الامارة الجديدة [5] ، وأكمل بلدوين أيضا سيطرته على البيرة1099م/492هـ، وهي قلعة استراتيجية على نهر الفرات ذات موقع حربي هام[6]، وعن طريقها يصبح هناك للاتصال بين امارته وأنطاكية[7].

وهكذا نمت امارة الرها نموا واسعا في عهد بلدوين البولوني حتى اشتملت على كل الأقاليم الغنية لمملكة آشور القديمة[8].

وصلت بلدوين آنذاك أخبار عن معاناة الجيش الرئيسي من نقص في المؤن والعدد فتألم لذلك وقرر أن يخفف عنهم آلامهم ويؤمن لقادتهم بعض المستلزمات من الثروات التي استولى عليها من الرها، فأرسل إليهم الأموال والأقمشة الحريرية والخيول والمواد الغذائية، وقد شمل سخاؤه هذا عامة أهل الافرنج ممن كانوا يعانون شح المواد الغذائية، وحتى لا يقلل من شأن أخيه جودفري وسيادته بين قادة الافرنج، أمر ان تسلم له جميع عائدات الأراضي التي يمتلكها في تل باشر والريف المجاور لها على الجانب الغربي لنهر الفرات[9].

بعد أن حقق بلدوين هذه الانجازات وأقام لنفسه امارة لاتينية ، وضمن لها قدرا من الاستقرار الداخلي والخارجي، بدأ يفكر في متابعة رحلته إلى بيت المقدس رفقة

---

[1]رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص312، عاشور، المرجع السابق، ج1، ص1521

[2]Stevenson; the crusades in the East, Cambridge University Press, 12 déc.2012, p69.

[3]الرويضي، المرجع السابق، ص179.

[4]سروج: بلدة قريبة من حران جنوبي سميساط. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج3، ص216.

[5]عاشور، المرجع السابق، ج1، ص1521

[6]عاشور، المرجع السابق، ج1، ص152؛ الصوري، المصدر السابق، ج1، ص 265

[7]الجنزوري، المرجع السابق، ص 83، الصوري، المصدر السابق، ج1، 265.

[8]الجنزوري، المرجع السابق، ص86.

[9]الرويضي، المرجع السابق، ص 179.

بوهيمند أمير انطاكية[1]، لأنهما حتى ذلك الوقت لم يتمكنا من مشاهدة تلك المدينة التي خرجا لأجلها من الغرب ، وهو دليل آخر على حقيقة نواياهما في البحث عن تأسيس امارات لهم في المشرق الإسلامي وليس الدفاع عن مقدسات المسيحيين، مع أن فوشيه الشارتري يصر في الدفاع عنه في هذا الأمر من خلال قوله أن عدم مصاحبة بلدوين للجيش الصليبي الكبير عند أنطاكية وبيت المقدس كان بسبب انشغاله بتأمين الجناح الشرقي للصليبيين ضد الأتراك على جبهة الفرات[2].

قام بلدوين بتلك الرحلة وصادف فيها الكثير من الأخطار والمتاعب ، وتم استقباله في بيت المقدس في 21 ديسمبر1099م/5صفر 493هـ [3]من طرف جودفري ورجال الدين والأهالي استقبالا طيبا[4] ، ويتضح أن وصول بوهيمند وبلدوين ودايمبرت الى بيت المقدس أمر له أهمية في تاريخ الحركة الصليبية[5]، لأن هذا الحدث يشير الى نهاية الفترة الصعبة التي أعقبت وصول الصليبيين الى الشام، وتظهر إمكانية زوال الخلاف والصراع الذي كان السمة البارزة أثناء حملتهم، كما أبان عن وجود نوع من الترابط أو التفاهم بينهم فضلا عن ظهور دايمبرت والبايزنة على مسرح بيت المقدس جاء اعلانا لسيادة الغربيين على البحر المتوسط ودليلا على أن الصلة بين الفرنجة في الشام وبين العالم اللاتيني الغربي لن تنقطع[6].

بعد عودة بلدوين للرها خضعت له مالطية وهي احدى المدن الرئيسية للأرمن، وفي تلك الظروف أسر بوهيمند حاكم انطاكية وحاول بلدوين فك أسره، ولكنه لم يتمكن من ذلك[7].

4- بلدوين ملكا لبيت المقدس:

ما إن كاد بلدوين يثبت حكمه في الرها، حتى وافاه الحظ مرة أخرى ليصبح الرجل الأول بين الأمراء الصليبيين في بلاد الشام، كان ذلك في شهر اوت 1100م/شوال 493هـ، أين وصله رسول من بيت المقدس على عجل، أخبره بموت أخيه جودفري وطالبه بالحضور الفوري ليحل مكان أخيه في حكم المدينة المقدسة[8] ، إلاّ أن هذا الأمر أشعل نار الخلافات بين أمراء الحملة الصليبية، وأيضا دايمبرت

[1]الشارتري، المصدر السابق، ص 80.
[2] نفسه، ص 80.
[3]الجنزوري، المرجع السابق، ص 87. عاشور، المرجع السابق، ج1، ص220.
[4]عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 219.
[5]Stevensen, op, cit.p39.
[6]عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 220.
[7]الشارتري، المصدر السابق، ص 85.
[8]الصوري، المصدر السابق، ج2، ص192.

بطريرك بيت المقدس الذي كان يرى في نفسه الأحقية بحكمها ثيوقراطيا، وأوشكت أن تكون فتنة بين الجماعات الصليبية يكون فيها القضاء على قواتهم بأجمعها[1].

استطاع بلدوين بفضل شجاعته وقوته واخلاصه التغلب على خصومه، وساعدته الظروف على إتمام رحلته الى بيت المقدس، واستدعي تانكرد لحكم انطاكية مكان بوهيمند الذي كان في الأسر مما أجل سبب الخلاف مؤقتا[2]، و ما إن وصل اليها يوم 10نوفمبر 1100م/4محرم 494ه[3]، حتى خرج إليه المسيحيون من أهل المدينة على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم وأستقبلوه استقبالا رائعا بوصفه أخ جودفري ووريثه، و نادوا به جميعا ملكا وسيدا عليهم داخل المدينة المقدسة ذاتها في 11نوفمبر 1100م/ 5محرم494هـ[4]، وهكذا تحولت بيت المقدس الى مملكة لاتينية.

أرسى بلدوين بعد استلامه العرش دعائم الدولة، وقام بانشاء مؤسساتها، و أبرم أيضا عدد من التحالفات، وشن بعض من الحروب التوسعية، كما تحالف مع الأسطول الجنوي ليستمد منه الدعم البحري لإخضاع المزيد من الأراضي[5]، مما جعل علاقات المملكة بالإمارات الصليبية تتميز بميزة خاصة.

المبحث الخامس: تانكرد حاكما لإمارة انطاكية[6]:

1-شخصيته:

تانكرد هو أحد الأمراء النورمان القادمين من ايطاليا، ينتمي لأسرة شهيرة والده هو الماركيز أودو بونز Odo bonus Marchesas، ووالدته هي إمّا Emma[7]، ابنة روبرت جويسكارد وخاله هو بوهيمند النورماني[8]، استطاع بفضل مؤهلاته أن يكون أشهر من أخواله وهم الذين حققوا مجدا عسكريا رائعا نال ثناء الجميع، سواء خارج وطنهم نورماندي أو داخله[9].

كان تاريخ مولده ما بين عامي1076-1077م/468-469هـ، أي أنه كان في سن العشرين سنة أثناء الحملة الصليبية الأولى، وقد تخطى بتصرفاته الحربية من لهم باع

---

[1] راودولف، المصدر السابق، ص198.

[2] Stevensen, op. cit.43.Grousset, op.cit. v2,p21.

[3] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 229-.232

[4] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص480. Grousset, op. cit. v2, p25.

[5] Stevensen, op. cit.44.

[6] اسم تانكرد (Tancred) استخدمه النورمان للمذكر، وهو جرماني الأصل، والاسم مكون من كلمتين: Tankوتعني Thought، وRad وتعني Counsel لتصبح Thought Counsel بمعنى سديد الرأي، وصاحب المشورة. أنظر: https://www.britannica.com/biography/Tancred-of-Hauteville.

[7] رادولف، المصدر السابق، ص53.

[8] ألبرت، المصدر السابق، ص38؛ الصوري، المصدر السابق، ج1، ص110؛ رادولف، المصدر السابق، ص 53؛ أنا كومنينا، المصدر السابق، ص494؛ متى الرهاوي، تاريخ متى الرهاوي، تر: الرويضي محمود، عبد الرحيم مصطفى، مؤسسة حمادة للدراسات، الأردن، 2009، ص109؛ ابن العديم، المصدر السابق، ص239.

[9] رادولف، المصدر السابق، ص53.

طويل في ميادين القتال[1]، إلى درجة أن المؤرخ رادولف دي كان أسهب كثيرا في وصفه كبطل للحروب الصليبية ، وأنه لا يوجد من يقارعه في ذلك خاصة في الحرب الصليبية الأولى ، فهو الذي لم يقوده ثراء عائلة والده الى الفسق، ولا قوة أقارب أمه الى الغطرسة، شخصيته القيادية والحربية مثال يحتذى بها ، كان يرى أن العدو يجب أن يسحق لا يذم، وكان يرفض أن يقول أي شيء عن نفسه ... يستخف بالنوم على حساب اليقظة[2]، وقد وصفته بعض المصادر بأنه فارس المسيح الشجاع ، العاقل، الفاضل، النبيل، المتواضع، الفطن[3]، وكان أيضا " رجلا لا يكترث بالحياة ولا يعبئ بمكانته السامية"[4] ، وقد أثنى عليه متى الرهاوي[5] كثيرا، فوصفه بأنه " أسد القتال، وبطل الرب المقدام، وأعظم مؤمن"، وشخصية معطاءة مليئة بالإحسان، لا يكل من عمل الخير للمسيحيين، متواضعا مع الآخرين وشديد العدل في تطبيق التعاليم الإلهية.

يتضح مما سبق أن تانكرد كان شخصا شجاعا ومقداما، إذا هبت رياحه اغتنمها، له نزعة استقلالية ، كان بلا منازع أبرز قائد عسكري في الحملة الصليبية الأولى، حتى وإن لم يتمكن من انشاء امارة خاصة به مثل بقية الأمراء، الا أنه ساهم في الاستيلاء والسيطرة عليها جميعا ، وكان له في كل إمارة الدور البارز في ذلك ماعدا الرها التي دخلت في وصايته في فترة ما ، وساهم في استمرارها كإمارة لاتينية مدة زمنية أطول .

2- المشاركة في الحملة الصليبية الاولى وموقفه من الامبراطور البيزنطي:

بعد صدور مرسوم البابوية المتعلق بالحروب الصليبية، وتوجيه البابا أربان الثاني خطابا دينيا يدعو فيه كل المسيحيين وخاصة الأمراء لتحرير الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين ، شرعت جماعات صغيرة من الإيطاليين في اجتياز البحر متجهة الى الشرق الإسلامي ، حينئذ أدرك بوهيمند أهمية هذه الحركة وضرورة الاستفادة منها ، وتمكن في ذلك من اغراء تانكرد[6]، الذي كان يطمح بدوره إلى الرقي و المجد[7]، فاشتعلت حماسته، وشحذت قواه، وتفتحت عيناه، وتجلت شجاعته والتهبت حماسته الى القتال وأشتد شوقه للخروج، وبدأ في الاعداد لذلك ، وأهم ما قام به في هذه المرحلة دخوله في تحالف مع خاله بوهيمند، حيث تم الاتفاق على أن يكون تانكرد تحت إمرة بوهيمند نظرا للإمكانيات التي كانت بحوزة هذا الأخير[8].

---

[1] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص 203.
[2] رادولف، المصدر السابق، ص53-54.
[3] مجهول، المصدر السابق، ص40؛ ألبرت، المصدر السابق، ص38؛ الصوري، المصدر السابق، ج1، 238،235.
[4] الصوري، المصدر السابق، ج1، ص225.
[5] الرهاوي، المصدر السابق، ص 152-182،160-183
[6] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص237.
[7] رادولف، المصدر السابق، ص54.
[8] رادولف، المصدر السابق، ص56،54.

أبحر بوهيمند رفقة ابن أخته تانكرد من مدينة باري Bari [1]، في أكتوبر1096م/ذي القعدة 489هـ، وكان بصحبتهما أبناء جلدتهم من نورمان صقلية وفرنسا، بالإضافة الى عدد من أصحاب المكانة والأمراء[2] ، وخلال سير القوات تارة يكون تانكرد متمركزا في الطليعة، فيقضي على الكمائن ويفشلها، وتارة في المؤخرة، حتى يهاجم قطاع الطرق واللصوص، أما بوهيمند فغالبا ما كان يحث جنوده وأفراد جيشه على عدم تخريب البلاد التي يمرون بها، والاكتفاء بأخذ ما يلزمهم فقط[3].

وصلت قوات بوهيمند الى سواحل البحر الادرياتيكي[4]، ثم تجاوزت البلقان حتى نهر الوردارVardar [5]، وهنا أمر بوهيمند وتانكرد قواتهما بالتخييم، وأجلوا المسير لعدة أيام بسبب فيضان النهر الذي أعاق تقدمهم، وبخاصة أنهم لم يأمنوا الجانب الآخر من النهر بسبب تمركز القوات البيزنطية[6]، غير أن قواتهما بدأت بالتذمر من الحال الذي صاروا اليه، فأدرك تانكرد خطورة الوضع و بدأت تظهر شجاعته في هذه المنطقة، اذ قرر عبور النهر مع عدد قليل من أتباعه فوجدوا مقاومة عنيفة من البيزنطيين، ثم انتهج تانكرد خطة هجومية أدت الى تراجع قوات الامبراطور، واستطاع العودة الى الضفة الأخرى من جديد لينقذ بقية الجنود ومن كان في حملتهم ويشجعهم على عبور النهر، تم أسر مجموعة من المغيرين عليهم واعترفوا بأنهم مبعوثين من قبل الامبراطور، إلاّ أن بوهيمند أطلق سراحهم[7] ، وفي ظل هذه الظروف بدأت أخبار تانكرد تصل الامبراطور، الذي أزعجه ذلك خاصة وأنه يعلم جيدا تمرس جيش النورمان وتمكنه بالحروب وفنون القتال[8].

بعد وصول بوهيمند وجيشه الى مدينة سيرا Serra[9] قابله مندوبون من الكسيوس، فعقد معهم اتفاق للذهاب للقسطنطينية بناء على طلب الامبراطور[10]، خاصة بعد أن فتن بحلاوة الكلام المصطنع، والطمع في كنوز القسطنطينية، وما حدث لم يكن ليرضي مسامع تانكرد ابن الماركيز، فرأى من الحكمة أن لا ينخدع بذلك ويرى ما سيحصل

---

[1] باري: مدينة كبيرة عامرة في قعر جون وهي قاعدة بلاد الأنكبردين وبها إنشاء مراكب وهي من قواعد بلاد الروم المشهورة على ساحل الادرياتيكي. أنظر: الشريف الادربسي(ت560ه)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1409هـ، ج2، ص763، الصوري، المصدر السابق، ج1، ص175.

[2] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص237.

[3] رادولف، المصدر السابق، ص56.

[4] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص237.

[5] نهر الوردار: أطول نهر في مقدونيا واحد اهم انهار اليونان، يبلغ طوله388كلم، ينبع من اعلى جبال مقدونيا ويمر بأراضي اليونان، ليصب في بحر ايجة. أنظر: شعبان خلف، المرجع السابق، ص179.

[6] رادولف، المصدر السابق، ص62،60.

[7] مجهول، المصدر السابق، ص27.

[8] رادولف، المصدر السابق، ص62.

[9] مدينة سيرا Serra: تقع هذه المدينة في مقدونيا الشرقية. أنظر: مجهول، المصدر السابق، ص27.

[10] نفسه، ص29.

لخاله مع الكسيوس، لأنه دائما يتوجس شرا من البيزنطيين ورفض هدايا الامبراطور وتجنب لقائه[1].

ترك بوهيمند الجيش لتانكرد، الذي أدرك أنه من الصواب الابتعاد عن الطريق الرئيسي، فنزل في واد خصب وجد فيه ما يلزم جنوده لإكمال مسيرتهم[2]، ورفض أداء يمين الولاء للإمبراطور مع أن بوهيمند فعل ذلك، وتمكن بعد ذلك من عبور البوسفور متسللا [3]، وعندما علم الامبراطور بهروبه اشتد غضبه، إلاّ أنه تمسك بالعقل وكظم غيضه[4] وأخذ وعدا من بوهيمند بأن يحضر له تانكرد ليقسم له اليمين ويظهر له الطاعة[5].

بعد سقوط نيقية طلب الامبراطور من جميع القادة الصليبيين الذين تخلفوا عن أداء اليمين أن يقسموا له بذلك قبل شروعهم في الذهاب الى أنطاكية، وهنا ألّح عليه بوهيمند أن يقدم اليمين لالكسيوس ولم يكن له من مناص ولا وقت للعناد أو التباطؤ، وعندما وصل تانكرد الى الكسيوس أخبره أنه بقدر ما يكون عطاء الامبراطور للفرنجة ودعمهم ومساندتهم تكون تبعيته للبيزنطيين، ومن المواقف التي أبداها تحديا وهيبة طلبه لخيمة الامبراطور كهدية له، وقد فهم الكسيوس ذلك جيدا ، وكان يغلي ضيقا بهذا الطلب (لأنه طلب الشعار الملكي)، لكن تانكرد لم يصر على ذلك وتظاهر بالمزاح فقط مع الكسيوس، ورهن يمينه وولاءه للإمبراطور ان كان الكسيوس نفسه قائدا للحملة وان يتوجه معهم الى بيت المقدس، حينها سيكون أحد اتباعه ولن يتوان في خدمته[6].

وهكذا استطاع الكسيوس أن يناور وينتزع يمين الولاء من القادة والأمراء الصليبيين، إلاّ أن مصالح الأغلبية منهم هي التي أملت عليهم التظاهر بذلك لأن الأحداث فيما بعد تثبت ذلك.

3- تانكرد في آسيا الصغرى ودوره في الاستيلاء على انطاكية:

بعد الاستيلاء على نيقية في أواخر شهر جوان 1097م/ رجب 490هـ قرر القادة الصليبيون تقسيم الجيش الى قسمين، فسار القسم الأول في الاتجاه الشمالي الشرقي، بينما القسم الثاني في الجنوب الشرقي، على أن يلتقيا في دوريليوم، وقد ضم القسم الأول النورمان بقيادة بوهيمند وتانكرد وروبرت كونت نورماندیا، أما القسم الثاني فقد ضم جودفري وريموند وأدهيمار دي مونتيل[7].

---

[1] رادولف، المصدر السابق، ص63.
[2] مجهول، المصدر السابق، ص29.
[3] نفسه، ص32؛ رادولف، المصدر السابق، ص66.
[4] الصوري، المرجع السابق، ج1، 174ص.
[5] رادولف، المصدر السابق، ص66.
[6] رادولف، المصدر السابق، ص66-75.
[7] فوشيه، المصدر السابق، ص 48؛ ريموناجيل، المصدر السابق، ص79؛ عاشور، المرجع السابق، ج1، ص151.

وصلت القوات النورماندية الى مرتفعات دوريليوم فوجدت نفسها في مأزق خطير، اذ قام الاتراك بالهجوم عليهم وطوقوا معسكرهم، وقتلوا اعدادا كبيرة منهم، وكان من بين القتلى وليم أخو تانكرد، الا أن وصول الجيش الثاني رجح كفة النصر للصليبيين[1].

بعد قونية وهرقلية، اتجه الصليبيون الى مدينة قيصرية واحتلوها، وقبل وصولهم الى مرعش[2]، عزم بعض الأمراء الانفصال عن الجيش الرئيسي، واتباع الطريق المؤدي الى قليقية، وكان على رأسهم الأمير تانكرد ومعه جماعة من النورمان، وبلدوين ومعه عساكر اللورين[3]، حيث سلك تانكرد طريق قليقية واستولى عليها ثم حاصر طرسوس وبعد مقاومة شديدة من أهلها تمكن من اخضاعها ، بعد اتفاقه مع الحامية الأرمينية واليونانية المتواجدة فيها، للتخلص من حكم الأتراك السلاجقة ، لكن بلدوين انزعج من ذلك ورفض أن تكون المدينة تحت سيطرة تانكرد مدعيا أنه لم يحترم القادة العظام في الجيش الرئيسي[4]، ومع رفض تانكرد مطلب بلدوين وكادت أن تندلع مواجهة بينهما ويتم تخريب المدينة كما هدد بلدوين بذلك، ومع ضآلة جيشه تجنب تانكرد المواجهة وغادرها[5] وقصد أدنه[6]Adana .

ويتضح أيضا بداية صراع بين أميرين من أمراء الحملة الصليبية، بل هي أول مواجهة حقيقية بين الصليبيين حول منطقة واحدة فيما بينهم، ويبدو أن بلدوين وتانكرد لم يعبأ مطلقا لما خرجا من أجله من تخليص بيت المقدس والضريح وكنيسة القيامة، وكان همهما الوحيد المصلحة الخاصة وتأسيس امارات لهم في الشرق.

عقد تانكرد تحالفا عسكريا مع حاكم مدينة أدنه الأرميني أوشين Ursinus، مما أجبر الأتراك على الانسحاب من المدينة[7]، ليقوم بتسليم قلعتها الى فارس صليبي[8]، منطلقا نحو المصيصة[9]، وما إن وصل إليها حتى دارت معركة قوية ضد حاميتها انتهت لمصلحته كان ذلك في أكتوبر 1097م/ شوال 490هـ، حيث سلمت له المدينة من طرف الأرمن[10]، ثم لحقه بلدوين ودخل في صراع عسكري معه ولولا تدخل البعض، لقتل الصليبيون بعضهم بعض على أسوار المدينة ، إلاّ أن بلدوين فضل

---

[1] رادولف، المصدر السابق، ص84-85-86.

[2] مرعش: مدينة صغيرة في الثغور بين الشام وبلاد الروم. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص107.

[3] مجهول، المصدر السابق، ص44؛ تيدوبوه، المصدر السابق، ص116.

[4] رادولف، المصدر السابق، ص90-94-95.

[5] ألبرت، المصدر السابق، ص48؛ الصوري، المصدر السابق، ج1، ص238.

[6] أدنه: بلد مشهور من ثغور الشام بين المصيصة وطرسوس، وهي مدينة جليلة وعامرة. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص132-133.

[7] رادولف، المصدر السابق، ص95.

[8] زابوروف، المرجع السابق، ص80؛ الرويضي، المرجع السابق، ص198.

[9] المصيصة: مدينة من ثغور الشام، وقد نالت حظ من الشهرة بفضل اسوارها وابراجها وكثرة سكانها، وايضا بموقعها المتميز وخصوبة أراضيها، الحموي، المصدر السابق، ج5، ص144-145؛ الصوري، المصدر السابق، ج1، ص239-240.

[10] ألبرت، المصدر السابق، ص51.

الانسحاب من المواجهة[1] وتوجه نحو الاسكندرونة[2] التي حاصرها ثم استولى عليها بمساعدة أسطول قادم من الغرب اللاتيني، هذا بالاضافة الى ما قامت به بعض المناطق من اعتراف بسيادته معبرين له عن ذلك بكثير من الهدايا الثمينة[3]، ولم يبقى أمامه الاّ التوجه الى بلاد الشام مخترقا سلسلة جبال الامانوس[4] مرورا بحصن بغراس[5] ليلتحق بالجيش الرئيسي أمام انطاكية[6].

تمركز جيش النورمان في هضبة صخرية بالقرب من باب بولس[7]، وإستمر الحصار لسبع شهور[8]، حيث دأب فيه الصليبيين على تأمين أنفسهم بالطعام والميرة، من خلال الغارات التي يشنونها على ضواحي المدينة[9]، غير أن هذه الغارات لم تعد تكفي لتأمين حاجاتهم الغذائية فداهمتهم المجاعة حتى مات منهم عدد غير قليل، وضعفت الروح المعنوية عندهم حتى كادت أن تفشل الحملة الصليبية ككل لولا مثابرة البعض منهم خاصة بوهيمند ورجاله " ...فلما كان هو أقرب الى الأسوار، فقد كان أول من واجه الاتراك صامدا يعوق تقدمهم، ولذا دأب على أن يظل مستيقظا...وحده يتحمل مشاق الحرب كلها..."[10]، وكان شبح الموت يحوم حولهم والمجاعة جد قاسية ، وبذلك ثقلت وطأة المصاعب واشتدت، وهذا ما سوف يؤدي الى عزم بعض القادة على الانسحاب من الحصار والرجوع الى بيزنطة أو أوروبا كل حسب أهدافه[11]، وكان على رأس هؤلاء بطرس الناسك ووليم النجار[12]، وهنا بدأت إجراءات تانكرد في لملمة جراح الصليبيين، فقد لحق بهما وأمسكهما وأرسلهما الى بوهيمند حيث وبخهما على

---

[1] رادولف، المصدر السابق، ص 97-98-99؛ الصوري، المصدر السابق، ج1، 245.

[2] الأسكندرونة: مدينة شرقي انطاكية، على ساحل بحر الشام بينها وبين بغراس أربعة فراسخ، وبينها وبين انطاكية ثمانية فراسخ. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص182.

[3] ألبرت، المصدر السابق، ص55؛ الصوري، المصدر السابق، ج1، ص 247؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص 302.

[4] جبال الأمانوس: أو اللكام، سلسلة جبلية تمتد من جبال طوروس شمالا الى ساحل البحر المتوسط جنوبا، عبر الطريق من سوريا الى قليقية، وقد اشتهرت بأشجار الأرز، وتجدر الإشارة الى أن مصادر الحملة الصليبية الأولى المرافقة للحملة لا تذكر هذه السلسلة الجبلية بالاسم والوصف وتكتفي بالإشارة الى عبورها. أنظر: الوريكات، المرجع السابق، ص 50.

[5] حصن بغراس: يقع بين أنطاكية وقليقية، خلف جبال الأمانوس، يبعد عن انطاكية بـــ: 12ميل.أنظر: عوض محمد مؤنس، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، 1995، ص39.

[6] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص302.

[7] رادولف، المصدر السابق، ص105.

[8] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص174.

[9] زابوروف، المرجع السابق، ص87.

[10] رادولف، المصدر السابق، ص107.

[11] نفسه، ص 110-112.

[12] مجهول، المصدر السابق، ص55؛ تيوديبوه، المصدر السابق، ص139، حبشي، المرجع السابق، ص120.

هذا العمل المخزي وعفى عنهما مقابل ميثاق غليظ منهما على أن لا يتركا الجيش الصليبي وصولا الى بيت المقدس[1].

أقام الصليبيون حصن لهم مقابل باب من أبواب انطاكية تحت قيادة تانكرد ، و اتخذ من هذا الحصن مركزا لتضييق الخناق على المدينة، فعندما وصلت الامدادات للأتراك المحاصرين قام تانكرد بقطع الطريق على حامليها واستولى على دوابهم المحملة بالحبوب والنبيذ وغيرها من السلع، وعمل أيضا على سد جميع المنافذ المؤدية الى انطاكية[2] ، وخلال عملية الاقتحام[3]، أقبرللا خذ تانكرد ومن معه من القوات يقتلون الصليبية يطاردون الفارين من الاتراك السلاجقة ويقتلونهم ويسبونهم[4]، وبعد سيطرة الصليبيين على زمام الأمور في المدينة كان الاتراك يقومون بالهجوم على الاسوار بين الفينة والأخرى حتى قام تانكرد " المتعطش لدماء الاتراك"[5]، واخذ معه مجموعة من الفرسان الخبيرة بفنون القتال وخرج بشكل سرّي من أحد أبواب المدينة، وهاجم الاتراك بشكل مفاجئ وقتل منهم عددا كبيرا وعاد الى المدينة حاملا معه رؤوسهم المقطوعة[6].

بعد وصول قوات كربوغا امير الموصل، أصبح الصليبيون محاصرون داخل المدينة، واشتد بهم الأمر ونفذت المؤونة، وانتشر الجوع وارتفعت الأسعار، وبدأ الحال بالانهيار والتراجع[7]، فتقدم أسقف لي بويه أدهيمار وعاهد قادة الصليبيين ألا يفر أحد منهم حتى بلوغ مبتغاهم، غير أن تانكرد لم يكتف بالقسم فقط وانما أيضا على أن لا يتخلى عن السير الى بيت المقدس مطلقا حتى ولو يتبقى سوى أربعين فارسا[8].

وتم تقسيم الجيش الصليبي الى عدة فرق كان تانكرد على رأس احداها، واستطاعوا بذلك مواجهة قوات كربوغا والانتصار عليها[9]، وهكذا سقطت انطاكية نهائيا في يد الصليبيين[10] ، وفي هذه الفترة ظهر صراع آخر بين ريموند وبوهيمند، حيث أبدى

---

[1] مجهول، المصدر السابق، ص55؛ تيوديبوه، المصدر السابق، ص139.

[2] ألبرت، المصدر السابق، ص60؛ تيوديبوه، المصدر السابق، ص 170.

[3] يقول الأستاذ حسن عبد الوهاب في ترجمته لكتاب رادولف دي كان، اعمال تانكرد، ان تانكرد لم يكن موجودا اثناء سقوط انطاكية واقتحامها في يد الصليبيين في ذلك اليوم، لأنه كان في مهمات أخرى بعيدة عنها لجلب الطعام والكلأ للجيوش الصليبية المحاصرة للمدينة. اعمال تانكرد، المصدر السابق، ص 128.

[4] كومنينا، المصدر السابق، ص 427.

[5] ألبرت، المصدر السابق، ص90.

[6] نفسه، ص89-90.

[7] الشارتري، المصدر السابق، ص60. تيوديبوه، المصدر السابق، ص4 22-225؛ ابن العديم، المصدر السابق، ص237؛ عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 183-188.

[8] مجهول، المصدر السابق، ص 82؛ تيوديبوه، المصدر السابق، ص207.

[9] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص370.

[10] حبشي، المرجع السابق، 133.

ريموند رغبة في تسليم المدينة للإمبراطور، وهنا تدخل تانكرد الى صف بوهيمند، وتصادم مع قوات ريموند وانتصر عليها[1].

بعد أن استقرت الأوضاع في انطاكية لصالح بوهيمند تجهز تانكرد للتوجه نحو بيت المقدس مع بقية الجيش الصليبي، وكان الاتفاق أن يكون ذلك في فصل الشتاء، حتى يرتاح الجميع بعد جهد ومعاناة كبيرة عند أسوار انطاكية[2] ، وفعلا بعد الاستيلاء على معرة النعمان[3] باشر ريموند المسير الى بيت المقدس برفقته تانكرد ومجوعة من القادة الآخرين كان ذلك في جانفي 1099/ صفر 492ه[4]، وقد اختلف الصليبيون في مسألة الطريق التي ينبغي اتباعها فمنهم من رأى اتباع الطريق الساحلي لأنها ستؤمن لهم شراء ما يحتاجونه من مؤن ومستلزمات الحرب من خلال السفن القادمة من اللاذقية وأنطاكية وجزر البحر المتوسط[5]، بينما رأى تانكرد أن الطريق الساحلي سيكلفهم الكثير من الجهد والوقت للاستيلاء على المدن الساحلية، وهم مضطرون لكسب الوقت وادخار قواتهم لما ينتظرهم أمام بيت المقدس، مع التراجع الكبير في أعدادهم[6].

استبد القادة الكبار برأيهم واتجهوا نحو الساحل حيث تمكنوا من السيطرة والاستيلاء على بعض القلاع والقرى، بينما فضلت بعض المدن الصغيرة الصلح والمهادنة من دون أي مقاومة، و أعلنت لهم الطاعة ووفرت لهم المؤن والاستراحة، و الهدايا والأموال[7]، لكنهم واجهوا العديد من الصعوبات في مدن أخرى مثل عرقة وجبلة فاقت مدتها الثلاثة أشهر[8].

أدرك القادة الصليبيين أهمية اقتراح تانكرد بخصوص عدم سلوك الطريق الساحلي وصعوبة الاستيلاء على مدنه، وأن ما شاهدوه من سكانها أثناء حصارهم لها كان سببا كافيا لتبرير موقف تانكرد واقتراحه، وهنا يظهر تانكرد وكأنه خبير بالمنطقة مع أنها اول مرة له في أراضي الشام، لكن براعته وحنكته العسكرية تظهر جليا في رأيه رغم صغر سنه.

---

[1] رادولف، المصدر السابق، ص154.

[2] مجهول، المصدر السابق، ص98. الصوري، المصدر السابق، ج2، ص 18.

[3] معرة النعمان: كما وردت بلفظ "المعرة"، وهي مدينة كبيرة ومشهورة من اعمال حمص، تقع بين حلب وحماة. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص156.

[4] مجهول، المصدر السابق، ص 107. فوشيه، المصدر السابق، ص68. ريموناجيل، المصدر السابق، ص 181.

[5] ريموناجيل، المصدر السابق، ص 182؛ الصوري، المصدر السابق، ج2، ص42-43.

[6] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص400.

[7] مجهول، المصدر السابق، ص108-109؛ توديبوه، المصدر السابق، ص290.

[8] مجهول، المصدر السابق، ص112؛ توديبوه، المصدر السابق، 293.

عند وصول القوات الصليبية الى قرية عمواس[1] جاءتهم رسل من أهالي بيت لحم[2]، يسألونهم المساعدة للتخلص من الحكم الفاطمي فسار إليهما تانكرد وبلدوين دي بورج(Baldwin of bourg) وجنودهم، ورحبوا بهم وقاموا برفع راية تانكرد فوق الكنيسة رمزا للنصر، ولم يبقى أمامهم الا القليل للوصول لبيت المقدس[3].

كان وصول الصليبيين الى بيت المقدس في 7جوان 1099/ 15رجب 492هـ[4]، حيث لجأ واليها افتخار الدولة الفاطمي[5] الى اتخاد عدة إجراءات لمنع الصليبيين من دخولها، منها طمر آبار الماء وتسميمها كأول خطوة، وأرسل سفارة الى مصر لطلب النجدة من الفاطميين، ثم أعلن عن اسستعداده الجيد لمواجهة القوات المعتدية [6].

اتبع الصليبيون عدة خطط لصنع آلات الحرب والحصار لاقتحام المدينة، وكان عليهم أن يرسلوا بحملات سارت أميالاً لكي تحصل على الماء والخشب ولم يبدأ العمل في صناعة أدوات الحصار إلا بعد أن أوغل تانكرد وروبرت فلاندرز بأتباعهما حتى بلغوا الغابات الواقعة حول منطقة نابلس ووسط فلسطين وعادوا بكتل وألواح من الخشب ، وقاموا بتحميله على ظهور الإبل والأسرى المسلمون، وعادوا به الى الجيش الصليبي المحاصر لمدينة بيت المقدس[7].

طال الحصار بيت المقدس ووجد الصليبيون صعوبة في اقتحام المدينة، خاصة مع هاجس الخوف من دخول مصر لنجدة المقدسيين، وهنا بدأت المجاعة تضرب الفرنجة وأصبحوا هم عرضة للحصار أكثر من غيرهم ، وفي هذه الأثناء تمكنوا من صناعة بعض المناجيق والأبراج الخشبية المتحركة التي كان لها دور كبير في مساعدتهم على اقتحام المدينة[8]، بعد مقاومة عنيفة من المقدسيين لكن الصليبيون استطاعوا اجتياحها وارتكلوا مذبحة مروعة في حق سكانها ، إلى جانب عملية النهب والفساد في المدينة[9]، ويذكر رادولف دي كان ما وجده الصليبيون من خيرات ومذهب وفضة وجواهر

---

[1] عَمَوَاسُ: بِالْفَتْحِ بلدة بالشام بقرب القدس وكانت قديما مدينة عظيمة وطاعون عَمَوَاسَ كَانَ فِي أَيَّامِ عُمَرَ ابن الخطاب رضي الله عنه. انظر: الفيومي أحمد بن محمد(ت770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت،1987، ج2، ص429.

[2] رادولف، المصدر السابق، ص166.

[3] الصوري، المصدر السابق، ج2، ص71.

[4] مجهول، المصدر السابق، ص114؛ تودبيوه، المصدر السابق، ص 313؛ الصوري، المصدر السابق، ج2، ص94.

[5] رجل من شيعة الوزير الفاطمي الأفضل شاهنشاه، عينه واليا على حكم مدينة بيت المقدس بعد استيلاء الفاطميين عليها سنة 491هـ/ 1098م، وبقي في منصبه حتى قدوم الصليبيين ووقوع المدينة تحت أيديهم. انظر: ابن الاثير، المصدر السابق، ج9، ص19.

[6] مجهول، المصدر السابق، ص115-116-117؛ الصوري، المصدر السابق، ج2، ص99-100.

[7] ريموناجيل، المصدر السابق، ص243؛ فوشيه، المصدر السابق، ص73؛ تودبيوه، المصدر السابق، ص 316؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص420.

[8] رادولف، المصدر السابق، ص182؛ ريموناجيل، المصدر السابق، ص243-246؛ مجهول، المصدر السابق، ص117. الصوري، المصدر السابق، ج2، ص102-104.

[9] مجهول، المصدر السابق، ص119؛ تودبيوه، المصدر السابق، ص318.

وجمال الصنعة والزينة المتميزة والفن المتقن في قوله : "... في تلك الاثناء بينما كان زئير الحرب ونفيرها يدوي في أرجاء المدينة، احتشدوا جميعا هناك، هذا يحدوه أمل القتل وذاك يحدوه أمل السلب ، وسرعان ما تناوشتهم أمال أخرى، فكل منهم تسوقه شهوته وتستبد به... واستعر النهب وتواصل، وانهارت البوابات وتهاوت وتساقطت زخارف هيكل سليمان وزيناتها، وتحطمت أشياء كثيرة..."[1].

وبعد سقوط بيت المقدس جهّز الفاطميون جيشا وتوجهوا به نحو بيت المقدس، وكانت المواجهة مع الفرنجة في عسقلان حيث دارت رحى المعركة[2]، وانقض القادة على الفاطميين، حيث قام ريموند بقذف الكثير منهم في البحر أما تانكرد وروبرت فلاندرز فقد أوغلا في معسكر الفاطميين وقتلوا منهم ما شاء لهم[3]، وتمكنت سيوفهم من الفاطميين حتى ألحقوا بهم الهزيمة[4]، وقد نتج عن ذلك أن ثبتت اقدام الصليبيين في فلسطين[5].

بعد الاستيلاء على بيت المقدس وعسقلان، أدرك الصليبيون وجوب السيطرة على منطقة الجليل وطبرية[6]، نظرا لموقعهما الاستراتيجي وخيراتهما المتنوعة، وحتى يكتمل أيضا مشروعهم في الشرق، ويضمنون استمرار دولتهم الناشئة، وعهد جودفري لتانكرد مهمة الاستيلاء على هذه المنطقة الحيوية، وجهز تانكرد نفسه متخذا من نابلس[7] قاعدة لانطلاقه ، مع العلم أن هذا الإقليم تحت سيطرة الفاطميين وحاكم دمشق[8]، وقد استطاع الاستيلاء على طبرية، ثم احتل بيسان وضمها تحت سيطرته[9]، وباحتلال للأجزاء الشمالية من فلسطين يكون قد أسس ما يعرف بإقطاعية الجليل الصليبية.

ويمكن القول أن تانكرد كان أكثر قائد صليبي نشاطا وحركة بعد سقوط بيت المقدس، بحيث انه لم يتوقف عن احتلال وإخضاع المناطق الإسلامية في بلاد الشام من والى الجليل ثم حيفا.

4- تانكرد وصيا ثم حاكما على أنطاكية:

بعد وفاة جودفري دي بوايون ظهر أخاه بلدوين ليكون الحاكم الجديد لبيت المقدس، ورغم الخلافات التي كانت بينه وبين تانكرد الذي رفض الدخول تحت

---

[1] رادولف، المصدر السابق، ص183-184-185.
[2] مجهول، المصدر السابق، ص121.
[3] نفسه، 121؛ توديبوه، المصدر السابق، ص339.
[4] ابن القلانسي، المصدر السابق، ص137.
[5] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص444.
[6] طبرية: بليدة مطلة على البحيرة المعروفة بحيرة طبرية، بينها وبيت المقدس وعكا يومان، ودمشق ثلاثة أيام، وحاليا تعد من المدن الفلسطينية. انظر، الحموي، المصدر السابق، ج4، ص17.
[7] نابلس: مدينة مشهورة بفلسطين، بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص248.
[8] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص451.
[9] نفسه، ج2، ص17.

وصايته، حاول استمالته، وتجنب الصدام معه مرة أخرى لعلمه بشخصيته القوية الاستقلالية، وأيضا حتى يحصل منه على الاعتراف بأحقيته في حكم بيت المقدس وأن يتنازل له عن منطقة الجليل[1].

وفي هذه الفترة أسر بوهيمند في معركة قرب ملطية[2]، ووصلت تانكرد رسالة من أهل انطاكية يدعونه للحضور لاستلام الوصاية عليها حتى إطلاق سراح بوهيمند من الأسر[3]، وهنا ما يمكن القول انّه تم قطع سبل الخلاف، ذلك أن هذين الوريثين قد ورثا حكما مرموقا، فبلدوين كان له بيت المقدس وتانكرد أنطاكية، وكان يدرك جيدا أن امارته ستكون لفترة قصيرة، وعليه أن ينتظر نهايتها بإطلاق سراح بوهيمند وعودته الى انطاكية[4].

بعد استلامه لحكم أنطاكية أراد تانكرد أن يهاجم بلدوين دي بورج حاكم الرها الجديد، ولكنه صرف اهتمامه عن ذلك، وتوجه نحو حدود بيزنطة، وشن حربا قصيرة خاطفة على كل من المصيصة واذنة وطرسوس واعاد اخضاعها مرة ثانية خاضعة للفرنجة، بعد ان تخلى عنها بوهيمند[5] ، و عاد بعد ذلك الى اللاذقية وقام بمهاجمها بكل قواته ، و بسبب حصانتها وجد صعوبة في الاستيلاء عليها، رغم أنه دمّر الكثير منها [6]، ثم تمكن من أسر ريموند بسبب تحالفه مع الكسيس ضد بوهيمند وأنطاكية[7].

استطاع تانكرد حصار اللاذقية مرة أخرى في سنة 1102م/495هـ وطال زمن ذلك قرابة العام ونصف، حيث تمكن من نصب كمين لسكانها واستطاع دخولها[8]، وراح يحرض الفرنجة على افتداء بوهيمند، وبالأخص بلدوين على الرغم أن عودته ليست في صالحه، وهكذا عاد بوهيمند بعد افتدائه بمئة ألف ميخيلة Michela [9] ، وأعاد اليه تانكرد حكمه وما ملكه واستولى عليه من بعده[10].

---

[1] ألبرت، المصدر السابق، ص187-192.
[2] رادولف، المصدر السابق، ص196.
[3] فوشيه، المصدر السابق، ص115.
[4] رادولف، المصدر السابق، ص198.
[5] نفسه، ص198.
[6] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص61.
[7] رادولف، المصدر السابق، ص201.
[8] نفسه، ص203.
[9] ميخيلة: عملة ذهبية استخدمت في المعاملات الرسمية، وسكت في القسطنطينية على اسم الامبراطور ميخائيل. انظر: رادولف، المصدر نفسه، ص292.
[10] نفسه، ص204.

بعد محاصرة الأتراك للرها وتنفيذ هجومهم عليها وقع حاكمها بلدوين دي بورج في الأسر[1]، فسارع باقي الفرنجة للاجتماع فيها قصد اختيار خليفة له، ووقع اختيارهم على تانكرد حيث بقي فيها لادارة شؤونها[2].

ترك بوهيمند أنطاكية متوجها للغرب اللاتيني بحثا عن الدعم والمساندة[3]، وخلف مكانه تانكرد، في وقت كانت فيه أوضاع الامارة في غاية السوء بعد حصارها من طرف الاتراك من الشرق والبيزنطيين من البحر، وزادت معاناتها من جراء نقص المؤونة، واستطاع تانكرد التصدي لهجوم رضوان بن تتش عليهم الذي فرّ مع جنوده، ثم عاد منتصرا من حصن ارتاح[4] وحاصر مدينة أفاميه[5] و تمكن من جمع غنائم كثيرة، وعندما عانت اللاذقية من نقص شديد في المؤن بسبب الحصار المفروض عليها من طرف البيزنطيين بدل تانكرد كل جهد للمحافظة على هذه المدينة ومحاولة لا بقاءها تحت إمرته[6].

الملاحظ أنه كلما تقدمت الجيوش الصليبية اتضحت جيدا نواياها العدوانية وأصبح الدافع الشخصي والطمع هي المحرك الأول لها، وقد برز ذلك في الصراع والخلاف الدائم بين قادتها، اذ أن العامل الديني لم يكن متأصلا في مشروعهم عند التوجه الى الشرق، اذ برزت الرغبة الكبيرة في الحصول على اقطاعيات جديدة، وهذا ما خلق حالة الانفراد التي كانت عليها كل امارة من الامارات الصليبية في الشرق حيث لم تكن هناك روابط مشتركة بين هذه الامارات إلا بهدف تحقيق مصلحة ما وذلك ما سوف يؤدي الى التفاوت في العلاقات والروابط خاصة في الجانب العسكري والسياسي بين الكيانات الصليبية الناشئة في العالم الإسلامي .

---

[1]فوشيه، المصدر السابق، ص132؛ ألبرت، المصدر السابق، ص242؛ ابن القلانسي، المصدر السابق، ص143؛ ابن الاثير، المصدر السابق، ج9، ص73؛ متى الرهاوي، المصدر السابق، ص139؛ الصوري، المصدر السابق، ج2، ص251؛ رادولف، المصدر السابق، ص208.

[2]ألبرت، المصدر السابق، ص243؛ ابن الاثير، المصدر السابق، ج9، ص74.

[3]فوشيه، المصدر السابق، ص131؛ الصوري، المصدر السابق، ج2، ص 257. الرهاوي، المصدر السابق، ص140؛ ابن القلانسي، المصدر السابق، ص146؛ ابن العديم، المصدر السابق، 249.

[4]ارتاح: حصن منيع، من العواصم، من اعمال حلب. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص133.

[5]افاميه: وهي مدينة قديمة، وبها اثار رومانية عظيمة، ولها قلعة منيعة في نهاية القوة، وهي في طريق حماة. انظر: ابن العديم الحلبي(ت660هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: المهدي عيد الرواضية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1438هـ/2016م، ج1، ص275

[6]رادولف، المصدر السابق، ص211-214.

الفصل الثاني

العلاقات بين الامارات الصليبية في المشرق الإسلامي

1098-1187م/491-583هـ

المبحث الأول: إشكالية العلاقة بين مملكة بيت المقدس والامارات الصليبية

1 -العلاقة بين مملكة بيت المقدس وامارة الرها

2- العلاقة بين مملكة بيت المقدس وامارة انطاكية

3- العلاقة بين مملكة بيت المقدس وإمارة طرابلس

المبحث الثاني: العلاقات بين باقي الامارات الصليبية

1- العلاقة بين إمارتي الرها وأنطاكية

2- العلاقة بين إمارتي طرابلس والرها

3- العلاقة بين امارة انطاكية وإمارة طرابلس

المبحث الثالث: الامارات الصلبية ما بين سقوط الرها وموقعة حطين1144 م-1187م /539-583هـ

1- سقوط إمارة الرها وردود فعل الامارات الصليبية

2- دور الامارات الصليبية في الحملة الصليبية الثانية 543هـ/1148م:

3- العلاقة بين الامارات الصليبية خلال الفترة النورية 1148-1174م/543-569هـ

4- الصراع الصليبي الصليبي وظهور صلاح الدين الايوبي

5- امارة طرابلس ودورها في الحملة الصليبية الثانية:

6- العلاقة بين الامارات الصليبية خلال الفترة النورية 1148 -1174م /543-569ه

7- الصراع الصليبي الصليبي وظهور صلاح الدين الأيوبي

تأسست الامارات الصليبية في المشرق الإسلامي، وبدأت ترسخ وجودها على الأرض بشكل واضح وجلي، وقد أظهرت الحملة الصليبية الأولى خلفيات الوجود الصليبي في بلاد الشام وكشفت عن النوايا الحقيقية للقادة والأمراء الصليبيين في هذه المنطقة، في وقت أصبح وجودهم أمرا واقعا.

تشكل الكيان الصليبي من مملكة وثلاث امارات توزعت بين شمال وجنوب بلاد الشام ، اختلفت في شكلها ونمط حكمها وعلاقاتها كل حسب ظروف قيامه وتواجده والعوامل المحيطة به، وما كان لهذه الامارات أن تقوم لها قائمة لولا حالة التشرذم

والانقسام التي عاشها العالم الإسلامي خلال تلك الفترة بسبب الصراعات والخلافات التي شملت جميع أرجاءه بين الدول القائمة والأسر الحاكمة في ذلك الوقت ، مما سهل من مهمة الصليبيين وساعدهم على تثبيت وجودهم وإنشاء امارات في أراضي المسلمين ، ومن الملاحظ أن هناك ثلاث مجموعات رئيسية من الغزاة الاوربيين ساهمت بشكل كبير في هذا العمل ، فالرها وبيت المقدس تم تأسيسها من قبل سكان اللورين أي شمال فرنسا وجزء من ألمانيا، وأنطاكيا من طرف النورمان الذين استقروا في جنوب إيطاليا، أما طرابلس فكانت من قبل البروفانس الذين كان موطنهم جنوب فرنسا[1].

كان التنافس والصراع بين قادة الحملة الأولى في طريقهم نحو بيت المقدس على أشده، فكل طرف كانت له مصالح وأطماع وأهدافه مسبقة، إلاّ أن ذلك لم يمنع من وجود تعاون وتنسيق متعدد الأطراف بغرض اقامة علاقات بينية قوية تمكن الجميع من البقاء والاستمرار مما سيكون له الأثر الايجابي في البناء الداخلي الصليبي وفي جميع المجالات.

تمكن الصليبيون بعد سيطرتهم على بيت المقدس في 15جويلية 1099م/ 15رمضان 492هـ من تحقيق الهدف الأساسي المعلن من قيامهم بالحروب الصليبية[2]، واستطاعوا تثبيت اقدامهم في منطقتين أساسيتين شمال بلاد الشام هما الرها وأنطاكية، مما ترك رغبة لدى جميع القادة بتأسيس دولة في بيت المقدس تكون ركيزة وعاصمة للتواجد الصليبي في الشرق.

كان الوجود الصليبي في بداية الأمر محصور في نطاق جغرافي ضيق ، يقع بين البحر المتوسط وبادية الشام وأغلب هذه الأراضي تلاصق أو قريبة جدا من البحر المتوسط باستثناء الرها، بينما لم يتجاوز متوسط عرضها بين البحر والجبال والصحراء خمسين ميلا [3] ، كما لم يكن لهم أسطول بحري خاص بهم وتحيط بهم من جميع النواحي قوى إسلامية مختلفة ، اذ اصبح الصليبيون وكأنهم في جزيرة مهددة في أي وقت في حالة قيام صحوة إسلامية قد تقضي على وجودهم في بلاد الشام، لذلك فإن الدويلات الفرنجية لم تكن إلاّ مجرد حاميات غلب عليها الطابع العسكري في تاريخها[4]، وكان لزاما على الصليبيين في هذه الظروف أن تنشأ فيما بينهم علاقات بينية اختلفت طبيعتها حسب ما أوجبته ظروف تلك المرحلة والمصلحة المشتركة لجميع الأطراف.

المبحث الأول :إشكالية العلاقة بين مملكة بيت المقدس والامارات الصليبية

[1] انظر الملحق رقم: 3.
[2] البيشاوي، المرجع السابق، ، ص62.
[3] الباز العريني، المرجع السابق، ص278.
[4] هارولد فنك، المرجع السابق، ص 63.

ارتبطت مملكة بيت المقدس منذ نشأتها بعلاقات متميزة مع الامارات الصليبية، بحكم كونها الكيان الصليبي الأكبر في المنطقة، هذا إلى جانب المكانة الدينية التي تتمتع بها [1] مما سمح لها بالسيادة على الامارات اللاتينية. ومع ذلك فإن الامارات الواقعة في شمال الشام، اشتهرت بكثرة سكانها مقارنة بسكان الجنوب، كما أن اللاتين استمروا في انطاكية وطرابلس نحو مائة سنة بعد سقوط بيت المقدس، يضاف الى ذلك أن طبيعة الأرض في الامارات الواقعة شمال الشام، تزيد خصوبة على أرض الجنوب، زيادة على ذلك فإن اتصال هذه الجهات الشمالية بقبرص وأرمينيا له أهمية في حمايتها، فضلا عن بعدها عن مصر، التي تعتبر منذ زمن صلاح الدين مركز القوة الإسلامية[2].

في الحقيقة، لم يكن لملوك بيت المقدس أي امتيازات أو تفوق على أمراء الإمارات الأخرى، الذين كانوا يرتبطون شكلياً بالملك من خلال بيعة الخضوع والطاعة. ولكن عملياً، كان الملك يشغل منصباً شرفياً كرئيس رمزي فيما يشبه اتحاداً فيدرالياً بين الدول، حيث كان جميع الأعضاء متساوين في الحقوق والسلطة. وبالتالي، كان حكام أنطاكية والرها وطرابلس يمتلكون نفس السلطة التي كان يمتلكها ملك بيت المقدس في إماراتهم ودوقياتهم، دون أن تكون له سلطة فعلية أو تأثير أكبر عليهم[3].

وتظهر أفضلية مملكة بيت المقدس على بقية الامارات من ناحية الحقوق في جانبين إثنين:

-أولا: الوصاية على العرش، فإذا مات الأمير ولم يترك وريثا للعرش، أو كان الوريث صغيرا في السن لا يقوى على القيام بأعباء الحكم، فعندئذ يصبح لملك بيت المقدس الحق في تولي الوصاية على العرش، أو الوصاية على الأمير القاصر[4].

- ثانيا: يتولى ملك بيت المقدس فض النزاع بين الأمراء والصلح فيما بينهم حتى لا يتفكك الكيان الصليبي ويسهل القضاء عليه[5].

ومع ذلك ففي بداية حكم جودفري كحامي لبيت المقدس، وقع اشكال في علاقته ببقية الامارات الصليبية (الرها، انطاكية)، هل يحق له بصفته تلك أن يباشر سيادته على أميري أنطاكية والرها أم لا؟ لأنه في حد ذاته لم يتمتع بلقب الملك، وهذا ما صعب من أحقيته في الزعامة على بقية الأمراء الصليبيين في بلاد الشام[6]، مما جعل فترة حكمه لا يتضح فيها ذلك بشكل جلي بحكم أنها كانت حوالي عام واحد فقط ، بل ان جودفري

---

[1] باركر، المرجع السابق، ص46.

[2] نفسه، ص41.

[3] زابوروف، المرجع السابق، ص39-40.

[4] باركر، المرجع السابق، ص 53.

[5] نعيمة الساحلي، الاستيطان الفرنجي وتأثيره في البيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للكيانات الصليبية في فلسطين والساحل الشامي، دار قتيبة، ط1، سوريا، 2009، ص 334.

[6] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص220.

وبوهيمند أمير انطاكية في حد ذاتهما قدما يمين الولاء والطاعة لبطريرك بيت المقدس الجديد دايمبرت البيزي[1]، الذي اعتبرهما تابعين وحماة له فقط، أي أن هذه المرحلة تميزت بسيطرة الكنيسة على المشهد السياسي للإمارات الصليبية[2] ، لكن ذلك لم يدم طويلا فبوصول بلدوين البولوني للحكم تلقب بملك بيت المقدس، وسوف تعرف هذه الفترة تغيرات كبيرة وأحداث عديدة في علاقة المملكة ببقية الامارات الأخرى.

تمتع بلدوين بمؤهلات الملك ورجل الدولة فمنذ وصوله لبيت المقدس تجنب الصدام مع تانكرد وأراد تجاوز الخلاف السابق بينهما، وأرسل اليه عديد الدعوات الرسمية خاصة وأن تانكرد كان يسيطر على منطقة استراتيجية وهي اقطاعية الجليل، أين تم فيما بعد اللقاء بينهما واتفقا على تسوية مرضية لجميع الأطراف[3]، خاصة بعد أن أسر بوهيمند أين أصبح منصب أمير أنطاكية شاغرا، مما جعل تانكرد الوصي الأول عليها حتى عودة بوهيمند[4]، كما أن بلدوين الأول ثم تنصيبه في بيت لحم وليس بيت المقدس لكي لا يدخل في صراع مع الكنيسة منذ البداية ويتجنب الصدام الديني العلماني الذي كان سائدا في أوربا[5].

ومع ذلك فقد تمتعت هذه الامارات بسيادة كاملة على أراضيها حيث كان لكل منها قوانينها الخاصة، كما أن ملوك بيت المقدس لم يحاولوا اطلاقا تطبيق مركزية الحكم من الناحية السياسية، ذالك أن طرابلس وأنطاكية والرها لم تكن يوما جزءا من مملكة بيت المقدس، لكن جمعت فيما بينهم تحالفات وعلاقات متنوعة[6].

1-العلاقة بين مملكة بيت المقدس وامارة الرها:

تعود العلاقات الأولى بين مملكة بيت القدس وكونتية الرها لأول زيارة قام بها الكونت بلدوين الأول بعد تنصيب أخيه جودفري حاكما على مملكة بيت المقدس وحاميا لقبر المسيح ، أين أستقبل بحفاوة كبيرة وفرحة عظيمة ليكون أول لقاء رسمي

---

[1] دايمبرت: Daimbert of Pisa ذكره دانيال باسم داجوبيرت، كان رئيسا لأساقفة بيزا، حضر مع مجموعة من المرافقين إلى ميناء اللاذقيةLaodicea، واختير بطريركا على بيت المقدس في ديسمبر سنة 1099 م / صفر سنة 493 ه. ولعب دورا كبيرا في عزل البطريرك السابق، وحاز دايمبرت على مكانة كبيرة عند الأمير جودفري البويوني، بسبب ما قدمه من هدايا للأمير. وكان يسعى دوما إلى تبوء منصب بطريرك بيت المقدس من أجل جمع المال أكثر من الاهتمام بشؤون الكنيسة. معتمدا على تأييد بوهيمند النورماندي وبلدوين سيد الرها، بعد أن قدم لهما الهدايا بنفسه. وقد أشار أحد المؤرخين المحدثين الى ان دايمبرت كان من المؤيدين المخلصين للبابا اربان الثاني. أنظر: سعيد عبد الله البيشاوي، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية (1099-1291)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص80-81.

[2] هارولد فنك، المرجع السابق، ص69-70.

[3] هارولد فنك، المرجع السابق، ص73-74.

[4] رادولف، المصدر السابق، ص198.

[5] Grousset, op. Cit vol2, p29.

[6] مبروك بن مسعود، العلاقات الخارجية لإمارة انطاكية الصليبية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2012-2013، ص80.

بين الطرفين[1] ، وعلى الرغم من الفترة القصيرة لحكم جودفري إلاّ أن التعاون العسكري مع الرها كان حاضرا بين الطرفين فعندما استنجد به عمر والي عزاز وطلب مساعدته لصد قوات رضوان بن تتش حين محاصرته له في شهر سبتمبر 1098 م/491ه ، و لم يكن في وسع جودفري حين ذاك أن يشن حربا على حلب دون الاستعداد الكافي ، تمكن من الحصول على مساعدات عسكرية من أخيه بلدوين ومن بوهيموند ، وعندئذ رفع رضوان الحصار عن عزاز وسحب قواته إلى حلب[2].

ومن الطبيعي جدا أن يكون هناك تعاون بين الصليبيين وعلاقات قوية بين مملكة بيت المقدس والرها خلال هذه الفترة، ذلك أن إمارة الرها لم تكن في حقيقة الأمر و حسب شهادة أحد المؤرخين[3] إلاّ اقطاعا طبيعيا تابعا لمملكة بيت المقدس الصليبية، و يتضح ذلك جليا حينما وقع بلدوين دي بورج أمير الرها في الأسر، حيث أرسل شمس الدولة جكرمش حاكم الموصل (500-495هـ/1101-1106م) عرضا الى تانكرد يتضمن اطلاق سراح بلدوين دي بورج (الثاني) مقابل اطلاق سراح أميرة سلجوقية نبيلة كانت لديه أو أن يدفع مقابل اطلاق سراحها خمسة عشر ألف بيزنت، وهنا أسرع ملك بيت المقدس بالكتابة لبوهيمند وتانكرد يطلب منهما إطلاق سراح الأميرة مقابل عودة بلدوين دي بورج لإمارته، رغم أن أمير انطاكية كان يفضل بقاء أمير الرها في الأسر[4].

ومن المظاهر التي تعكس العلاقات الوطيدة بين المملكتين أيضا، تلك المراسلة العاجلة التي أرسلها ملك بيت المقدس الى تانكرد بصفته الوصي على أنطاكية وإلى بلدوين دي بورج أمير الرها الجديد سنة 1102م/ 496هـ يستنجد بهما لامداده بدعم عسكري في صراعه مع الفاطميين، ولم تلبث هذه النجدة التي بلغت خمسمائة من الفرسان وألفا من المشاة أن وصلت يافا في سبتمبر1102م /496 هـ وعلى رأسها أميرا انطاكية والرها [5].

وعندما أطلق سراح بلدوين أمير الرها من الأسر، وأحتدم الصراع بين الرها وأنطاكية لم تدخل أنطاكية ضمن نطاق النفود الاقطاعي لملك بيت المقدس، وانما كانت الرها هي التي تتبعه كما أسلفنا الذكر، لذا قام ملك بيت المقدس بدور أساسي في الوساطة، حيث أحضر تانكرد أمام مجلس البارونات وأجبره على الصلح مع بلدوين دي بورج وجوسلين دي كورتناي [6]،وبفضل هذا التدخل تم الصلح بين أنطاكية والرها

[1]ألبرت أخن، المصدر السابق، ص168-169.
[2]ألبرت أخن، المصدر السابق، ص110-112، عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 179
[3]باركر، المرجع السابق، ص46.
[4]ألبرت اكس، المصدر السابق، ص244-245.
[5]عاشور، الحركة، ج1، ص242، 243.
[6]الجنزوري، المرجع السابق، ص207.

وتم تحقيق رغبة الملك في عودة السلطة الشرعية للرها لبلدوين دي بورج وليس للنورمان[1].

وعندما هاجم شرف الدولة مودود[2] حاكم الموصل الرها عام1110 م/505هـ، وهددها الجيش السلجوقي خاف بلدوين دي بورج من تكتل القوى الاسلامية ضده وأسرع بالاستنجاد بمملكة بيت المقدس لحمايته والدفاع عن امارته[3] ورغم انشغال بلدوين بحصار بيروت، إلاّ أنه استطاع أن يعقد حلفا صليبيا وأن يجمع جيشا ضخما بلغ عدده حوالي خمسة عشر ألفا[4] واتجه به للدفاع عن الامارة وحمايتها من الخطر الداهم [5].

يلاحظ مما سبق أن قادة الفرنج تناسوا الخلافات الجانبية وتحالفوا فيما بينهم لمحاصرة الخطر الإسلامي الذي يهدد الرها، واتفقوا على انقاذ الامارة من السقوط، لأنها البوابة الشرقية للأمارات الافرنجية في بلاد الشام.

تعاقبت الأحداث ومات الملك بلدوين الأول عام 1118م/ 512هـ وتولى حكم بيت المقدس ابن عمّه أمير الرها بلدوين دي بورج بفضل موقف جوسلين دي كورتناي الذي تولى حكم الرها، ويعلق غروسيه[6] على وضع الرها وعلاقتها مع بيت المقدس في هذه الفترة فيقول:" كانت امارة الرها في أول الأمر مستقلة تماما عن القدس واتصلت أول مرة بمملكة بيت المقدس عندما أصبح بلدوين الأول ملكا فأقطع بلدوين دي بورج الرها، ثم ازداد ذلك الاتصال قوة عندما أختير بلدوين الثاني (دي بورج) ملكا على بيت المقدس فأقطع الرها لجوسلين" [7].

وبدأت بوادر التعاون بعد أن توجه ايلغازي بن أرتق[8] أمير حلب لمهاجمة الفرنج في أعمال انطاكية، فاجتمع الملك بلدوين الثاني مع جوسلين أمير الرها وقادة انطاكية لصده سنة 514هـ/1120م.[9]

---

[1] Grousset, op. Cit. Vol2, p286.

[2] شرف الدولة مودود: أو مودود بن التنطاش أو التونتكين حاكم الموصل 502-507هـ/1109-1114م، من أبرز القادة المسلمين الأوائل المتمسكين بفكرة الجهاد ضد الصليبيين. أنظر: عاشور، الحركة، ج1، ص342.

[3] ابن القلانسي، المصدر السابق، ص169؛ ألبرت اكس، المصدر السابق، ص 284.

[4] انظر الملحق رقم : 4.

[5] الجنزوري، المرجع السابق، ص209-210؛ ألبرت اكس، المصدر السابق، ص284-286.

[6] Grousset, op, cit, vol3, p36.

[7] جوسلين دي كورنتاي: من كبار قادة الفرنجة، قدم من مقاطعة جاتنيكGatinoic الفرنسية، وبقي حاكما للجليل حتى عام 513ه/1119م، حيث أصبح حاكما للرها. انظر: هارولند فنك، المرجع السابق، ص131.

[8] ايلغازي بن أرتق: نجم الدين بن الأمير ارتق بن اكسك التركماني(516-502هـ/1108-1122م)، صاحب ماردين كان من أمراء تاج الدولة تتش صاحب الشام، وكان ذا شجاعة، ورأي، وهيبة وصيت، وقد حارب الفرنج عدة مرات في مواقع مختلفة. أنظر: الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748 هـ /1374 م): سير أعلام النبلاء، تع: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، 1985، ج19، ص 435.

[9] الصوري، المصدر السابق، ج2، ص348-352؛ متى الرهاوي، المصدر السابق، ص223.

وعندما وقع جوسلين في أسر بلك الأرتقي[1] في 13 سبتمبر 1122م/ رجب 516هـ أصبحت امارة الرها في وضع صعب لكن بلدوين الثاني قام بعدة إجراءات إدارية وسياسية وعسكرية للمحافظة عليها وتحمل في ذلك عبئا كبيرا بسبب الأوضاع العامة التي يعيشها الصليبيون[2].

حتى أن الملك بلدوين الثاني نفسه تعرض للأسر أثناء تجوله في بلاد جوسلين للاطمئنان على أوضاع الامارة عند غياب أميرها، اذ هوجم من طرف بلك والقى القبض عليه[3] ، وتم إطلاق سراح الملك بلدوين الثاني بعد ان دفع فيه عشرين ألف دينار[4]، ويعلق متى الرهاوي عن فك اسره ويقول بأن الفضل في ذلك يعود الى جوسلين حاكم الرها والجهود التي بدلها في ذلك[5].

وفي عام 1127م/ 521هـ تدخل ملك بيت المقدس للوساطة بين كل من جوسلين الأول أمير الرها وبوهيمند الثاني[6] أمير انطاكية وأنهى الخلاف الذي نشأ بينهما[7] خشية أن تؤدي تلك الخلافات الى منح المسلمين فرصة قد يستغلونها لتقويض دعائم الامارتين الافرنجيتين ، وأمر ، ناهيك أن الخصمين كان تربطهما صلة قرابة مع الملك بلدوين الثاني، فالكونت جوسلين ابن عمته، والأمير بوهيمند الثاني زوج ابنته، لذلك اسرع الى اصلاح البين وتقريب وجهات النظر وتمتين العلاقة بينهما ، اذ لم يتخل ملك بيت المقدس عن نجدة الرها كلما كانت في حاجة لذلك ، لأن الرها تعتبر الحصن الشرقي للتواجد الصليبي في العالم الإسلامي.[8]

أما خليفة بلدوين الثاني على عرش بيت المقدس فولك الأنجو[9]Foulquesdanjou، فإنه لم يستطع حقيقة فرض وجوده على امارات الشمال - الرها وانطاكية-[1]، ومع ذلك

---

[1]بلك الارتقي: نور الدولة بلك بن برهام الأرتقي، وهو ابن أخي سقمان وايلغازي، كان صاحب مدينة سروج فانتزعها منه الصليبيون، ولكن ما لبث ان استولى على مدينتي عانة والحديثة سنة 497هـ/1103. أنظر: أبو الفداء، المصدر السابق، ج2، ص34.

[2]ابن العديم، المصدر السابق، 282؛ متى الرهاوي، المصدر السابق، ص 225؛ الجنزوري، المرجع السابق، ص211؛ ماير، المرجع السابق، ص 153.

[3]الرهاوي، المصدر السابق، ص225؛ ابن العديم، المصدر السابق، ص 284. الصوري، المصدر السابق، ج2، ص 363.

[4]ابن العديم، المصدر السابق، ص291.

[5]الرهاوي، المصدر السابق، ص ص228، 236-237؛ ابن العديم، المصدر السابق، ص 285.

[6]بوهيمند الثاني: هو ابن بوهيمند بن روبرت جويسكارد من نورمان صقلية، قدم الى الشرق سنة 1126م/520هـ وتولى حكم انطاكية، وتزوج من اليس ابنة بلدوين الثاني، وفي سنة 1130م/524هـ لقي مصرعه على يد فرقة من قوات غازي الدانشمند السلجوقي.
انظر: الصوري، المصدر السابق، ج3، ص72،58؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص292.

[7]الجنزوري، المرجع السابق، ص214.

[8]Grosset, op. Cit. V3, p164-163.

[9]فولك الأنجو رابع حاكم لبيت المقدس أثناء الوجود الصليبي، وهو زوج ميلسند أكبر بنات بلدوين الثاني، كان قد قدم لفلسطين قبل تتويجه بعامين، وعمره 38سنة، واكتسب خبرة عسكرية وسياسية وتدرب اثناء تعيينه في عدة مدن فرنسية مثل تورين، مين، انجو، كما أصبح حاكما لعكا وصور قبل تعيينه ملكا، واستلمها بعد زواجه من ميلسند

عندما هزم ملك بيت المقدس أمام عماد الدين زنكي[2] 534هـ/1140م، طلب المساعدة من أمير الرها وأنطاكية فلم يتخلف عن لنجدته[3]، وفي عام 1144/539م عندما حاصر زنكي الرها وارسل جوسلين الثاني يستنجد بمملكة بيت المقدس أرسلت الملكة مليسند[4] جيشا بقيادة حاكم نابلس وحاكم طبرية[5] وانتظر جوسلين في تل باشر وصول جيش المملكة لكنه جاء متأخرا جدا[6]، وكانت الرها قد سقطت في يد عماد الدين زنكي وكانت اول امارة صليبية يسترجعها المسلمون من الصليبيين بعد حوالي خمسين سنة من تأسيسها.

2- العلاقة بين مملكة بيت المقدس وامارة انطاكية:

تعود العلاقات الفعلية بين مملكة بيت المقدس وأنطاكية، إلى موقعة الرملة الثانية سنة 1102م/ 495هـ عندما قرر الفاطميون تحت قياد شرف المعالي ابن الوزير الأفضل اعداد حملة كبيرة من المغاربة و العرب والسودان لمهاجمة الصليبيين من أجل الانتقام للهزيمة التي لحقت بهم في سهل الرملة في السابع من سبتمبر 1101 م /494 هـ حيث سلك الفاطميون الطريق من عسقلان إلى الرملة واللد ويازور ، ومن هناك اتجهوا الى تهديد يافا وبيت المقدس[7].

كان الملك بلدوين الأول قد استهان بالقوات الفاطمية وربما أصابه غرور الانتصار الذي حققه في حملته الأولى فخرج في 17 ماي من بيت المقدس قاصدا الرملة في مائتي فارس ، فباغتهم الفاطميون وقتلوا منهم الكثير وألحقوا بهم هزيمة نكراء ، مما أجبر بلدوين ومن تبقى من رجاله الفرار الى الرملة ومنها الى يافا عن طريق البحر ، وفي تلك الأثناء أرسل بلدوين الأول رسالة عاجلة إلى تانكرد صفته الوصي على أنطاكية وبلدوين دي بورج أمير الرها يطلب منهما امداده بنجدة سريعة ، قوامها

توفي 1143م/538هـ. انظر: الصوري، المصدر السابق، ج3، ص89-93. وكذلك: هارولند فنك، المرجع السابق، ص118.

[1] الجنزوري، المرجع السابق، ص216.

[2] عماد الدين زنكي: أبو الجود عماد الدين زنكي بن أقسنقر بن عبد الله الملق بـ " الملك المنصور"، أبو المظفر التركي، المعروف بابن قسيم الدولة، ولد سنة 487هـ/1094م بحلب وتربى بها، كان ضمن جيش الأمير مودود صاحب الموصل الذي قتل بدمشق، وترقت به الحال حتى ملك الموصل، كان من الامراء المقدمين، ومن أبرز الامراء في العهد السلجوقي، ويقال له اتابك لان السلطان محمود سلم له ابنه فرخشاه ليربيه، وقيل ولدين، قتل عماد الدين سنة 541هـ/1146م. أنظر: ابن خلكان أبو العباس شمس الدين احمد محمد(ت681ه/1457م)، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1987، مج2، ص327؛ ابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن بن عبد الله الشافعي(ت571هـ)، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1995، ج19، ص85؛ ابن العديم، المصدر السابق ، ص378.

[3] الصوري، المصدر السابق، ج3، ص140؛ حسن حبشي، نور الدين والصليبيون، دار الفكر العربي، القاهرة، دت، ص30.

[4] زوجة فولك والوصية على ملك بيت المقدس بعد وفاة والده. أنظر: هارولند فنك، المرجع السابق، ص126.

[5] الصوري، المصدر السابق، ج3، ص238.

[6] الجنزوري، المرجع السابق، ص217.

[7] عاشور، الحركة، ج1، ص 240.

خمسمائة من الفرسان وألف من المشاة وصلت يافا في سبتمبر 1102 م وعلى رأسها أمير الرها وأنطاكية، وبفضل تنظيمهم تمكنوا من انزال الهزيمة بالجموع الفاطمية التي فضلت الانسحاب إلى عسقلان[1].

وفي ظل التعاون البناء بين الأمراء الصليبيين أثار اجتماع بلدوين الأول وتانكرد عدة مشاكل ذات أهمية محورها تحديد العلاقة بالضبط بين امارتي انطاكية والرها من ناحية ، ومملكة بيت المقدس من ناحية أخرى، ويبدو أن أهم مسألة أثيرت في هذه المناسبة هي رغبة بلدوين الأول في التخلص دايمبرت بطريق بيت المقدس الذي أتهم بسوء تصرفاته وبتآمره ضد الملك وجشعه ، ونظرا للأدلة الدامغة حول هذه التهم أصدر المندوب البابوي حكماء باعفاء دايمبرت من منصبه ومغادرته إلى أنطاكية وعهد إلى تانكرد برعاية كنيسة القديس جرجس سنة 1202 م ، وقد أقر لبلدوين في هذا الوقت الملك والسيادة كاملة كفكرة دينية وقوة محركة للتحالف بين الامارات الصليبية[2].

وفي عام 1111م / 505هـ طلب تانكرد النجدة والمساعدة من بلدوين الأول ملك بيت المقدس أثناء خروج شرف الدين مودود[3] أمير الموصل لحصار انطاكية، حيث تجمعت القوات الصليبية من جميع الامارات والمناطق لنصرته والدفاع عن امارته مع أن تانكرد نفسه لم يكن في علاقات حسنة مع غالب الصليبيين في بلاد الشام حتى أنه تحالف مع المسلمين ضد امارة الرها في فترة سابقة وتقاعس عديد المرات في الخروج لمساندة الامارات الأخرى[4].

استقر الرأي على قيام الصليبيين بعمل جامع ضد الأتراك[5]، وقد تردد تانكرد في أول الأمر في تلبية نداء بلدوين، ولكنه عاد وأدرك أن عدم تعاونه مع إخوانه الصلبيين في حربهم ضد الأتراك سيسيء إلى شخصه و إلى مكانته بين الصليبيين، فاتجه على رأس ألف وخمسمائة فارس الى الملك بلدوين، الذي قام بدور الوسيط للصلح بينه وبين بلدوين دي بورج[6]، وهكذا حصل الاتفاق بين الفرنج كلهم و أزالوا ما كان بينهم من الشحناء، وتصالح تانكرد وبلدوين وابن صنجيل بعد مرحلة من النفور والخلاف.[7]

---

[1] نفسه، ص243.

[2] البيشاوي، الممتلكات الكنسية، ص 121. هارولد فنك، المرجع السابق، ص88-89.

[3] مودود بن التونتكين: ولاه السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي الموصل، بعد قتله جكرمش في سنة 502هـ/ 1108م، وكان فارسا شجاعا مجاهدا، واخباره متفرقة. انظر، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9، ص448.

[4] ابن القلانسي، المصدر السابق، ص 175، 177، هارولد فنك، المرجع السابق، ص89؛ مبروك بن مسعود، المرجع السابق، ص84

[5] عاشور، الحركة، ج1، ص 366.

[6] Stevenson: op.cit. p.88.

[7] ابن العديم، المصدر السابق، ج2، ص154.

لقد كان تانكرد المستفيد الرئيسي من هذا التضامن ، فبعد موت بوهيمند في عام 1111م/505هـ ، طالب الامبراطور الكسيوس بأنطاكية مثل ما فعل في معاهدة ديفول[1]، الا أن تانكرد صاحبها قد رفض وأحبط ذلك، فأرسل الكسيوس مبعوثا بعد ذلك لرشوة برترام بن ريموند صنجيل أمير طرابلس وبلدوين الأول ملك بيت المقدس في التحالف معه ضد تانكرد، أما برترام فقد داعب الفكرة، بينما بلدوين رفض رفضا حاسما لأن هذا المخطط لا يتوافق مع سياسته في توحيد الفرنجة وتعاونهم[2]، وكانت فرصة لأنطاكية وطرابلس ليتصالحا وينهيا الشجار التاريخي بينهما (بوهيمند وريموند صنجيل)، وقد كان موقف بلدوين حقيقة يدل على المكانة التي وصل اليها بفضل سعيه لتحقيق الوحدة بين الصليبيين في بلاد الشام.

استمر تلاحم الصليبيين وتعاونهم البناء خلال هذه الفترة واستطاعوا تثبيت أقدامهم ببلاد الشام بشكل تدريجي، ففي سنة 1113م 507هـ، دخل شرف الدين مودود أتابك[3] الموصل وطغتكين في صراع مع الملك بلدوين الأول حول صور وطبرية فقاما بمحاصرة المدينة ونهب الممتلكات الصليبية حتى جبل طور، إلى أن سمعا باقتراب الصليبيين، فانسحبا مؤقتا بغرض الحماية ومراقبة الوضع من بعيد[4].

كان الملك بلدوين في عكا عندما بلغه نبأ الحملة السلجوقية على اقليم طبرية ، فأرسل في الحال في طلب المساعدة من أميري أنطاكية وطرابلس ، وفي ذلك الوقت كان روجر الصقلي[5] قد خلف عمه تانكرد الذي توفي سنة 1112 م في حكم أنطاكية ، في حين خلف بونز أباه برترام[6] في حكم طرابلس ، وقرر الأميران الاسراع لنجدة الملك بلدوين ، غير أن بلدوين تعجل في مهاجمة السلاجقة [7] لكنه تعرض إلى كمين محكم

---

[1] معاهدة ديفول: أو صلح ديفول 1108م/ 502هـ بين بوهيمند والكسيوس، وقع بعد هزيمة بوهيمند في دروازو ضد بيزنطة، وبمقتضاه فرضت شروط قاسية على بوهيمند. انظر: عاشور، الحركة، ج1، ص329.

[2] هارولد فنك، المرجع السابق، ص90.

[3] أتابك: لقب تركي أطلقه السلاجقة على بعض كبار رجال البلاط ومعناه الاب الوصي، كان ملكشاه السلجوقي اول من أطلق هذا اللقب على وزيره نظام الملك، قام الاتابكة أولا بدور المربيين للأمراء القاصرين، تعددت الاتابكية بعدما أطلق اللقب على القادة العسكريين وتوسعت صلاحياتهم تدريجيا حتى تمكن بعضهم من اقصاء الامراء السلاجقة وجعل امتيازاتهم وراثية كأتابكة دمشق والموصل. أنظر: كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، تر: أحمد الشيخ، سينا للنشر، ط1، القاهرة، 1995، ص119.

[4] عاشور، الحركة، ج1، ص259.

[5] روجر دي سالرنو: عُرِفَ بروجر الأنطاكي نسبةً إلى أَنْطَاكِيَّة، وبروجر الصقلي نسبة إلى موطنه الأصلي صقليَّة، استخلفه تانكرد لما لم يكن له وريث شرعي، وشرط عليه أن يُسلّم الحكم لابنه بوهيموند الطفل، وهو الذي يُعرَف ببوهيموند الثاني، وتزوج من شقيقة بلدوين دي بورج أمير الرها، حكم انطاكية (1119-1112م/ 506-512هـ). أنظر: أسامة بن منقذ الشيزري، الاعتبار، تحقيق: عبد الكريم الاشر، المكتب الإسلامي، ط2، بيروت، 2003، ص 102، الشارتري، المصدر السابق، ص186.

[6] بونز بن برترام: هو حفيد ريموند الصنجيلي تولى حكم طرابلس بعد وفاة والده سنة 1112م/ 505هـ، وقد ورد في المصادر العربية باسم" بنص"، امتد حكمه الى غاية مقتله سنة1137م/ 531هـ.

انظر: عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1966، ص ص149،146، 151.

[7] عاشور، الحركة، ج1، ص259.

عند جسر الصنبرة إلى الجنوب الغربي من بحيرة طبرية في 20جوان 1113م/11محرم 507هـ، وانهزمت قواته شر هزيمة ، إلأ أنه تمكن من النجاة بشق الأنفس من أيدي السلاجقة[1].

و مع نهاية سنة 1118م/512هـ أصبح هناك نوع من التوازن العسكري بين القوى الصليبية والإسلامية، حيث ظهر روجر أمير أنطاكية كقوة فاعلة في شمال بلاد الشام واستطاع أن يشكل خطا دفاعيا لمواجهة جميع الأخطار ومهما كانت الظروف المحيطة بالمنطقة، كما عاد الود وإلتأم شمل الصليبيين و ساد الوفاق بين بلدوين كونت الرها وبونز كونت طرابلس وروجر أمير انطاكية، و أظهروا ولائهم وطاعتهم لملك بيت المقدس، في حين استمر الشقاق بين القوى السلجوقية وكان ذلك في صالح الصليبيين[2] .

بعد استيلاء روجر على بزاغ سنة 1119 م ، صارت حلب محاصرة من ثلاثة نواح ، وهو أمر لم يحتمله الحلبيون أو إيلغازي نفسه ، لذلك حشد جيوشه من التركمان في أفريل 1119م ، وأنظم إليه بعض الأمراء ، وأعلن طغتكين صاحب دمشق و أبو العساكر سلطان بن منقد استعدادهما لتقديم المساعدة لمهاجمة إمارة أنطاكية من الجنوب[3] ، ومرة أخرى يظهر التلاحم بين الصليبيين باستعداد قوات أنطاكية وطلب المساعدة من بيت المقدس وإمارة الرها وطرابلس ، غير أن غرور الأمير روجر واستخفافه بالجيوش الاسلامية جعله يتعجل بالهجوم قبل وصول الامدادات الصليبية فتلقى هزيمة نكراء ولقى مصرعه في معركة البلاط في 28 جوان وسقط معه الكثير من الصليبيين.[4]

وبهلاك روجر أمير انطاكية على يد المسلمين 1119م/ 513 هـ[5]، انتهى عصر القوة في حياة إمارة أنطاكية الصليبية ليبدأ عصر الضعف والانحدار ثم التبعية لبيت المقدس[6] حيث تولى بطرق أنطاكية برنارد دي فالنس[7] تنظيم شؤون المدينة وحماية تحصيناتها ، إلى أن حضر الملك بلدوين الثاني و تسلم الوصاية على الامارة ، أين شرع في تنظيم أوضاعها بمساعدة أرملة روجر،حيث أقر الاقطاعات بأيدي أربابها ووزع الاقطاعات بعد شغورها بوفاة أصحابها ،و قام بتنظيم الجيش وزوج الأرامل

---

[1] هارولند فنك، المرجع السابق، ص260؛ مبروك بن مسعود، المرجع السابق، ص85.
Stevenson, op.cit. p61-63.

[2] مبروك بن مسعود، المرجع السابق، ص86.

[3] عاشور، الحركة، ج1، ص 404

[4] الصوري، المصدر السابق، ج2، ص348؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص180-182؛ الرهاوي، المصدر السابق، ص104.

[5] ماير، المرجع السابق، ص149؛ الشارتري، المصدر السابق، ص186.

[6] نعيمة الساحلي، المرجع السابق، ص286.

[7] البطريرك برنارد: أو برنارد الفالنسي، أول بطريرك لاتيني لإمارة انطاكية، استل منصبه إثر رحيل بطريرك انطاكية الأرثوذكسي يوحنا الرابع الى القسطنطينية عام 494هـ/1100، وبقي أسقفا لأنطاكية حتى وفاته عام 529هـ/ 1135م. أنظر: هارولند فنك، المرجع السابق، ص 132.

بالفرسان الذين قدموا من الغرب لتقوية التلاحم بين الامارات واستمر وصيا على أنطاكية لمدة سبع سنوات (1119-1126م)، لحين وصول بوهيموند الثاني من الغرب ، وتوطدت العلاقة بينهما بزواج هذا الأخير بأليس ابنت الملك بلدوين[1].

وبشأن وصاية الملك بلدوين على أنطاكية يذكر أسامة بن منقذ أنه تم التعاقد بين بلدوين والأمير روجر حينما انتقل هذا الأخير لزيارة بيت المقدس على أن يرث كل منهما الآخر، وقد جاء في قوله [2] : أن الملك روجر قال لبلدوين: " اجعل بيني وبينك شرطا، إن مت قبلك كانت أنطاكية لك، وإن مت قبلي كان بيت المقدس لي، فتعاقدا وتواثقا على ذلك" ، لكن هل يمكن أن يكون الاتفاق بين الأميرين الصليبين بهذه البساطة ؟ وإذا كان الأمر كذلك فهو يبين لنا درجة التلاحم الوثيق القائم بين الامارتين في تلك الفترة، وشعور كل طرف بما يمكن أن يسببه الخلاف والتشتت من أثر سلبي على مصير الامارات الصليبية، لهذا كانت وصاية الملك لمدة سبع سنوات عاملا أساسيا في الحفاظ عليها كخط دفاعي لصليبي الشام بل درعا للمملكة نفسها[3].

و يتكرر المشهد مرة أخرى عند تولى الكونت فولك الأنجوي (1131-1143م/ 526-538هـ) ملك بيت المقدس الوصاية على أنطاكية منذ 1131م/562هـ بعد وفاة بوهيمند الثاني وبقاء منصب الامارة شاغرا [4]، رغم معارضة أمراء بقية الامارات لسيادته العليا وعدم استعدادهم للاعتراف به، اذ ساء لهم الأمر حيث رأوا في فولك غريب عليهم فكيف يصبح سيدهم، لأن سياسة بلدوين الأول والثاني تجاه الامارات جعلت ملك بيت المقدس سيد سائر الأمراء كما أنه لم يتخلى أبدا عن دعمهم ومساندتهم وقت الخطر[5] ، وبما أن بوهيمند الثاني لم يترك وراءه إلاّ طفلة صغيرة تدعى كونستانس(Constance) خشي كبار ورجال الامارة أن تتعرض امارتهم لخطر المسلمين فلجأوا الى الملك فولك بحكم أنه أقرب فروع الذكور لها باعتباره زوج خالتها[6].

عندما توجه الملك فولك لأنطاكية اكتشف وجود مؤامرة تحاك ضده من طرف أليس والدة الأميرة كونستانس وعدد من الأمراء الصليبيين على غرار جوسلين الثاني أمير الرها وبونز أمير طرابلس ووليم صاحب حصن صهيون وبعض المتمردين هدفها حرمانه من عرش أنطاكية، إلاّ أنه استطاع بفضل حمكته ومؤيديه الانتصار على

---

[1] هارولند فنك، المرجع السابق، ص108، ماير، المرجع السابق، ص150 مبروك بن مسعود، المرجع السابق، ص87

[2] ا بن منقذ، المصدر السابق، ص203.

[3] ابن مسعود، المرجع السابق، ص88.

[4] الصوري، المصدر السابق، ج3، ص93؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص299.

[5] علي سرور عبد المنعم، السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس عهد فولك الانجوي (1131-1143م/526-538)، أطروحة دكتوراه، جامعة عين شمس، 2000، ص120.

[6] الصوري، المصدر السابق، ج3، ص96.

المتآمرين و المتمردين ، وبطلب من البارونات بقي بها وقام بترتيب شؤون المدينة والمناطق المجاورة لها[1]، وعهد بوصاية الطفلة لرينالد مازوارRenard Mazoir أمير المرقب عام 1133م/528ه[2].

استطاع الملك فولك القيام بالعديد من الأعمال اتجاه انطاكية ، منها تصديه للمسلمين في موقعة قنسرين[3] في جانفي 1133م/ ربيع الأول 527هـ[4] ، وسيطرته بعد ذلك على قلعة القصير في جنوب أنطاكية عام 1134م/529هـ ، حيث سلمها الى بطريرك المدينة وأصبحت ضمن ممتلكات الامارة[5] ، إلاّ أن الخطر بات يهدد الامارة بعد تعرضها لهجمات عماد الدين زنكي سنة 1135م/529هـ حيث إستولى على أقرب معاقلها الشرقية الى حلب وأهمها حصن الأتارب[6] مما دفع ملك بيت المقدس الاستجابة لطلب نبلاء أنطاكية في اختيار زوج الأميرة كونستانس ليقوم بأعباء الامارة[7]، فوقع الاختيار على ريموند بواتييه[8].

كان على ريموند أن يضطلع بمهمة المحافظة على كيان الامارة الصليبية في أشد الأوقات حرجا خاصة بعدما فقدت معاقلها على الحدود الشمالية والجنوبية ، فانطلق لنجدة ملك بيت المقدس المحاصر في قلعة بعرين على يد عماد الدين زنكي، ثم عاد الى انطاكية متسللا أثناء حصار الامبراطور البيزنطي حنا كومنين لها، ليرسل له رسالة يعترف له فيها بالسيادة على أنطاكية خاصة بعد أن تلقى استشارة من ملك بيت المقدس الذي لم ينكر حق البيزنطيين في أنطاكية ، وتعهد بترك الامارة للأمبراطور الذي وعده بتعويضه عنها بكل من حلب وشيزر وحمص وحماة إذا ما تمكن من الاستيلاء عليها جميعا [9]

ويبدو واضحا أن ريموند بواتييه من خلال إعلان موقفه هذا كان يدرك جيدا مدى قوة المسلمين وخطورتهم المتنامية، لهذا أراد أن يحمل بيزنطة المسؤولية الكاملة في

---

[1]Stevenson, op. cit. p131. عاشور، الحركة، ج1، . ص429

[2] هارولند فنك، المرجع السابق، ص119.

[3]قنسرين: كورة بالشام من ديار ربيعة، ومدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص، وموضع ينزل به الجند، ثم ضعفت بقوة حلب وخربت. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص403.

[4]الصوري، المصدر السابق، ج3، ص97-99؛ علي سرور، المرجع السابق، ص 124-126.

[5]الصوري، المصدر السابق، ج3، ص100.

[6] Stevensen, op. cit. p134.

[7] حسين عطية، المرجع السابق، ص145

[8] ريموند بواتييه: وهو الابن الأصغر لوليم التاسع دوق اكويتانيا والمقيم في بلاط هنري الأول ملك إنجلترا، وقد حضر سرا الى انطاكية بمساعدة الاسبتارية، حيث تزوج من كونستانس دون علم أليس التي عاشت بقية حياتها في اللاذقية، وكان وصوله لأنطاكية في أفريل 1136م/ رجب 530هـ. أنظر: الصوري، المصدر السابق، ج3، ص 103.

[9]حسين عطية، المرجع السابق، ص 146-147.

الدفاع عن الامارة وأن يقف الامبراطور حنا كومنين[1] الى جانبه لدعمه في استرجاع بعض ماسلب منها من ممتلكات، كما أن ريموند لم يتأخر يوما عن مساعدة الملك اذ نجده يقف الى جانبه في حصار مدينة بانياس والاستيلاء عليها[2].

والملاحظ انه رغم التنافس والصراع بين قادة الحملة الصليبية الأولى عند تأسيس إمارة أنطاكية ومملكة بيت المقدس، ساد الاعتقاد بأن أنطاكية قد تكون العاصمة المسيحية اللاتينية في الشرق، إلا أن بيت المقدس احتفظت بمكانتها المرموقة، تمامًا كما حافظت روما على مكانتها البارزة. وقد أسهم حكم بيت المقدس في تعزيز مكانة ملوكها[3]. وعلى الرغم من ذلك، لم تتخلَّ مملكة بيت المقدس عن إمارة أنطاكية في أوقات المحن والأزمات، بل كانت دائمًا تسعى إلى استقرارها، نظرًا لما تحظى به من أهمية بين الإمارات الصليبية الأخرى.

3- العلاقة بين مملكة بيت المقدس وإمارة طرابلس:

تعد امارة طرابلس آخر الامارات اللاتينية التي تكونت في بلاد الشام في أعقاب الحملة الصليبية الأولى، ويرجع الفضل في تأسيسها إلى الكونت ريموند صنجيل 496ه-499هـ/1102-1105م الذي وضع حجر الأساس لها عندما استولى على منطقة أنطرسوس في شهر فيفري من عام 495هـ/ ربيع الثاني 1101 م[4] ، غير أن ريموند لم تكتب له الحياة ليرى ولادة طرابلس نفسها بعد تشييد الحصن المشرف على تلة أبي سمرة المعروفة بتلة الحجاج 1105م/499ه[5] .

بعد مقتل ريموند سرعان ما تولى وليام جوردان 497-502هـ/ 1105-1108م ابن أخت ريموند قيادة الأعمال العسكرية ضد طرابلس، حيث أخذ يحاصرها برا وبحرا لما زاد عن العامين، إلاّ أن تواصل الامدادات على مدينة طرابلس من مدينة عرقة أضعف من فاعلية هذا الحصار، فما كان من وليم جوردان إلاّ أن حاصر مدينة عرقة حصارا محكما لمدة ثلاثة أسابيع متواصلة مما أسفر في النهاية الاستيلاء عليها في شهر رمضان502هـ/ أفريل 1108م[6] .

وبينما كانت الظروف مهيأة أمام جوردان للاستيلاء على طرابلس فإذا ببرترام الابن الأكبر لريموند 502-507هـ/1108-1113م، الذي تولى امارة تولوز في فرنسا بعد

---

[1] يوحنا كومنين: هو ابن الامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين وخليفته على الحكم حتى عام 1143م/ 1180م.
أنظر: هارولند فنك، المرجع السابق، ص137.

[2] علي سرور، المرجع السابق، ص144-145.

[3] باركر، المرجع السابق، ص40.

[4] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص96؛ باركر، المرجع السابق، ص50؛ عاشور، المرجع السابق، ج1، ص250.

[5] Stevensen, op. cit. p55.56.

[6] نهى فتحي الجوهري، امارة طرابلس في القرن الثالث عشر الميلادي /السابع الهجري، دار العالم العربي، ط1، القاهرة، 2008، ص 47.

رحيل أبيه قد قدم على رأس أسطول من العناصر الجنوية ومعه مايقدر بأربعة آلاف فارس للمطالبة بأملاك أبيه في بلاد الشام[1]، وعند وصوله الى طرسوس كان وليم جوردان قد نجح في الاستيلاء على عرقة ، ولم يعد في نيته أن يتنازل عنها لبرترام ، فلما طالبه برترام بميراث أبيه ، لم يجبه بحجة أنه ورثها عن ريموند بالاضافة إلى أنه دافع عنها وحفضها من الضياع ، غير أن قوة الأسطول الجنوي زرعت في نفسه الخوف والرهبة ، فأرسل إلى تانكرد يطلب منه أن يقف إلى جانبه نظير أن يصبح تابعا له له مقابل الحماية، وبما أن تانكرد تواقا للسلطة فقد قبل الاقتراح وتأهب للانضمام الى جوردان[2]، وتشير المصادر العربية[3] الى هذا النزاع ، فيذكر ابن القلانسي أنه وقع بين برترام بن صنجيل وبين السرداني (ابن اخت صنجيل يقصد وليم جوردان) مشاجرة ووصل تانكرد صاحب أنطاكية اليه لمعونته(جوردان) ووصل الملك بلدوين صاحب بيت المقدس في عسكره، وهنا تبدأ العلاقة الفعلية بين امارة طرابلس ومملكة بيت المقدس.

أبدى بلدوين الأول في هذه الظروف استعداده لنصرة برترام الصنجيلي حتى يضمن تبعيته له، فخرج على رأس قوة عسكرية في صيف 1109م/502هـ لدعمه و مساعدته أثناء حصاره لطرابلس، جبل الحجاج وأقام في في طرسوس، حيث التقى بتانكرد وأخذ يحثه على القتال بجانبه ، وكان بلدوين قد وصل إلى طرسوس ، وأرسل رسله إلى وليم جوردان وتانكرد وإلى بلدوين دي بورج صاحب الرها ، وجوسلين صاحب تل باشر يدعوهم إلى تسوية الخلافات بين زعماء الفرنجة وتوحيد طاقاتهم كصليبيين تحت قيادة النظام الحاكم في بيت المقدس[4].

تم اجتماع أمراء الفرنج خارج أسوار طرابلس في جوان 502هـ/1109م لتسوية النزاع، وتم الصلح بين المتخاصمين منهم، واتفق الجميع أن يحتفظ وليم بأنطرسوس وعرقة بحق الغزو، بينما تكون لبرترام جبيل وتلة الحجاج بحق الإرث عن أبيه وبطرابلس بعد فتحها[5]، وفي حال وفاة أحد الطرفين تؤول أملاكه الى الطرف الآخر[6]، ومن هنا أصبح برترام تابعا لبلدوين الأول، بينما أقسم وليم جوردان بيمين التبعية لتانكرد[7].

---

[1] ابن الاثير، الكامل، ج9، ص136؛ ابن القلانسي، المصدر السابق، 163.

[2] هارولد فنك، المرجع السابق، ص86؛ سالم، المرجع السابق، ص148.

Stevenson, op. cit. p57.

[3] ابن القلانسي، المصدر السابق، ص 163؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص137.

[4] هارولد فنك، المرجع السابق، ص87. Grosset, op. cit. v2, p192.

[5] سالم، المرجع السابق، ص143-144.

[6] عاشور، الحركة، ج1، ص270.

[7] Stevensen, op. cit. p57.

بعد ما تمكن القادة الصليبيون من حصار طرابلس لما يزيد عن ثلاثة أشهر تم تسليم المدينة لهم في11 ذي الحجة 502 هـ/ 12 جويلية 1109 م، استقر بها برترام وتلقب ب " كونت طرابلس" وجدد ولاءه لمملكة بيت المقدس، وأصبحت تربطه بها علاقة وثيقة من حيث التبعية، ومن ذلك الحين ارتبط تاريخ كونتية طرابلس بتاريخ مملكة بيت المقدس لمدة استغرقت نحو سبعين سنة[1]، ومما يدل على تبعية برترام لبلدوين ما ذكره ابن القلانسي[2] من أنه افرد له من وسط طرابلس ما رضي به.

لقد كان تأسيس إمارة طرابلس ثمرة لجهود التعاون البناء بين مملكة بيت المقدس وامارة انطاكية والأسطول الجنوي، وبعد أيام قلائل من الصلح المبرم بين برترام وجوردان أغتيل وليم جوردان، وأصبحت الامارة كلها مقاطعة لبرترام وتابعة لبيت المقدس وكان من الطبيعي أن يسارع برترام في تقديم المساعدة لبلدوين الأول اثناء حصاره لبيروت[3].

ظلت تبعية امارة طرابلس لمملكة بيت المقدس قائمة عمليا في عهد برترام حتى وفاته عام 507هـ/1113م وذلك بسبب استمرار العداء بينه وبين تانكرد[4]، ولكنها بدأت تتزعزع في عهد بونز 507-521هـ/1113-1127م، لأنه أصبح مرتبطا بأمير انطاكية برابطة الود والموادعة، ولم يجد حاجة الى سند ملكي لتدعيم نفوذه، وأصبح اشتراك امارة طرابلس في الحملات التي يقودها ملك بيت المقدس يتم في فتور تام لأن الأمير بونز أصبح يقوم بذلك بوصفه نوع من الواجب، غير أنه لم يكن متحمسا أو له استعداد لذلك [5].

ففي عام 1122م/517هـ رفض بونز أمير طرابلس بذل الولاء لملك بيت المقدس فغضب بلدوين الثاني لما حدث وبادر بدعوة أتباعه للقدوم اليه لإنزال العقوبة به، وبالفعل تقدم جيش الملك من عكا قاصدا طرابلس، ولم يكد يقترب منها حتى أعلن بونز خضوعه وولائه التام فعفى عنه الملك[6]، ويبرر رنسيمان موقف بونز لعدم امتلاكه القوات العسكرية الكافية للتصدي لبلدوين[7].

وبعد سقوط الملك بلدوين الثاني في الأسر لدى الأمير بلك بن بهرام الأرتقي سنة 517هـ/1123م، نتج عن ذلك اضطراب في أحوال الصليبيين، وتحتم على حكام مملكة

---

[1]Stevenson, op. cit. p.58.

[2]ابن القلانسي، المصدر السابق، ص163.

[3] هارولد فنك، المرجع السابق، ص87؛ عاشور، المرجع السابق، ج1، ص251؛ الساحلي، المرجع السابق، ص257.

[4]ابن القلانسي، المصدر السابق، ص177.

[5] حسين كاظم ال طعمة، امارة طرابلس الصليبية502-688هـ/1109-1288م، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، 2004، ص122.

[6]الشارتري، المصدر السابق، ص194؛ الصوري، المصدر السابق، ج2، 320.

[7]رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص220.

بيت المقدس وطرابلس السعي الى تناسي خلافاتهم والعمل جنبا الى جنب للوقوف في وجه الهجمات الإسلامية، وبناء على ذلك اشترك الكونت بونز في حصار مدينة صور سنة 518هـ/1124م، مما دفع بالملك بلدوين بعد اطلاق سراحه الى تقديم العون لبونز في الاستيلاء على رفينة ، بينما اشترك بونز في التحضيرات لمهاجمة دمشق[1]،

ومن مظاهر تجدد الصراع بين امارة طرابلس ومملكة بيت المقدس عند مقتل بوهيمند الثاني حاكم انطاكية سنة 525هـ/1130م ، ووفاة الملك بلدوين الثاني 526هـ/1131م[2] ووقف الكونت بونز ومعه جوسلين الثاني أمير الرها ووليم صاحب حصن صهيون الى جانب الأميرة أليس التي حاولت الانفراد في حكم انطاكية بعيدا عن تدخل ملك بيت المقدس فولك[3]، وظهر موقف بونز الداعم للأميرة ضد الملك إثر منعه قوات الملك من عبور أراضي كونتية طرابلس، مما اضطر الملك للأبحار من بيروت الى السويدية، ولم يكتف بونز بذلك بل قام بوضع العراقيل في وجه الملك والبارونات المؤيدين له في انطاكية، حيث قام بتحصين القلاع التابعة له في انطاكية وحشدها بالرجال والعتاد واتخذها قاعدة لمضايقة قوات الملك فولك، وفي هذا الأمر سلك بونز مسلك بارون أنطاكي، أكثر من كونه أمير لطرابلس بينما تصرف فولك كوصي على امارة انطاكية، وانتهى الأمر بهزيمة بونز وأرغم على عقد صلح مع الملك فولك في نهاية الامر[4].

وفي العام التالي استنجد بونز بالملك فولك كان ذلك سنة527هـ/1132م عندما أغار التركمان على معاقله بطرابلس وهزموه بالقرب من بعرين فلبى الملك نداءه[5]، وكانت هذه الحادثة سببا في عودة الود بين المملكة والامارة، كما انتهج فولك سياسة مغايرة لإجبار طرابلس على الاعتراف بالتبعية لمملكة بيت المقدس حيث تم تزويج " هوديرنا "ابنة بلدوين الثاني ملك بيت المقدس الأسبق من ريموند الثاني ابن بونز[6].

قام الملك فولك أيضا بالدفاع عن طرابلس أثناء هجمات عماد الدين زنكي سنة 532هـ/1137م، وكاد أن يقع أسيرا في أيدي المسلمين، وهكذا فإن العلاقات الأسرية لعبت دورا هاما في التقارب بين مملكة بيت المقدس وكونتية طرابلس، رغم أن غالبية أمراءها رغبوا في التملص من سيادة ملك بيت المقدس، لكن لم يكن لهم من القوة ما يحقق لهم الاستقلال الدائم[7].

---

[1]الصوري، المصدر السابق، ج3، ص55، 68؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص224؛ سالم، المرجع السابق، ص189.

[2]يعتبر آخر قادة الحملة الصليبية وفاة، اذ حكم عشرين سنة في الرها، واثني عشر في بيت المقدس. أنظر:
Stevensen, op. cit. p13

[3] الصوري، المصدر السابق، ج3، ص96،97.

[4]ال طعمة، المرجع السابق، ص134. هارولند، المرجع السابق، ص 119.

[5] ابن القلانسي، المصدر السابق، ص380؛ الصوري، المصدر السابق، ج3، ص99؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج2، 227؛ سالم، المرجع السابق، ص189.

[6]رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص227.

[7] نفسه، ص324-325.

رغم أن الامارات الصليبية كانت تتمتع بالاستقلال عن المملكة فإن مملكة بيت المقدس بحكم كونها الكيان الصليبي الأهم والأكبر كانت تتمتع بالمكانة الدينية والسياسية المتميزة عن باقي الامارات، وفي نفس الوقت فرضت على الملك واجبات دون أن يحصل على ما يقابلها من حقوق، فمن واجب الملك أن يكون وصيا على العرش في حالة شغوره أو على الأمير القاصر الى غاية بلوغه ، وأن يادخل لفض النزاع بين الأمراء و الصلح بينهم كل إمارة خاصة بين رجال الدين والساسة، ومن واجبه أيضا أن يوفق ويصلح بين الامارات كلما تأزمت العلاقات فيما بينهم، وأن يقوم بالدفاع عنهم بجيشه كلما أحذقت بهم الأخطار الخارجية[1].

حتى إن الأمراء أنفسهم تصرفوا وكأنهم مستقلون عن مملكة بيت المقدس، فعندما كانوا يساندون الملك كانوا يفعلون ذلك باعتبارهم نظراء له، وليس تابعين. بل إنهم في بعض الحالات لم ينضموا إليه إلا بعد إجبارهم على ذلك. كما اعتادوا عقد المعاهدات مع المسلمين وإعلان الحرب عليهم، حتى وإن كانت هناك اتفاقيات قائمة بين الملك والمسلمين في تلك الفترة. بالإضافة إلى ذلك، كانوا يؤرخون وثائقهم وفق سنوات حكمهم الخاصة، ولكل منهم قوانينه المستقلة وبوجه عام، كان هناك نوع من الندية بينهم وبين الملك بدلاً من التبعية، ولم يسعَ الملوك مطلقًا إلى فرض سياسة مركزية على الإمارات[2].

المبحث الثاني: مسار العلاقات بين الامارات الصليبية:

1- العلاقة بين إمارتي الرها وأنطاكية:

كانت أنطاكية أقرب الإمارات الصليبية إلى الرها من جهة الشمال، وارتبطت معها بعلاقات متباينة تعود جذورها إلى فترة الحملة الصليبية الأولى. وقد غلب على هذه العلاقات العداء وسوء التفاهم، نتيجة الخلافات بين بلدوين البولوني من جهة، وتانكرد، ابن أخت ، أمير أنطاكية الأول، من جهة أخرى. وبرز هذا التوتر بشكل واضح خلال حركة الزحف والتقدم نحو بلاد الشام، وتحديدًا عند مدينة طرطوس في سبتمبر عام 1097م / 490هـ[3]، حظي تانكرد بالأسبقية في الوصول إلى تلك المدينة، مستفيدًا من المسالك والطرق الأقصر، مما مكّنه من أن يكون أول من يصل إلى قيليقية. وبعد ذلك، لحق به بلدوين البولوني إلى نفس المكان، حيث استقبله تانكرد بودّ وكرم[4].

عندما رأى بلدوين أعلام تانكرد ترفرف على أسوار طرسوس تضايق وطلب مقاسمة تانكرد في المدينة فرفض قائلا : " أغنني أرفض كل قسمة معك"[5]، وبعد جدل طويل

[1]باركر، المرجع السابق، ص53-54. الساحلي، المرجع السابق، ص283.
[2]باركر، المرجع السابق، ص54.
[3]الجنزوري، المرجع السابق، ص217.
[4]الصوري، المصدر السابق، ج1، ص235-237، الجنزوري، المرجع السابق، ص217
[5]مجهول، المصدر السابق، ص44-45.

بينها أصرّ بلدوين على التمسك برأيه ، فأشار عليه تانكرد بتحكيم الأهالي الذين كانوا يميلون بالفعل إلى جانب تانكرد ونادوا به أميرا عليهم[1]، لكن بلدوين رفض قرارهم وطالبهم بانزال راية تانكرد ورفع رايته، مهددا إياهم بتخريب المدينة وما جاورها فأذعنوا له، لكن تانكرد رفض القتال خوفا على أرواح أهالي المدينة وأيضا بسبب التفوق العسكري لبلدوين عددا وعتادا، فانسحب باتجاه أدنه[2] ثم المصيصة[3]، وسرعان ما استسلمت له ودان له كثير من الحصون[4].

لا شك أن هذه الأحداث، بما خلّفته من نتائج وانعكاسات، ستؤثر حتمًا على العلاقة بين بلدوين وتانكرد، رغم طموحات كل منهما وأهدافه الاستراتيجية، سواء قبل تأسيس الإمارات الصليبية أو بعدها. ومع ذلك، استمرت علاقاتهما دون انقطاع، وإن كانت في الغالب تميل لصالح أحد الطرفين على حساب الآخر [5].

بعد تأسيس إمارة أنطاكية ككيان سياسي مستقل، سرعان ما كشفت الرها عن موقفها تجاهها، خاصة عند وقوع بوهيمند في الأسر[6]، حيث تحركت مشاعر بلدوين البولوني وسار لنجدته، بعد أن وصلته رسالة سرية ومعها خصلة من شعر بوهيمند لتبيين مدى صدق حاملها، وعندما سماع بلدوين بذلك تعاطف مع الأمير كما لو كان أخا شقيقا له، وحركته تلك الكارثة بقوة، وتقدم بسرعة لنجدته، لكن جهوده باءت بالفشل دون أن يحقق مبتغاه وعاد الى امارته خائبا[7] .

وفي سنة 1100م/494هـ عندما تقدم بلدوين الى المقدس ، ليتولى حكمها مكان أخيه جودفري اتجه إلى أنطاكية ولقي بها استقبالا حافلا من أهلها ، وبعد إن استراح بها لمدة ثلاثة أيام ، استأنف رحلته إلى بيت المقدس حيث كان هدفه الأساسي[8] ، وعند هزيمة أمير الرها الجديد بلدوين دي بورج Baudouin de Bourgh أمام قوات الأمير سقمان بن أرتق[9]، طلب المساعدة من انطاكية، التي كانت تحت وصاية تانكرد[10]، ومع ذلك أخذت علاقات تانكرد مع أمراء الافرنج وبعضا من جيرانه خاصة الأرمن تزداد

---

[1] نفسه، ص45.

[2] أدنه: بلد من الثغور قرب المصيصة. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص132.

[3] المصيصة: مدينة على شاطئ نهر جيجان من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص144-1445.

[4] مجهول، المصدر السابق، ص45؛ الصوري، المصدر السابق، ج1، ص238-242.

[5] الجنزوري، المرجع السابق، ص220.

[6] نفسه، ص221.

[7] الصوري، المصدر السابق، ج2، ص184.

[8] الجنزوري، المرجع السابق، ص223،221.

[9] سقمان بن أرتق بن اكسب: معين الدولة التركماني، ويقال: سكمان- بالكاف- كان هو وأخوه أميرين على القدس الشريف بعد أبيهما، وتوجها الى الجزيرة، وديار بكر، توفي في سنة 498هـ/1104م.
أنظر: ابن الاثير، الكامل، ج8، ص273. الصفدي صلاح الدين خليل بن ابيك (ت764هـ)، الوافي بالوفيات، دار صادر، ط3، بيروت، 1411هـ/1991م، ج5، ص287.

[10] سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق، 1995م/1416هـ، ج5، ص28-29.

سوءا بسبب أطماعه وسياسته التوسعية التي لم تلق قبولا من جاره الكونت بلدوين الثانيBaudouin II في كونتية الرها الافرنجية ، اذ أخذ بلدوين دي بورج يرتاب من أطماعه[1]، بعد أن أصبح يملك قوة لا تبعث على الارتياح[2]، وبعد أن وصلت به الجرأة أن تناسى أمر خاله في أسر الدانشمند[3]، لذلك لم يتلق أية مساعدة من بلدوين دي بورج ، بسبب حالة عدم الاستقرار التي كانت ميزت العلاقات بين الطرفين[4].

أصبح أمير الرها يتمنى عودة بوهيمند الى امارته في أنطاكية، ولم يجد أمامه إلاّ طريق المفاوضات مع الدانشمند لاطلاق سراحه، حتى أن بطريك أنطاكية برنارد فالنسيا[5] الذي كان على عداوة مع تانكرد[6]، وقف إلى جانبه في هذا المسعى، وقد توجت جهوده بإطلاق سراح بوهيمند سنة 1103م/ 497هـ بعد أن دفع فدية لأجله بلغت قيمتها مئة ألف قطعة ذهبية[7].

كان لبلدوين الدور الأساسي في اطلاق سراح بوهيمند ، حيث أنه خسر مقابل ذلك مدينة ملطية رغم أهميتها الكبيرة بالنسبة لإمارة الرها ، كما رفض أيضا مساعدة صهره جبرئيل عند محاصرة الدانشمند لها[8]، لأنه لم يشأ خلال المفاوضات الجارية لإطلاق سراح بوهيمند أن يسيء لأمير الدانشمند، خوفا من عرقلة المفاوضات بينهما، وبخاصة أن بلدوين دي بورج أصبح ينظر الى بوهيمند على أنه المخلص الوحيد له من أطماع تانكرد التوسعية[9]، كما أن إطلاق سراحه أضاف معنى جديد في الحرب الصليبية ضد المسلمين ، خاصة في الوحدة بين انطاكية والرها في هذه المرحلة القصيرة.[10]

---

[1] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص66.

[2] ماير، المرجع السابق، ص136.

[3] الدانشمند: قبيلة تركمانية مسلمة تسكن آسيا الصغرى، أسهمت في الحرب ضد الفرنجة والبيزنطيين. وللمزيد انظر: علي بن صالح المحميد، الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الاناضول، مؤسسة شباب الجامعة، ط1، الإسكندرية، 1994، ص 25-16. وأيضا: أنظر: رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص235-292.

[4] دي كان، المصدر السابق، ص203-204.

[5] برنارد فالنس: أحد رجال الدين الذين شاركوا في الحملة الصليبية الأولى، وعين أول بطريرك لاتيني لأنطاكية منذ 1100م/ 493هـ، حتى وفاته سنة 1135م/ 529هـ.
أنظر: حسن البطاوي، الصليبيون بين الكنيسة والقلعة، فرست بوك للتوزيع والنشر، القاهرة، 2023، ص170.

[6] رنسيمان، المصدر السابق، ج2، ص66.

Stevenson, op. cit. p75.

[7] رادولف، المصدر السابق، ص204؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 56.

[8] سهيل زكار، المرجع السابق، ج2، 462؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 56؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص 67.

[9] رادولف، المصدر السابق، ص204.

[10] Stevenson, op. Cit.P73.

قرر بلدوين الاستيلاء على حران[1] في ربيع عام 1104م/ 497هـ، لأنه كان يرى أن الاتصال بين المسلمين في بلاد الشام وفي الموصل لا ينقطع إلاّ إذا سيطر الفرنج على حران، وأن استيلائهم عليها سيمكنهم من توجيه حملاتهم الى الموصل وكافة أنحاء الجزيرة[2] .

عندما باشر بلدوين دي بورج حكمه للرها الصليبية بدأ يفكر في الاستيلاء على حران، وجعلها ضمن خطته التوسعية على حساب الأراضي الإسلامية المجاورة له في الجزيرة[3]، إلاّ أنه قبل أن يتخذ أي خطوة كان يدرك أن حصار مدينة مثل حران قد يدفع سلاجقة الموصل والجزيرة للقيام بعمل انتقامي ضده، فقرر أن يتصل بأمراء الافرنج لطلب المساعدة ، فاستنجد بكل من جوسلين Jocelyne أمير تل باشر، وبوهيمند أمير انطاكية وتانكرد أمير الجليل [4]، فهب الجميع لمساعدته في إحكام الحصار على المدينة [5] ، لكنهم تعرضوا لهزيمة نكراء في 7ماي 1104م/ 9شعبان497هـ بسبب خلافاتهم و كثرة أطماعهم ، واقتسام ما لم يقع بعد في أيديهم من مناطق ، وتم أسر بلدوين دي بورج وجوسلين، بينما تمكن تانكرد وبوهيمند من الهروب بصعوبة الى الرها مع عدد ضئيل من الأتباع[6].

كان من نتائج هذه الهزيمة ايقاف تقدم الصليبيين وتوسعهم باتجاه الشرق على حساب المسلمين[7]، وافشال مشاريعهم التوسعية في التقدم نحو العراق وإتمام سيطرتهم على إقليم الجزيرة، كما تلاشت أحلام بوهيمند في السيطرة على حلب، وتحويل إمارة إنطاكية إلى دولة كبيرة، وقضت على آمال الصليبيين بقطع الاتصال بين القوى الإسلامية في الشام والجزيرة وآسيا الصغرى عن طريق الاستيلاء على حلب[8]،

كما أصبحت الرها تحت وصاية تانكرد لفترة من الزمن بعدما عين صهره و ابن عمه ريتشارد ساليرنRichard Salerno كحاكم لها[9]، وبهدا الاجراء أصبحت الرها تابعة لأنطاكية، وخاضعة لادارتها، بعد أن كانت تابعة بشكل مباشر الى مملكة بيت المقدس، منذ أن اقطعها بلدوين الأول لابن عمه بلدوين دي بورج، ولكن بعد أسره ووصاية

---

[1] حرّان: بتشديد الراء، مدينة عظيمة من ديار مضر، على الفرات. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص390، أبو الفداء، المصدر السابق، ص276.

[2] Stevenson. Op. cit p 71-76.
رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص70؛ سميل، المرجع السابق، ص 60-61؛ ماير، المرجع السابق، ص137.

[3] نفسه، ص136-137..Grosset, op. cit. v2, p239

[4] الشارتري، المصدر السابق، ص 132.

[5] هارولد فنك، المرجع السابق، ص 79. الصوري، المصدر السابق، ج2، ص247-249؛ الشارتري، المصدر السابق، ص132.

[6] الصوري، المصدر السابق، ج2، ص252.

[7] Grosset, op. cit. v2, p247.

[8] هارولد فنك، المرجع السابق، ص79-80. الصوري، المصدر السابق، ج2، ص248-252.
Stevenson, op. cit. p78.

[9] ألبرت اكس، المصدر السابق، ص295؛ سهيل زكار، المرجع السابق، ج5، ص32..

النورمانديين عليها منح تانكرد النورمندي أحقية الحاقها بأنطاكية بحجة حمايتها والدفاع عنها، ولكنها في حقيقة الأمر كانت تابعة اسميا فقط لتانكرد ، لأن حاكمها الفعلي هو ريتشارد ساليرن[1]، مما أدى الى حدوث صراع بين تانكرد أمير انطاكية وبلدوين دي بورج بعد فك أسره عام 1108م/501هـ، لانه رفض تسليم الرها لبلدوين دي بورج وعز عليه ان يتنازل عليها[2] .

ولأول مرة بدأت تظهر سياسة التحالفات بين المسلمين والصليبيين في مواجهة بعضهم البعض، فكان الحلف الأول بين كونت الرها وجوسلين صاحب تل باشر، وجاولي[3] حاكم الموصل، في مواجهة تانكرد ورضوان صاحب حلب، وكانت النتيجة أن وقع صداما مسلحا بين المتحالفين، انتصر فيه تانكرد ورضوان على خصومهما، وبفضل وساطة العديد من رجال الدين المسيح تراءى للخصمان أن هذه الحرب لن تعود عليهما وعلى أصحابهما من الافرنج إلاّ بنتائج وخيمة، قرر تانكرد اعادة امارة الرها لبلدوين يوم الخميس 17سبتمبر1108م/9صفر502هـ. [4]

وبعد أن اصبح مودود أميرا للموصل، قرر بأمر من السلطان السلجوقي محمود بن محمد بن ملكشاه [5] السير لمحاربة الفرنج ، فاستنجد بلدوين دي بورج بملك بيت المقدس، و اشتكى تانكرد للملك بسبب تحالفه مع الأتراك، وهنا أمر بلدوين الأول تانكرد الالتحاق بركب الفرنج ، فاتجه على رأس قوة عسكرية تقدر بحوالي الف وخمسمائة فارس الى الرها[6] حيث استقبل من الملك استقبالا وديا[7]، كما تجمعت القوات الصليبية مرة أخرى من بيت المقدس وطرابلس وأنطاكية والرها أثناء قدوم مودود لحصار انطاكية واستقر مقامها على الضفة الشرقية لنهر العاصي قرب فاميه سنة1111م/ 505هـ، حيث إلتقى الطرفان عند شيزر ولم تحدث إلا بعض المناوشات ، لكن بعد ذلك انسحب كل لإمارته[8].

وكنتيجة لذلك فشلت حركة الجهاد الإسلامي بسبب الفرقة والاختلاف بين المسلمين وسوء التنظيم، أما الصليبيون فقد أظهروا تماسكا قويا تحت زعامة الملك بلدوين

---

[1]Stevenson, op. cit. p83.

[2] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 360.

[3] جاولي سقاووه، من فرسان السلطان بركياروق السلجوقي، تولى ولاية الموصل سنة 500هـ/ 1106م، من طرف أخيه السلطان محمد. أنظر: ابن الاثير، الكامل، ج 9، ص102، 105.

[4]الصوري، المصدر السابق، ج 2، 274-275؛ عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 362.

[5] غيث الدين أَبا القَاسم محمود بن محمد بن ملكشاه السَّلْجُوْقي أو محمود الثاني (1105م - 1131م) كان السلطان السلجوقي لبغداد خلفا لوالده محمد بن ملكشاه سنة 511-525هـ/1117-1130م. أنظر: هارولند، المرجع السابق، ص 135.

[6]Stevenson, op. cit. p88.

[7]الجنزوري، المرجع السابق، ص 228.

[8]عاشور، المرجع السابق، ج1، ص256-257؛ ألبرت اكس، المصدر السابق، ص296.

الأول[1] رغم خلافاتهم، هذا بالإضافة، إلى أنّ امارتي الرها وأنطاكية كانتا جنبا الى جنبا في العديد من المعارك والمواجهات ضد القوات الإسلامية، وأيضا حتى ضد الإمبراطورية البيزنطية خاصة في الفترة الممتدة مابين سنتي 1110م/504هـ و1112م/ 506هـ[2].

وكان تانكرد قبل أن تدركه المنية سنة 1112م/506هـ قد عهد إلى إبن عمه بالوصاية على إمارة أنطاكية ريثما يبلغ ابن خاله بوهيمند الثانى بن بوهيمند بن جويسكارد سن الرشد ، ويأتى إلى الشرق للحصول على تركة أبيه وبالفعل تولى روجر دي سالرنوRoger de Salerno الوصاية على الإمارة حوالى سبع سنوات (1112-1119م) ، وحضيت إمارة أنطاكيا خلال هذه الفترة بعلاقة مصاهرة سياسية مع إمارة الرها نتيجة زواج روجر من سيسليا أخت بلدوين دي بورج، مما أوجد رباطا قويا بين الامارتين ، مكنهما من صد قوات برسق بن برسق صاحب همذان وخوزستان الذي عهد اليه السلطان محمد السلجوقي قيادة حركة الجهاد ضد الصليبيين في الجزيرة وبلاد الشام ، و وهكذا استطاعا روجر وبلدوين دي بورج أمير الرها من الحاق هزيمة قاسية بالمسلمين في منطقة دانيث[3] في 14 سبتمبر1115م/509ه ، وغنموا من الكراع والسلاح والخيام والدواب والأمتعة مالا يحصى[4].

كان لهذه الهزيمة أثرا كبيرا في تراجع دور وجهود سلاطين سلاجقة فارس لاسترداد الشام[5] ذلك أن أنطاكية استفادت كثيرا من تأييد المملكة بوصول بلدوين دي بورج "بلدوين الثاني" 1118م/ 512ه إلى العرش[6]، فخلال حملة الأمير البرسقي على أنطاكية كان روجر قد تلقى المساعدة من الملك بلدوين الأول و كذلك بلدوين كونت الرها، كما شارك أمير طرابلس بونز أيضا في ذلك الحلف الصليبي[7]، وقد تبين خلال المعركة أن قوات الرها هي التي بادرت بالهجوم على قوات البرسقي[8].

توطدت العلاقات أكثر بين الرها وأنطاكية في عهد جوسلين الأول وازدادت قوة بعد زواجه بأخت روجر حاكم أنطاكية مارية السالرنيةMariaSalerno، ومن مظاهر التعاون البناء بين الامارات الصليبية[9]، مشاركتهم في صد هجوم البرسقي على اعزاز التابعة للرها سنة 1125م/ 519هـ، حيث هبوا جميعا لنصرتها ، وقد ساهم رجال

---

[1] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص257.

[2] الجنزوري، المرجع السابق، ص230.

[3] دانيث: بلد من أعمال حلب، يقع بين حلب وكفر طاب. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص434.

[4] Stevensen, op. cit. p100.

[5] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 343-346.

[6] نفسه، ص 341، الجنزوري، امارة الرها، ص231.

[7] Stevenson, op. cit. p103.

[8] الجنزوري، المرجع السابق، ص 231.

[9] نفسه، ص232.

أنطاكية بدور كبير في المعركة ، وبعد مقتل البرسقي سنة 1126م/520هـ، انتهز جوسلين وبوهيمند الثاني Bohemond IIالفرصة لأخذ المدينة مستغلين في ذلك الفوضى التى حلت بحلب[1].

في هذه الظروف ساءت العلاقات بين الرها وأنطاكيا ونشأ بينهما عداء علني وسرعان ما تصادمت مصالح الأميرين[2] ، وهنا يذكر وليم الصوري[3]Guillaume de Tyr أن الأسباب الحقيقية لم تكن معروفة، ولكن من الراجع أن السبب في ذلك قد يعود إلى الأطماع الشخصية لكل من الأميرين، حيث أن جوسلين اف كورنتاي Jocelyne de Corentaiكان يأمل أن يعتلي عرش مملكة بيت المقدس، ولكن زواج بوهيمند الثاني من أليس ابنة الملك[4] أضاع عليه تلك الفرصة.

استمر جوسلين في عدائه لبوهيموند[5]، و تحالف مع المسلمين لتدمير أنطاكية وقد أشار الصوري إلى ذلك بقوله : أن جوسلين كان قد استدعى لمساعدته عصابات من التركمان أعداء الملّة ، وراح يعبث واياهم فسادا في أرض أنطاكية فسادا مضرما النار فيها ، ومحكما السيف في رقاب أهلها [6] ، وبمساعي من طرف ملك بيت المقدس وبرنارد بطريرك انطاكية تم التوفيق بين الأميرين[7]، وظهر التقارب بين الامارتين عندما إنتقل ريموند بواتييهRaymond Poitiers أمير انطاكية لمساعدة ملك بيت المقدس ضد عماد الدين زنكي 1137م/ 530هـ حيث ترك ريموند امارته تحت حماية جوسلين الثاني وبلدوين حاكم مرعش[8]، كما ظهر تعاون الامارتين مرة أخرى من خلال موقف الأميرين جوسلين وريموند، عندما تقاعسا عن مساعدة الامبراطور حنا كومنين(1143-1118م/512-538ه) أثناء محاصرته لمدينة شيزر ومحاولة الاستيلاء عليها سنة 1138 م/ 532 هـ [9].

وعندما انسحب الامبراطور البيزنطي من شيزر مطالبا بأنطاكية، قام جوسلين الثاني بدور ايجابي في الدفاع عن الامارة، مجبرا الامبراطور حنا كومنين على الانسحاب

---

[1]ابن الأثير، الكامل، ج9، ص236، الشارتري، المصدر السابق، ص224؛ الصوري، المصدر السابق، ج3، ص47-48.

[2] الجنزوري، المرجع السابق، ص 233. هارولند، المرجع السابق، ص116.

[3]الصوري، المصدر السابق، ج3، ص 59.

[4] بوهيموند الثاني: أصبح حاكما على أنطاكية في سنة 520هـ/1126م، وتزوج من ابنة بلدوين الثاني اليسAlice سنة 521هـ/1127م أنظر: Stevenson, op. cit. p119

إبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ الدولة الزنكية في بلاد الشام والجزيرة، دار قنديل للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2004، ص 54

[5]عاشور، المرجع السابق، ج1، ص421-422.

[6]الصوري، المصدر السابق، ج3، ص60.

[7] نفسه، ص61.

[8] إسحاق عبيد، روما وبيزنطة، دار المعارف، مصر، 1970، ص159.

[9]الصوري، المصدر السابق، ج3، ص160-163.

بعد اصابة عدد من أفراد حاشيته [1]، ويبدو أن خطة جوسلين لم يكن هدفها الحفاظ على مصلحة أنطاكية فحسب، بل تخوفه أيضا من أن يسيطر الامبراطور البيزنطي على الرها إذا تمت له السيطرة على أنطاكية[2].

ويتجدد العداء مرة أخرى بين أنطاكيا والرها بعد استقبال جوسلين الثاني بطريك أنطاكية "رالف"Ralph الذي كان موجودا في صقلية اثر نزاع بينه وبين ريموند حاكم أنطاكية ، فأظهر جوسلين الثاني الود تجاه البطريك نكاية في ريموند ودعاه للحضور ومعه بطانته إلى الرها لتأييده ومناصرته ، وكرد فعل لذلك أرسل ريموند سفارة الى الرها تطلب من البطريرك العودة الى وظيفته فكان له ذلك، ويبدو أنه كان متخوفا من امكانية تواطؤ جوسلين الثاني ومنحه شرعية وراثة أنطاكية لروجر دوق أبوليا Roger, Duc des Pouilles، خاصة وأنه تقابل مع هذا الأخير[3].

وفي 24 ديسمبر من سنة 1144م/20جمادي الثانية سنة539هـ سقطت الرها على يد عماد الدين زنكي حينها كان العداء لايزال مستحكما بين الامارتين[4]، وظهر ذلك من خلال استنجاد جوسلين الثاني بريموند والملكة مسيلند، فأعتذر الأول عن الاستجابة كونه مشغولا بالإمبراطور مانويل كومنين Manuel Comnène[5]، ويقال أن ريموند لم يستطع أن يخفي سروره وشماتته لما حل بجوسلين[6]، بينما قامت الملكة بتقديم المساعدة ولكنها جاءت متأخرة ، وبهذا ضاعت مناشدة جوسلين لريموند، وحتى بعد سقوط الرها و محاولة جوسلين استرجاعها مرة ثانية سنة 1146م/541هـ رفض ريموند تقديم المساعدة مدعيا أن الحملة تخطيطها سيء، ورغم انه كان واضحا لجوسلين ذلك وأن زنكي سيهاجمه بسرعة ، إلاّ أنه لم يستطع أن يغفر لريموند رفضه مساعدته ، لذلك دخل معه في نزاع علني[7].

وهكذا تقلبت العلاقات بين الرها وأنطاكية بين العداء حينا، والتحالف أحيانا وإن كان الغالب على تلك العلاقات الطابع العدائي.

2- العلاقة بين إمارتي طرابلس والرها:

رغم قلّة النصوص التي تتحدث بشكل دقيق عن العلاقات المباشرة بين إمارتي طرابلس والرها، إلاّ اننا نجد ما يشير الى مظاهر التعاون والتحالف في ظل مملكة بيت المقدس لنجدة أو مساعدة كيان صليبي ما في بلاد الشام.

---

[1] نفسه، ص166-168؛ الجنزوري، المرجع السابق، ص238.
[2] الجنزوري، المرجع السابق، ص238.
[3] الصوري، المصدر السابق، ج3، ص 189-191.
[4] الجنزوري، المرجع السابق، ص240.
[5] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص380.
[6] الجنزوري، المرجع السابق، ص239. الصوري، المصدر السابق، ج3، ص238.
[7] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص284.

والواقع أن المسار الودي للعلاقات بين طرابلس والرها يعود الى ما قبل قيام إمارة طرابلس ككيان صليبي، ففي أوائل سنة 493/1100هـ، عندما كان أمير الرها بلدوين البولوني متوجها الى بيت المقدس لتنصيبه كملك بعد وفاة أخيه جودفري، مر في طريقه بطرابلس التي كان يحكمها عندئذ فخر الملك بن عمار[1]، حيث استقبله بالترحاب وتوطدت الصداقة بينهما، وأخبره عن الكمائن التي أقيمت في طريقه نحو بيت المقدس من قبل أعدائه [2].

وتجسدت أول علاقة رسمية بين الامارتين الصليبيتين في وقوف أمير الرها بلدوين دي بورج في صف برترام بن ريموند الصنجيلي Bertram Raymond le Sangili، أثناء صراعه مع وليم جوردانWilliam Jordan حول طرابلس والمناطق المحيطة بها سنة 1108-1109م، وقد استطاع ملك بيت المقدس رغم حدّة الخلاف إيجاد حل لجميع الأطراف المتنازعة[3].

وشاركت إمارة طرابلس في نجدة الرها بعد الاستيلاء على بيروت سنة 1110م/504هـ إثر تعرضها لخطر الأمير مودود وجيشه المحاصر لها [4]، وذلك أن برترام الصنجيلي توجه لنجدة الرها بكل قواته صحبة الملك بلدوين الأول[5].

وفي 14أفريل 1118م/ 512هـ أصبح أمير الرها بلدوين دي بورج ملكا على بيت المقدس باسم بلدوين الثاني[6]، وكانت أولى العقبات التي واجهته من طرف بونز بن برترام أمير طرابلس الذي رفض فجأة بدل يمين الولاء والخدمة الاقطاعية لملك بيت المقدس رغبة منه في التحالف مع أنطاكية أكثر من بيت المقدس[7].

وبعد أسر الملك بلدوين الثاني 1123م/517هـ أصبحت كل من بيت المقدس والرها وأنطاكية محرومة من حكامها، في حين كانت طرابلس تحت حكم الأمير بونز تترأس تلك الامارات [8].

وفي سنة 1124م/518هـ تلقى جوسلين دعوة من الأمير دبيس بن صدقة [9] للوقوف ضد الأراتقة، بعد أن اتفق معهم على تسليمهم حلب[10]، ثم استنجد بهم عيسى أمير منبج[1]

---

[1] الجنزوري، المرجع السابق، ص240.

[2] الشارتري، المصدر السابق، ص123.

[3] Grosset, op. cit. v2, p192.

[4] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص365؛ ألبرت اكس، المصدر السابق، ص 286. Storrop, vol1. p.399

[5] ألبرت اكس، المصدر السابق، ص286.

[6] نفسه، ص317.

[7] Grosset, op. cit. v3, p38.

[8] الجنزوري، المرجع السابق، ص242.

[9] دبيس بن صدقة: دبيس بن صدقة بن منصور خامس أمراء بني مزيد، صاحب الحلة المزيدية وأمير بادية العراق، تولى حكمها بعد وفاة السلطان محمد سنة 511هـ/1118م، كان قد هرب من العراق بعد خلاف مع الخليفة المسترشد العباسي، واستجار بصاحب قلعة جعبر. أنظر: هارولند، المرجع السابق، ص134.

[10] ابن الأثير، الكامل، ج9، ص221؛ الحريري، المرجع السابق، ص41.

ضد بلك الارتقي ، اذ سار جوسلين الى بيت المقدس وطرابلس وجميع بلاد الفرنج وحشد ما يزيد على عشرة آلاف فارس وراجل و تقدم الى منبج[2]، حيث دارت هناك معركة عنيفة بين الطرفين كان النصر فيها للمسلمين و أجبر جوسلين وبونز على الانسحاب مع قواتهما[3]، لتقوم القوات الإسلامية بمحاصرة مدينة منبج ثانية وفي هذه الأثناء أصيب الأمير بلك بسهم فقتل في شهر ربيع الثاني سنة 518هـ/ ماي 1124م [4].

وعندما هاجم البرسقي رفقة ملكي الموصل وحلب امارة انطاكية سنة 1125م/519هـ و استولى على كفر طاب ، قام بمحاصرة قلعة عزاز[5]، فسار إلى نجدتها ملك بيت المقدس بلدوين الثاني ومعه بقية الأمراء الفرنج ومن بينهم أمير طرابلس بونز بن برترام بيت و أمير الرها جوسلين دي كورنتاي ، و انتهت المعركة بين الطرفين بانتصار الصليبين، ويعود الفضل في هذه المعركة لأمير طرابلس في تنظيم وتوحيد الجيش الصليبي لنصرة الرها ، بعدها طمع الصليبيون في الاستيلاء على دمشق بعد وفاة الأتابك طغتكين وانقسام اقطاعه بين أبناءه[6]، فشكل كل من جوسلين أمير الرها ، وبونز أمير طرابلس ، والملك بلدوين الثاني ، وبوهيمند الثاني أمير انطاكية تحالفا عسكريا ، وقصدوا دمشق عام 1129م/ 523هـ للاستيلاء عليها، ولكن محاولتهم باءت بالفشل لاختلاف أراءهم ورغبتهم في التجول في نواحي دمشق لجمع المؤن والغنائم والسلب والنهب، وقد هاجمتهم القوات المدافعة عن دمشق وبددت شملهم وفرقتهم وجعلتهم يلوذون بالفرار الى بلادهم[7].

وشكل جوسلين الثاني بن جوسلين دي كورنتاي تحالفا مع بونز أمير طرابلس وأليس زوجة بوهيمند الثاني وابنة بلدوين الثاني، ضد ملك بيت المقدس فولك Les gens d'Angie ونبلاء أنطاكية من أجل الاستيلاء على عرش انطاكية بدل ابنة

---

[1]منبج: من المدن القديمة تبعد عن الفرات ثلاثة فراسخ وعن حلب عشرة فراسخ، وهي قريبة من بالس. أنظر، اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر(ت284هـ)، البلدان، تح: محمد امين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ص207؛ الحموي، المصدر السابق، ج5، ص206؛ ابن حوقل ابي القاسم النصيبي (ت بعد 367ه)، صورة الارض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص221.

[2] ابن القلانسي، المصدر السابق، ص 209؛ حسين مؤنس، نور الدين محمود، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1959، ص142.

[3]ابن الأثير، الكامل، ج9، ص227.

[4]ابن القلانسي، المصدر السابق، ص209؛ سالم محمد الحميدة، الحروب الصليبية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990، ج2، ص105.

[5] ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 233-234؛ ابن العديم، المصدر السابق، ج2، 230-231؛ ابن القلانسي، المصدر السابق، ص210؛ الشارتري، المصدر السابق، ص224.

[6] ابن القلانسي، المصدر السابق، ص218-219؛ ابن الأثير الجزري، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق: عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د.ت، ص38.

[7] محمد العظيمي الحلبي(ت556هـ)، تاريخ حلب، تحقيق: إبراهيم زعرور، دمشق،1984، ص401؛ ابن القلانسي، المصدر السابق، ص226،224؛ ابن الاثير، الكامل، ج9، ص251؛ الصوري، المصدر السابق، ج3، ص 69-70.

بوهيمند كونستانسConstance كما رأينا سابقا وكان ذلك بداية من عام 1132م/526هـ[1].

وفي عام 1137م/531هـ تعرضت امارة طرابلس لتهديد عماد الدين زنكي 521-541هـ/1127-1146م[2]، إذ شن هجوما مباغتا على طرابلس التي كانت في هذه الاثناء تحت حكم ريموند الثانيRaymond II 521-547هـ/1127-1152م وأنزل هزيمة قاسية بها ، وأجبر الصليبيين على التراجع نحو بعرين لحماية أنفسهم من الإبادة ، وأمام قوة القوات الإسلامية اضطر ريموند الثاني لطلب المساعدة من فولك 526-539هـ/1131-1144م[3] ملك بيت المقدس الذي استنجد هو الآخر من أميري الرها وانطاكية بسبب شدة الحصار وتضييق الخناق على طرابلس من طرف زنكي، ولكن ملك بيت المقدس عندما أدرك شدة الحصار وتفوق زنكي اضطر للجوء الى حصن بعرين للاحتماء به، فأصبحوا محاصرين من جميع النواحي[4]، وقبل ذلك كان قد قتل جودفريGodfrey الأخ الأكبر لجوسلين[5]، وهنا تحركت جميع المناطق الصليبية بقيادة اميري الرها وانطاكية وبطريرك بيت المقدس لنجدة الملك والبقية، وانطلقوا مسرعين بجيوش كبيرة[6].

عندما علم زنكي باقترابهم منه واحتمال وصول الجيش البيزنطي كدعم للصليبين، اختار أن يفاوض القوات المحاصرة داخل القلعة بعد أن ساءت حالتهم ووصلت إلى درجة اليأس، مما دفعهم للقبول والخضوع لشروط الصلح بسرعة، إلاّ أن زنكي لم يفرض شروط قاسية على الملك فولك[7]، ليشجعه على الاستسلام قبل قدوم بقية القوات الصليبية المحتشدة[8]، وما كان الملك ورفاقه يفلتون من الحصار ويتوجهون الى عكا حتى علم الملك بمقدم أميري الرها وأنطاكية فقابلهم بتأثر عظيم وشكر محبتهم ومروءتهم[9]، وبعد ذلك انسحب الأميران كل الى بلاده[10].

---

[1] الصوري، المصدر السابق، ج3، ص97؛ ماير، المرجع السابق، 163؛ عاشور، المرجع السابق، ج1، ص429.
[2] ال طعمة، المرجع السابق، ص136؛ عاشور، المرجع السابق، ج1، ص258.
[3] ال طعمة، المرجع السابق، ص136. عاشور، المرجع السابق، ج1، 258.
[4] ابن القلانسي، المصدر السابق، ص259؛ ابن الاثير، الكامل، ج9، ص298-299؛ عاشور، المرجع السابق، ج1، 458.
[5] ابن واصل، المصدر السابق، ج1، ص73؛ ابن الأثير، الباهر، ص61.
[6] ابن واصل، المصدر السابق، ص 73؛ ابن القلانسي، المصدر السابق، ص259.
[7] ابن القلانسي، المصدر السابق، ص259؛ ابن الاثير، الكامل، ج9، ص300؛ عاشور، المرجع السابق، ج1، ص458.
[8] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص326-327؛ عاشور، المرجع السابق، ج1، ص458.
[9] ابن القلانسي، المصدر السابق، ص259.
[10] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص327.

والملاحظ أن الغالب على العلاقة بين امارتي الرها وطرابلس الطابع الودي في إطار التبعية من طرف الجانبين لمملكة بيت المقدس الصليبية، وذلك منذ قيام امارة طرابلس 502هـ/1109م[1].

3- العلاقة بين امارة انطاكية وإمارة طرابلس:

اتسمت العلاقات بين العناصر النورماندية والبروفانسية المشاركة في الحملة الصليبية الأولى بالتوتر و العداء الشديد الى درجة الصراع ، خاصة بين بوهيمند الذي كان مسؤولاً عن الاستيلاء على أنطاكية و الدفاع عنها سنة 1098م ، وريموند الصنجيلي الذي كان مصّرا على المطالبة بالمدينة و إعادتها إلى البيزنطيين، و يتأكد هذا الصراع بعد الاستيلاء على أنطاكية، حيث بقي بوهيمند في المدينة ولم يرافق بقية الصليبيين إلى القدس، و أنشأ إمارة صليبية في الشرق الاسلامي ملغيا بذلك القسم الذي أخده على نفسه بسبب عدم قدوم ألكسيوس إلى أنطاكية لمساعدته[2] ، ويتكرر الصراع مرة أخرى ضد ريموند أثناء حكم تانكرد لأنطاكية لكن امارة طرابلس لم تكن قد تأسست فعليا في تلك الفترة، لأن ريموند كان يركز جهوده للاستيلاء على المناطق التابعة لها[3].

وما لبث التوتر في العلاقات بين الامارتين أن ظهر للواجهة من جديد عند قدوم برترام بن ريموند الى بلاد الشام سنة 1108م/502هـ للمطالبة بإرث والده [4]، وفي طريقه الى المناطق الخاضعة لسيطرة أبيه بالقرب من طرابلس، توقف عند إمارة انطاكية للمطالبة بتسلم جميع الأماكن التي كانت تحت سيطرة والده اثناء الحملة الصليبية الأولى[5].

أبدى تانكرد استعداده لردها مقابل أن يساعده برترام في انتزاع مدينة المصيصة من الإمبراطورية البيزنطية، إلاّ أن برترام رفض ذلك خوفا من فقدان دعم الإمبراطور له، وأيضا لم يشأ أن يدخل في صراع مع الإمبراطورية البيزنطية وهو لم يستقر بعد في امارته، مما اضطر تانكرد لإجباره على مغادرة أراضي امارة انطاكية[6] وهكذا فإن ظهور برترام شكل خطرا على امارة انطاكية نظرا لتحالفه مع الإمبراطورية البيزنطية العدو الدائم لأنطاكية[7].

اشتد الصراع بين الطرفين عندما أيد تانكرد وليم جوردان الوصي على أملاك ريموند الصنجيلي منذ وفاته سنة 1105م/498هـ في مشكلة مطالبة برترام بحقوقه في امارة طرابلس، وبفضل تدخل ملك بيت المقدس بلدوين الأول لصالح برترام، سويت

---

[1] ابن القلانسي، المصدر السابق، ص163؛ عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 372.
[2] نفسه، ج1، ص 160- 174.
[3] هارولند، المرجع السابق، ص78، 85.
[4] الشارتري، المصدر السابق، ص 144.
[5] هارولند، المرجع السابق، ص86.
[6] ألبرت اكس، المصدر السابق، ص 280.
[7] Grosset, op. cit. v2, p184.

المشكلة مؤقتا وأرتضى الطرفان بتقسيم تركة الأمير ريموند بين الطرفين، فأخذ وليم جوردان عرقة وانطرطوس، في حين أخذ برترام قلعة صنجيل وجبيل، علاوة على طرابلس عندما يتم فتحها، وتقرر أنه إذا مات أحدهما دون ولد فإن الآخر يرثه في ممتلكاته[1].

ومن خلال هذا النجاح الذي قام به ملك بيت المقدس توحدت القوات الصليبية في الهجوم على طرابلس والاستيلاء عليها بعد ست سنوات من الحصار، واتخذ برترام لقب أمير طرابلس وأقام علاقات وثيقة بمملكة بيت المقدس[2]، وما كاد وليم جوردان يموت حتى بادر برترام بضم عرقة، في حين اكتفى تانكرد بالاستيلاء على انطرسوس، ولم يعد له أي نفوذ في امارة طرابلس الجديدة بعد مقتل حليفه[3].

وكنتيجة لذلك أصبحت حدود امارة انطاكية وكونتية طرابلس متجاورة، حيث اشتد العداء بينهما بعد فقدان البروفانس لمدينة طرسوس التي تعد أول مدن الساحل الشامي التي خضعت لسيطرتهم[4]، كما إستولى تانكرد على حصن الأكراد أثناء قيامه بغارة على شيزر سنة 1110 م/ 503هـ ، ومن المفروض أن هذا الحصن بحكم موقعه كان يجب أن يتبع امارة طرابلس لا انطاكية ، لكن تانكرد تخلى عنه فيما بعد للأمير بونز بن برترام الصنجيلي سنة 1113م/506هـ ، ومنذ هذا التاريخ ظل حصن الأكراد تابعا لإمارة طرابلس الى أن سلمه ريموند الثاني أمير طرابلس للفرسان الاسبتارية سنة 1142/ 537هـ [5].

وفي ظل هذه الأوضاع شهدت العلاقات بين أنطاكية وطرابلس تقاربا ملحوظا اقتضته المصلحة وذلك لتوحيد صفوف الصليبيين لمواجهة الخطر الناجم عن اتحاد كلمة أمراء المسلمين، اذ شارك برترام أمير طرابلس وتانكرد أمير أنطاكية جنبا الى جنب مع قوات الملك بلدوين الأول في صد هجوم الأتابك مودود على كونتية الرها سنة503هـ/1109م، وسرعان ما اظهروا تماسكا قويا، متناسين ما كان بين بعضهم البعض من اختلافات وتباينات في الأهداف والمصالح [6].

اجتمعت الجيوش الصليبية قرب فامية(افاميه) 1111م/504هـ في الجزء الشرقي من نهر العاصي ومن ذلك الموقع بالذات كان يمكنهم الاشراف على شمال الشام فضلا عن شاطئ لبنان وفلسطين[7]، غير أن حملة مودود على طرابلس لم تستطيع تحقيق أهدافها لحلول فصل الشتاء فرحل مودود عن الشام ، ثم مالبث أن أغار بلدوين على بعض

[1] ألبرت اكس، المصدر السابق، ص280-282.
[2] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص299-303؛ الشارتري، المصدر السابق، ص145.
[3] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص186-187؛ عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 303.
[4] سالم، المرجع السابق، ص193-194.
[5] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص304.
[6] ابن القلانسي، المصدر السابق، ص271-272؛ الصوري، المصدر السابق، ج2، ص296.
[7] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص198-199؛ هارولد فنك، المرجع السابق، 93؛ عاشور، الحركة، ج1، 371.

قرى دمشق سنة 1113م/507هـ ، فكتب طغتكين إلى مودود يطلب منه القدوم إلى الشام ، واجتمع الأميران بمرج سلمية ، واتجها إلى دمشق لاعداد العدة و هناك قتل مودود بيد أحد الباطنية بالجامع الأموي دمشق في آخر يوم الجمعة من شهر ربيع الثاني507هـ/ أكتوبر 1113م ،ثم موت رضوان أمير حلب في جمادى الثانية من نفس السنة فكان موتهما ضربة للجهاد الإسلامي وانقاذا للصليبين من جهة الشمال[1].

ويبدو أن العلاقات بين أنطاكية وطرابلس شهدت تحسنا ملموسا وتقاربا سياسيا واضحا منذ الأيام الأخيرة من حياة برترام، حتى أنه قام بارسال ابنه وخليفته بونز الى بلاط غريمه القديم تانكرد في أنطاكية ليتعلم أصول الفروسية وآدابها[2]، ويقال أن تانكرد عندما كان يحتضر نصح زوجته سيسيليا (Cecilia) ابنة الملك الفرنسي فيليب (Philip) أن تتزوج الأمير الشاب بونز (Pons) ابن كونت طرابلس ليتحقق هذا الأمر بعد وفاته في 12 ديسمبر 1112م [3]، ويؤكد ابن القلانسي ذلك بقوله : " في الثاني من شعبان من 505هـ/ 1111م ورد الخبر بهلاك بدران بن صنجيل- يقصد برترام- صاحب طرابلس بعلة لحقته ، وأقام ابنه في الأمر من بعده وهو طفل صغير كفله أصحابه ودبروا أمره مع تانكرد صاحب أنطاكية وجعلوه من قبله -أي فرسانه- واقطعه انطرسوس، وصافيتا ومرقية، وحصن الاكراد"[4] .

ولا شك في أن هذه الزيجة كان لها أثرها الخطير من الناحية السياسية اذ ربطت بين الأسرتين الحاكمتين في طرابلس وأنطاكية[5]، حتى أن الأمير بونز كان يسعى دوما الى خلق جو من التفاهم بين الامارتين بغية الإفادة منه لمصلحته الخاصة، اذ كان يتوق الى خلع ولائه لمملكة بيت المقدس والتحرر من القيود التي تربطه بها، ففي سنة 1122م/516هـ حاول التنصل من تبعيته لبلدوين الثاني ولكنه لم يوفق[6]، وهذا دليل على قوة علاقته بأنطاكية ورغبته في الاستقلال عن بيت المقدس.

يمكن القول أن التقارب الشديد هو الطابع الايجابي الذي ميز العلاقات السياسية والعسكرية بين الامارات الصليبية في الشرق الأدنى خاصة خلال الفترة الممتدة مابين (1116-1120/510-514هـ) ، وقد ظهر ذلك بشكل واضح و دقيق بين أمراء طرابلس وأنطاكية حتى قيل أنه بعد موقعة تل دانيث يوم 14 أوت 1119 م[7] تمتعت

---

[1] عاشور، الحركة، ج1، ص 260، 261، حبشي، المرجع السابق، ص17، قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، الكويت، 1990، ص111.

[2] هارولد فنك، المرجع السابق، ص90؛ عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 304؛ سالم، المرجع السابق، ص194.

[3] الصوري، المصدر السابق، ج2، ص299؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص 203؛ هارولد فنك، المرجع السابق، ص90 عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 304.

[4] ابن القلانسي، المصدر السابق، ص 181.

[5] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 304.

[6] سالم، المرجع السابق، ص150.

[7] تل دانيت: بلد من أعمال حلب، بين حلب وكفر طاب. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص434.

الامارات الصليبية بأمن لم تعرفه من قبل الى أن هزم روجر أمير انطاكية وقتل في معركة البلاط أو ساحة الدم بواسطة ايلغازي حاكم حلب في 28 جوان 1119م/ 513هـ[1] مما أدى الى تناقص النفوذ النورماني في بلاد الشام، بينما قويت شوكة البروفنساليين والفرنجة القادمين من وسط وشرق فرنسا.[2]

وفي سنة 1131م/ 526هـ عقب وفاة بوهيمند الثاني حاولت الأميرة أليس أن تستأثر لنفسها بحكم أنطاكية دون ابنتها كونستانس ، راغبة في التحرر من سيادة بيت المقدس ، ويتضح أن الأمير بونز لجأ الى مساندتها من أجل تحقيق طموحها السياسي ، ووقف في وجه فولك حيث منعه من المرور على أراضي طرابلس للوصول الى أنطاكية لمحاربة أليس، ولم يكتف بذلك بل جعل الحصون التابعة له في امارة انطاكية بمثابة قاعدة لمهاجمة قوات الملك ووضع العراقيل في طريقه[3] ، مما يدل على استمرار العلاقات الودية بين أمراء طرابلس وأنطاكية خلال هذه الفترة.

يمكن القول أن مسار العلاقات بين الامارات الصليبية ابتداءا من الحملة الصليبية الأولى الى غاية سقوط الرها 1097- 1044م/ 490-539هـ ، كان يسير في اتجاه مختلف و لمصلحة طرف دون آخر ، مع وجود نوع من التوتر و الخلاف و التنافس الذي يتطلب التحالف مع إمارة بعينها ضد إمارة آخرى لأسباب قد تكون سياسية أو عسكرية أو استراتيجية مع اعلان الولاء التام و التبعية الكاملة لمملكة بيت المقدس ، كما أن الخطر الاسلامي سرعان ما أجبر الأمراء الصليبيين على تناسي الأحقاد وتجاوز الخلافات الموجودة بينهم للوقوف في وجه الحملات الاسلامية ، ويلاحظ في ذلك عودة السلم والود في العلاقات الصليبية الصليبية من خلال المشاركة في الأحلاف العسكرية المشتركة ضد المسلمين أو الوصاية السياسية أثناء شغور المنصب، أوالاعتراف بسيادة طرف على مجال محدد .

المبحث الثالث: الامارات الصليبية ما بين سقوط الرها وموقعة حطين 1144م-1187م /539-583هـ.

كانت إمارة الرها تشكل عائقا يحول دون قيام عماد الدين زنكي بتوحيد الجبهة الاسلامية في الجزيرة وبلاد الشام، بسبب تدخلها المستمر لصالح أعدائه من أمراء المسلمين في المنطقة، وتهديدها الدائم لخطوط المواصلات الاسلامية التي تربط بين الموصل وحلب من جهة، وبلاد فارس وسلاجقة آسيا الصغرى من جهة أخرى، لذلك كان وجودها في شرق الفرات سدا منيعا أقامه الافرنج في قلب الأراضي الاسلامية،

[1] هارولد، المرجع السابق، ص 92؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص238

[2] هارولد، المرجع السابق، ص107.

[3] الصوري، المصدر السابق، ج3، ص96-97؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص301.

وحتى يحقق عماد الدين زنكي مشروعه التوسعي في الحصول على الرها شرع في وضع استراتيجية عسكرية محكمة [1].

تهيأت الظروف السياسية للسلطان عماد الدين زنكي لاسترداد الرها من سيطرة الفرنج ، حيث ظهرت الخلافات والصراعات العسكرية بين جوسلين الثاني أمير الرها و ريموند دي بواتيه أمير أنطاكيا إلى العلن خاصة في انتهاج السياسة التوسعية ، حتى أن كل منهما كان يفرح كثيرا لما يصيب الآخر من كوراث ونكبات ، وازداد الأمر سوءا بوفاة الملك فولك الأنجوي ، أين تراجع نفوذ مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الثالث(1130-1162 م/524- 577 ه) لأنه لم يكن بشخصة قوية كما كان سلفه ، ولم تكن له القدرة الكافية على ايجاد تسوية لهذا الخلاف المستحكم بين الطرفين و توحيد الصف الصليبي ، هذا بالاضافة الى تصدع الحلف الفرنجي البيزنطي وتحوله الى عداوة حقيقية بعد مهاجمة ريموند أراضي كليكيا في بداية عام (1144 م/538 ه) وانتزاع عدد من مدنها وحصونها واعادتها للسيادة الافرنجية في أنطاكية[2].

أتاحت هذة الظروف الفرصة المناسبة للسلطان عمادالدين زنكي كي يستأنف جهادة ضد الصليبيين من جديد ويوجه أهدافه نحو الاستيلاء على الرها أولى الامارات الصليبية تأسيسا وسقوطا، حدث كل هذا دون أن يتقدم جيش صليبي واحد لنجدتها أو الدفاع عنها[3] ، فأنطاكية لم تقدم أي معونة ولم يرسل أميرها أيه نجدة بل كان مسرورا جدا لما أصابها[4]، أما بيت المقدس فغلى الرغم من إرسال الملكة مليسند عدد من القوات لنجدة الرها إلاّ أن وصولها كان متأخرا جدا ودون جدوى[5].

كان لاسترجاع الرها من قبل المسلمين الأثر الشديد على الصليبيين جميعا، حيث دق ناقوس الخطر لدى بقية الامارات الصليبية التي أثبتت عجزها عن تقديم يد المساعدة للرها في أشد أيام محنتها، وبدا واضحا أن الدور القادم سيكون على جاهزا على ما تبقى من الامارات، وهنا بدأت انظار صليبي الشرق تتجه نحو الغرب المسيحي لطلب النجدة لإنقاذهم[6] من خطر المسلمين بعد فقدان الدرع الواقي لهم، وكرد فعل بدأت

---

[1] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 479، 480. يوسف بن نصرة الله محمد، الخطط العسكرية الاسلامية في استرداد الامارات الصليبية (الرها- أنطاكية- طرابلس)، المجلة العلمية لكلية الأداب والعلوم الانسانية، جامعة طيبة، ع 82، السعودية، أفريل 2022، ص 518.

[2] عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 479؛ الجنزوري، المرجع السابق، ص301-302، الرويضي، المرجع السابق، ص 407-408

[3] لمزيد من المعلومات حول سقوط الرها أنظر: عاشور، الحركة، ج1، ص 479-482؛ الجنزوري، المرجع السابق، ص301-313. الصوري، المصدر السابق، ج3، ص 235-240، ابن القلانسي، المصدر السابق، ص279، زكار، الموسوعة، ج5، ص60-67.

[4] الصوري، المصدر السابق، ج3، ص238. Stevenson, op.cit.149.

[5] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص380.

[6] الجنزوري، امارة الرها، ص 311-312؛ البير شاندور، صلاح الدين الايوبي البطل الأنقى في الإسلام، تر: سعيد أبو الحسن، تح: نديم مرعشلي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط2، سوريا، 1993، ص66.

تظهر للأفق حركة استفاقة إسلامية كبرى لاسترجاع وتوحيد أراضي المسلمين تحت راية واحدة سياسيا وعسكريا.

1- سقوط الرها وردود فعل الامارات الصليبية:

على الرغم من أهمية الرها وخطورة سقوطها على الصليبيين في الشرق، إلاّ أن ردود فعلهم لم تكن في مستوى الحدث، ولم يتحمل أي طرف من الامارات الصليبية القيام بعمل سريع ومباشر ضد عماد الدين زنكي، فالقوات التي أرسلتها ميلسند [1] من القدس وصلت الى شمال بلاد الشام متأخرة، وأقامت شمال الطريق المؤدي الى حلب من أنطاكية تنتظر ردة فعل الكونت جوسلين الثاني لتعمل تحت قيادته، ولكنه فضل التقوقع في تل باشر على أن يتحالف مع تلك القوات للدفاع عن بقايا الامارة[2].

وعندما علم عماد الدين زنكي بوجود هذه القوات أرسل اليها عددا من التركمان، فهاجموها وأوقعوا بأفرادها من الافرنج بين قتيل وجريح وأسير، وحازوا على أموالهم ومتاعهم وشتتوا شملهم كان ذلك في شهر مارس سنة 1145م/ رمضان 539هـ[3].

وعلى الرغم من الخطر الذي تعرض له أمراء الافرنج في بلاد الشام والجزيرة، إلاّ أنهم لم يكونوا حريصين على التعاون سويا لمواجهة عماد الدين زنكي بسبب تدهور أوضاعهم الداخلية ، فالملك بلدوين الثاني ملك بيت المقدس كان لايزال قاصرا تحت وصاية والدته ، مما أفقد مملكة بيت المقدس سيادتها على قادة الامارات الصليبية في بلاد الشام، والأمير ريموند بواتييه حاكم أنطاكية كان أضعف من أن يقوم بإجراء جاد ضد المسلمين، هذا الى جانب صراعه مع البيزنطيين أيضا، كما أن الكونت جوسلين الثاني رأى أن يعمل وحده دون النظر لمساعدة الآخرين من الفرنج، فقد حاول أن يعيد بناء كونتيته في البلاد التي بقيت في حوزته غربي الفرات، وأن يجعل من تل باشر حاضرة لها[4].

هكذا بدت أحوال الامارات الصليبية وحكامها في بلاد الشام ، وأخذت تزداد سوءا يوما بعد آخر، اذ لم يشأ الكونت جوسلين الثاني أن يغفر للأمير ريموند حاكم أنطاكية امتناعه عن التوجه لمساعدته، فأعلن عدواته ورفض التعاون معه ، في حين كره

---

[1] ميليسندا (1105 – 1161م): البنت الكبرى لبلدوين الثاني وخليفته في الحكم بعد وفاته كملكة لمملكة بيت المقدس *بين* عامي 1131 إلى 1153م، *وكانت* وصية على عرش ابنها بين 1153 و1161. أنظر: عائشة مرشود حميد الحربي، ملوك بيت المقدس القاصرون :الملك بلدوين الرابع أنموذجا (581-569 هـ – 1174-1185م)، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، مج. 14، ع 1، جامعة طيبة، السعودية، 2021، ص 214.

[2] الرويضي، المرجع السابق، ص427؛ عاشور، المرجع السابق، ج1، ص481.

Stevenson, op.cit. p150.

[3] ابن القلانسي، المصدر السابق، ص280.

[4] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، 384؛ عماد الدين خليل، الامارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1980، ص156.

ريموند من جانبه الوفاق مع الكونت جوسلين الثاني[1]، إلاّ أنه أدرك ما يمكن أن يترتب عن عزلته من المخاطر، وأنه غير قادر لوحده على مواجهة قوات عماد الدين زنكي اذا هاجمت أراضي أنطاكية ، وهي نتيجة حتمية لا بد له من توقعها بعد سقوط الرها، خاصة أن بعض القوات التركمانية و البيزنطية بدأت تجوب أراضي أنطاكية بكل حرية دون أن تجد من يردعها[2]، فقرر في عام 1145م/ 539هـ أن يرحل الى القسطنطينية ليلتمس المساعدة من الامبراطور البيزنطي مانويل كومنين ويقدم له الولاء والتبعية، فوعده الامبراطور بمساعدة مالية غير أنه لم يعده بمساعدة عسكرية عاجلة[3]، وقد أفضت هذه الزيارة الى نتيجة لها أهميتها على الامارات الصليبية في بلاد الشام، اذ جعلت عماد الدين زنكي يؤجل هجومه على أراضيها ويوجه اهتمامه نحو دمشق والموصل[4].

أكدت الأحداث التي وقعت أثناء وبعد سقوط الرها 1144م/539هـ في يد عماد الدين زنكي أن الامارات الصليبية أصبحت في حالة ضعف ولم تعد لديها القدرة على مواجهة المسلمين أو القيام بإجراء جاد ضدهم مع أن الظروف كانت في صالحهم[5]، ومنحتهم إمكانية التحالف معا والقيام بخطوة جريئة لاسترداد الرها ، خاصة بعد اضطراب أحوال إمارة عماد الدين زنكي اثر مقتل نائبه في الموصل وانشغاله في ترتيب شؤونها ، وتوقفه عن عن مواصلة هجوماته في الأراضي الافرنجية في بلاد الشام الشمالية ، لكن تغير القادة كان له الأثر الكبير على العلاقات السياسية والعسكرية بين الامارات الصليبية بعد حوالي خمسين سنة من تأسيسها ، ولعل الصليبيون بالشرق عندئذ لم يدركوا مغزى استيلاء المسلمين على الرها، ولم يدركوا أن هذه الخطوة بالنسبة للمسلمين تعد فتح الفتوح وبالنسبة للصليبيين هي الخطوة الأولى في هدم البناء الذي شيده الفرنج بالشرق[6].

2- دور الامارات الصليبية في الحملة الصليبية الثانية 543هـ/1148م:

كان لسقوط الرها في يد المسلمين رد فعل عنيف في الغرب الأوربي، ليس بسبب المكانة الدينية التي تتمتع بها هذه المدينة في تاريخ المسيحية فحسب، بل لأنها كانت أيضا أول امارة أسسها الصليبيون في الشرق، فجاء سقوطها إيذانا بترنح البناء الصليبي الكبير الذي نجحت الحملة الصليبية الأولى في اقامته بالشرق، لذلك أدرك

[1] رنسيمان، المرجع السابق، ص384.
[2] هارولد، المرجع السابق، ص 192.
[3] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص384.
[4] نفسه، ص384-385.
[5] عاشور، الحركة، ج1، ص483.
[6] Stevenson, op.cit 153.

الغرب الأوربي أنه إذا لم يسرع في ترميم هذا البناء ومساندته، فإنه لن يلبث أن ينهار بأكمله[1].

ويبدو أن فكرة الحملة الصليبية الثانية ولدت في بلاط الملك الفرنسي لويس السابعLouisVII [2]سنة 1145م/ 540ه، وهو الملك المعروف بورعه وتقواه، ثم تأكدت في مجمع فزلايVezelay[3] في آواخر شهر مارس سنة 1146م/540هـ ، واستجاب لها الامبراطور كونراد الثالثConrad III[4]في ديسمبر من العام نفسه، إلى أن اكتسبت طابعا مختلفا في أساسه عن الحملة الصليبية الأولى سنة 1148م/543 ، اذ كانت تتألف من جيشين نظاميين ينتميان الى أقوى دولتين في الغرب الأوربي، ويقودهما أكبر ملوك الكاثوليكية ، كونراد الثالث امبراطور المانيا ولويس السابع ملك فرنسا[5]، وقد حاولت كل امارة من الامارات الصليبية الموجودة في الشرق الاستفادة من هذه الحملة وتوجيهها لما يخدم مصالحها[6]، وسوف نلاحظ فيما بعد مدى استفادة كل امارة من الحملة الصليبية الثانية ، و الدور الذي ساهمت به في ذلك.

3- مملكة بيت المقدس والحملة الصليبية الثانية:

عند وصول قادة الجيوش الصليبية ونزولهم في البعض من مدن بلاد الشام، استجابوا لدعوة الملكة مليسند وبلدوين الثالثBaudouin III ملك بيت المقدس، في عقد مجلس يضم جميع القيادات لتقرير الوجهة القادمة للحملة الصليبية، وقد جرى هذا الاجتماع في مدينة عكا أهم مدينة في مملكة بيت المقدس في 24 جويلية1148م/ ربيع الأول543هـ.[7]

كان هذا اللقاء من أهم الاجتماعات أهمية وإثارة في تاريخ هذه الحملة ، وقد تخلف عن الحضور كل من ريموند الثاني بواتييه أمير أنطاكية الذي غضب لذهاب الملك لويس ،

---

[1] عاشور، الحركة، ج1، ص 493.

Stevenson, op.cit. 158.

[2]لويس السابع Louis VII: الابن الثاني للملك لويس السادس (1137-1108م/502-531هـ) وأدلياد، ابنة هيومبرت الثاني صاحب مورين، وشقيقة البابا كلستين الثاني (1144-1143م/538-539هـ)، ولد عام 1121م/515هـ، وأصبح وصيا على العرش الفرنسي في عام 1131م/525هـ، بعد وفاة أخيه الأكبر فيليب، واستمر في حكمه للبلاد منذ وفاة والده عام 1137م/502هـ، الى غاية 18 سبتمبر 1180م/576هـ، وكان له دورا بارزا باشتراكه في الحملة الصليبية الثانية.

أنظر: عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج1، ص359؛ شعبان محمد حمزة، بلغاريا والحروب الصليبية، دار الافاق العربية، القاهرة، دت، ص214.

[3] مجمع فزلاي: مؤتمر كنسي انعقد بفرنسا في 31 مارس 1146م تمت الدعوة فيه الى حملة صليبية مقدسة جديدة ضد العالم الإسلامي لاسترجاع الرها وحماية الامارات الصليبية في الشرق. أنظر: رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص 405-408.

[4]كونراد الثالث: هو ابن فريدريك الأول دوق سوابيا امبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة، تولى الحكم بين سنتي 533-547 ه /1138-1152م. أنظر: عاشور، أوروبا، ج1، ص245.

[5] عاشور، الحركة، ج1، ص493؛ حبشي، نور الدين، ص 50.

[6]Stevenson, op.cit. 159.

[7]رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص 451. الصوري، المصدر السابق، ج3، ص 307.

أما ريموند الثاني ابن بونز كونت طرابلس فقد رفض الحضور بسبب اتهامه بقتل ألفونسو كونت تولوز، بينما بقي جوسلين الثاني في تل باشر وكان غاضباً أيضاً من تصرفات لويس، على الرغم من أن هؤلاء الثلاثة كانوا الأكثر عرضةً لخطر نور الدين زنكي ، وقد ترتب على ذلك أن تناسى المؤتمرون خطر نور الدين والزنكيين، واتجهوا تحت تأثير امراء بيت المقدس الى مهاجمة أمير دمشق معين الدين أنر[1] ، الحليف الوحيد للصليبيين بين أمراء المسلمين بالشام[2].

يصف رنسيمان هذا القرار" بالحماقة المطلقة"، اذ أن مملكة البورريين بدمشق هي التي انفردت عن سائر الممالك الإسلامية بالحرص على الإبقاء على هذه الصداقة مع الفرنج، كما أنها سلمتهم مدينة بانياس التي كانت تضارع في ذلك أبعد الصليبيين بصرا، في اعتبار نور الدين أكبر عدوا لها، وقد اقتضت مصالح الفرنج المحافظة على الصداقة مع دمشق، حتى يتم سحق نور الدين[3]، لكن الصلبيون قرروا غزوها ، اذ أن غزوها سيحول دون تحالف إسلامي بين شمال الشام ووسطه، ثم إن قربها من القدس سيسهل احتلالها حيث لن توجد حينذئذ خطوط تموين للقوات الصليبية، ويمكن أيضا تكوين دولة صليبية تسعى الى تصفية الوجود الإسلامي في بلاد الشام[4]، وغيرها من العوامل التي اقترحها ملك وملكة بيت المقدس وباروناتهم للمجتمعين معهم من القوات الصليبية[5].

ولابد أن الصليبيين قد تعللوا بأسباب يبررون بها مهاجمة دمشق، ودليل ذلك أن القائمين على شؤون مملكة بيت المقدس لم يكونوا يفكرون في المحافظة على الهيبة التي اكتسبتها المملكة الصليبية بالشام، بل اتجهوا الى النفع المادي القريب وهو تأمين حدودها وإزالة قوة دمشق حتى لا تكون في يوم من الأيام مصدر خطر يهدد سلامتها [6]، واستغلوا ما تميز به ملكهم من الفتوة والنشاط لقيادته نحو مغامرة لا يحمد عقباها على الوجود الصليبي في بلاد الشام مستقبلا[7].

---

[1] معين الدين أنر: هو أتابك "مربي "حاكم دمشق مجير الدين أبق 549-534هـ/1139-1154م، والحاكم الفعلي في عهده، ووالد خاتون زوجة السلطان نور الدين محمود زنكي، توفي بدمشق544هـ/1158م. أنظر: القلانسي، المصدر السابق، ص 288-291.

[2] عاشور، الحركة، ج1، ص 500. الصوري، المصدر السابق، ج3، ص 308.

[3] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص 452، جوني وفاء، دمشق والمملكة اللاتينية في القدس منذ أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثاني عشر الميلاديين، 492-569 هـــ/ 1098-1174م، دار الفكر، ط1، بيروت، 1997، ص 217

[4] محمد مؤنس عوض، في الصراع الإسلامي الصليبي – السياسة الخارجية للدولة النورية -، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، 1998، ص 145.

[5] الصوري، المصدر السابق، ج3، ص 307-308.

[6] حبشي، نورالدين، ص 55-56.

[7] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص453.

ولما أدرك الصليبيون أن ملك بيت المقدس على معرفة تامة بالاقليم قدموه عليهم وجعلوه قائدهم في الزحف على دمشق[1]، حيث هاجمت القوات الصليبية دمشق، مما جعل معين الدين أنر يطلب يد العون والمساعدة من نور الدين محمود الذي وجد في ذلك فرصة لزيادة تدخله في شؤونها على نحو يضمن له في النهاية احكام قبضته عليها، وتم ارسال امدادات ضخمة لمساعدته[2].

قام الصليبيون بحصار المدينة في شهر ربيع الأول 543هـ/ يوليو1148م، إلاّ أن الحصار سرعان ما باء بالفشل بفضل الدفاع المستميت للدمشقيين و كذا الدعم العسكري من قبل نور الدين زنكي وأخيه سيف الدين غازي أمير الموصل، مما أعطى دفعا قويا لسكان المدينة في مواجهة الصليبيين[3]، هذا الى جانب أسباب أخرى نذكر منها النزاع الذي ظهر بين الصليبيين بسبب التواطؤ والخيانة فيما بينهم، اذ تبين أن مجوعة كبيرة من هؤلاء قبلت أموالا من حاكم دمشق مقابل الانسحاب من الجيش الصليبي، كما أن الأخطاء العسكرية الفادحة ، والصراع أيضا حول حكم المدينة قبل سقوطها كلها عوامل ساهمت في هزيمة الصليبيين وانسحابهم .[4]

حقيقة كانت مملكة بيت المقدس أقل الوحدات الصليبية تعرضا لضغط المسلمين في الشرق ، ومن هذا المنطلق يتضح مدى التغيير الذي طرأ على أوضاع الصليبيين ومبادئهم ببلاد الشام ، فبعد أن كان ملوك بيت المقدس السابقون مثل بلدوين الأول، وبلدوين الثاني، وفولك الانجوي، يضحون بأنفسهم وبمصالحهم ويتحملون الأخطار في سبيل نجدة الرها وانطاكية أو طرابلس، اذا بمملكة بيت المقدس في عهد ملكها القاصر ووالدته الوصية عليه مليسند تسعى لحرمان الامارات الصليبية في الشمال من حق مشروع في المساعدة والنجدة، لتستغل حملة صليبية في تحقيق مكاسب إضافية لنفسها[5].

4- امارة انطاكية والحملة الصليبية الثانية:

كانت امارة انطاكية عرضة للتهديد المباشر من قبل نور الدين محمود، وأصبحت الهدف الثاني للمسلمين بعد الرها، لذلك اشتدت ضربات المسلمين نحوها ، حيث شهدت هذه الفترة وصول الحملة الصليبية الثانية 1148م/543هـ، حيث حاول ريموند أمير انطاكية أن يستغل الحملة الجديدة للهجوم على حلب وشيزر لتخفيف الضغط الإسلامي على الجزء الشمالي من الامارات اللاتينية، إلاّ أنه فشل في ذلك بالرغم من الحفاوة البالغة التي استقبل بها لويس السابع وقواته في أنطاكية، اذ بدل نبلاء انطاكية كل ما

[1] الصوري، المصدر السابق، ج3، ص 309.
[2] مؤنس عوض، الدولة النورية، ص 145، 146.
[3] نفسه، ص 146.
[4] الصوري، المصدر السابق، ج3، ص 314-317.
[5] عاشور، الحركة، ج1، ص 500.

بوسعهم لإدخال السرور على رجال الحملة، ونسي الزائرون المتاعب التي تعرضوا لها أثناء الطريق[1].

أخذ ريموند يناقش القادة الفرنسيين خطط توجيه الحملة لقتال المسلمين، وكان يأمل في تحقيق نتائج باهرة[2]، لأن الحملة انما أتت الى الشرق للقضاء على قوة الزنكيين في شمال العراق والشام، وبالتالي تأمين الأوضاع الخاصة بإمارتي الرها وانطاكية، وهما الامارتان اللتان تعرضتا أكثر من غيرهما لضربات الزنكيين بحكم تطرفهما جهة الشمال[3]، اذ كان مركز أنطاكية بالغ الخطورة بعد أن وطد نور الدين محمود حينذاك ملكه على طول المجال الصليبي الممتد من الرها الى حماة، لأن هذا الوضع سيمكنه حتما من السيطرة على الطرق المؤدية الى أنطاكية، ومن تم الى طرابلس وبيت المقدس، وستكون النتيجة توجيه ضربات مباشرة للامارات الفرنجية في الشام متى شاء [4] .

فإذا ما أقدم المسلمون على مهاجمة أنطاكية في قوة كبيرة، فما من دولة تستطيع أن تقدم المساعدة لريموند سوى بيزنطة، إلاّ أن القوات البيزنطية قد تصل متأخرة، ومع ذلك قد تصر على التشدد في اذلال ريموند رغم أن الجيش الفرنسي القادم من الغرب كان بإمكانه صد قوات نور الدين محمود ومهاجمة المسلمين في معاقلهم حسب ما رأى ريموند[5].

أشار ريموند على الملك الفرنسي لويس السابع توجيه ضربة عسكرية الى مدينة حلب مقر سلطة نور الدين، إلاّ أن لويس السابع تردد في ذلك، وآثر التوجه جنوبا الى بيت المقدس، قبل القيام بأي عمل عسكري في الشرق[6]، مما يفسر رغبته في الامتناع على مساعدة زوج عمته ريموند نظرا لما كان هناك من نفور بين إليانور[7] وزوجها لويس السابع وقد يكون السبب الخوف من الزج بقواته في مغامرة عسكرية لا يضمن نتائجها ضد نور الدين، ومهما يكن فقد قرر لويس السابع أخذ زوجته عنوة و الرحيل بسرعة

---

[1] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص447؛ عاشور، الحركة، ج1، ص498. حبشي، نور الدين، ص52.
Stevenson, op.cit. p156.

[2] الصوري، المصدر السابق، ج3، ص 289.

[3] حبشي، نور الدين، ص 52. Stevenson, op.cit. p 162

[4] حبشي، نور الدين، ص52.

[5] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص 448.

[6] الصوري، المصدر السابق، ج3، ص 289، جوني وفاء، المرجع السابق، ص 210

[7] اليانور الاكوتينية:Eleanor of Aquitaine ابنة وليم العاشر دوق اكويتين وزوجة لويس السابع ملك فرنسا ابتداءا من سنة 1137م إلى أن طلقها سنة 1152، ثم تزوجها هنري الثاني ملك إنجلترا، وأنجبت منه أربعة أبناء وهم: هنري، وريتشارد ملك إنجلتر ا(1189-1199م)، وجيفري، ويوحنا ملك إنجلترا (1199-1216)، توفيت سنة 1204م.أنظر: البطاوي، المرجع السابق، ص234.

نحو بيت المقدس بعد أن وصله مبعوث من المحكمة العليا في بيت المقدس يطلب منه أن يعجل بالسير صوب الجنوب[1].

اتجه لويس السابع بجيوشه الى بيت المقدس دون أن يستأذن أمير أنطاكية في السفر[2]، وهنا اشتد غضب ريموند لما قام به الملك ، حيث كان يرى أن الملك الفرنسي نسي الهدف الأساسي لحملته بعد وصوله الى أنطاكية والقاضي بالتوجه نحو حلب والاستيلاء عليها لطعن الدولة النورية في قلبها[3] ، و هنا نفض يديه من هذه الحملة ، ولم يعد بوسعه أن يغادر امارته التي تعرضت لضغط شديد، من أجل الاشتراك في مغامرة بالجنوب[4] نتائجها غير مضمونة ولا تخدم بالضرورة أهدافه ومصالحه ، مما يؤكد أن امارة انطاكية لم تستفد من الحملة الصليبية الثانية في شيء بل كانت وبالا عليها فيما بعد حيث كانت عرضة لهجمات نور الدين محمود مما أفقدها العديد من مناطق خاصة افاميه[5]، و سرعان ما توفي ريموند في هذا الوقت لتتولى زوجته الوصاية على الامارة[6].

5- امارة طرابلس ودورها في الحملة الصليبية الثانية:

رفض ريموند الثاني أمير طرابلس المشاركة في الحملة الصليبية الثانية لأنه رأى كغيره من أمراء الشرق أن هذه الحملة لن تخدم مصالحه ولن تحقق رغباته، لأنه أراد ان يستغل الرابطة التي تربطه بالملك لويس السابع عن طريق أمه الفرنسية لتسخير هذه الحملة في استرداد قلعة بعرين من المسلمين، ولكن الملك غير وجهته نحو مملكة بيت المقدس لمساعدتها في الاستيلاء على دمشق[7].

لم يشارك ريموند الثاني في حصار الفرنجة لدمشق وقد يعود سبب ذلك إلى ظهور من يطالبه بالإمارة وهو أحق منه بها عائليا، يتعلق الأمر بكونت تولوز ألفونسو جوردانAlphonse Jordan وهو من المحاربين الصليبيين الذين قدموا من الغرب في الحملة الثانية ، حيث نزل في عكا بدل طرابلس[8] ، وقد أثار قدومه الارتباك والحرج لكونت طرابلس ، فإذا طالب بالامارة فمن العسير انكار حقه، ويبدو أنه كان يريد أن يستولي على طرابلس ليقدمها لابنه برتراند الثانيBertrand II[9]، وبينما كان في طريقه من أنطاكية الى بيت المقدس، نزل في مدينة قيسارية بعد أيام فقط من

[1] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص449؛ عاشور، الحركة، ج1، ص 498-499.
[2] الصوري، المصدر السابق، ج3، ص290.
[3] عاشور، الحركة، ج1، ص 499.
[4] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص 450.
[5] Stevenson, op.cit. p165.
[6] Stevenson, op.cit. p166-167.
[7] عاشور، الحركة، ج1، ص498. رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص 449.
[8] الصوري، المصدر السابق، ج3، ص291، سالم، المرجع السابق، ص 155.
[9] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص450.

وصوله الى ميناء عكا ، وتوفي هناك في ظروف غامضة ، و سرعان ما انتشرت بعض الأخبار على أنه مات مسموما بإيعاز من ريموند الثاني حتى يتخلص منه[1].

وخوفا من الانتقام رفض ريموند المشاركة في الحملة الصليبية الثانية[2]، بينما اشترك برتران (د) الثاني في حصار دمشق، وبعد فشل هذه الحملة لم يستطيع أن يرى امارة طرابلس في يد ابن عم له، وارتاب في نفسه أنه هو من قتل أباه، فظل مقيما بفلسطين ، ثم توجه شمالا بداعي السفر من موانئ الشمال لكنه تحول فجأة الى الداخل وانتزع قلعة العريمة من ريموند الثاني أمير طرابلس، ثم سعى بعد ذلك للسيطرة على كونتية طرابلس[3]، ولما أحس ريموند بعجزه و تخلي الكثير من أنصاره عنه، خاصة بعد استيلاء برتراند على العريمة [4]، أرسل الى نور الدين محمود زنكي وكان حينذاك لا يزال مجتمعا مع أخيه سيف الدين في حمص يسأله الحضور إلى بعلبك فأجابه نور الدين واجتمع به هناك ، وفي أثناء وجود نور الدين و معين الدين أنر في بعلبك وصل كتاب من ريموند الثاني صاحب طرابلس يحثهما فيه على قصد حصن العريمة وانتزاعه من الفرنج، ولم يتردد نور الدين ومعين الدين من محاصرة القلعة ونقب أسوارها واقتحامها ، فاضطر الفرنج الى التسليم، واستولى المسلمون على الحصن وأسروا كل من كان فيه، ومن جملتهم برتراند نفسه وأمه وعاد نور الدين الى حلب ومعه أسيراه، وكان ذلك سنة 543هـ/ 1148م[5].

وهكذا منيت الحملة الصليبية الثانية بالخسران المبين، وأبانت عن بداية تهاوي الكيان الصليبي في بلاد الشام خاصة بعد فشل الامارات الصليبية في تحقيق ما قدمت من أجله بسبب الاطماع التي غلبت على كل أمير، والرغبة في النجاة بإمارته دون غيره من الصلبيين، كما أبانت عن الشرخ الكبير في طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية بين الصليبين أنفسهم ، وظهر بجلاء عجز كبار ملوك وأباطرةأ عن تغيير الواقع السياسي الجديد الذي حل بالمنطقة في أعقاب اسقاط الرها في قبضة حركة الجهاد الإسلامي عام 1144م/539هـ، ويكفي أن الثقل السياسي والحربي للحملة المذكورة لم يتجه نحو الرها بل نحو مطامع جديدة على نحو عكسي أظهر عن مدى قصر نظر السياسة الصليبية[6]، فلأثرت هذه الحملة على طبيعة الوجود الصليبي في الشرق، وأبانت بجلاء أن اعتماد

[1] الصوري، المصدر السابق، ج3، ص 291

[2] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص 451.

[3] ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م، ص330؛ ابي شامة، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، المرجع السابق لبنان، 2002، ج1، ص196.

[4] أبي شامة، المصدر السابق، ج2، ص 462.

[5] أبي شامة، المصدر السابق، ج1، ص 209-210؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص354-355.

[6] مؤنس عوض، العلاقات، ص184.

الصليبيين على الدعم الأوربي لم يغنيهم شيئا، وأن ارتباطهم الدائم بالغرب لم يحقق لهم القوة والاستمرار الدائم، بل ظل هذا الاعتماد نقطة ضعف للإمارات الصليبية.

بعد فشل الحملة الثانية ساءت أوضاع الامارات الصليبية، ومن أجل إستمرارها وبقاءها في الشرق كان لابد لها من الوحدة والتعاون جنبا إلى جنب، خاصة مع ظهور بوادر الوحدة الإسلامية وبداية استرجاع المسلمين لما سلب منهم أثناء الحملة الصليبية الأولى، بقيادة نور الدين محمود وبعده صلاح الدين الايوبي القائدان العظيمان في تاريخ الحروب الصليبية.

6- العلاقة بين الامارات الصليبية خلال الفترة النورية 1148 -1174م /543-569ه:

كانت الامارات الصليبية عند منتصف القرن الثاني عشر قد بلغت درجة لا بأس بها من النضج و التطور استطاعت من خلاله إدارة شؤونها الداخلية بكل استقلالية، وكان هناك ميل حقيقي للتخلي عن الروابط الاقطاعية التي جمعت في وقت سابق الامارات الأربعة بعضها ببعض، نادراً ما وُجدت دلائل تشير إلى اعتراف كونت طرابلس بسيادة مملكة بيت المقدس، وفي أفضل الأحوال، كان ملك بيت المقدس يتمتع بمكانة مرموقة بين نظرائه من خلال تدخله في شؤون إمارتي أنطاكية وطرابلس. وبالمثل، لم يكن أمراء أنطاكية وطرابلس بعيدين عن التأثير في شؤون بيت المقدس، كل ذلك كان نتيجة لصلة الدم الموجودة بينهم أو بطلب من المجلس المحلي لمواجهة الخطر الاسلامي المشترك، وهو العنصر الموحد لقوى الدويلات الصليبية الثلاث، ولكن تحقيق التعاون كان جد صعبا في أوقات الأزمات وبدرجة مخيبة للآمال، وكانت الكيانات الصليبية بدون سياسة مشتركة في غالب الأحيان[1].

وقد شهدت هذه الفترة ضعفت قيادات الفرنج في كل من الامارات الصليبية، مما جعل ارتقاء نور الدين محمود أكثر خطورة، اذ لم يكن بلدوين الثالث قد بلغ سن الرشد بعد لتولي حكم مملكة بيت المقدس لوحده، كما أن جوسلين الثاني أمير الرها سابقا كان في الأسر، وريموند بواتييه[2] أمير انطاكية كان قد قتل في معركة إنب عام 544 هـ / 1149 م [3]ضد نور الدين محمود، وظلت القيادة من بعده تحت وصاية زوجته كونستانس بشكل مؤقت، ولولا تدخل بلدوين أنذاك لحماية امارة انطاكية لسقطت في يد نور الدين محمود[4].

---

[1] هارولد، المرجع السابق، ص190.

[2] ريموند بواتييه: ابن وليم التاسع دوق أكوتين، وقع عليه الاختيار ليكون زوجا لكونستانس ابنة بوهيمند الثاني، ووصل الى الشرق سنة 1136م/530هـ وتزوج من كونستانس وحكم انطاكية حتى مقتله على يد نور الين محمود في معركة انب.

أنظر: الصوري، المصدر السابق، ج3، ص126.

[3] للمزيد حول هذه المعركة: أنظر: هارولد، المرجع السابق، ص162.

[4] ماير، المرجع السابق، ص203.

Stevenson, op.cit. p167-168.

وبعد أن استلم العرش كملك لمملكة بيت المقدس ، حاول بلدوين الثالث أن يضع حدا لهذه الاضطرابات وذلك بتجديد التحالف القديم مع دمشق من جهة ، و التقرب أكثر من الامبراطور البيزنطي مانويل كومنين من جهة أخرى، وظل التواصل مستمرا بينهما طيلة العشرين سنة التالية، اذ تزوج كل من بلدوين الثالث وعموري الأول[1] من بيت كومنين ، كما تزوج مانويل من ماريا أميرة انطاكية وابنة ريموند، فأحرز مانويل في الشمال ما سبق أن ناله والده من ولاء انطاكية وطاعتها عام 1137م/531هـ ، واشترك مع عموري الأول AmauryI في محاولة الاستيلاء على مصر سنة 1168-1171م/ 573-576هـ، وبفضل هذه الطريقة صار له نوع من السيادة والسيطرة على الملوك اللاتين، ومن الأدلة التي تثبت ذلك ركوب بلدوين الثالث خلفه عند الدخول الى أنطاكية سنة 1159م/445هـ، دون أن يتخذ شيئا من شارات الملكية ورموزها، كما جرت كتابة إسم الامبراطور مانويل فوق اسم عموري الأول في النقش القائم في بيت لحم والذي يرجع تاريخه الى سنة 1172م/577هـ[2].

ومن الملاحظ خلال هذه الفترة أن الصليبيين بسبب هوانهم واحساسهم بالخطر الإسلامي أذعنوا بشكل كبير للإمبراطورية البيزنطية، مما أسهم في المحافظة على وجودهم، غير أن الصراعات الداخلية في كل امارة كان لها بالغ الأثر في تزايد ضعفها وخسارتها لعديد المناطق والقلاع، مع التضييق الشديد عليهم من طرف نور الدين محمود من جميع الجهات، حيث سقطت دمشق في يد نور الدين محمود ففي سنة 1154م/447هـ وفقدت الامارات الصليبية أهم حليف لديها، وأضحى طريق نور الدين ممهدا من حلب الى مصر[3].

غير أن استيلاء بلدوين الثالث على عسقلان سنة 1153م/446ه[4] كان قد خلف نوع من التوازن العسكري بين حلب وبيت المقدس خلال هذه المرحلة ، لكن الملك وجد نفسه ملزما بالتدخل في شؤون انطاكية وطرابلس من جديد ، حيث هوجم ريموند الثاني حاكم انطاكية عام 1152م/447هـ وقتل عند أبواب المدينة عن طريق عصابة الحشاشين (الباطنية)[5]، وكان الملك حينها في طرابلس قادما هو وأمه في محاولة منهما

---

[1] عموري الأول: تولى عرش مملكة بيت المقدس بعد وفاة شقيقه بلدوين الثالث في شهر فيفري سنة 558هـ/1162 م، حيث لم يكن بلدوين الثالث قد أنجب، لذا تولى أخوه الوحيد - كونت يافا وعسقلان - عرش المملكة، وكان في السابعة والعشرين من عمره، وامتدت فترة حكمه احدى عشر سنة وخمسة أشهر، أنجب بنتين هما سبيلا وايزابيلا، وولدا واحدا وهو بلدوين الرابع، وتوفي عموري سنة 569هـ/1174م. أنظر: الصوري، المصدر السابق، ج4، ص161،15. البطاوي، المرجع السابق، ص120.

[2] باركر، المرجع السابق، ص77.

[3] نفسه، ص78-79.

[4] Stevenson, op.cit. p171-172.

[5] الباطنية: فرقة من الشيعة الإسماعيلية تَسْتَبْطِنُ معتقدها ولا تظهره إلاّ في ما بينها، إلاّ أنّ هذه التسمية شاع استعمالها لتدليل على الفرقة الإسماعيلية، لأنّهم يقولون بالظاهر والباطن بالنسبة إلى آيات القرآن وأحكام الدين، ويؤمنون أنَّ الباطن أسمى من الظاهر، وأنّ المراد الأصلي للآيات وللأحكام هو الباطن دون الظاهر .كانوا يعتمدون على

لاحلال الصلح بين الكونت و زوجته هوديرناHodirna، فأقسم بارونات طرابلس بيمين الولاء تحت رعايته للكونتيسة وطفليها ريموند الثالثRaymond IIIالذي كان في الثالث عشر من عمره وأخته الصغرى مليسندMelisende [1].

توحدت القوات الصليبية مجتمعة لصد محاولة نور الدين محمود في الاستيلاء على مدينة بانياس في عام 552ه/1157م، حيث ضم الجيش الصليبي كل من بلدوين الثالث، وريناالد دي شاتيون Chatillon Renaud de (أرناط) حاكم انطاكية، وريموند الثالث أمير طرابلس، واستطاعوا استرجاع المدينة من قوات نور الدين محمود، بعد خسائر فادحة في العتاد والأرواح [2].

وفي سنة 558 هـ/ 1162م غير نور الدين محمود عملياته اتجاه امارة طرابلس وجعلها هدفا له، حيث تقدم على رأس قواته إلى أن وصل حصن الأكراد فعسكر عنده كخطوة أولى للاستعداد للهجوم[3]، وبالنظر الى ضعف الامارة لم يتخذ التدابير اللازمة لحماية معسكره و لم يكن يتوقع أن تتعرض قواته لهجوم مباغت[4]، أما ريموند الثالث أمير طرابلس فقد طلب المعونة من باقي الامارات الصليبية الأخرى وباشر بتجهيز قواته، وبعد أن تعززت بدعم عسكري من إمارة انطاكية بقيادة أميرها بوهيمند الثالثBohemond III558-598هـ/1162-1201م وعدد من القوات البيزنطية، ومن الحجاج الصليبيين الذين تصادف وجودهم قرب طرابلس[5]، شن الصليبيون هجوما مباغتا تمكنوا من خلالة اكتساح القوات الإسلامية ، و الحاق هزيمة قاسية بقوات نور الدين محمود وخسائر فادحة أجبرته على التراجع الى حمص و العمل على اعادة تنظيم جيشه من جديد[6]، وتعتبر معركة حصن الأكراد[7] أو الوقعة المعروفة بالبقيعة سنة 558 هـ /1163 م من أبرز مظاهر الوحدة والتعاون القليلة بين الامارات الصليبية خلال هذه الفترة.

الاغتيال في التخلص من اعدائهم، ظهرت هذه الطائفة في فارس والعراق وخراسان وذلك على يد مؤسسها الحسن بن الصباح الذي يعد رئيس هذه الطائفة، ومركزه في قلعة ألموت ببلاد فارس.
انظر: الشهرستاني، ابي الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تصحيح: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 1992، ص201-205؛ حمد علي حسين، قاموس المذاهب والأديان، دار جبل، ط1، بيروت، 1998، ص 46،35.

[1] عاشور، الحركة، ج1، ص513؛ ماريشال بلدوين، المرجع السابق، ص195.

[2] نفسه، ص198، مؤنس عوض، العلاقات، ص 188.

[3] شاكر أبو أحمد بدر، الحروب الصليبية والأسرة الزنكية، الجامعة اللبنانية، بيروت، دت، ص178.

[4] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص593.

[5] نفسه، ص 593.

[6] ابن الأثير، الباهر، ص 117.

[7] حصن الاكراد: حصن منيع وحصين يقع على بعد أربعين كلم من مدينة حمص، يتحكم في الممر بين سهول نهر العاصي والبحر المتوسط، ويشرف على كل الإقليم الواقع بين انطرطوس وطرابلس من ناحية وحمص من ناحية أخرى، خضع للصليبيين عند احتلالهم لطرابلس، وقد استرده المسلمون في عهد السلطان الظاهر بيبرس عام 669هـ/ 1271م. أنظر: مؤنس عوض، السياسة الخارجية للدولة النورية، ص178.

وينبغي هنا أن نشير أنه لم يحدث مطلقا أن قائدا ما لدى المسلمين أو لدى خصومهم خلال فترة الحروب الصليبية قد حقق انتصارات كاملة ولم يهزم قط في معركة ما، اذ أن تاريخ القادة من الجانبين تراوح بين النصر تارة والهزيمة تارة أخرى[1].

وعندما تولى عموري الأول (امارليك) الى عرش مملكة بيت المقدس كان توجهه الأكبر نحو الاستيلاء على مصر[2]. لانه بسقوط مصر في يد نور الدين محمود، أصبحت الدويلات اللاتينية مهددة بالحصار الكامل. وإلى جانب الأهمية الاستراتيجية لمصر، كانت قيمتها التجارية الهائلة وميناؤها الرئيسي في الإسكندرية عوامل إضافية زادت من أهميتها. كما أن عموري، الذي كان حاكمًا لعسقلان منذ استيلاء الصليبيين عليها عام 1153م/548هـ، وجد في هذه التطورات دافعًا للتوجه جنوبًا[3]. وفي المقابل، تراجع اهتمام ملك بيت المقدس بشؤون الإمارات الصليبية في الشمال، مما جعلها تواجه أوضاعًا بالغة الصعوبة والخطورة، وفتح الباب أمام تدخل العديد من الأطراف في شؤونها.

في تلك الفترة، ركّز نور الدين محمود جهوده التوسعية على حارم[4] ، فتمكّن عام 1164م / 559هـ من اجتياح سهل البقيعة والسيطرة على حصن الأكراد، مُلحِقًا بالجيوش الصليبية هزيمة ساحقة. وأسفرت حملته عن أسر بوهيمند الثالث، أمير أنطاكية، وريموند، كونت طرابلس، وجوسلين الثالث[5]، أمير الرها، إضافة إلى القائد البيزنطي. كما بسط سيطرته على حصن حارم[6] الاستراتيجي، الواقع بين أنطاكية وحلب، واستولى على حصن بانياس في أكتوبر من العام نفسه[7].

إن هذه التطورات دفعت بعموري الأول الى الجلاء عن مصر والعودة الى بلاد الشام ، حيث عمل على إطلاق سراح أمير انطاكية من الأسر، واجتهد في توفير مقدار الفدية، وأجرى مفاوضات مع نور الدين محمود انتهت بفك أسر بوهيمند الثالث الذي عاد الى أنطاكية في صيف 1165م/561هـ[8] ، ويذكر وليام الصوري[1] أن السبب

---

[1] مؤنس عوض، العلاقات، ص 178.

[2] الصوري، المصدر السابق، ج4، ص 25-26.

[3] هارولد، المرجع السابق، ص206.

[4]حارم: حصن حصين، وكورة، من أعمال حلب تجاه انطاكية، فيها أشجار كثيرة ومياه. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص205.

[5]جوسلين الثالث: ابن جوسلين الثاني كونت الرها والذي توفي بالأسر سنة 1159م/554هـ، تولى حكم الرها في الفترة الممتدة مابين 1159-1190/554-586هـ، وتعرض للأسر في معركة حارم سنة 1164م/559هـ على يد نور الدين محمود زنكي، وأطلق سراحه عام1176م/571هـ بفدية كبيرة. أنظر: الصوري، المصدر السابق، ج4، ص33؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص465.

[6] أبو شامة، المصدر السابق، ج1، ص 133؛ ابن العديم، المصدر السابق، ج2، ص320؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج1، ص143-145؛ الصوري، المصدر السابق، ج4، ص31-33.

[7]Stevenson, op.cit. p189.

[8] أبو شامة، المصدر السابق، ج1، ص134؛ ابن العديم، المصدر السابق، ج2، ص322؛ الصوري، المصدر السابق، ج4، ص34-36.

الرئيسي وراء فك أسره هو رغبة نورالدين محمود في عودة الأمير بوهيمند الثالث إلى امارته، خشية أن يحل محله أميرا آخر يكون أكثر قوة منه، أو أنه قد يتعرض إلى ضغط كبير من الامبراطور البيزنطي يلزمه اطلاق سراحه ، في حين نجد أن المصادر الاسلامية ترى أن ، ذلك يعود الى رغبته الشخصية حتى لا يتيح الفرصة للإمبراطورية البيزنطية أن تسد الفراغ في غياب الأمير عن اماراته بما لا يتوافق ومصالح نور الدين محمود ، وقد نقلت هذه المصادر عن نور الدين قوله :

" مجاورة بيمند (بوهيمند الثالث) أحب الي من مجاورة ملك الروم (الامبراطور مانويل كومنين) ....."[2].

خلال هذه الفترة، تدهورت أوضاع الإمارات الصليبية بشكل كبير، مما جعلها غير قادرة على التصدي لقوات نور الدين محمود في العديد من المعارك. ففي سبتمبر عام 1171م / محرم 576هـ، شنَّ نور الدين محمود غارة انتقامية على إمارة أنطاكية وكونتية طرابلس، ردًا على نهب الفرنج في اللاذقية لسفينتين تجاريتين إسلاميتين كانتا في طريقهما من مصر إلى بلاد الشام[3]. فأرسل قواته إلى طرابلس بينما توجه بنفسه إلى أنطاكية، وألحق بهما دمارًا كبيرًا، مما أجبر الصليبيين على إعادة ما نهبوه إلى المسلمين، بالإضافة إلى دفع تعويضات مالية ضخمة[4].

وبعد وفاة نور الدين وهجوم الصليبيين على بانياس استغل الملك عموري الإضطرابات الواقعة في بلاد المسلمين ، ونهض ليستردها في أواخر شهر ماي 1174 م / شوال عام 569 هـــ ، إلاّ أن صمود أهلها وخروج ابن المقدم على رأس جيش من دمشق للدفاع عنها حال دون ذلك ، واتفقا الطرفان على انسحاب الجيش الصليبي من بانياس مقابل مبلغ كبير من المال واطلاق سراح أسرى صليبيين في دمشق، وعقد معاهدة تحالف ضد أطماع صلاح الدين ، وقد وافق عموري الأول على ذلك بعد تحقيق النصر ، إلاّ أن الوفات عجلت به في 11 جويلية سنة 1174م /9 ذي الحجة 569هـ قبل أن يحقق جميع أهدافه[5]، تاركا الامارات الصليبية وبيت المقدس في أوضاع سيئة جدا بسبب الصراع على العرش من جهة و تزايد الضغط الإسلامي بقيادة صلاح الدين من جهة أخرى.

7- الصراع الصليبي الصليبي وظهور صلاح الدين الأيوبي:

---

[1]نفسه، ص36-37.

[2]ابن الاثير، الباهر، ص125.

[3]Stevenson, op.cit. p200.

[4] ابن الأثير، الباهر، ص154-155؛ أبو شامة، المصدر السابق، ج1، ص203.

[5]Stevenson, op.cit. p213.

عانت مملكة بيت المقدس قبيل وفاة الملك بلدوين الرابع Baudouin IV[1] من خطر الانقسام الداخلي، و كان لمرض بلدوين السبب الرئيس في استفحال العديد من المشاكل ، فمسألة وراثة العرش كادت أن تمزق المملكة ، كما كان للنساء نصيبا وافرا في زيادة تأزم الوضع السياسي وتغذية الصراع الداخلي ، فقد مارست والدة الملك ضغوطاتها المستمرة على ابنها المريض من أجل تزويج الأميرة سيبيلا Sibille من غي دي لوزينيان[2] Guyde Lusignan عقب وفاة زوجها وليام مونتفرات Guillaume Montferrat[3]، وقد جلب هذا الزواج اللعنة على مملكة الصليبيين وكان سببا في تشتيت كلمتهم وتفريق جمعهم ، فبعد زواج سيبيلا من غي دي تباين موقف رجال المملكة بين مؤيد ومعارض، وانقسموا الى قسمين ، حزب ممالئ للبلاط يساند الملك الأم أغنس كورنتاي Agnès Krontay ويظم سيبيلا وقريبها جوسلين الثالث صاحب الرها والبطريرك هرقل وأقاربهما الذين كانوا مؤيدين غي دي لوزينيان ويلتقون مع بعضهما البعض برابطة الدم والمصاهرة [4]، أما الحزب الآخر فقد تألف من البارونات القدامى (المحليين) ومن أبرزهم أسرة إلين وريبالد صاحب صيدا و ريموند الثالث كونت طرابلس والوصي على العرش وبوهيمند الثالث صاحب أنطاكية ووليم الصوري رئيس الأساقفة ، وجميعهم يمقتون أغنس ويعلمون أنها السبب في انقسام المملكة الصليبية ، وكانوا يرون أن ريموند الثالث يستحق تولي قيادة المملكة الصليبية في المرحلة القادمة لأنها كانت عرضة للغارات التي يشنها صلاح الدين على الممالك

[1]بلدوين الرابع: ابن عموري الأول، ولد عام 1161م/556هـ وتولى الحكم وهو في الثالثة عشر من عمره، وكان مصابا بالجذام، وتحولت معه سياسة المملكة الداخلية والخارجية على حد سواء الى صراع بين حزبين، الأول: بزعامة اغنس اوف كورتيناي والدة الملك مع عائلتها، التي استوطنت في المملكة حديثا، وكانوا من مؤيدي الحرب ضد صلاح الدين الايوبي، والثاني: حزب النبلاء بزعامة ريموند الثالث امير طرابلس، ومعه عدد من بارونات المملكة، الذين نادوا بمبدأ التعايش السلمي مع المسلمين وعقد المهادنة مع صلاح الدين الايوبي.
أنظر: أحمد الشامي، صلاح الدين والصليبيون، دار النهضة العربية، ط1، القاهرة، 1991، ص 120.

[2]غي دي لوزينيان: نبيل فرنسي من مقاطعة بواتييه، أصبح عن طريق زواجه من الأميرة سيبلا شقيقة بلدوين الرابع ملكا على بيت المقدس، قاد الصليبيين في معركة حطين سنة 583هـ/1187م، ووقع أسيرا في يد صلاح الدين، وأنعم عليه بإطلاق سراحه، فأصبح ملكا بلا مملكة، واشترك جاي مع ريتشارد قلب الأسد في حروبه ضد المسلمين، وعندما عزم ريتشارد العودة الى أوروبا اقطع جاي جزيرة قبرص مقابل مبلغ من المال، وعلى هذه الجزيرة أسس جاي مملكة لوزنيان.
أنظر: هارولد، المرجع السابق، ص259. الصوري، المصدر السابق، ج4، ص254 وما بعدها؛ مجهول، ذيل وليم الصوري، ص150، 221، 222.

[3]وليام مونتفرات: الملقب بالسيف الطويل وهو أكبر أبناء وليام الكبير دي مونتفرات، وكان من أغنى وأرقى الأمراء في شمال إيطاليا، والده خال الملك الفرنسي لويس السابع، ووالدته اخت الامبراطور الألماني كونراد، فضلا عن ذلك فقد كان على درجة عالية من الشجاعة والوسامة والحكمة مما يرضي غرور الاميرة سيبيلا، لكنه توفي بالملاريا بعد شهور قليلة من زواجه، وهو والد بلدوين الخامس فيما بعد.
أنظر: الصوري، المصدر السابق، ج4، ص198-199، 24؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص663.

[4]رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص717. مار ميخائيل الكبير، تاريخ مار ميخائيل الكبير، تر: مار غريغوريوس صليبا شمعون، دار ماردين، حلب، 1996، ج3، ص 375.

الصليبية وكان أيضا يستعد عسكريا وسياسيا للمعركة المقبلة[1] ، ويبدو أن الملك عارض في البداية هذا الزواج لكنه رضخ في النهاية أمام الحاح والدته فتم الزواج سنة 576هـ/1180م، على الرغم من وجود مناوئين لغي دي لوزينيان في مجلس البارونات، وأدى هذا الأمر في النهاية الى تعميق هوة الخلاف بين أمراء المملكة[2].

وبعد مضي ثلاث سنوات أجبرت أغنس الملك بلدوين الرابع أن يكون وصيا على عرش المملكة فرضخ للأمر رغم تفاقم مرضه وأعلن وصيا سنة 579هـ/1183م، ومنح كونتية عسقلان ويافا وأضحى لوزينيان يسيطر سيطرة تامة على المملكة باستثناء بيت المقدس التي احتفظ بها الملك لنفسه، وقبل امراء المملكة مكرهين على ما اتخذه الملك من قرارات[3].

ومنذ ذلك الحين بدأت العلاقة تسوء بشكل كبير وتأخذ مسار سلبيا قوامه العداء والتناحر المتبادل بين الطرفين[4]، ويوضح لنا وليم الصوري أسباب التناحر بين بلدوين الرابع وأمراء طرابلس وانطاكية قوله: وفي سنة 1180م/576هـ وفد الى المملكة الصليبية كل من ريموند الثالث كونت طرابلس، وبوهيمند الثالث أمير أنطاكية وبصحبتهما فرقة من الفرسان يحرسانهما ، وقد أزعج هذا الأمر كثيرا الملك بلدوين الرابع ، حيث راودته الشكوك في أسباب قدومهما، وظن أنهما يهدفان الى خلعه عن العرش والاستيلاء على المملكة ، أما من الجانب الآخر فقد استاء الأميرين من موقف الملك وباروناته إلى درجة الغضب الشديد من نظرتهم إليهما بعين التشكيك والريبة؛ بل وعدم الارتياح لقدومهما، لذا سارعا راجعان الى ديارهما بعد اتمامهما لطقوس الحج[5].

والواقع أن هذا الموقف تسبب في توتر شديد بين الطرفين وأدى الى قطع العلاقات بين المملكة الصليبية وكونتية طرابلس لمدة عامين، وفقد الملك الصليبي بذلك المساعدة من أمير طرابلس، ولجأت مملكة بيت المقدس إلى ابرام معاهدة صلح بمفردها مع صلاح الدين سنة 1180م/ 576هـ ، حددت مدتها بعامين، إلاّ أنها لم تشمل كافة المناطق الصليبية في بلاد الشام، وهذا ما يبرر توجه صلاح الدين نحو شمال الشام وهجومه على طرابلس[6].

---

[1] محمد عبد القادر الداغستاني، النظرية العسكرية والمذهب العسكري والعقيدة العسكرية دراسة تحليلية بضمنها تطور النظريات العسكرية عبر تاريخ فن الحرب، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2019، ص 235، البير شاندور، المرجع السابق، ص192.

[2] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، 674-675.

[3] الصوري، المصدر السابق، ج4، ص317. رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص685.

[4] حسين عطية، المرجع السابق، ص204.

[5] الصوري، المصدر السابق، ج4، ص253.

[6] الصوري، نفسه، ج4، ص283. رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص479.

لم يكن هذا القرار موفقا و سرعام ما انعكس سلبا على المملكة الصليبية وأدى الى ظهور أولى بوادر الانقسام الصريح للصليبيين و الانهيار المبكر لمملكة بيت المقدس على وجه الخصوص ، وتعد هذه المرحلة من أهم مراحل الصراع الإسلامي الصليبي، اذ أن صلاح الدين الأيوبي بدأ في عملية تطويق الدويلات الصليبية على طول الساحل، و ظهر ذلك الانقسام جليا في الأزمة التي واجهت المملكة قبيل معركة حطين اذ وقع الملك تحت تأثير مجلس أمراءه من ذوي الخبرة والرأي والمشورة ومنهم ريموند الثالث صاحب طرابلس وبوهيمند صاحب أنطاكية المناوئين ل لوزينيان، وقد أشاروا عليه بالأخطار التي تواجه المملكة من قبل المسلمين، فأبعد هذا الأخير عن الوصاية وعين ابن اخته سيبيلا بلدوين الخامس[1] (وعمره خمس سنوات) شريكا له في الحكم ووريثا،[2] وأعطى صلاحيات واسعة لريموند الثالث وذلك لقطع أي أمل للوزينان في وراثة العرش ومن ثم حاول بلدوين الرابع اقناع أخته سيبيلا بإلغاء زواجها منه ولكنه لم ينجح، وأدى ذلك الى وقوع الخلاف بينه وبين صهره فأنسحب غي دي الى اقطاعه وأعلن العصيان على المل، وتخلى عن ولائه له[3].

وهكذا أصبح الصراع واضحا بين الملك بلدوين الرابع وبين غي دي لوزينان لذا قرر الملك انتزاع الوصاية منه فزحف بقواته الى عسقلان ووجد أبوابها موصده في وجهه، لكنه نجح في الاستيلاء على يافا اذ عزل جاي لوزينان عن الوصاية وأعلن المجلس اختيار ريموند وصيا على الملك وذلك سنة 581هـ/ 1185م[4].

لكن لسوء الحظ توفي الملك الشاب بلدوين الخامس في صيف عام 1186م/582هـ، وقد تم فعلا الاستعداد لتنصيب الوصي ريموند الثالث ملكا على بيت المقدس، حتى يتم اختيار ملك جديد من قبل البابا والامبراطور، لكن هذا لم يرضي أولئك الذين عارضوا ريموند ومن بينهم الداويةTemplers وريناالد دي شاتيون حاكم الكرك، اذ أنهم استطاعوا الاستيلاء على بيت المقدس وعلى العرش واعطوا لجاي لوزينان التاج مدعين أن زوجته أقرب الورثة لبلدوين[5].

---

[1] بلدوين الخامس: وهو ابن وليم مونتفرات والملكة سبيلا ابنة الملك عموري الأول، وشقيقة الملك بلدوين الرابع، توج ملكا على مملكة بيت المقدس لمدة قصيرة (579 هـ – 582 هـ/1183-1186) وعمره آنذاك خمس سنوات وهو مصاب بالمرض.
أنظر: الصوري، المصدر السابق، ج4، ص331؛ الفيتري، المصدر السابق، ص148.

[2] Stevenson, op.cit. p237.

[3] Riley smith, Jonathan, Corrado di Monferrato, v1, Roma,1983, pp381-387.
البير شاندور، المرجع السابق، ص193.

[4] لين بول ستانلي، صلاح الدين وسقوط مملكة القدس، ترجمة: فاروق سعد أبو جابر، الاهرام للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1995، ص175؛ البير شاندور، المرجع السابق، ص192؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص710.

[5] Stevenson, op.cit. p238. رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص742.

إن ما حدث من صراع على السلطة بين الصليبيين كان أثر بالغ النفع على صلاح الدين الأيوبي خاصة من ناحية التكتيك العسكري ، حيث كان ينتظر الفرصة المناسبة لإعلان الجهاد ضد الصليبيين لكنه لم يشأ أن يكون البادئ بالحرب لكونه ملتزما بهدنة عقدها مع ريموند الثالث مدتها سنة واحدة، وأما رينالد شاتيون (أرناط) كما تسميه المصادر الإسلامية[1] صاحب الكرك[2]، فكان قد عقد هدنة مع صلاح الدين مدتها ثلاث سنوات كان ذلك سنة 576هـ/1181م[3] ، وكان لزاما على مملكة بيت المقدس في ظل هذه الأوضاع المتردية أن تحافظ على الهدنة بينها وبين المسلمين خاصة أن هذه الفترة أتاحت للتجار المسلمين والمسيحيين حرية التنقل بين الطرفين ، ويذكر ابن الأثير[4] ذلك في قوله : " وترددت القوافل من الشام الى مصر، ومن مصر الى الشام ، فلما كان هذه السنة اجتاز به قافلة عظيمة غزيرة الأموال كثيرة الرجال ... "، إلاّ أن أرناط ساءله أن يرى قوافل المسلمين تسير بأمان واطمئنان وهي تحمل ثروة وافرة و تمر بإقطاعه وهو ذات الطريق الذي يتحكم بطريق الحجاج المسلمين المتجهين الى الحرمين فضلا عن الطريق البري الذي يفصل مصر وبلاد الشام فعمل على خرق الهدنة وهاجم قافلة كانت متجهة الى مكة ونهب وسلب واسر من فيها[5].

عكرت هذه الأعمال الأمن والسلم بين الجانبين الإسلامي والصليبي، وسرعان ما زادت من عضب صلاح الدين، اذ بعث برسالة قوية الى رينالد يأمره فيها بإطلاق سراح تجار دمشق وإعادة الأموال إليهم فورا، لكن أرناط رفض ذلك ورد عليه باستهزاء وتحدي، كما طلب صلاح الدين من ملك القدس النظر في الاخلال بشروط الصلح[6]، فسارع الملك بالرد بأن رينالد دي شاتيون ليس تحت إمرته ولا يشمله الصلح الصليبي الإسلامي ولا يقع تحت سلطته وهو مغضوب عليه من قبل الجميع[7].

---

[1]كان أرناط حاكما على أنطاكية تم أسره من قبل نور الدين محمود ومكث في الأسر ستة عشر عاما، وقد كان شديد الضرر على البيزنطيين والصليبيين، وأشد ضررا على المسلمين لكثرة ما اقترفه من أعمال شريرة وشاذة، وكانت خاتمتها تصرفا طائشا اذ قام بالإغارة على الأماكن الشريفة على شاطئ الحجاز بهدف الوصول الى مكة والمدينة وتخريبهما والاستيلاء عليهما ووصل الى سواحل جدة على البحر الأحمر في سنة 578هـ/1182م، ثم حاول القيام بأعمال اللصوصية والقرصنة التي أدت الى توتر العلاقات بين المسلمين والصليبيين بعد الهدنة التي كان عقدها مع المسلمين وكانت نهايته على يد صلاح الدين في موقعة حطين.
أنظر: ابن الأثير، الكامل، ج10، ص117. رنسيمان، المرجع السابق، ج2، 696. أسمت غنيم، الدولة الايوبية والصليبيون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص34؛ البير شاوندر، المرجع السابق، ص155.

[2]الكرك: قلعة حصينة تقع في جبال البلقاء تتوسط في موقعها بين ايله وبحر القلزم وبيت المقدس، وهي على سن جبل عال تحيط بها الاودية الا من جهة الربض. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص453.

[3] سهيل زكار، المرجع السابق، ج8، ص 259.

[4]ابن الأثير، الكامل، ج9، ص142.

[5]Grousset: R, Histoire des Crusades et du Reaume Franc de Jérusalem, Paris,1946, vol3. p11.

البير شاندور، المرجع السابق، ص160-161؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص697.

[6]رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص697.

[7]البير شاندور، المرجع السابق، ص196.

وهنا بدأ صلاح الدين رحلة الجهاد المباشر، وشرع في مواجهة المواقع الصليبية بلا هوادة حتى وصل الى حطين، حيث نازل غي دي لوزينان Guy de Lusignan المسلمين، فعمد المسلمون الى محاصرة طبرية واحتشد الجيش الصليبي[1] ونصب معسكره على هضبة الجبل بينما في أسفل الهضبة تقع البحيرة ، وألتف المسلمون عليها من كل جانب، حتى نصرهم الله في يوم الجمعة 26 ربيع الأول سنة 583هـ/ 5جويلية1187م، فكان نصرا مؤزرا وسقط الصليبيون ما بين قتيل وأسير وكان من بين الأسرى الملك الصليبي جي دي لوزينان وأرناط صاحب الكرك وأعدادا كبيرة من الأمراء والقادة الصليبيين وفي مقدمتهم قادة الفرسان التيوتون Teutons، الاسبتارية ، والداوية[2].

لم يصب الصليبيون منذ قدومهم الى بلاد الشام بخسارة كالتي وقعت على رؤوسهم في حطين وقد فتح هذا النصر الطريق أمام المسلمين الى بقية الممتلكات الصليبية في فلسطين، اذ يصفها ابن واصل[3] بأنها مفتاح الفتوح الإسلامية، وبها تيسر فتح بيت المقدس، وكانت نتائجها وبالا عليهم اذ أتت على جميع القادرين على القتال في البلاد، ولم يبقى في المدن والحصون سوى حاميات قليلة العدد.[4]

اتجه صلاح الدين الى البلاد الساحلية التي تعد الشريان النابض للمدن الصليبية ومصدر الإمدادات العسكرية من الغرب الأوروبي ، وقرر عزل المدن في داخل الشام وفلسطين وقطع المساعدات والمعونة الحربية عنها حتى تتيسر عملية فتحها[5]، فأخذ بفتح المدن الواحدة تلو الأخرى وتحررت على يده أهم المدن الساحلية في فلسطين وهي مدينة عكا التي تعد من الموانئ الأساسية والمهمة للملكة الصليبية و رافدا من الرافد الحربية القادمة من بيزنطة والغرب الأوربي ، وتوالت انتصارات المسلمين الحربية حتى تكللت بفتح القدس في 27رجب583هـ/ 12 اكتوبر1187م.[6]

---

[1] انظر الملحق رقم : 4.

[2] جوناثان ريلي سميث، الاسبتارية -فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص (1050 - 1310م) ، تر: صبحي الجابي، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، دمشق، 1989، ص92-93. الداوية: أو فرسان المعبد، هيئة دينية عسكرية أسست في بلاد الشام بعد الحملة الأولى بحوالي عشرون سنة، هدفها حماية وحراسة الحجاج، ثم أصبحت أكبر هيئة عسكرية صليبية في الشرق. انظر: نبيلة إبراهيم مقامي، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنيين الثاني عشر والثالث عشر، مطبعة جامعة القاهرة، مصر، 1994، ص 17 – 18.

[3] ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، الطبعة الاميرية، القاهرة، 1957، ج2، ص188.

[4] ماير، المرجع السابق، ص 241.

Stevenson, op.cit. p247-248.

[5] أسمت غنيم، المرجع السابق، ص 38.

[6] ابن شداد بهاء الدين، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تح: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1415هـ/1994م، ص67.

Stevenson, op.cit. p249.

وقد أبدى صلاح الدين تسامحا كبيرا تجاه الصليبيين من سكان المدن المحررة وسمح لهم بالخروج والالتحاق ببقية الصليبيين خاصة في مدينتي صور وطرابلس، وقد كان يهدف من وراء ذلك بتجميع الصليبين في منطقة واحدة وعزلهم حتى تسهل عليه عملية التحرير في المرحلة المقبلة ويقطع بذلك دابر التعاون الحربي فيما بينهم[1].

وهنا يمكن القول ان المرحلة الأولى من الحروب الصليبية قد انتهت، وانتقل فيها الصليبيون من مرحلة القوة والهجوم والاستيلاء على أراضي المسلمين[2]، الى مرحلة الضعف الدفاع ومحاولة المحافظة على ما تبقى لهم من مناطق في بلاد الشام.

[1] مصطفى الحيارى، صلاح الدين القائد وعصره، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1994، ص290-291.

[2] انظر الملحقين : 5،6.

الفصـــــل الثالث

الامارات الصليبية من تأسيس المملكة الاسمية بعكا إلى سقوط آخر معاقلهم ببلاد الشام

1-علاقة مملكة بيت المقدس الإسمية (عكا) بالإمارات الصليبية

1-1- تأسيس مملكة عكا 1193م/589ه

1-2- أوضاع الامارات الصليبية بعد الحملة الصليبية الثالثة

1-3-الصراعات الصليبية – الصليبية

1-4- سقوط عكا

2-إمارتا طرابلس وأنطاكية: تفاعلات العلاقات السياسية والعسكرية (583–688هـ / 1187–1289م)

2-1-الإمارتين تحت حكم بوهيمند الرابع

2-2-طرابلس وأنطاكية تحت حكم بوهيمند الخامس

2-3- بوهيمند السادس(1275-1251م/649-674هـ) وسقوط انطاكية

2-4- سقوط إمارة طرابلس

3-الامارات الصليبية بين البابوية والامبراطورية خلال القرن 13م/07ه

3-1-البابوية والإمارات الصليبية

3-2-الإمبراطورية والإمارات الصليبية

3-3-الصراع البابوي الامبراطوري وتأثيره على التواجد الصليبي في بلاد الشام

-علاقة مملكة بيت المقدس الإسمية (عكا) بالإمارات الصليبية:

استطاعت الحملة الصليبية الأولى أن تؤسس لأربعة كيانات صليبية: امارتا الرها وأنطاكية سنة 492هـ/1098م، ثم مملكة بيت المقدس سنة 493هـ/1099م، وأخيرا امارة طرابلس سنة 502هـ/1109م، و قد تم ذلك في ظل التمزق السياسي

والصراعات العرقية والمذهبية التي شملت مختلف أنحاء العالم الإسلامي، لكن مع تصاعد حركة الجهاد الإسلامي ظهرت قيادات إسلامية فاعلة بذلت جهودا مضنية للقضاء على الاحتلال الصليبي، وعلى رأسهم عماد الدين زنكي، الذي تمكن من القضاء على امارة الرها سنة 539هـ/1144م ، ثم جاء من بعده ولده نور الدين محمود، الذي استمر على خطى والده في قيادة حركة الجهاد والتحرير ، ثم صلاح الدين الأيوبي الذي تمكن من تحقيق مشروع الوحدة الاسلامية بين مصر و بلاد الشام، ، حيث قام بفتح بيت المقدس في 27رجب583هـ/12 أكتوبر1187م بعد تحقيق النصر المظفر في معركة حطين[1]، ولم يتبق في يد الصليبيين بعد حطين سوى صور وامارتي أنطاكية وطرابلس وبعض الحصون التي تسيطر عليها الداوية والاسبتارية[2]، وكانت عكا من بين المدن التي افتتحها صلاح الدين في يوم 10جويلية1187م/583هـ، وبعدها بسنوات تمكن الصليبيون من احتلالها مجددا، وجعلوا منها مركزا لمملكتهم وكان يطلق عليها مملكة بيت المقدس اللاتينية الثانية أو الاسمية.

1-تأسيس مملكة عكا 1193م/589هـ:

لم يكن للصليبيين مايكفي للدفاع عما تبقى من أراضي خاضعة لهم، حتى أصبحت الامارات

الصليبية ببلاد الشام مهددة في حد ذاتها بالسقوط أمام قوات صلاح الدين، ولم يكن أمامها سوى الانتظار لقدوم المساندة من الغرب الأوربي[3] ، وقد ساعدهم هذا الدعم على رفع معنوياتهم، وتحولوا من الدفاع الى الهجوم في محاولة لاسترداد مدنهم المفقودة على الساحل الشامي، وذلك بعد أن إطلاق سراح ملكهم غي لوزينيان ملك بيت المقدس الذي اسر في حطين من قبل صلاح الدين[4]

ويبدو أن صلاح الدين قد استفاد الكثير من اطلاق صراح غي لوزينيان ، لما ترتب على هذه الخطوة من خلافات حادة بين الصليبيين أنفسهم، خاصة بعد وصول غي مدينة صور سنة 1188م/584هـ، هذه المدينة الوحيدة التي ظلت على قيد الحياة مما تبقى من حطام مملكة بيت المقدس الصليبية، ذلك أن كونراد دي مونتفرات Conrad de Montferrat القادم من الغرب الأوربي والذي أشرف على تنظيم صفوف

[1] محمد فوزي رحيل، نهاية الصليبيين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، 2009، ص18-20.

[2]Grousset. Op. Cit. Vol3. P1.

[3]Grousset: op.cit,3, p.18. باركر، المرجع السابق، ص89

؛

[4]عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص122.

الصليبيين في صور و على حركة المقاومة ضد قوات صلاح الدين ، رفض السماح لملك بيت المقدس بدخول المدينة[1] ، في وقت كان فيه لوزينيان بحاجة ماسة الى مدينة، يستطيع من خلالها اعادة بناء مملكته، لذلك فكر في غزو مدينة عكا، ثاني أهم مدن مملكة بيت المقدس الصليبية ، وأهم موانئها الساحلية[2].

كان صلاح الدين في هذه الظروف مشغولا بحصار قلعة الشقيف أرنون[3]، وعندما علم برغبة لوزينيان لغزو مدينة عكا لم يصدق الخبر، وظن أنه مجرد خدعة فقط هدفها تخفيف الحصار عن قلعة أرنون، لذلك لم ينتبه لحقيقة الأمر الاّ بعد فوات الأوان، بعدما اقترب الصليبيون من عكا فعلا [4] ،في وقت كان فيه صلاح الدين قد درج على زيارة المدينة بعد استرداداها من الصليبيين 1187م/583هـ، وزاد في حصانتها، ووضع فيها حامية قوية تستطيع المقاومة لمدة طويلة[5].

وصلت القوات الصليبية الى ضواحي عكا في 28 أوت 1189م/ رجب 585هـ، وأقاموا على مسافة ميل الى الشرق منها، أين قام غي بأول محاولة للاستيلاء على المدينة بعد ثلاث أيام ، لكنه فشل في ذلك ، فبقي ينتظر قدوم الامدادات[6] ، وهنا وصلت بشائر الحملة الصليبية الثالثة القادمة من الغرب الأوربي، حيث كان فريدريك بربروسا Frédéric Barbarossa قد عجل بالخروج الى الشرق على رأس حملته الصليبية سنة 1189م/585هـ ، أما ريتشارد قلب الأسد[7] Richard Cœur de Lion ملك إنجلترا و فيليب أغسطس ملك فرنسا[8] Philippe II Auguste فلم يتركا الغرب إلاّ في صيف عام 1190م/586هـ[9]، ليصل فيليب الى

---

[1] Grousset. Op. Cit. Vol3. P19 p2-4. ويقول عليه غروسيه انه لولا موته لكان بلدوين المؤسس الثاني
Stevenson, op.cit. p261

[2] عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص124.

[3] الشقيف أرنون: قلعة منيعة وحصينة تقع بين دمشق والساحل بالقرب من بانياس ولها بر بفلسطين.
أنظر: العمري شهاب الدين(ت749هـ)، التعريف بالمصطلح الشريف، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م، ص236-237.

[4] ابن شداد، المصدر السابق، ص160-161؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص289.

[5] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص55.

[6] نفسه، ص54.

[7] ريتشارد قلب الأسد: ابن هنري الثاني ملك إنجلترا، واليانور الاكوتينية، ولد عام 1157م/552هـ، تولى حكم إنجلترا سنة 1189م/585هـ، أين قضى كل فترات حكمه في معارك ومغامرات خارجية، حيث شارك في الحملة الصليبية الثالثة، واستولى على جزيرة قبرص وهو في طريقه الى بلاد الشام، وظل ملكا حتى أصيب بسهم في احدى مغامراته فأودى بحياته في افريل1199م/جمادي الاخرة 595هـ.
انظر، البطاوي، المرجع السابق، ص231؛ زينب عبد المجيد، الانجليز والحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، 1996، ص117.

[8] فيليب أغسطس: ابن لويس السابع ملك فرنسا، واديلا ابنة كونت شامبين، ولد عام 1165م/560هـ، وتولى حكم فرنسا سنة 1180م/ 576هـ حتى وفاته في 1223م/620هـ. أنظر: البطاوي، المرجع السابق، ص231.

[9] Grousset. Op. Cit. Vol3. P9.

الشرق في شهر مارس من سنة 1191م/587هـ، حيث لقي ترحابا كبيرا في مدينة صور من قبل قريبه كونراد دي مونتفرات، ثم اصطحبه قبالة عكا يوم 20 أفريل1191م/ ربيع الأول 587هـ ، وكان لوصوله رد فعل عنيف بين صفوف الصليبيين والمسلمين على السواء، فبينما ابتهج الصليبيون وأظهروا الفرح والسرور البالغ لوصول قوات ملك فرنسا، احتاط المسلمون لذلك وشرعوا في اعادة النظر في خططهم العسكرية بعد تزايد أعداد الجيوش الصليبية[1].

أما ريتشارد قلب الأسد فكان وصوله الى صور يوم 6 جوان 1191م ، لكنه لم يسمح له بدخولها من طرف حامية المدينة ، وفقا للتعليمات التي تركها كونراد وفيليب ، لذلك لم يجد بدا من الالتجاء الى عكا التي وصلها يوم 8 جوان، وعندئذ ازداد الصليبيون قوة، في حين ساء موقف حامية عكا الإسلامية أمام ضغط تلك الجموع المتزايدة من الصليبيين[2]، وهنا يسجل التاريخ موقفا رائعا لعكا وحاميتها الإسلامية ، اذ استمرت صامدة في وجه القوات الصليبية رغم الحصار الطويل، واظهرت شجاعة تسترعي الاعجاب، في حين ظل صلاح الدين يرقب الموقف من مراكزه عند شفرعم ثم عند الخروبة ثم العياضية[3].

وعندما قام صلاح الدين بهجومات خاطفة ضد الصليبيين لصرفهم عن مدينة عكا، تعرض معسكره لهجوم صليبي مضاد في 22 جويلية 1191م/جمادي الاخرة587هـ، إلاّ أنه باء بالفشل و لم يحقق أهدافه ، بعد أن ثبت المسلمون ثباتا عظيما، وقاوموا مقاومة الأبطال وصبروا صبر الكرام [4] ،.

استمر الفرنج في توحيد صفوفهم و تضييق الحصار على عكا ، ولم تتوقف مقالعهم على قذفها بالحجارة، وكان لذلك أثر سيء على المدينة ومن بداخلها[5]، وهنا بدأت بوادر الضعف تظهر على حاميتها الإسلامية بعد أن أنهكها الحصار وكثرة القتال، فأخذت الأقوات والذخائر الحربية تنفذ في المدينة وبلغوا مرحلة من التعب واليأس ، فراسلوا صلاح الدين في شهر جمادى الآخرة / 2 أوت يبلغونه أوضاعهم وقد جاء في قولهم : " إنا قد بلغ منا العجز الى غاية ما بعدها إلاّ التسليم ، ونحن في الغد ثامن الشهر إن لم تعملوا معنا شيئا نطلب الأمان ونسلم البلد ونشتري مجرد رقابنا " [6]، وقد صدم صلاح الدين لسماعه هذه الرسالة ، ولتيقنه مما وصل اليه

[1] عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص130-131.
[2] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص96.
[3] ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص294.
[4] عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص132.
[5] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص98.
[6] ابن شداد، المصدر السابق، ص252.

مقاتلوا حامية عكا من التعب واليأس، لم يكن بوسعه سوى الرد عليهم بالوعود والعمل جاهدا على تقديم المساعدة العاجلة ، إلاّ أن هجومه على الصليبيين باء بالفشل في جمادى الآخرة587هـ/ 5 أوت 1191م[1].

في هذه الظروف دبّ الضعف والوهن في قلوب أهل عكا ومقاتليها ، واضطر من بها من الأمراء الى اجراء محادثات مع الصليبيين ، وبدأت تلك المحادثات بخروج الأمير سيف الدين المشطوب[2] بنفسه لمقابلة فيليب أغسطس ملك فرنسا، حيث جرى حديث بينهما ذكره فيه بأن المسلمين كانوا إذا أخذوا بلدا من الصليبيين ، وطلب أهله الأمان على أنفسهم كان لهم ذلك، وهنا عرض عليه تسليم المدينة مقابل الأمان على أنفسهم[3]، إلاّ أن ملك فرنسا الذي كان بعيدا كل البعد عن صفات الشهامة والمروءة التي تحلى بها صلاح الدين ، امتنع عن اجابة طلبه ورد عليه ردا قاسيا يدل على وحشيته، الأمر الذي أثار نخوة سيف الدين المشطوب، فأغلظ له في القول وانصرف الى عكا يستشير الناس في الجهاد وبذل أرواحهم في سبيل الله[4].

وعلى الرغم من تعنت ملك فرنسا، فان الصليبيين كانوا بلا شك يحسبون للقوة الاسلامية حسابا كبيرا بدليل ما ذكره ابن الأثير من أن الصليبيين لم يكتفوا بالتفاوض مع قادة الحامية الاسلامية بعكا، بل اتجهوا كذلك الى التفاوض مع صلاح الدين نفسه، حيث أرسلوا اليه في أمر التسليم، فأجابهم باطلاق سراح من هم بعكا من المسلمين، مقابل إطلاق أسراهم بعدد من في البلد[5]، إلاّ أنّ الفرنج رفضوا ذلك.

ويتضح هنا بما لا يقبل الشك أن حامية عكا وأهلها أصبحوا شبه أسرى بيد الفرنج، ولم تعد الأولوية لإنقاذ عكا وصمودها؛ بل أصبح التفكير منصباً على كيفية إخراج أهلها بسلام. ولما أخفقت المفاوضات مع الجانب الفرنجي وضع صلاح الدين خطة لإنقاذهم من الأسر[6] تقضي بخروجهم دفعة واحدة من عكا وأن يسيروا بمحاذاة البحر ويحملوا على الفرنج حملة واحدة، وفي المقابل يتقدم جيش المسلمين بقيادة صلاح الدين إلى تلك الجهة ويحاصرون الفرنج ثم يقاتلوهم إلى أن يفتح بذلك طريقا لخروجهم، وقد حددت ليلة الجمعة العاشر من جمادى الآخر لتنفيذ الاتفاق، إلا أن

[1]سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 2013م، ج21، ص385، رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص100.

[2]سيف الدين مشطوب: أبو الحسن علي بن أحمد الهكاري، المعروف بابن مشطوب، أحد امراء الصلاحية، والهكاري نسبة الى قبيلة من الاكراد لهم معاقل وحصون من بلاد الموصل من جهتها الشرقية، توفي سنة 588هـ؛ أنظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص182-183؛ أبو شامة، المصدر السابق، ج4، ص204.

[3]Stevenson, op.cit. p268.

[4]ابن شداد، المصدر السابق، ص254؛ أبو شامة، المصدر السابق، ج4، ص150-151؛ ابن الأثير، الكامل، ج10 ص206؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص357.

[5]ابن الاثير، الكامل، ج 10، ص206.

[6]Stevenson, op.cit. p269.

أهل عكا انشغلوا بما حذروا منه وهو استصحاب أملاكهم ونفائسهم، ومضت الليلة المتفق عليها دون تنفيذ هذه الخطة، وأخفقت محاولة صلاح الدين لإنقاذهم[1].

وفي الصباح اشتد ضغط الفرنج على أهل عكا وأرسل من بها إلى صلاح الدين الإشارات الدالة على شدة الضيق والخطر المفروض عليهم، فحمل الجيش الإسلامي على جيش الفرنج من جميع الجهات لإشغال الفرنج وتخفيف الضغط، إلا أن الفرنج أدركوا تلك الغاية وضاعفوا جهودهم للاستيلاء على المدينة، وقد أدركت حامية عكا وعلى رأسها سيف الدين المشطوب أن صلاح الدين وجيشه غير قادرين على نفعهم بشيء، فخرج الى الفرنج وقرر معهم تسليم عكا وفق شروط [2]هي : تسليم عكا بشكل كامل بما فيها من الآلات والعدد و الأسلحة والمراكب، ومنح الأمان لجميع من بها، والسماح لهم بالخروج منها حاملين أولادهم ونساءهم وأموالهم وذخائرهم، وذلك في مقابل :" أن يدفع المسلمون 200الف دينار للفرنج، و14عشر الف دينار للمركيزمونتفرات ولأصحابه كونه واسطة بين الطرفين"، اطلاق سراح 1500 أسير من الفرنج لا على التعيين، إضافة الى 100فارس معينين يتم تحديدهم من الافرنج، إعادة صليب الصلبوت [3]، تحدد مدة شهرين لتحصيل الأموال والأسرى.

وفي يوم الجمعة 17 جمادى الآخر 587هـ / 12 أوت 1191م أرسلت حامية عكا أحد العوامين ليخبر صلاح الدين بما تم الاتفاق عليه باعتباره المسؤول عن تنفيذ نصوص الاتفاق، فجزع صلاح الدين لهذه الأخبار السيئة، وبينما كان يُعد إجابة لمنع حامية عكا من تنفيذ الاتفاقية، وينكر عليهم الخضوع لهذه الشروط شهد في ظهيرة ذلك اليوم ألوية الفرنج ترفرف على أبراج مدينة عكا، فكان لذلك الأمر وقع عظيم على الجانب الإسلامي حيث "خشي الناس بغتة عظيمة وحيرة شديدة ووقع في العسكر الصياح والعويل والبكاء والنحيب"[4].

كانت مثل هذه الشروط قاسية جدا على صلاح الدين، الذي مازال على رأس جيش قوي لم يخسر ولا معركة منذ هزيمة الرملة قبل أربعة عشر عاما[5]، وما كان له إلا التسليم بالأمر الواقع والاعتراف بهذه الاتفاقية والعمل على تنفيذها لإنقاذ حامية عكا

---

[1]ابن الاثير، الكامل، ج10، ص206؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص358؛ ابن شداد، المصدر السابق، ص255.

[2]ابن الاثير، الكامل، ج10، ص206-207؛ ابن شداد، المصدر السابق، ص257؛ ابوشامة، المصدر السابق، ج4، ص153-154.

[3]صليب الصلبوت: يزعمون أنَّ فيه قطعة من الخشبة التي صُلِبَ عليها السيد المسيح عليه السلام، وقام المسلمون بأخذه بعد استرجاع بيت المقدس على يد صلاح الدين. أنظر: محمود شيت خطاب، بين العقيدة والقيادة، دار القلم، ط1، دمشق، 1998، ص321.

[4]ابن شداد، المصدر السابق، ص258؛ أبو شامة، االمصدر السابق، ج4، ص155.

[5]ستانلي لين بوول، المرجع السابق، ص248.

من قبضة الفرنج، وتسليماً بالأمر الواقع أمر جيشه بالابتعاد عن عكا إلى شفرعم[1]، في حين بقي هو مع جماعة قليلة في مكانهم قرب عكا، تجنبا لأي اشتباك معهم وامتناعا عن ذلك لخلو الفائدة، ولضمان حماية حامية عكا وأهلها واستخلاصهم سالمين من أيدي الفرنج، وعلى الفور بدأ صلاح الدين في تنفيذ شروط الاتفاقية واستقبال ممثلين عن الفرنج لتفقد أسراهم في دمشق، وأرسل ليتأكد من شروط الاتفاقية والمهلة المحددة لتنفيذها وكيفية تسليم الأموال[2].

تمكن صلاح الدين من جمع مبلغ كبير من المال واستشار أصحابه في كيفية تسليمه للصليبيين، فأشاروا عليه بأن يستحلفهم على إطلاق أصحابه وأن يضمن رجال الداوية على ذلك، لأنهم أهل تدين ووفاء، إلاّ أن الداوية امتنعوا عن ذلك، وقالوا له : " لا نحلف ولا نضمن لأننا نخاف غدر من عندنا "[3]، عند ذلك علم صلاح الدين غدرهم فلم يجبهم الى ذلك[4].

وعندما رأى ريتشارد قلب الأسد توقف صلاح الدين عن بذل الأموال والأسرى وصليب الصلبوت لهم، لم يعاود الاتصال به ودفعه تهوره الى أن ساق أسرى المسلمين، وكانوا زهاء ثلاثة آلاف مسلم من عكا الى العياضية، وأوثقهم بالحبال ثم حمّل الصليبيون عليهم حملة واحدة وقتلوهم عن آخرهم وذلك في 27 رجب 587ه/ 20 أوت 1191م[5].

بعد استيلاء الصليبيين على عكا قام ريتشارد بزيادة تحصيناتها وترميم مبانيها من الأسوار والأبراج، واتخاذ التراتيب العسكرية اللازمة للاستيلاء على المدن الأخرى، ولا ريب أن ذلك يبعد خطر السفن العسكرية الإسلامية من الوصول إلى ساحل عكا، وا كذا لمجموعات الفدائية من ناحية أخرى، والتي عملت فترة من الزمن بعد سقوط عكا على إشاعة الفوضى وخلق نوع من عدم اللأمن واللاستقرار فيها[6]، بالإضافة إلى أنَّ الصليبيين كانوا يبحثون عن قاعدة عسكرية جديدة للانطلاق منها إلى بيت المقدس والمدن الساحلية الأخرى بعد أن أصبحت عكا مركز مملكة بيت المقدس

[1]شفرعم: قرية كبيرة شرقي حيفا، بينها وبين عكا على ساحل الشام ثلاثة أيام. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج3، ص353.
[2]ابن شداد، المصدر السابق، ص259؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، 360؛ ستانلي، المرجع السابق، ص248.
[3]ابن الاثير، الكامل، ج10، ص207.
[4]ابن شداد، المصدر السابق، ص261. ابن الاثير، الكامل، ج10، ص207؛ أبو شامة، االمصدر السابق، ج4، ص155.
[5]ابن شداد، المصدر السابق، ص262-263؛ الاصفهاني أبي عبد الله محمد عماد الدين الكاتب (ت597هـ)، الفتح القسي في الفتح القدسي، دار المنار، 2004، ص293؛ أبو شامة، المصدر السابق، ج4، ص157.
[6]عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص149.

الثانية محطة للسفن التجارية وقوافل الحجاج الغربيين القادمين لزيارة الأماكن المقدسة[1].

وبعد نجاحه في التخلص من خصمه الماركيز كونراد دو مونتيفرات *Conrad* de Montiferrat [2] سعى ريتشارد إلى تزويج الكونت هنري دي شمبانيا Henri II de Champagne [3] من الملكة ايزابيلا Isabella D'Anjou أرملة الماركيز كونراد في ماي 1192م/ ربيع الآخر588هـ وتعيينه حاكما على مملكة بيت المقدس الثانية[4] ، و منحه عكا وصور وجميع الأراضي التي تم الاستيلاء عليها، وكان اختيار الكونت هنري حاكما لمملكة بيت المقدس الثانية قد حرم الملك غي دي لوزيينان من استعادة عرشه[5]، ولكن ريتشارد استطاع أن يقنعه بتولي حكم جزيرة قبرص مقابل تنازله عن حقه في عكا مركز المملكة الصليبية الثانية[6].

استأنف ريتشارد مفاوضات الصلح مع السلطان صلاح الدين، و تم التوقيع على الهدنة التي عُرفت بصلح الرملة يوم الثلاثاء 21 من شعبان 588هـ / 1سبتمبر 1192م[7]، حيث توصل بموجبها الطرفان إلى اتفاق مدته ثلاث سنوات وثلاثة أشهر يقضي بتدمير عسقلان، وامتلاك الصليبين المنطقة الساحلية الممتدة من صور وعكا إلى يافا، في حين يحصل المسلمون على المنطقة الجبلية والمنطقة الواقعة خلف الساحل ، ويتم تقسيم مدينتي اللد[8] والرملة بين الفريقين، و اشترطت المعاهدة السماح

---

[1]Grousset. Op. Cit. Vol3. P124.

[2] أغتيل الملك كونراد عل يد رجلين من طائفة الحشاشين سنة 1192م /589هـ، أرسلها رشيد الدين سنان الملقب بشيخ الجبل، ومن المرجح أن العملية تمت بتفويض من ريتشارد قلب الأيد والملك بلدوين.
أنظر: أحمد الشامي، المرجع السابق، ص154، مجهول، ذيل وليم الصوري، تر: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 2002، ص229.

[3]هنري دي شامبني: ينتمي الى أسرة عريقة والده يسمى هنري الأول الشمباني وأمه ماريا الشمبانية ابنة لويس السابع ملك فرنسا، ولد 1166م/ 562هـ، وتولى منصب كونت شامبني عام 1181م/577هـ، 594/1197هـ، وجاء الى الشرق عام 1190م/586هـ مع عمه فيليب أغسطس ملك فرنسا، وعقب مصرع كونراد مونتفرات تم اختياره زوجا لإيزابيلا بنت عموري ليكون ملكا على بيت المقدس، غير انه لم يتوج ابدا حتى لقي مصرعه إثر سقوطه من نافذة قصره في عكا 1197م/594هـ.
أنظر: مجهول، الذيل، ص 280؛ فوزي رحيل، المرجع السابق، ص 43.

[4]عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص147-148؛ مجهول، الذيل، ص230؛
Grousset. Op. Cit. Vol3. P36.

[5]سهيل زكار، الموسوعة، ج31، ص 155،117 -158.

[6]ستانلي بوول، المرجع السابق، ص271؛ سهيل زكار، الموسوعة، ج31، ص151-152؛ فوزي رحيل، المرجع السابق، ص43. عاشور عبد الفتاح، قبرص والحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 2002، ص30. مجهول، الذيل، ص228-229.

[7]ابن شداد، المصدر السابق، ص348؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص406؛ أبو شامة، المصدر السابق، ج4، ص214.

[8]اللد: قرية تقع غربي بيت المقدس من نواحي فلسطين. أنظر: ابن كثير اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مطبعة السعادة، ط1، مصر، 1932-1939، ج10، ص39.

للحجاج الغربيين القادمين عبر ميناء عكا الحرية في زيارة الأماكن المقدسة[1] ، و تنشيط الحركة الاقتصادية والتبادل التجاري بين المشرق الإسلامي والغرب الأوروبي[2].

وبعد انتهاء الحرب الصليبية الثالثة رجع الملك الإنجليزي إلى عكا في شهر رمضان 588هـ / أكتوبر 1192م، وأعاد ترتيب شؤونها الداخلية، ثم ركب سفينته من ميناء المدينة عائداً إلى إنجلترا، وتبعه السلطان صلاح الدين هو وأسرته عائدا إلى دمشق في شهر شوال عام 588هـ /نوفمبر 1192م وبقي فيها إلى أن وافته المنية، يوم الأربعاء 27 صفر سنة 589هـ/ 4 مارس 1193م[3].

أثبت الحملة الثالثة فشلها اذ لم يتمكن الصليبيون إلاّ من استرجاع مدينة واحدة[4]، وفشلوا فشلا ذريعا في تحقيق هدفهم الرئيسي بالاستيلاء على القدس، مما جعلهم يحتفظون بعكا التي أصبحت حاضرة مملكة بيت المقدس الثانية[5]، ومركز الثقل السياسي والاقتصادي قرنا من الزمان، فضلا عن صور وحيفا وقيسارية وأرسوف ويافا، وكان أكثر المستفيدين من هذه الحملة المدن التجارية مثل جنوة وبيزا والبندقية، ثم جماعات الفرسان الدينية الاسبتارية والداوية والتيوتون الذين استعادوا مراكزهم التجارية السابقة[6].

ويمكن القول إن المملكة أصبحت تتألف من مراكز بحرية فقط، ولجأت الى الساحل حتى تستفيد من حماية الاساطيل الغربية، حيث أصبحت المصالح التجارية تتقدم بشكل متزايد على المصالح الدينية والسياسية، وكانت هذه هي الفائدة الحقيقية التي انتهت إليها الحملة، حتى أن مستعمرات الفرنجة بعد ترميمها عاشت لفترة أطول من مملكة بلدوين الأول زمنيا، لكنها في الحقيقة أصبحت محطات توقف للحجاج وللتجار فقط أكثر منها مدن صليبية صالحة للاستقرار، ولم تعد مملكة عكا مستقلة اذ أصبحت تعتمد على الغرب في كل مناحي حياتها[7].

---

[1]ستانلي، المرجع السابق، ص285-286؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص155-158.

[2]ابن شداد، المصدر السابق، ص349؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص406.

[3]ابن شداد، المصدر السابق، ص364-365؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص408 رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص142.

[4]Stevenson, op.cit. p273.

[5]لم تكن مملكة بيت المقدس منذ سنة 1192م/588هـ حتى سقوطها النهائي سوى رقعة من الأرض على امتداد الساحل، وقد حرص الملوك والصليبيون على أن يضيفوا الى هذه الرقعة بيت المقدس وطريقا يصلها بالساحل، هذا هو الهدف الذي رمى اليه رتشارد من مفاوضاته مع صلاح الدين. أنظر: باركر، المرجع السابق، ص93؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص145.

[6] نفسه، ج3، ص146.

[7]Grousset. Op. cit. vol3. P124.

ولعل أهم ما يميز الحملة الثالثة هو عدم إسهام البابوية فيها بشكل فاعل، كما هو الحال في الحملتين الأولى والثانية، وبعدها أخذ قادة المدينة بترتيب شؤونها وتنظيم علاقاتها مع مختلف القوى في تلك المرحلة سواء مع المسلمين والبيزنطيين، أو مع الامارات الصليبية، وبقيام المملكة الجديدة ظهرت علاقات سياسية وعسكرية متباينة بين الصليبيين في بلاد الشام، حيث تميزت عليها بالصراع على العرش والسلطة داخليا، والتعاون في عديد المرات لصد المسلمين مما سمح بإطالة عمر التواجد الصليبي لقرن آخر من الزمن.

2- أوضاع الامارات الصليبية بعد الحملة الصليبية الثالثة:

بعد نجاحهم في استعادة عكا، أعلن الصليبيون عن إعادة تأسيس المملكة الصليبية، التي عُرفت بمملكة بيت المقدس الثانية، واتخذت من عكا مركزًا لها. ومع ذلك، كانت هذه المملكة محدودة في نطاقها الجغرافي، مقتصرة على شريط ساحلي ضيق، وظلت معرضة لهجمات المسلمين، كما أن بقاؤها كان رهينًا بالخلافات بين الأمراء الأيوبيين، والتراخي الذي ساد العالم الإسلامي لنحو نصف قرن[1].

ورغم الانتعاش الذي شهدته المدن اللاتينية في النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، حيث استعاد الصليبيون بيروت والناصرة والقدس وبيت لحم وصفد وطبريا وحتى عسقلان، إلا أن هذه الاستعادة لم تتم بالقوة العسكرية، إذ كانت بعض المدن، مثل بيروت وعسقلان، مهجورة أو مدمرة عند احتلالها مجددًا، بينما استُعيدت مدن أخرى بموجب معاهدات مع الحكام الأيوبيين، مثل العادل، الكامل، والسلطان إسماعيل وأيوب، خلال الفترة (1198-1241م / 595-639هـ)[2]. ونتيجة لذلك، نقل الصليبيون إلى عكا جميع المؤسسات السياسية والدينية والاقتصادية التي كانت تتبع المملكة الصليبية الأولى، ونصبوا الكونت هنري دي شمبانيا ملكًا لمملكتهم الجديدة[3].

ولضمان استقرار حكمه، اضطر هنري دي شمبانيا لاتخاذ إجراءات لتعزيز سلطته، خاصة في ظل التوترات السياسية التي شهدتها المملكة، حيث استمرت المنافسة بينه وبين الملك غي لوزينان، الذي حكم قبرص لكنه ظل يطمح إلى استعادة عرش المملكة.[4]، وإلى جانب ذلك تنافس المدن التجارية في الحصول على مكاسب

[1] ميشال بيلار، المرجع السابق، ص315.

[2] Stevenson, op.cit. p292.

[3] عقيل جبار جاسم الاسدي، عكا في ظل الحكم الصليبي(690-498هـ/1104-1291م)، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، العراق، 1431هـ/2010م، ص73.

[4] Grousset. Op. Cit. Vol3. P127.

وامتيازات جديدة سيما البيازنة الذين تم طردهم كم قبل الكونت هنري دي شمبانيا من عكا وتم حرمانهم من جميع الامتيازات[1].

وعلى الرغم من أن مشاغل هنري دي شمبانيا لم تقتصر على مملكته فحسب، بل امتدت أيضاً إلى بقية الإمارات الصليبية خاصة أنطاكية، التي بات يخشى عليها من نفوذ الأرمن نتيجة للسياسة الضعيفة التي أتبعها بوهيمند الثالث أمير أنطاكية (1163- 1201م/559-598ه)[2].

ومن المعروف أن بوهيمند الثالث قام بدور مريب في صراعه مع الأيوبيين وخلال الحرب الصليبية الثالثة ، ولم يكن بمثابة الرجل الحريص على مصلحته ومصلحة بلاده ، إذ لم يقم بأي محاولة لمنع صلاح الدين من الاستيلاء على القلاع الواقعة على نهر الأورنت سنة 1188م/584هـ ، ولم يبذل جهدا في استرداد اللاذقية وجبلة، أو معاقبة القاضي منصور بن نبيل [3] الذي عرض على صلاح الدين التكفل بفتح المدينتين ، مما أدى إلى عزل إمارتي أنطاكية وطرابلس ومملكة بيت المقدس، و ساهم في إيقاف الإبحار الساحلي بينهما[4] ، وزاد من سوء موقفه أن زوجته سيبلا لم تكن في صفه ، فلم تكتف من خيانته مع المسلمين فحسب ،و إنما أخذت تخونه مع ليو الثاني[5] العظيم صاحب أرمينية الصغرى..... ، وكان الأمر خطيرا بالنسبة لامارة أنطاكيا ومصالح الصليبيين عامة، لأن ليو الثاني كان يطمح في امتلاك منطقة الحدود بين أنطاكية وأرمينية وهي االمنطقة الممتدة من قلعة بغراس حتى ميناءأياس[6].

تمكن ليو الثاني من السيطرة على قلعة بغراس بعد اخلائها من طرف صلاح الدين ، وقام بالقبض على بوهيمند في أكتوبر سنة 589ه/1193م[7]، وعندئذ أعلن أنه لن يفرج عنه حتى اذا منحه أنطاكية ذاتها[8]، وسرعان ما جبن بوهيمند الثالث أمام الموقف، فأرسل اثنين من فرسانه ممن كانوا معه الى أنطاكية ليتخذ الإجراءات

[1]مجهول، الذيل، ص244-245.

[2]Grousset. Op. cit. vol3. P123.

[3] منصور بن نبيل: قاضي مدينة جبلة، له مكانة ومنزلة عالية عند بوهيمند أمير طرابلس، وبحكم أنه مسلم أخذته الغيرة على المسلمين وعرض على صلاح الدين التكفل بفتح جبلة واللاذقية والبلاد الشمالية. أنظر: ابن الأثير، الكامل، ج 10، ص 167.

[4]رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص161. ابن الأثير، الكامل، ج10، ص168.

[5]ليو الثاني: كان أميرا على أرمينية منذ عام 1187، ثم توج ملكا بيد سفراء الامبراطور هنري السادس الألماني في عام 1198م/594هـ، وحمل لقب ليون ملك أرمينية الى أن توفي عام 1219م/616هـ. أنظر: البطاوي، المرجع السابق، ص229.

[6]عاشور، الحركة، ج2، ص164.

[7] مجهول، الذيل، ص 253، 256، عاشور، الحركة، ج2، ص164؛ ابن الأثير، الكامل، ج10، ص175.
Stevenson, op.cit. p298. Grousset. Op.cit. vol3.p129.

[8]Grousset. Ibid. P130.

المناسبة لتسليمها للقوات الأرمينية، ولكن أهل أنطاكية رفضوا ذلك الوضع، وثاروا عليه بزعامة بطرقها ايمري دي ليموج[1]، وعندما وجدت القوات الأرمينية استحالة دخول انطاكية بالقوة تراجعت، في حين عاد ليو الثاني الى قليقية ومعه أسيره بوهيمند الثالث الذي ظل حبيسا في قلعة سيس[2].

وفي تلك الظروف لم يجد أيمري بطرق أنطاكية، وولى عهد الإمارة ريموند، وأخوه بوهيمند الرابع، بدأ من الاستعانة بهنري ديشامبني ملك مملكة بيت المقدس في عكا[3]، وكان أن لبى هنري النداء فركب البحر إلى طرابلس حيث اصطحب بوهيمند الرابع، ثم اتجه الاثنان صوب أنطاكية [4] .

أدرك هنري أنه ليس من مصلحته إثارة حرب مع الأرمن، لأنه لن يستفيد منها إلا المسلمون، فاتبع طريق المسالمة وذهب بنفسه إلى قليقية لزيارة ليو الثاني في عاصمته سيس، وهناك توسط بين ليو و بوهيمند في تسوية مشكلة الحدود ، وتنازل أمير انطاكية لأمير أرمينية عن المنطقة المتنازع عليها حول بغراس، وبعد ذلك اقترح هنري دي شامبنيا زواج ريموند ابن بوهيمند**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.** البكر من أميرة أرمينية[5]، ضماناً لتوثيق الروابط بين أنطاكية وأرمينية، وتم ذلك فعلا سنة1195م/591هـ، وهكذا نجح الملك هنري دي شامبنيا في استعادة هيبة مملكة بيت المقدس وجعلها تبدو في صورة القوة المسيحية الكبرى في بلاد الشام التي يحتكم إليها وتستعين بها بقية القوى المسيحية المحاربة في فض مشاكلها[6].

---

[1]ايمري ليموج أو ليموزين Aimeri de Limoges ou Limousin: ولد في فرنسا حوالي 1110م/504هـ ودرس في توليدو Toledoواصبح أحد رجال الكنيسة بفرنسا، ثم انتقل الى الشرق كمبعوث بابوي، ثم ظهر في السلك الكنسي في أنطاكية، وتولى كرسي البطريرك اللاتيني بها في سنة 1140م/535هـ خلفا لرالف، توفي ما بين عامي 1193-1196م/589-592هـ. أنظر:

Bernard Hamilton, Crusaders, Cathars and the Holy Places, Routledge Revivals, 2018, New York, USA, p269-286 .

الصوري، المصدر السابق، ج3، ص199

[2]عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص165؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص164. مجهول، الذيل، ص254-255.

- قلعة سيس: تقع بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة، وهي مقر الملك ليون الأرميني. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج3، ص297-298.

[3]Grousset. Op.cit. vol3. P132. عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص165

[4]Grousset. cit. vol3. P132. مجهول، الذيل ، ص256

[5]الصوري، المصدر السابق، ص258.

[6]Grousset, Histoire, op. vol.3, p. 133.

أما طرابلس فلم ينقذها سوى تدخل الأسطول الصقلي، فلما وصل فريدريك دوق سوابياFrédéric, [1] duc de Souabe وفلول جيش فريدريك بربروسا، تقدم بوهيمند باقتراح طريف، يقضي بأن ينوب هؤلاء الألمان عنه في قتال المسلمين في الشمال، فلما زحفوا جنوبا لم يقم بوهيمند بدور إيجابي في الحرب الصليبية الثالثة، ماعدا أنه قام بزيارة ودية للملك رتشارد في جزيرة قبرص، وفي تلك الأثناء غير وضعه فيما يتعلق بتوجهاته نحو القوى المتنافسة في بلاد الشام، فما إن توفي ابن عمه، ريموند الثالث كونت طرابلس، حتى انتقل إرث كونتية طرابلس إلى ابنه، الذي اعلن التأييد لغي لوزينان ، والراجح أنه لم يفعل ذلك إلاّ بسبب تخوفه من الخطط التي أعدها كونراد دي مونتفرات للاستيلاء على طرابلس، فلم يشأ بوهيمند الثالث أن يكون على طرفه الجنوبي ملك قوي يميل للاعتداء، نظرا لأنه كان منصرفا الى النزاع مع جاره ليو الأرميني في الشمال ، وشقيق روبين الثالث وولي عهده[2] ، إلا أن ثاني أبنائه وهو بوهيمند الرابع ورث حكم إمارة طرابلس عند وفاة أميرها ريموند الثالث، وبذلك غدا في استطاعة بوهيمند الثالث وابنه بوهيمند الرابع ربط إمارتي انطاكية وطرابلس واستغلال مواردهما جميعاً في تدعيم نفوذهما[3].

3-الصراعات الصليبية – الصليبية:

نظرا للأمراض الفتاكة التي اجتاحت منطقة عكا توفيت سيبيلا Sebella ملكة بيت المقدس وزوجة غي لوزنيان في شوال 586 هـ / أكتوبر 1190 م، وكانت قد سبقتها قبل ذلك ابنتاها، وبموتهن فقد الملك لوزنينان المبررات الشرعية للمطالبة بالملك، لاسيما أنه كان مكروها من الأمراء لضعفه وسوء تصرفه في الأحداث التي صحبت كارثة حطين، الأمر الذي سبب له ضربة قاسية أفقدته توازنه[4] .

نتيجة لهذه التطورات بدأ الصراع يظهر من جديد على ولاية العرش، حيث انتقلت المملكة بحق الميراث إلى إيزابيلا ابنه الملك عموري والملكة ماريا كومينوس[5]، لكن كونراد ظل متمسكا بحقه في العرش بوصفه الملك السابق لمملكة القدس، حيث اشتد النزاع بينه وبين غي لوزنيان وزاد تفاقما عندما استعان غي بريتشارد ملك انجلترا والداوية ، وأراد الدخول إلى صور لأنها جزء من مملكته، إلاّ أن كونراد قام بإغلاق

[1]فريدريك دوق سوابيا: هو أحد أبناء الامبراطور فريدريك بربروسا الأربعة، صحب أباه في حملته الصليبية على الشرق، ومات في عكا سنة 1191م. أنظر: مجهول، الذيل، ص146-147.
[2]عاشور، الحركة، ج2، ص164؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص64-65.
[3]نفسه، ص65؛ عاشور، الحركة، ج2، ص164.
[4]زكار، المرجع السابق، ج32، ص256؛ عاشور، الحركة، ج2، ص130؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص64؛ البير شاندور، المرجع السابق، ص310.
[5]دي فيتري، المصدر السابق، ص161-162؛ عاشور، الحركة، ج2، ص130؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص65.

الأبواب في وجهه ولم يسمح له بالدخول، وقال له : إن مملكتك انتهت مع حطين عندما لم تستطع أن تدافع عنها وتحميها وإني أخذت صور باسم ملوك أوروبا الذين فيما وراء البحار، وأنا نائبهم في هذه البلاد [1].

ازدادات الخلافات بين غي دي لوزينيان وكونراد دي مونتفرات وتفاقمت أكثر، حيث وقف قسم من الجيش إلى جانب غي، بينما انحاز القسم الثاني الى خصمه ،[2] وغدت هذه القضية هم البارونات الذين كانوا يزجون أوقات فراغهم في وزن فُرص كل من المرشحين اللذين لم يعد في إستطاعتهما أن يرى أحدهما الآخر[3] ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل سعى كل طرف إلى شراء الذمم، وبذل الأموال والدسائس مع بعض البارونات والفرسان الذين أضعفتهم شهوة المال وغيرتهم أساليب المناورة والغش والخداع .[4]

حاول كونراد تهيئة الأجواء لتحقيق أهدافه السياسية فاجتهد في اقناع إيزابيلا Isabella بالانفصال عن زوجها همفري Humphrey[5]، وتم الأمر بالتنسيق مع والدتها التي بذلت جهدا كبيرا في نيل موافقتها[6]، و بعد أن حقق مبتغاه أعلن عن الزواج منها ، وبسبب مرض البطريرك هرقل[7] ، رفض ممثله رئيس أساقفة كانتبري Évêques de Cantorbéry ، إلغاء الزواج لأنه كان يدرك أن سيده الملك ريتشارد على علاقة ممتازة بأسرة لوزينان ، فهم من أتباعه وأتباع والده ، لذلك أشار إلى أن زواج كونراد من إيزابيلا يعد من الزنا الصريح[8]، أما موقف ريتشارد من كونراد فكان مغايراً تماماً فقد أنّب الذين طالبوا بالماركيز ملكاً وكره تقلب مواقفهم ،

[1] ابن شداد، المصدر السابق، ص106؛ باركر، المرجع السابق، ص90.

[2] بين عامي 1186م و1228م (626-582هـ)، تولت أربع نساء تاج القدس: سبيلا، وإيزابيلا الأولى، وماريا، وإيزابيلا الثانية. لم تكن أي منهن تمتلك طموحًا سياسيًا واضحًا، إذ تزوجن جميعًا أربع مرات، كما في حالة إيزابيلا الأولى، مما أدى إلى انتقال السلطة إلى أزواجهن. نتيجة لذلك، حكم القدس سلسلة من الملوك القرناء، لم يكن أي منهم من مواليد الشرق، ولكل منهم حاشية خاصة تسعى لتحقيق مصالحها .تكونت هذه الحاشيات من ثلاث مجموعات رئيسية: أولاً، أفراد أسر الملك مثل الفرسان، والقساوسة، والخدم المحترفين؛ ثانيًا، عشيرته الذين قدموا من الغرب للانضمام إليه؛ وثالثًا، النبلاء الأوروبيون من منطقته الأصلية الذين خدموا تحت قيادته. كان جميع هؤلاء الطامحين يأملون في كسب نفوذ عبر زوجة الملك، الأمر الذي أثار قلق الفرنجة المحليين، الذين خشوا أن يكون ذلك على حسابهم.
أنظر:.Bernard Hamilton, op.cit. p41

[3] شاندور، المرجع السابق، ص309-310.

[4] الاصفهاني، المصدر السابق، ص333؛ زكار، المرجع السابق، ج32، ص256؛ مجهول، الذيل، ص188.

[5] Grousset, op, cit, vol3. P42-43.

[6] مجهول، الذيل، ص188-189-190.؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج 3، ص65-66.

[7] البطريرك هرقل: فرنسي الأصل، من مواليد مقاطعة أفبرجينAuvergne في جنوب فرنسا، وقد حضر الى بيت المقدس بعد أن أصبح قسيسا، وتولى منصب رئيس شمامسة بيت المقدس، وفي عام 1178م/576هـ ذهب مع وفد من رؤساء الأساقفة والكنائس والاديرة في مملكة بيت المقدس الى روما، وفي عام 1180م/ 576هـ، انتخب هرقل في منصب بطريرك بيت المقدس.
أنظر: البيشاوي، المرجع السابق، ص269-270.

[8] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص65.

وذكرهم بما كانوا يقولون عنه، لكنه قبل بذلك مكرهاً، ونزولا عند رغبة قادة جيشه[1].

أغضب هذا العمل الكثير من البارونات وجميع الحجاج ، لكنهم أخفوا غضبهم لأنهم كانوا بحاجة الى كونراد الذي كان يسيطر بشكل كامل على مدينة صور، والتي تشكل المصدر الأساسي للكثير من إمداداتهم وأقواتهم[2] ، و على أثر ذلك قرر كونراد ترك عكا ومغادرتها إلى صور مصطحباً معه الملكة إيزابيل، وجلس بها يترقب سير الأحداث في المملكة الوليدة، وربما كانت خطوته تلك بسبب وثوقه من محبة أهل صور والدعم الشعبي له ، وإطاعتهم له أكثر من الملك ريتشارد ، ولم يعد كونراد إلى الجيش الصليبي الذي سار آنذاك إلى عسقلان على الرغم من الحاجة إليه ، إلى جانب تهديدات ريتشارد له بمصادرة ممتلكاته وذلك في نهاية سنة 587هـ / بداية 1192م[3].

ومن صور أخذ كونراد يجري اتصالات مع صلاح الدين أبدى من خلالها رغبته في التفاوض والتفاهم ، ، وقدّم لقاء ذلك العديد من التنازلات[4]، لدرجة أن بعض المراجع اللاتينية تذكر أن كونراد أظهر استعداده لخوض القتال إلى جانب صلاح الدين ضد إخوانه حلفاء الأمس، مقابل اعترافه بأحقيته في حكم مملكة القدس بعكا[5]، ويبدو أن غاية كونراد من ذلك هو الالتفاف على انتصارات ريتشارد وتحويل مجرى المفاوضات لصالحه الخاص، وأن يجعل من نفسه محوراً لتلك المفاوضات، ومن ثم الحصول على امتيازات من صلاح الدين تعلي شأنه في الأوساط الصليبية، وتوجه أنظار الصليبيين وآمالهم إليه[6]، وهكذا ينفرد في قيادة مملكة القدس اللاتينية الثانية - حديثة الولادة.

وبالنسبة إلى الحزبين القديمين فقد استمرت الصراعات بينهما إلى أن شملت رعايا المدن الإيطاليةفي الشام، وكان الجنوية ضمن حزب كونراد منذ أن نقلته سفنهم من القسطنطينية إلى الشام، في حين انضم البيازنة لحزب غي لوزينان وسرعان ما

[1]زكار، المرجع السابق، ج32، ص295.؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص66.
[2]رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص67؛ مجهول، الذيل، ص190؛ شاندور، المرجع السابق، ص310.
[3]ابن شداد، المصدر السابق، ص259؛ أبو شامة، المصدر السابق، ج4، ص148؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص67.
[4]ابن شداد، المصدر السابق، ص310؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص372؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص116-117؛ عاشور، الحركة، ج2، ص146؛ شاندور، المرجع السابق، ص345.
[5]زابوروف، المرجع السابق، ص209.
[6]شاندور، المرجع السابق، ص345.

تطورت تلك النزاعات لتنتهي إلى سفك الدماء والقتال المتبادل بين الطرفين، وباتت عكا كلها في حالة فوضى[1].

وحول الصراع الصليبي الصليبي في بلاد الشام يقول مؤنس عوض: " إن الصليبيين أثبتوا بتلك الخلافات الدموية المريرة أنهم ليسوا أصحاب قضية حقيقية، بل غزاة همهم الأكبر جمع المال ولا شيء غيره، بدليل أنهم عندما اختلفوا بشأنه تقاتلوا وتناحروا على نحو أفاد المسلمين من حيث لا يدرون، ويصدق عليهم القول بأنهم شاركوا بذلك في صنع انتصارات المسلمين الذين دافعوا بالفعل عن قضية حقيقية لأنهم أصلا أصحاب الأرض التي قدموا من اجل سلبها ونهبها "[2] .

وفي تلك الأثناء وصلت ريتشارد أخبار سيئة من الغرب تؤكد له ثورة أخيه حنا ضده، ورغبته في الاستيلاء على العرش، وقيامه بطرد كل من أنابه ريتشارد في إنكلترا، فكان لزاماً على ريتشارد انهاء النزاع بين حزبي كونراد وغي على عرش مملكة القدس اللاتينية " عرش عكا" وترتيب امورها وجعلها تابعة أو على الأقل حليفة له[3].

آثر ريتشارد أن يعقد مؤتمر عاما من النبلاء والأمراء والفرسان والقادة العسكريين لحل مشكلة النزاع على وراثة العرش في المملكة الوليدة، وتم ذلك في عسقلان يوم 25 ربيع الأول 588هـ / 16أفريل1192م وعندئذ أجمع الأمراء اجماعا تاما على اختيار كونراد ملكاً لعرش مملكة القدس اللاتينية الثانية؛ لما لمسوه فيه من صفات حربية بارزة وشجاعة نادرة، وكونه الأكثر جدارة ونباهة وفراسة، كل ذلك جعله يتفوق على خصمه الذي رافقه الشؤم وسوء الطالع منذ توليه لعرش المملكة الأولى عام 586هـ / 1189م[4].

أغرت وفاة صلاح الدين المتحمسين في الغرب الأوروبي القيام بحملات صليبية جديدة على المشرق الإسلامي، بهدف استعادة بيت المقدس لاسيما وأن صلح الرملة [5] الذي عقده ريتشارد قلب الأسد مع صلاح الدين سنة 588هـ / 1192م كان محدداً بثلاث سنوات وثلاثة أشهر[1].

---

[1]عاشور، الحركة، ج2، ص146؛ فوزري رحيل، المرجع السابق، ص43.
[2]مؤنس عوض، العلاقات بين الشرق والغرب، ص344.
[3]زكار، المرجع السابق، ج31، ص149-150؛ عاشور، الحركة، ج2، ص146.
[4]رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص124.
[5]صلح الرملة: هدنة وقعت بين السلطان صلاح الدين والملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد في 21شعبان 588هـ/ 1سبتمبر1192، توصل بموجبها الطرفان الى اتفاق يقضي بتدمير عسقلان، و أن يمتلك الصليبيون المنطقة الساحلية الممتدة من صور وعكا الى يافا، في حين يحصل المسلمون على المنطقة الجبلية والمنطقة الواقعة خلف الساحل ، أما مدينتي اللد والرملة فتقسم بين الفريقين، كما اشترطت المعاهدة التي حددت مدتها ثلاث

إن تلك الحملات الصليبية التي استهدفت الأراضي المصرية والشامية ، لم تحقق ولو جزءاً بسيطاً من أهدافها، باستثناء ما حققه الإمبراطور فردريك الثاني Frederik II من استعادة بيت المقدس لبعض الوقت بالطرق السلمية من الملك الكامل الأيوبي[2] بمقتضى صلح يافا سنة 626هـ / 1229م[3]، فقد اضطربت أحوال الصليبيين في جنوب الشام وشماله، ففي الجنوب شهدت مملكة بيت المقدس صراعاً مريراً مع مملكة قبرص، فضلاً عن أن قبرص قد استطاعت سنة 631هـ / 1233م أن تخلص نفسها من سيطرة الإمبراطورية المقدسة، بينما ظلت مملكة بيت المقدس تابعة من الناحية القانونية على الأقل للإمبراطورية حتى سنة 666هـ/1267م ، وطوال هذه المدة كان أباطرة الغرب مشغولين عن ممتلكاتهم في الشرق، الأمر الذي جعل مملكة بيت المقدس طوال تلك السنين الطويلة دون ملك مقيم فيها يرعى شؤونها، وينظم أمورها ويدافع عن حقوقها[4].

لقد كانت الفترة الممتدة مابين سنتي 631هـ / 1233- و 666هـ / 1267م حاسمة في تاريخ الشرق نظراً لما شهدته من أحداث جسام كان من الممكن أن يستغلها الصليبيون لقلب الموقف في بلاد الشام لصالحهم ، لأن تلك الفترة وافقت سقوط الدولة الأيوبية، واستيلاء المغول على الدول العربية والإسلامية في العراق والشام ، هذا بالإضافة إلى ما حدث في مملكة بيت المقدس من خلاف حول ولاية العرش كان قد ترتب عليه تدخل الإمبراطورية بإرسال حملة عسكرية إلى قبرص والشام إلا أن هذه الحملة انتهت بالإخفاق، الأمر الذي ترك الصليبيين في بلاد الشام في حالة يرثى لها من التفكك والانقسام[5].

سنوات وثلاث أشهر السماح للحجاج الغربيين القادمين عبر ميناء عكا بحرية زيارة الأماكن المقدسة ثم تنشيط الحركة الاقتصادية والتبادل التجاري بين الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي.
أنظر: ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تح: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1415هـ/1994، ص346-349؛ الاصفهاني، المصدر السابق، ص 343-344؛ ابن الاثير، الكامل، ج 11، ص 218.

[1]ابن الاثير، الكامل، ج9، ص253-255؛ قاسم عبده قاسم، علي السيد علي، الايوبيين والمماليك، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، دت، ص17.

[2]الكامل الايوبي: هو ناصر الدين أبو المعالي محمد بن الملك العادل سيف الدين، خامس ملوك بني أيوب، ولد في 15ربيع الأول 576ه/1180م، تسلم حكم الدولة الايوبية عام 615ه/1218م، وحكم حوالي عشرين سنة. للمزيد انظر: ياسين الخطيب، القدس بين أطماع الصلبيين وتفريط الملك الكامل الايوبي، دار المناهج، ط1، الأردن، 2001م، ص61_95.

[3]الاصفهاني، المصدر السابق، ص342؛ أبو شامة، المصدر السابق، ج4، ص324؛ ابن شداد، المصدر السابق، ص232-234؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص404؛ عاشور، الحركة، ج2، ص257؛ قاسم عبده، الايوبيين، ص70؛ رنسيمان، ج3، ص 330-333.

[4]عاشور، الحركة، ج2، 257؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص359-361.

[5]عاشور، الحركة، ج2، ص257.

انتقل الصراع خلال هذه المرحلة الى باقي الامارات الصليبية في الشمال حول وراثة العرش خاصة بعد توحيد الامارتين، حيث تولى بوهيموند الرابع حكم طرابلس شرعيا سنة 598هـ/1201م ، متحديا بذلك حقوق ابن أخيه ريموند روبين في وراثة امارة انطاكية، وقد وقف إلى جانبه خاله الملك ليو الثاني ملك أرمينية، وبذلك انشقت الجبهة الشمالية الصليبية إلى قسمين ، وما زاد الأمر سوءاً رفض ليو الثاني إعادة قلعة بغراس إلى الفرسان الداوية بعد أن أخذها من المسلمين سنة 587هـ/ 1191م مما جعل الداوية يقفون بصف بوهيموند وينحازون إليه في الوقت الذي انضم فيه الاسبتارية إلى ليو الأرمني[1].

لم تكن خلافات بوهيمند الرابع مع أرمينية المشكل الوحيد الذي تعاني منها الامارة ، بل عانت أيضاً من الاضطرابات الداخلية ذلك أن سلطته لم تكن كاملة على كل من امارة انطاكية وطرابلس خاصة في الريف، ويتضح ذلك من خلال حركة التمرد التي قام بها رينوارتRenoart صاحب أنفه[2]، عندما تزوج وريثة حصن عكا وبدون اذن منه في نهاية 601هـ/ 1204م، وقد تطور هذا التمرد عندما انحاز كثير من الصليبيين إلى جانب رينوارت ومما زاد من تعقيد هذه المشكلة أن هذا التمرد لقي التأييد من ملك قبرص، والملك الاسمي لمملكة بيت المقدس آنذاك، الملك عموري وبذلك تحرج مركز بوهيمند في الداخل مع أمراء الصليبيين، وفي الخارج مع كل من البابا وليو وعموري والاسبتارية، ولم يقف معه سوى الداوية[3]. استغل الملك ليو الأرمني هذه الحوادث وقام بعدة حملات حاصر من خلالها أنطاكية، فاضطر بوهيمند مرغماً الاستنجاد بالمسلمين ، خاصة عندما وقف جميع الأمراء الصليبيين ضده، فاستنجد بالملك الظاهر غازي[4] صاحب حلب الذي لبى الدعوة وخرج سريعاً من حلب متجهاً إلى حارم، وسرعان ما انسحب ليو مسرعاً إلى بلاده[5] ، عندما وصل إلى مسامعه نبأ قدوم الملك الظاهر غازي ، عندها عاد الظاهر أيضاً إلى حلب لانتهاء الأسباب الدافعة لخروجه ، ولكن ليو أعاد الكرة مرة أخرى على أنطاكية

[1]مجهول، الذيل، ص 261؛ محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية1095-1291م، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2000، ص151؛ برجاوي سعيد أحمد، الحروب الصليبية في المشرق، دار الافاق الجديدة، بيروت، 1404هـ-1984م، ص417- 418؛
Cahen, op. cit. p595-623

[2]أنفة: بليدة على ساحل بحر الشام شرقي جبل صهيون بينهما ثمانية فراسخ. انظر، الحموي، المصدر السابق، ج1، ص271.

[3]عاشور سعيد، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، جامعة بيروت، لبنان، 1977، ص240.

[4]الظاهر غازي: أبو منصور غازي ابن السلطان صلاح الدين، ولد بالقاهرة في سنة 568هـ/ 1172، وولاه صلاح الدين حلب في حياته، وكان ملكا مهيبا وله سياسة وفطنه ودهاء ودولة معمورة بالعلماء والامراء الفضلاء، وحضر معظم غزوات والده، توفي سنة 613هـ/ 1216م. ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج6، ص192؛ زكار، المرجع السابق، ج8، ص484.

[5]أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي، المختصر في اخبار البشر، تعليق: محمد ديوب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، ج3، ص105.

وهاجمها فجأة عندما راسله أهلها وضمنوا له تمليكها وذلك في السابع عشر من ربيع الثاني من العام نفسه فعمد بوهيمند إلى اتخاذ الإجراءات التي تساعده على صد الهجوم وإفشاله وتحصن في قلعة أنطاكية، عندها عاود بوهيمند الكرة و استنجد بالظاهر غازي مرة أخرى فلبى النداء مسرعاً، وخرج بعساكره قاصداً أنطاكية، وعندما علم ليو بقدومه فك الحصار، وعاد مسرعاً إلى بلاده للمرة الثانية وذلك لما وجده من حشود عسكرية كبيرة ضده، وكان من الطبيعي أن يبادر الظاهر غازي إلى تلبية دعوته لعله يحقق من وراء ذلك نصراً إسلامياً على حساب الفريقين الصليبيين المتخاصمين[1].

انتهز بوهيمند الرابع هذه الفرصة وفرض سيطرته الكاملة على أنطاكية وطرابلس، ولم يبقى أمامه سوى ليو وحلفائه من الاسبتارية وفي هذا الوقت سعى بوهيمندلإعلان أن انطاكية تابعة الى امبراطور القسطنطينية، وهذا ما زاد من غضب البابوية على سياسته، حيث انها لم تكن راضية عن حكام القسطنطينية اللاتين خلال الحملة الصليبية الرابعة[2].

في هذه الظروف أدرك الفرنج ضرورة تسوية المشاكل الداخلية ، وتوحيد الجبهة الصليبية نفسها، كما شعر البابا أنوسنت الثالثInnocent III(595-613هـ/ 1198 - 1216م) أن من واجبه التدخل لفض هذا النزاع ، فأرسل مندوباً عنه للقيام بهذه المهمة يدعى سو فريد دي سانت برا كسيد [3] Sofread of saint Praxède ، ثم أوفد مندوباً ثانياً إلى أرمينية وأنطاكية يدعى بطرس أف سانت ماريا Pierre de Sainte-Marie ، وسعى كل منهما على حدة، ثم كلاهما مجتمعين لإيجاد حل لمشكلة قلعة بغراس ووراثة العرش في أنطاكية[4]، وقد أظهر ليو ملك أرمينية التجاوب مع المندوبين ولكنه رفض إعادة القلعة إلى الداوية[5] ، بالمقابل أنكر بوهيمند حق البابوية في التدخل بالمشكلة التي تعد اقطاعية بحته، ولذا اخفق المندوبان في مهمتهما[6].

كما كان لتجدد النزاع بين بوهيمند**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.** الخامس أمير أنطاكية وطرابلس، وملك أرمينية هيثوم الأولHethumI الأثر البالغ في إضعاف

[1] عاشور، بحوث ودراسات، ص240-241.
[2] سهيل زكار، المرجع السابق، ج10، ص81-95؛ نورمان بينز، الإمبراطورية البيزنطية، تعريب: حسين مؤنس، محمد يوسف زايد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1950م، ص157.
[3] مجهول، الذيل، ص 262.
[4] Claude Cahen, La Syrie Du Nord A L'Epoque des Croisades, paris, 1940. p504.
[5] الصوري، ذيل وليم الصوري، ص262.
[6] رنسيمان، الحروب الصليبية، ج3، ص243. Cahen. Op. Cit. p. 506

كلتا الإمارتين في ذلك الوقت، ذلك أن هيثوم الأول لم يصل إلى حكم أرمينية الصغرى، إلا بعد أن تخلص من أحد أفراد البيت الحاكم في أنطاكية فيليب أخو بوهيمند الخامس الأمر الذي أثار غضب بوهيمند ضد الأرمن، ودخل معهم في صراع مرير، مستغلا أيضاً ذلك الصراع الدائم بين الداوية وأرمينية الصغرى حول حصن بغراس، فنظم مع الداوية حملة كبيرة على أرمينية الصغرى سنة 631هـ / 1233م، ولكن ذلك المشروع لم يؤتِ ثماره كاملة لاختلاف الداوية مع بوهيمند حوله[1].

أما العامل الأخير الذي كان له الأثر البالغ في إضعاف الوجود الصليبي، فهو تجدد الصراع الإسلامي الصليبي في بلاد الشام، فمن المعروف أن صلح يافا انتهى أمده سنة 636ه/ 1238م[2] ، حيث أخذ الأيوبيون يعملون جاهدين على استعادة بيت المقدس من الصليبيين وبالفعل فقد تمكن الملك الصالح أيوب[3] من تحقيق ذلك ، الأمر الذي أثار غضب الغرب الصليبي ، فأرسل حملة صليبية جديدة، تزعمها الملك الفرنسي لويس التاسع[4]، الاّ أن هذه الحملة منيت بإخفاق ذريع أمام الصمود الرائع الذي أظهره المسلمون في الأراضي المصرية، وهكذا أصبح وضع الصليبيين في بلاد الشام سيئا للغاية نتيجة للهزائم المتلاحقة التي حلت بهم، الأمر الذي سهل على دولة المماليك طردهم نهائيا من بلاد الشام[5].

أما على الصعيد الصليبي بشكل عام، فلقد كانت تلك الصراعات عينة بسيطة لواحدة من العوامل الرئيسية التي أسفرت عن انهيار الوجود الصليبي بأكمله في نهاية ذلك القرن، فبعد نصر حطين واسترداد صلاح الدين الكثير من الأراضي التي اغتصبها الصليبيون كان على هؤلاء أن يوحدوا صفوفهم وأن يتفقوا على كلمة واحدة ، لكن هذا الصراع كان سببا في زيادة تفككهم وضعف قوتهم ، حيث انقسم الصليبيون على

---

[1]ابن عبد الظاهر محي الدين(ت692هـ)، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تح ونشر: عبد العزيز الخويطر، الرياض، ط1، 1396هـ/1976م، ص270؛ عبد الله سعيد الغامدي، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، السعودية، دت، ص40-41؛ عاشور، الحركة، ج2، ص259-260.

[2]عاشور، الحركة، ج2، ص266.

[3]الصالح أيوب: اسمه أيوب بن الكامل محمد بن الملك العادل الأيوبي ولد بالقاهرة سنة 603هـ / 1206م، كان نائبا عن أبيه في حكم المشرق وإقليم ديار بكر، خلع أخاه وتولى الحكم بدلا عنه سنة 637هـ/ 1239م، وهو الذي أنشأ طائفة المماليك التي حكمت مصر فيما بعد توفي سنة 647هـ/ 1249م. أنظر: ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج6، ص282-285.

[4]لويس التاسع: ولد سنة 1214م/ 611هـ/ في مدينة بواسيه (Poisser) الفرنسية، وهو من سليل أسرة كابييه الملكية الشهيرة، استلم حكم فرنسا سنة 1226م/624هـ تحت وصاية والدته، وكان ذا عقل ناضج، تعلق قلبه برجال الدين ولازمهم حتى غدا كاثوليكيا متعصبا.
أنظر: خالد حسين الدكيفي، لويس التاسع والنشاط الفرنسي الصليبي من معركة المنصورة حتى وفاته (648-669هـ/1250-1270م)، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، سوريا، 1432هـ/2011م. ص34-36.

[5]Setton, op. Cit. P567.

أنفسهم ما بين مؤيد ومعارض لكل طرف من طرفي الصراع، وأخذوا يمدون كلا الطرفين بالمساعدات العسكرية والمالية بدلاً من أن يوجهوا قوتهم تلك إلى عدوهم الحقيقي ، وهكذا بات هذا الصراع ينخر في عضد الصليبيين ويضعفهم أكثر فأكثر ويزيد من هوة خلافاتهم وانقساماتهم[1].

4- سقوط عكا:

تعد مشكلة توريث العرش من أهم المشاكل السياسية التي واجهت المملكة الصليبية الأولى و المملكة الصليبية الثانية في عكا و كانت سببا في ضعف كيان المملكة بأسره ، خاصة في عدم وجود وريث شرعي في معظم الأحيان ، وفي حالة وجوده فإنه قد لا يستلم زمام الحكم فعلياً كما حصل في حالة كونراد الثالث بن فردريك الثاني وكونراد الرابع اللذان لم يحضرا إلى المملكة قط ، لاهتمامهم بملكهم في أوربا[2] ، وقد كان ذلك مدعاة لتدخل القوى الخارجية الأوربية وسعي بعضها للحصول على عرش المملكة ، كما فعل شارل أنجو عندما حاول فرض سلطته على المملكة الصليبية في عكا بشتى الوسائل ويبدو أن ذلك كان بسبب احتفاظ النبلاء الإقطاعيون بسلطاتهم التي كانت تخضع لقوانين الإقطاع الأوربية التي كانت تحد من سلطة الملك خاصة في ظل عدم وجود ملوك أقوياء وتدخل قوى وأطراف داخلية وخارجية في عملية اختيار الملك زادت الأوضاع سوء[3].

كانت ظروف المملكة في حالة يرثى لها في ظل التناحر المستمر بين مواطنيها في وقت جلس على عرش مصر الظاهر بيبرس[4] الذي أكد للصليبيين أن محور سياسته هو الجهاد في سبيل طردهم من الساحل الشامي كله ، وقد ساعده في ذلك ما كان يعانيه الصليبيون من تمزق سياسي داخلي، بحيث بدت مملكة عكا وكأنها عدة دول متداخلة مع بعضها البعض، فعلى سبيل المثال لا الحصر، عقد يوحنا ابلين - سيد يافا - اتفاقاً مع الظاهر بيبرس في عام 660 ه/1261م حصل بمقتضاه على حق تبادل الأسرى بين المسلمين والصليبيين[5] غير أن هيئتا الداوية والإسبتارية رفضتا إطلاق

---

[1]شاندور، المرجع السابق، ص357.

[2]بيلار، المرجع السابق، ص220.

[3] فوزي رحيل، المرجع السابق، ص66.

[4]الظاهر بيبرس: السلطان ركن الدين بيبرس صاحب الديار المصرية والشامية والحلبية، تلقب بلقب " الظاهر"، كان شهما شجاعا عالي الهمة مقاما جسورا، مهيبا عاقلا، كما كان ملكا جليلا، استمر حكمه من سنة 658-676هـ/ 1260-1277م.

انظر: ابن الكثير، البداية والنهاية، الدار المتوسطية للنشر والتوزيع، ط1، تونس، 2005، ج4، ص837، 839؛ بيبرس المنصوري (ت725هـ)، مختار الاخبار تاريخ الدولة الايوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة 702هـ، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، ط1، مصر، 1413هـ-1993م ص12؛ أبو الفداء، المختصر، ج4، ص18.

[5]بيبرس المنصوري، المصدر السابق، ص38.

ما في حوزتهما من أسرى، نظراً لحاجتهما إلى هؤلاء الأسرى الذين كان لهم باع كبير في الصناعات اليدوية ومن ثم هاجم الناصرة التي كانت ضمن أملاك مملكة عكا[1].

بعد استيلائه على طرابلس، لم يكن السلطان قلاوون[2] يخطط لمهاجمة عكا مباشرة، بل توجه إلى دمشق حيث استقبل وفدًا من الملك هنري الثاني يطلب تجديد الهدنة. استجاب السلطان لهذا الطلب ووافق في صيف عام 1289م /688هـ على تمديد الهدنة لعشر سنوات وعشرة أشهر[3]، كما سعى الجنويون إلى عقد معاهدة صداقة مع السلطان في ماي 1290م/ 689هـ لحماية مصالحهم التجارية، وحصلوا بموجبها على امتيازات تجارية في الإسكندرية. بفضل هذه الاتفاقات، انتعشت العلاقات التجارية بين الصليبيين في عكا وصور وبيروت وبين المسلمين في الشام، مما سمح بعودة القوافل التجارية ونشاط الفلاحين[4].

إلا أن هذا الاستقرار لم يدم طويلاً، حيث وصلت في أوت 1290م/689ه حملة إيطالية تبنتها البندقية، ضمت رجالًا يفتقرون إلى الخبرة العسكرية ولكنهم كانوا مفعمين بالحماسة الدينية. سرعان ما ارتكب هؤلاء الصليبيون الجدد مجازر بحق التجار المسلمين في عكا، بل واعتدوا أيضًا على السريان المسيحيين عن طريق الخطأ، أثار ذلك الفزع بين سكان عكا، فسارعوا بإرسال اعتذارات إلى السلطان قلاوون متعهدين بمعاقبة الجناة[5].

عندما وصلت أخبار هذه المجازر إلى السلطان قلاوون، استشاط غضبًا وأقسم على الانتقام، وطالب السلطان الصليبيين بتسليم المذنبين لكنهم رفضوا، مكتفين

Stevenson, op.cit. p336.

[1] فوزي رحيل، المرجع السابق، ص58-59.

[2] السلطان قلاوون: سيف الدين أبو المعالي وأبو الفتوح، التركي، الملقب بالمنصور، تولى حكم المماليك سنة 678هـ/1280م، كان ملكا مهيبا شجاعا توفي سنة 689هـ/1291م. أنظر: الصفدي صلاح الدين (ت764)، الوافي بالوفيات، تح: احمد الأرناؤوط، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج24، ص200؛ أبو الفدا، المصدر السابق، ج4، ص20، 33؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج4، ص 879-880، بيبرس المنصوري، المصدر السابق، ص88.

[3] عاشور، الحركة، ج2، ص382؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص688.

Stevenson, op.cit. p348.

[4] Grousset, op, vol3, p. 748. رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص691.

[5] المقريزي أحمد بن علي بن عبد القادر، السلوك لمعرفة، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد مصطفى زيادة، ط2، القاهرة، 1956، ج2، ص216-217؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص690-691؛ بيبرس المنصوري، المصدر السابق، ص87.

بتبرير أن هؤلاء الصليبيين الجدد لا يخضعون لسلطتهم[1]. رفض السلطان هذه الحجج الواهية، وبدأ في تجهيز جيشه لحرب شاملة[2]، بينما كان السلطان يحشد قواته، توفي في 6 ذو القعدة 689هـ /نوفمبر 1290م، فظن الصليبيون أن خطر الهجوم قد زال بسبب الصراعات الداخلية بين المماليك حول العرش[3].

غير أن الأشرف خليل بن قلاوون نجح سريعًا في تثبيت سلطته، وسرعان ما أعاد ترتيب أولويات والده بالتحضير للاستيلاء على عكا. حاول الصليبيون إرسال وفد للتفاوض معه، لكنه رفض أي حلول وسط، فبدأ بحشد الجيوش[4]. انطلقت القوات الإسلامية من مختلف مدن الشام للانضمام إلى الحصار، حتى بلغ عدد الجيش المملوكي حوالي 60 ألف فارس و160 ألف مشاة، مزودين بأعداد كبيرة من آلات الحصار[5].

حاول الصليبيون، الذين بلغ عددهم بين 30 و40 ألفًا، تنظيم دفاعاتهم وتعزيز تحالفاتهم الداخلية، لكن الانقسامات بين الفصائل المختلفة أضعفت موقفهم[6]. في 4 ماي، وصلتهم تعزيزات من ملك قبرص هنري الثاني، شملت 200 فارس و500 مشاة، لكن هذه المساعدة لم تكن كافية لتغيير مسار المعركة[7]. بعد محاولات فاشلة للتفاوض، شدد السلطان الأشرف خليل هجومه في 18 ماي / جمادى الاولى، حيث نجحت قواته في اقتحام المدينة بعد مقاومة عنيفة. قتل في المعركة أبرز القادة الصليبيين، وهرب الناجون إلى البحر، لكن العديد منهم غرق أو وقع في الأسر[8].

استمر القتال حتى 28 ماي 1291م /690 هـ، حين استسلم آخر معقل للصليبيين في عكا هو بيت الداوية الذي تحصنوا فيه، تلا ذلك سقوط المدن المتبقية مثل صور

---

[1] عاشور، الحركة، ج2، ص383؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص692؛ بيبرس المنصوري، المصدر السابق، ص87.

[2] المقريزي، المصدر السابق، ج2، ص217.

Stevenson, op.cit. p352.

[3] عاشور، الحركة، ج2، ص384-385.

[4] المقريزي، االمصدر السابق، ج2، ص218-219؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص395.

[5] المقريزي، المصدر السابق، ج2، ص223؛ عاشور، الحركة، ج2، ص385.

[6] ماير، المرجع السابق، ص496-497؛

Stevenson, op.cit. p352 T. A. Archer, op. cit. p 419.

[7] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص702-705

Stevenson, op.cit. p353- 354

[8] المقريزي، المصدر السابق، ج2، ص223-224.

Stevenson, op.cit.354.

وصيدا وحيفا دون مقاومة تُذكر، وبحلول أواخر أوت 1291م/690ه، استعادت الدولة المملوكية السيطرة الكاملة على بلاد الشام[1].

وهكذا لم تستطع بقية المعاقل الصمود في وجه المماليك، فتوال سقوطها الواحدة تلو الأخرى، واستولى المماليك على صور دون مقاومة بعد أن تركها نائب ملك قبرص، ثم صيدا التي فر منها الصليبيون ثم حيفا، واستمرت في حوزتهم الا طرسوس وعثليث التابعتين لمنظمة الداوية، ولم يلبث أن استسلما هما كذلك، وبذلك تكاملت هذه الفتوحات جميعها في أوخر أوت 1291م/690هـ، ورجعت بلاد الشام كلها في حوزة المسلمين[2].

شكلت هذه الانتصارات نقطة تحول كبيرة في تاريخ العصور الوسطى، حيث أنهت الوجود الصليبي في المنطقة بعد قرنين من السيطرة، لم يتمكن الصليبيون من شن حملات جديدة بسبب الأزمات الداخلية التي عصفت بأوروبا، حيث انشغل الغرب الأوروبي بصراعات البابوية والإمبراطورية حول السلطة. أدت هذه النزاعات إلى تراجع الاهتمام بالقضية الصليبية، مما جعل الإمارات الصليبية في الشام تواجه مصيرها وحدها دون دعم حقيقي. كما لعبت الحروب الداخلية في أوروبا دورًا في إضعاف قدرة الغرب على إرسال حملات جديدة، مما مهد الطريق لهيمنة المسلمين على المنطقة بشكل كامل.

عدت هذه الفتوحات من أعظم الأحداث التي حققها المسلمون في العصور الوسطى بعد أن كان للصليبيين اليد العليا في بلاد الشام لمدة قرنين من الزمان، إلاّ أنهم لم يتمكنوا من العودة لحملاتهم بسبب عوامل خارجية وداخلية شهدها الغرب الأوروبي جعلتهم يعيشون في دوامة النزاع الطويل جدا بين البابوية والامبراطورية حول أحقية السلطة الدينية أو العلمانية للهيمنة على الغرب في ذلك الوقت، ويعد ذلك الصراع من أبرز العوامل التي ساهمت في انشغال الغرب المسيحي عن أحوال الصليبيين في بلاد الشام مما كانت له آثار وخيمة في ما بعد على حياة تلك الامارات الصليبية التي بقيت تصارع التحديات التي عرفها منتصف القرن الثالث عشر ميلادي / السابع للهجري بمفردها.

:

[1] عاشور، الحركة، ج2، ص386-387؛ بيبرس المنصوري، المصدر السابق، ص92.
Stevenson, op.cit. p355.

[2] عاشور، الحركة، ج2، ص386-387.

المبحث الثاني: إمارتا طرابلس وأنطاكية: تفاعلات العلاقات السياسية والعسكرية (583–688هـ / 1187–1289م)

ظلت الروابط الودية السمة البارزة بين أمراء طرابلس وأنطاكية لفترة تزيد عن مائة سنة ، فبعد وفاة الملك ريموند الثالث ، كان قد أوصى بخلافة الابن الأكبر لبوهيمند الثالث ، الأمير ريموند في حكم طرابلس ، ورغم أن أمير انطاكية كان بحاجة ماسة لابنه الأكبر للدفاع عن امارته، اكتفى بإرسال ابنه بوهيمند الرابع1187-1234م/583-631 ه للدفاع عن طرابلس وتولي حكمها ، و سيحسب له العمل على توحيد الامارتين تحت حكم واحد ، لينتهي بذلك انتهت عهد الأسرة البروفنسالية في طرابلس، وينتقل حكم تلك الامارة الى البيت النورماني الذي كان يحكم أنطاكية في أواخر سنة 583/1187هـ[1].

1- إمارتي طرابلس وأنطاكية تحت حكم بوهيمندخطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة. **الرابع:**

الواقع أن امارة طرابلس ما ان دخلت في حوزة البيت النورماندي حتى ضاع معظمها، اذ يبدو أن صلاح الدين استغل وفاة الملك ريموند الثالث سنة 583هـ / 1187م ليترك الجبهة الجنوبية عمدا وينتقل الى جبهة الوسط ، حيث اتجه بقواته إلي الجانب الشرقي من سهل البقيعة تحت حصن الأكراد في أوائل شهر ربيع الآخر سنة 584هـ/1188م ، وجعل يغير منه حتى فتح صافيتا[2]، والعريمة[3] ، ولجيمور[4] وغيرها من البلاد إلى أن اقترب من طرابلس، ثم اتجه شمالا وراح ينتقل من فتح الى آخر حتى دخل جبلة واللاذقية وصهيون وملك حصون أنطاكية وغيرها، وهكذا أصبحت الامارتين(انطاكية وطرابلس) منزوعتي الجناح ولم يبق منهما سوى مدينتي انطاكية وطرابلس وحصنا المرقب والأكراد ومدينة طرسوس، و عندما عقد صلاح الدين هدنة مع أمير أنطاكية لمدة ثمانية اشهر عام 585هـ/1189م، كان

---

[1] عاشور، الحركة، ج2، ص101-102، رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص142-243

[2] صافيتا: قلعة تقع في عمق الساحل الشامي على ارتفاع (1000قدم) فوق سطح البحر.
أنظر: فولفغانغ مولر-قيز، القلاع أيام الحروب الصليبية، تر: محمد وليد الجلاد، سعيد طيان، دار الفكر، ط2، دمشق، 1984، ص63.

[3] العريمة: تقع جنوب صافيتا، وتطل على قرية العريمة، ووادي نهر الابرش، وكانت تمتد من طرابلس حتى طرسوس.
أنظر: أبو الفداء، المصدر السابق، ج4، ص23؛ فولفانغ، المرجع السابق، ص65.

[4] لجيمور: تسمى بالعربية يحمور، وبالفرنجية القصر الأحمر، وهي قلعة تشرف على السهل الساحلي من طرطوس الى جبل لبنان.
أنظر: فولفانغ، المرجع السابق، ص64.

حريصا على أن تقتصر الهدنة على أنطاكية فقط، ولا تدخل طرابلس معها، على الرغم من خضوعها لحكم بوهيمند[1].

بعد وفاة الملك بوهيمند الثالث سنة 598هـ/ 1201م[2]، اظطربت أحوال إمارة أنطاكيا وبرزت للوجود مشاكل ولاية العرش والنزاع مع مملكة أرمينية الصغرى ، وقد عز على الصليبيين أن يتولى ريموند روبان المدعوم من الملك الأرميني ليو الثاني حكم امارة انطاكية ، فاستدعوا عمّه بوهيمند الرابع أمير طرابلس ليفرضوا عليه حكم امارة انطاكية ، وهكذا اشتد الصراع بين الأمير الجديد بوهيمند الرابع المدعوم من الفرنجة والبيزنطيين الأرتوذكس أعداء الأرمن الألداء فضلا عن الداوية ، و الملك الأرميني ليو الثاني المدافع عن ريموند روبين وأمه الأرمينية من ناحية أخرى ، وبعد حروب طويلة استطاع بوهيمند الرابع، الاستيلاء على امارة انطاكية سنة 1216م وظل حاكما لها حتى وفاته سنة 1233 م ، و قد عزم في تلك المدة على الانتقام من الاسبتارية لمناصرتهم خصمه فحرمهم من جميع ممتلكاتهم في انطاكية وطرابلس ، ووحد بين طرابلس وأنطاكية ، وهي الوحدة التي استمرت حتى استيلاء المماليك على المدينتين[3].

مما لاشك فيه أن هذا الصراع قد حمل الطرفين أعباءا وخسائرا عسكرية ومالية جسيمة، ومن البديهي أن يكون اعتماد بوهيمند على إمكانيات امارة طرابلس بالدرجة الأولى ، والتي رغم الصعاب التي تعرضت لها من قبل إلاّ أنها تمكنت سريعا من استعادة استقرارها وازدهارها من جديد، خاصة أن بوهيمند الرابع ما كان ليعتمد على إمكانيات انطاكية اعتمادا مطلقا، وسيادته لم تكن سيادة كاملة او مستمرة، كما أن اقتصاد انطاكية خلال فترة الصراع كان اقتصاد متهالكا ومنهارا[4] ، كما لا يمكن أن نتجاهل أن انشغال بوهيمند الرابع بصراعه على انطاكية قد دفعه في كثير من الأحيان لتراخي قبضته عن النواحي الداخلية في امارة طرابلس، خاصة على أتباعه، وخير دليل على ذلك استغلال رينوارRenoir حاكم نيفين عدم تواجد بوهيمند لإعلان عصيانه عليه وقيام حرب أهلية بالإمارة، والواقع أن أمرا كهذا ما كان ليحدث لو أعار بوهيمند الرابع امارته بعض الاهتمام والتواجد آنذاك[5].

---

[1]عاشور، الحركة، ج2، ص106.

[2]ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج6، ص189؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج3، ص140.

[3]رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص182-183-184؛ سالم عبد العزيز، المرجع السابق، ص164؛ عاشور، الحركة، ج2، ص231.

[4]نهى الجوهري، امارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، دار العالم العربي، ط1، القاهرة، 1429هـ/2008م، ص68.

[5]عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص165؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص244.

وفي سنة 610هـ / 1213م تمكنت الباطنية في كنيسة انطرطوس من قتل ريموند الابن الأكبر لبوهيمند الرابع، وكان عمره ثماني عشرة سنة فاهتز الصليبيون لتلك الجريمة، وقام بوهيمند كرد فعل بالالغارة على قلعة الخوابي[1] معقل الباطنية فحاصرها حصارا شديدا، فاضطر الباطنية الاستنجاد بالملك الظاهر صاحب حلب، حيث أرسل قوة لنجدتهم وفك الحصار عنهم [2].

أما عن أهم عواقب ذلك الصراع الذى جناه بوهيمند الرابع على نفسه، و تحملت إمارة طرابلس تبعاته، فكان إعلان البابا هونوريوس الثالث Honorius III (1216-1227م / 613-624هـ) الحرمان الكنسي Excommunicationضده ردا على انتقامه من الاسبتارية لمناصرتهم الدائمة لأعدائه (ريموند روبين وليو الثاني) ، ولمحاولاتهم المستميتة في الدفاع عن أنطاكية ومنعه من الاستيلاء عليها، على الرغم من محاولات بوهيمند السابقة للتقرب إليهم وكسب مساندتهم، فما كان منه إلا أن جردهم من كل ما يملكونه في أنطاكية وطرابلس، ومن الطبيعي جدا أن البابوية التي تتبعها رسميا تلك الهيئة لم تكن راضية بمثل هذا الأمر[3]، ولهذا قام البابا أنوسنت الثالث Innocent III(1198-1216م / 597-613هـ) بإصدار قرار ضده يقضي بالحرمان الكنسي، كما سمح البابا لهيئة الاسبتارية بمقاومة بوهيمند الرابع حتى ولو بحد السيف، بل أعطاهم الحق أيضا في انتزاع أنطاكية ذاتها من أيدى بوهيمند، الذى لم يعترف به البابا كأميرا على أنطاكية حتى ذلك الحين[4].

تمكن ريموند روبين من انتزاع انطاكية وتولى حكمها لمدة ثلاث سنوات (1216-1219م/613-616هـ) إلى أن استردها بوهيمند الرابع، وعاد الى حكمها من جديد حتى وفاته سنة 1233م/630هـ[5] ، وخلال هذه الفترة ، قام بوهيمند بأخذ قلعتها من الفرسان الاسبتارية ، رغم أن المندوب البابوي بيلاجيوس كان قد أكد لهم بعد نهاية الحملة الصليبية الخامسة أحقيتهم في إعادة احتلالها مع المدينة بأكملها ان استطاعوا، وهنا بدأ بوهيمند في الانتقام والاستيلاء على جميع الممتلكات الرهبانية في طرابلس

---

[1]الخوابي: قال ابن سعيد: على مرحلة من دمشق يمتد جبل سكين الذي تنتشر فيه الدعوة الإسماعيلية، وفيه حصونهم، مصياف والكاف، والخوابي، فيما بين حمص وحماة الى جهة البحر.
انظر، ابن سعيد الحسن علي بن موسى المغربي، كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت،1970، ص153، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص229.

[2]رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص247 .Cahen op.cit P627.

[3]عاشور، الحركة، ج2، ص234.

[4]نهى الجوهري، المرجع السابق، ص70؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص307.

[5]عاشور، الحركة، ج2، ص234؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص360. Cahen, op. Cit. P632

Stevenson, op.cit. p299.

وأنطاكية، وتم تجديد الحرمان الكنسي من قبل البابوية في حقه، ورفض البابا الاعتراف باللقب الأميري له، وحث الاسبتارية على مقاومته، وهنا يمكن القول أن شمال بلاد الشام كان تحت وطأة حرب أهلية[1].

وهكذا بعد صراع دام ما يقارب من عشرين عاما ، استطاع بوهيمند الرابع أن يوحد عرش إمارتي طرابلس وأنطاكية تحت سلطانه وبشكل نهائي في عام 1219م / 616هـ ، حتى وإن كان انتصاره هذا يعد مكسبا زهيدا أمام ما بذل في ذلك الصراع من أنفس وأموال وعتاد، وليث بوهيمند استفاد مما جنت يداه باستيلائه على إمارة أنطاكية ، و مما زاد الأمر سوءًا أن جهوده جميعها ضاعت هباء بإهماله لأنطاكية وتفضيله الإقامة في إمارة طرابلس الأغنى والأكثر استقرارا، مما جعلها مرتعا للاضطرابات والفوضى وبالتالي بات نفعها أقل من ضررها بالنسبة لبوهيمند الرابع وذريته من بعده[2].

تفرق الصليبيون بين مؤيد ومعارض للأطراف المتصارعة، وأصبحوا يقدمون المساعدات العسكرية والمالية لكل طرف عوضًا عن التركيز على مواجهة المسلمين، وقد أدى هذا الصراع إلى انهيار عزيمتهم وقوتهم بشكل متزايد، مما زاد من حدّة الخلافات والانقسامات فيما بينهم[3].

ورغم أن فترة حكم بوهيمند الرابع استمرت حوالي نصف قرن، إلاّ أن كثير من المؤرخين والباحثين يرونه اقوى القادة الصليبيين آنذاك مقارنة بغيرة، ليتولى ابنه الأكبر بوهيمند الخامس(1232-1251م/630-349هـ) الحكم من بعده.

2-طرابلس وأنطاكية تحت حكم بوهيمند الخامس:

لم يكن بوهيمند الخامس الذي تولى امارة طرابلس وانطاكية حاكما قويا على غرار أبيه، بل كان ضعيفا يميل للمهادنة والمسالمة أكثر من ميله لمواجهة الصعاب، لذلك فلا عجب أن يتبع سياسة مخالفة لسياسة أبيه ، اذ لم يكن يعنيه إلاّ كسب تعاطف البابوية ، ومن ثم فقد سعى لإتمام زواجه من لوسي دي سيني Lucie de Segni ابنة شقيق البابا انوسنت الثالثInnocent III، حيث أخذت علاقته بالبابوية منذ ذلك الحين ومع مرور الوقت في التحسن، الى أن استطاع في عام 1244م/642ه

[1]Cahen. Op.cit. p 633.

[2]عاشور، الحركة، ج2، ص234.

[3]نهى الجوهري، المرجع السابق، ص71؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص169.

الحصول من البابوية على تعهد يضمن له عدم اصدار قرار بالحرمان الكنسي ضده إلاّ عن طريق البابا نفسه[1].

لم يلقى بوهيمند الخامس من المحبة في امارته ما لقيه أبوه من باروناتها، والراجح أن سبب ذلك يعود إلى صداقته مع روما مما أثار غضب العنصر اليوناني القوي بالمدينة، كما لم تكن له سيادة على الطوائف الدينية العسكرية، ولم يتمكن من كسب صداقة أرمينية الخاضعة لسلطان بيث هيثوم، هذا إلى جانب أن اللاذقية التي تؤلف جيبا إسلاميا شطرت املاكه إلى قسمين، والواقع أن حكمه كان يؤذن بانهيار سريع لذلك فضّل أن يكون مقره الرسمي في طرابلس[2].

وعلى خلاف ذلك فقد كانت علاقة بوهيمند الخامس مع جيرانه المسلمين علاقة سلمية أملتها الظروف السياسية، خاصة مع الملك العزيز حاكم حلب، رغم أن اتفاقية يافا بين فريدريك والكامل لم تشمل امارات الشمال[3]، وقد دفعته تلك العلاقة الطيبة معه للتوسط لديه عن الداوية، عندما حاصرهم العزيز في قلعة بغراس، وضيّق عليهم الحصار حتى كاد يسقط قلعتهم، لولا تدخل بوهيمند الخامس فعدل العزيز عن رأيه ووافق على عقد الهدنة مع الداوية[4].

ومن الملفت للانتباه أن يقوم بوهيمند الخامس بهذه الوساطة على الرغم من تخلي الداوية عنه من قبل أثناء حملته على أرمينيا، ألم يكن بالأحرى ألا يتدخل لصالحهم ليكون استيلاء العزيز على بغراس ثمنا لتخليهم عنه من قبل؟ ربما على الأرجح أن هدفه من وراء ذلك كان الحفاظ على قلعة بغراس نفسها التي كانت واحدة من أهم مراكز الدفاع عن مدينة أنطاكية مع عدم إغفال أهمية القلاع الأخرى مثل: دربساك[5] والقصير وحجر شغلن وغيرها ، وبالطبع فان وجود تلك القلعة في أيدي صليبية كالداوية، رغم خلاف بوهيمند معهم، خير من وقوعها في أيدي صديق مسلم كحاكم حلب[6] ، أما علاقاته مع أرمينيا فقد كانت سيئة للغاية ، يجسدها خلافه الشديد و المتجدد مع الملك هيثوم الأول (1269-1226م/623-668هـ)، اذ ان سلالة هيثوم لم

---

[1] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص362. Setton, op. Cit. P567.

[2] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص362-363.

[3] Grousset. Op. Cit. Vol3. P362.
أبو الفداء، المصدر السابق، ج3، ص159، نقولا زيادة، دراسات إسلامية، دار الاندلس، بيروت، 1960، ج1، ص131.

[4] Grousset, op. Cit.Vol3, p.362.

[5] دربساك: درب ساك من قلاع الداوية ومعاقلهاالحصينة، وهي بالقرب من انطاكية على نهر العاصي. انظر، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص173؛ ابن شداد، المصدر السابق، ص150.

[6] نهى الجوهري، المرجع السابق، ص81-82.

تصل الى عرش أرمينيا الاّ بعد ان اغتالت شقيق بوهيمند الخامس فيليب، وهذا ما جعله يحقد عليهم طوال فترة حكمه[1].

كان اهتمام بوهيمند الخامس قائما على امارة طرابلس مقارنة بإمارة انطاكية التي خرجت من مجريات الأحداث وأصبح دورها ثانويا، ويبدو أن ذلك كان عن قصد ، فلقد أهمل بوهيمند شأن انطاكية بشكل ملحوظ و، كانت اقامته الدائمة وأغلب أنشطته في إمارة طرابلس كما فعل والده من قبل وقد يكون ذلك لنفس الأسباب التي جعلته يتركها[2] ، لكن علينا أن نعي جيدا أن استقرار أمراء البيت النورماني في طرابلس كان على حساب تراخي قبضتهم على أنطاكية وتركها فريسة للاضطرابات والصراعات الداخلية ، لكم ذلك لم يكن في صالح طرابلس في نهاية الأمر، لكون الكيان الصليبي كيانا مرتبطا ببعضه البعض خاصة من الناحية الجغرافية والدينية .

أنهى بوهيمند الخامس عهده كأمير على طرابلس وأنطاكية بعد أن تولى أمرها لما يقرب من ثمانية عشر عاما، رغم ما ينتاب شخصيته من ضعف ورعونة إذا ما قارناه بوالده بوهيمند الرابع الذي كان واحدا من ـقوى الامراء الصليبيين الذين تولوا حكم امارة طرابلس، الاّ أن بوهيمند الخامس كان أقدر من أبيه في الدفاع عن طرابلس والحفاظ على أمنها واستقرارها ومن ثم فقد كان من الطبيعي أن تكون أوضاع طرابلس أفضل حالا في عهده مقارنة بعهد والده، مع ملاحظة أن الكيان الصليبي ككل كان في طريقه للانهيار.

3- بوهيمند السادس(1275-1251م/649-674هـ) وسقوط انطاكية:

عندما خلف والده على امارة انطاكية وطرابلس كان بوهيمند السادس لا يتجاوز أربعة عشرة سنة، وكان من المفروض أن تنتقل السلطة الفعلية في الامارة الى والدته كونها وصية على ولدها، ولكن والدته الأميرة الإيطالية فضلت الإقامة في طرابلس وتركت أنطاكية التي أصبحت بلا حاكم ، وباتت مسرحا للفوضى والنزاع المذهبي والسياسي[3].

استغل اليونانيون وهم العنصر الأصلي بالمدينة هذه الظروف، وسعوا لبسط نفوذهم على اللاتين الدخلاء، كما استثمر المسلمون في هذا الوضع ، وعملوا على توطيد أقدامهم فيها، حيث تعرضت المدينة لإغارتهم لأكثر من مرة خلال إقامة الملك لويس

[1]Grousset, op. cit., vol3, p363.
[2]Grousset, op. Cit., vol3, p.425.
[3]عاشور، الحركة، ج2، ص317؛ جوزيف يوسف، العدوان الصليبي على بلاد الشام هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة، دار الكتب الجامعية، ط3، الإسكندرية، 1971م، ص303.

التاسع في عكا[1]، ولم يكن بوهيمند السادس راضيا عن هذا الوضع، لذلك شكا حاله الى الملك الفرنسي، الذي أشار على والدته أن تترك ولدها في أنطاكية وأن تزوده بالمال والرجال لحماية الامارة وتنظيم أمورها[2]، و قد استطاع قدر الإمكان أن يقضي على الاضطرابات التي كانت تشهدها ويعيد اليها قدرا من الهدوء والسلام[3].

لم تنته مساندة الملك لويس التاسع لبوهيمند السادس عند هذا الحد، بل استمرت بشكل ملفت للانتباه إلى أن تمكن من إنهاء الخلافات القائمة بينه وبين مملكة وأرمينيا ، حيث أخدت العلاقات في التحسن مع الملك هيثوم ، و تحسنت أيضا علاقته بأرمينية الصغرى على خلاف العداء الذي طبع العلاقات الثنائية في السنوات السابقة [4]، وهكذا حرص بوهيمند على اقامة علاقات وديه مع المملكة ، حتى أنه تزوج من الأميرة سبيلاSybille ابنة الملك هيثوم سنة 1254م/652هـ ، وشهدت السنوات التالية تدخل ملك ارمينية في العديد من المرات لاصلاح ذات البين بين الأطراف المتنازعة داخل أنطاكية[5]، كما وافق الأرمن على الاشتراك في تحمل المسؤولية من أجل الدفاع عن امارة انطاكية[6]، ومنذ ذلك الحين أصبح الملك الأرميني من أكبر مساندي بوهيمند السادس.

وعلى الرغم من العلاقات الجيدة بين الطرفين ، وما قد ينتج عنها من هدوء واستقرار خاصة في شمال الشام، إلا أن الواقع كان على العكس من ذلك، فلقد شهدت الساحة الصليبية آنذاك حالة من التمزق لم تشهدها من قبل، اذ شب نزاع وصراع عنيف بين المستعمرات الإيطالية في بلاد الشام[7]، وبالتحديد بين البنادقة والبيازنة من جهة والجنوية من جهة أخرى، أطلق عليه حرب القديس سابا[8]Sabas ، كان السبب الرئيسي فيه راجعا منافساتهم في الحصول على أكبر قدر ممكن من المكاسب

---

[1]جوزيف يوسف، المرجع السابق، ص307.

[2]Grousset, op, cit, vol 3, p. 513.

[3]حسين عطية، المرجع السابق، ص391.

[4]رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص479.

[5]عاشور، الحركة، ج3، ص316-317؛ جوزيف يوسف، المرجع السابق، ص 310-311. Setton, op.cit. vol.2, p507.

[6]رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص479.

[7]لمزيد حول النزاع بين المدن الإيطالية في بلاد الشام انظر:
رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص486-490 Grousset. op. cit. vol3.p p 534-555

[8]حرب القديس سابا: يمثل سلسلة من الحرب الطويلة بين الجاليتين البندقية والجنوية، التي تمثل جزءا من حرب أكبر دارت رحاها بين الجمهوريتين الأم، ويقع دير القديس سابا يقع على قمة تل مونجوا Montjoie ، وهو تل كان يفصل بين حي البنادقة والجنوية حول ملكية الدير، وأبرز كل منهم وثائق تثبت احقيته في الدير، ولم يكن سبب الخلاف مجرد السيطرة على الدير ، بل كانت رغبة كلا الطرفين السيطرة على ميناء عكا من خلال موقع الدير الاستراتيجي المشرف على الميناء. أنظر: فوزري رحيل، المرجع السابق، ص161.

التجارية ، مما أظهر الوجه الحقيقي للحركة الصليبية كحركة استعمارية تهدف إلى نهب ثروات الشرق لا غير [1].

وبينما كان وضع الصليبيين على هذا النحو من الضعف والتفكك من جراء النزاع القائم في بلاد الشام بين الجمهوريات الإيطالية التجارية، كان المسلمون هم كذلك و بشكل عام يشهدون حالة من الوهن والتفتت، خاصة البيت الأيوبي في مصر وبلاد الشام ، الذي أنهك بسبب الصراعات الداخلية بين الأمراء والسلاطين الأيوبيين، فإذا بقوة جديدة آتية من آسيا الوسطى تظهر على مسرح الأحداث في الشرق الإسلامي ألا وهي قوة المغول "التتار"[2]، اذ أن حركتهم خارج آسيا الوسطى قد أثارت العالم المسيحي بشكل عميق وهزت مقاعد الإسلام في عام 1258م/ 656ه بعد استيلائهم على بغداد واعدام اخر خلفاء الدولة العباسية[3].

استمر الملك الأرميني في تحالف مع الصليبيين قدر المستطاع[4]، وكان بوهيمند السادس قد منحه حق التحدث نيابة عنه مع قادة التتار بشأن التحالف معهم[5]، لاعتقاده أنهم يعدون أقوى قوة عسكرية في العالم آنذاك، وبالتأكيد لم يتوقع أن هناك قوة إسلامية منافسة قد تظهر على الساحة العسكرية، يتعلق الأمر بالمماليك، هذه القوة التي قد تقف في وجه الاجتياح الكبير لأراضي آسيا وبلاد الشام وتوقف تقدمه[6].

وعلى الرغم من ذلك فقد كان الصليبيون عامة في بلاد الشام يرفضون فكرة التحالف مع المغول باستثناء الأمير بوهيمند**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.** السادس، وقد يعود ذلك لتخوفهم البالغ من همجية المغول لما أحدثوه من قبل من ابادات و مذابح وتخريب كبير لبعض البلدان الأوروبية التي وصلوا إليها[7]، لذلك ما إن علموا بعزم التتار على غزو بلاد الشام حتى شرعوا في تحصين مدنهم وتقوية

---

[1] عطية، المرجع السابق، ص396-398.

Stevenson, op.cit p.332.

[2] المغول او التتار: قبائل رعوية أسيوية نشأوا في الهضبة المعروفة بهضبة منغوليا شمالي صحراء غوبي في غرب وشمال الصين، ارتبط ظهورهم على مسرح الاحداث بتولي أحد قادتهم والذي يدعى تيموجين مهمة توحيد صفوفهم تحت سلطانه مع بدايات القرن 13م/7هـ الى أن توج ملكا عليهم في عام 1206م/ 603هـ، تحت لقب جنكيزخان والذي يعد المؤسس الحقيقي للإمبراطورية المغولية.

انظر: المكين جرجس بن العميد، اخبار الايوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دت، ص7؛ بير تولد شبو لير، المغول في التاريخ، تر: يونس شلبي الشام، دار طلاس، دمشق، 1989، ص17؛ عادل هلال، العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي، عين للدراسات، القاهرة، 1997، ص33.

[3] Stevenson, op.cit.333.

[4] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص510-512.

[5] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص514.

[6] عاشور، الحركة، ج2، ص347.

[7] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص513؛ عادل هلال، المرجع السابق، ص35-48.

Grousset, op. cit, vol 3, pp.525-530,580,606.

دفاعاتهم، و أرسلوا الى الغرب لطلب دعم عسكري جديد ، تحسبا لمواجهة المغول وحلفائهم من المسيحيين الشرقيين[1] و تأهبا لأي هجوم مفاجئ[2]، ولهذا كانوا ينظرون إلى تصرف بوهيمند على أنه خيانة لهم و للمسيحية ، وبسبب هدا الأمر فقد صدر ضده الحرمان الكنسي من قبل كنيسة روما[3] ، إلا أن بوهيمند السادس لم يُعر هذا الموقف أي اهتمام، واستمر في تحالفه مع التتار ، وأصبح مقربا من القائد المغولي كتبغا[4] وشاركهم في حملتهم على بلاد الشام و في الاستيلاء على دمشق، حتى أنه طلب من التتار اغلاق مساجد المدينة وتحويل بعضها الى كنائس ففعل المغول ذلك[5]، ولقد كافأ المغول بوهيمند السادس على ما قام به فمنحوه اللاذقية وجبلة وبعض الحصون الأخرى[6]، وهكذا تمكن من ربط إمارتيه ببعضهما البعض ولأول مرة منذ استيلاء صلاح الدين على تلك المدينتين بعد معركة حطين عام 1187م/ 583هـ[7].

وبعد أن أوقع المماليك بالمغول هزيمة نكراء في معركة عين جالوت[8] عام 656هـ/1260م، واستطاعوا هدم اسطورة المغول، استغلوا فرصة الانكسار الذي حل بالتتار وحملوا على كاهلهم مهمة طردهم من بلاد الشام ، والانتقام من الأمير بوهيمند السادس والملك هيثوم الأول لتحالفهما مع المغول ضد المسلمين فيما بعد[9] ، وفى واقع الأمر، أن بوهيمند السادس كان في موقف لا يحسد عليه، فلقد كانت إمارة أنطاكية آنذاك في أقصى حالات ضعفها وانهيارها من جراء الصراعات الداخلية التي ألمت بها[10]، من جهة ، و ما ألحقته بها هجومات التركمان من إنهاك تام لقواتها العسكرية و استنزاف لثرواتها الاقتصادية، زد على ذلك إهمال بوهيمند السادس نفسه لشئونها واستقراره الدائم في طرابلس وهروبه حتى من مواجهة الأمور

---

[1] عاشور، الحركة، ج2، ص346.

[2] عطية، المرجع السابق، ص420.

[3] نهى الجوهري، المرجع السابق، ص91.

[4] كاتبغا: نوين القائد المغولي، كان عظيما عند المغول ويعتمدون على رأيه وشجاعته، له خبرة في فرض الحصار وافتتاح الحصون، كان ذا قيمة عند هولاكو، قتل سنة 658هـ/1260م. أنظر: الصفدي، المصدر السابق، ج24، ص240.

[5] عاشور، الحركة، ج2، ص346.

[6] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص526.

[7] Grousset, op. cit, vol3, p.586; Stevenson, op. cit., p.335.

[8] عن معركة عين جالوت أنظر: الهمذاني رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ، تح: صادق نشأت وآخرون، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1960، م2، ج1، ص313-315؛ أبو الفداء، المختصر، ج3، ص205؛ القلقشندي، المصدر السابق، ج7، ص360.

[9] عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص265؛ عاشور، الحركة، ج2، ص356، 360.
Grousset, op. Cit, vol 3, p. 681.

[10] عاشور، الحركة، ج2، ص326-327.

المستجدة التي حلت بها كعهد أسلافه، كل تلك الأمور جعلت إمارة أنطاكية مهيأة تماما للسقوط في أيدي المسلمين[1].

اعتبر الظاهر بيبرس بوهيمند العدو الأعظم له من بين أمراء الفرنجة جميعا لأنه كان يتلقى الدعم الكامل من أوروبا ويعين المغول في غزوهم لبلاد الشام، ويكثر من شن الغارات التخريبية على أراضي المسلمين[2] ، فما كان من الظاهر بيبرس إلا أن استغل تلك الفرصة وشن هجومًا محكما على مدينة أنطاكية انتهى باستيلائه عليها في 18 مايو 1268م/ رمضان 666هـ[3]، ولم يتبق من إمارة أنطاكية الصليبية إلا مدينة اللاذقية وحصن المرقب اللذين أصبحا بطبيعة الحال تابعين لإمارة طرابلس[4].

وبذلك سقطت امارة انطاكية بعد مائة وسبعين عاما، عانى فيها الصليبيون كثيرا نتيجة للخلافات القائمة مع الإمبراطورية البيزنطية من جهة، وبين الأمراء الصليبيين أنفسهم من جهة أخرى، وقد شكل سقوطها صدمة كبيرة للصليبيين وللغرب الأوربي، حيث تمكن الظاهر بيبرس بعد سقوطها من كبح جماح الغرب الأوربي الذي كان حكامه ينظرون بين آونة وأخرى بعين العطف للصليبيين الموجودين في بلاد الشام، وذلك بإرسال المساعدات والنجدات إليهم لتقوية الروح الصليبية في نفوسهم.

4- سقوط إمارة طرابلس:

كان سقوط أنطاكية مؤشرا واضحا بأن إمارة طرابلس ستكون الهدف التالي للمماليك، خاصة بعد الرسالة التي أرسلها الظاهر بيبرس لبوهيمند السادس عقب إسقاطه لأنطاكية، وبالفعل فقد تركزت جهوده فيما بعد على أملاك بوهيمند السادس في طرابلس، حيث شن هجوما جديدا على مدينة طرابلس في 25 جانفي1271م/10 جمادى الثانية 669هـ ، و قام بعد أقل من شهر بالاستيلاء على قلعة صافينا، وشن هجوما آخر على حصن الأكراد أجبر من خلاله الاسبتارية على تسليمها له في 17 أفريل/ 24 شعبان[5] إلى جانب حصن عكار في 11 ماي/ آواخر رمضان من نفس العام[6].

---

[1] محمد جمال الدين سرور، دولة الظاهر بيبرس في مصر، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1960، ص78.

[2] عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص266؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص543.
Stevenson, op.cit. p335.

[3] عاشور، الحركة، ج2، ص362؛ بيبرس المنصوري، المرجع السابق، ص36.

[4] نهى الجوهري، المرجع السابق، ص93؛ حسين عطية المرجع السابق، ص486.

[5] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص571. بيبرس المنصوري، المرجع السابق، ص45.
Stevenson, op.cit. p343.

[6] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص572. بيبرس المنصوري، المرجع السابق، ص45.

وهكذا استطاع بيبرس أن يجرد مدينة طرابلس من أهم القلاع والحصون التي كانت تتولى مهمة الدفاع عنها ليسهل له من مهمة إسقاط طرابلس فيما بعد[1].

وإذا أردنا تقييم الأوضاع في إمارة طرابلس ، سنجد أنها قد استنزفت ووهنت إلى حد كبير بسبب السياسة غير الحكيمة التي اتبعها بوهيمند السادس خلال فترة حكمه، اذ أنه يتحمل عواقب ما حدث خاصة في صراعه مع المماليك وفي تقريبه للمغول ، فعلى الرغم من فداحة الخطأ الذي وقع فيه مع المغول ضد المسلمين، وما نتج عنه من ردود فعل انتقامية من قبل الظاهر بيبرس ، إلا أننا يجب أن نعى جيدا أن ذلك كان سيحدث سواء تم التحالف مع المغول أو لم يتم ، فقد كان الوجود الصليبي في بلاد الشام في حالة يرثى لها ، ونهايته مسألة وقت لا غير ، بسبب الهجومات التي يتفذها المماليك من أجل استردادهم للأراضي الإسلامية المغتصبة ، وكان على إمارة طرابلس أن تنتظر النهاية نفسها التي سيلقاها الصليبيون جميعا في بلاد الشام، وقد زاد تحالف بوهيمند مع المغول من التعجيل بمهاجمة المماليك لأملاك بوهيمند السادس[2].

بعد وفاة بوهيمند السادس سنة 1275م/674ه، خلفه ابنه بوهيمند السابعBohemond VII 1275-1288م/674-686هـ، وهو لايزال طفلا قاصرا عمره أربعة عشرة سنة[3]، لذلك أصبحت كفالته موضع منافسة شديدة، ولم تكن أحوال الأمير الجديد أكثر استقرارا من أحوال والده، حيث شهدت طرابلس في عهده حربا أهلية وقف فيها أسقف انطرطوس موقفاً مضاداً من أسقف طرابلس[4]، كما وقف جاي الثانيGeai II أمير جبيل والداوية ضد بوهيمند السابع وأمه سيبيل الأرمينية وأسقف انطرطوس، وتمكن بوهيمند 680هـ / 1282م من الاستيلاء على جبيل والقاء القبض على جاي[5].

وكان خطر الاسترداد الاسلامي يقترب من طرابلس بعد وفاة بوهيمند السادس، كما ازداد ضغط الظاهر بيبرس على الامارة فاضطر بوهيمند السابع الى مهادنة المسلمين بدفع جزية سنوية قدرها 20 ألف دينار صوري سنة 674هـ / 1275م، كتأكيد لاتفاق الصلح الذي كان مبرما بين والده بوهيمند السادس والظاهر بيبرس[6]،

Stevenson, op.cit. p343.

[1]Grousset, op. cit, vol .3, p. 657 ;

عاشور، الحركة، ج2، ص364-367.

[2]نهى الجوهري، المرجع السابق، ص95.

[3]عطية، المرجع السابق، ص486.

[4]عاشور، الحركة، ج2، ص368.

[5]ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج7، ص316.

[6]عاشور، الحركة، ج2، ص365؛ بيبرس المنصوري، المرجع السابق، ص45.

أما في سنة 680 هـ / 1280م فقد جددت الهدنة مرة أخرى مع السلطان قلاوون لمدة عشرة سنوات[1].

شرع المماليك في هذا الوقت في تطبيق خططهم للإجهاز على الصليبيين في بلاد الشام، بعد أن تدهورت أوضاعهم وتخلى عنهم الغرب الأروبي ، وضيعوا من بين أيديهم فرصة التحالف مع مغول فارس ، إلاّ أن الصليبيين لم ينتبهوا الى حقيقة الخطر الذي بات يهددهم في ظل الخلافات و الصراعات الداخلية فيما بينهم خاصة في النصف الأخير من القرن الثالث عشر[2]، أين انتهز السلطان قلاوون هذا الوضع وأرسل حملة عسكرية تمكنت من إسقاط حصن المرقب والاستيلاء عليه عام 1285م/684ه[3]، كونه يشكل موقعا استراتيجيا في غاية الأهمية للدفاع عن امارة طرابلس من ناحية الشمال[4]، كما شن هجوما على اللاذقية بقيادة الأمير حسام الدين طرنطاي وتمكن من الاستيلاء عليها سنة686ه/1287م وهي آخر بلد تبقى من إمارة انطاكية الصليبية.[5]

ولسوء حظ الصليبيين لم تكد تمر بضعة أشهر حتى توفي بوهيمند السابع أمير طرابلس1287م دون وريث، وعندئذ أعلن فرسان طرابلس وتجارها قيام قومون[6] – أي حكم مستقل – في طرابلس ،[7] في الوقت الذي وصلت فيه لوسي أخت بوهيموند السابع ووريثته فاستنجدت بالاسبتارية لاستعادة حقها الشرعي[8] ، بينما لجأ قومون طرابلس بالاستنجاد بجنوة من جهة وبالسلطان قلاوون من جهة أخرى[9] ، ووعده أنه إذا تمكن من تحقيق أطماعه في طرابلس سيقتسم معه طرابلس[10].

Stevenson, op.cit. p345.

[1]عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص177؛ عاشور، الحركة، ج2، ص372.

Stevenson, OP. CIT.P348.

[2]Grousset. Op. Cit. vol3.p742.

[3]بيبرس المنصوري، المرجع السابق، ص84.

[4]ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج7، ص364.

[5]عاشور، الحركة، ج2، ص377؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص681.

[6]قومون: وحدة سياسية واقتصادية مستقلة في شؤونها الداخلية، فبعد نجاح الحملات الصليبية والانتعاش الاقتصادي لمدن بيزا وجنوى والبندقية، اخذت هذه المدن تنتزع اعترافات من السادة الاقطاعين بحقوقها وحريتها، وبالتالي خفت قبضة الامراء عليها في النواحي الإدارية والمالية والقضائية. فوزي رحيل، المرجع السابق، ص137.

[7]Grousset, op. cit. vol3. P735.

[8]Ipid, p736.

[9]عاشور، الحركة، ج2، ص377؛ عطية، المرجع السابق، ص461؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص681.

Stevenson, op cit. p349.

[10]ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج7، ص320-321؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص682-683..Grousset, op. cit. vol3. P 737

وفي سنة 687هـ / 1288م ورد للسلطان قلاوون في مصر كتاب من نائبه بالشام يخبره فيه بأن الفرنج بطرابلس قد نقضوا الهدنة، وهاجموا قافلة تجارية وقطعوا طرق المواصلات وأسروا عدد من التجار [1]، وكانوا من قبل لما تملك السلطان قلعة المرقب قد بعثوا اليه هدية وصالحوه على الا يتركوا عندهم أسيرا ولا يتعرضوا لتاجر ولا يقطعوا الطريق على مسافر، فجمع السلطان قواته و تجهز للتوجه نحو طرابلس[2].

تحرك السلطان قلاوون في شهر ربيع الثاني688هـ/ فيفري 1289م بجيش قوامه أربعين ألف فارس ومائة ألف من المشاة الى بلاد الشام ، دون أن يميط اللثام عن هدفه، وتم تحذير سكان طرابلس من نية السلطان، لكن ما من أحد من كان يصدق ، ولم يحفل الناس بالخطر إلاّ في نهاية الأمر، الى أن اجتاز جيش السلطان البقيعة وأصبح على اسوار طرابلس[3]؛ وتمكن من الاستيلاء عليها بعد حصار دام ما ثلاثة وثلاثين يوما في 3 ربيع الثاني688ه/26 أفريل 1289م، ثم أمر بتدميرها ودكها للأرض وخرب سورها؛ و أمر ببناء مدينة جديدة على بعد ميلين من المدينة الاولى[4].

ولم يلبث الصليبيون أن اخلوا ما لهم من مراكز ومدن في امارة طرابلس- مثل بيروت وجبلة- فاحتلها المماليك بسهولة، واذا كانت جبيل قد ظلت في أيدي الصليبيين بضع سنوات أخرى، فإن ذلك جاء مشروطا باعلان تبعيتها وخضوعها التام لسلطنة المماليك، كما تعهدصاحبها الصليبي بدفع أموالها للسلطان، وهكذا لم يبقى للصليبيين من أملاكهم في بلاد الشام سوى عاصمتهم عكا وصيدا وصور وعثليث[5].

المبحث الثالث: الامارات الصليبية بين البابوية والامبراطورية خلال القرن 13م/07ه

غلبت الانقسامات الداخلية والخلافات الحادة على أوضاع الصليبين في بلاد الشام، خاصة بين الإمارات الصليبية فيما بينها، وتمحورت هذه الخلافات حول الوصاية ووراثة العرش، وأيضا الخطر الأيوبي الذي بدأ يهدد كيانهم ويطرق باب زوالهم، سيما وأن الصليبيين لم يتمكنوا في أكبر حملاتهم أن يسترجعوا ما فقدوه على يد

[1]المقريزي، المصدر السابق، ج2، ص208؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص684، بيبرس المنصوري، المرجع السابق، ص87.
[2]المقريزي، المصدر السابق، ج2، ص208؛ بيبرس المنصوري، المرجع السابق، ص87.
[3]رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص685.
[4]المقريزي، المصدر السابق، ج2، ص211، بيبرس المنصوري، المرجع السابق، ص87.
Stevenson, op.cit. p351.
[5]عاشور، الحركة، ج2، ص380.

صلاح الدين، وكان كل ما حققوه في الحملة الثالثة لا يمكنه أن يوصف بالإنجاز الكبير، خاصة إذا علمنا أنهم خسروا بيت المقدس، ولم يتمكنوا إلاّ من أن استرداد الشريط الساحلي الممتد من صور إلى يافا[1].

وفي هذه الأثناء لم تتوقف الإمارات الصليبية عن طلب النجدة من الغرب الأوروبي، لأنهم كانوا بحاجة إلى دعم متواصل لضمان بقائهم واستمرارهم في بلاد الشام، كما أن الغرب الأوروبي لم يتخلى عن مساندتهم وكان على اتصال دائم معهم، إلاّ أن نوعية هذا الدعم وطبيعته والغاية المرجوة منه كان قد تأثر بالأوضاع التي شهدتها أوروبا في تلك المرحلة، حيث شهدت العديد من الصراعات الداخلية والخلافات الحادة بين بين البابوية والإمبراطورية، مما سينعكس سلبا على وجود الصليبي في بلاد الشام.[2]

[1]حسين عطية، المرجع السابق، ص233.

[2]Stevenson, op.cit. p15.16.

1-البابوية والإمارات الصليبية:

بعد موقعة حطين التي كانت نتائجها وخيمة على الإمارات الصليبية في بلاد الشام، هرع الرسل الصليبيين الى الغرب الأوروبي مستغيثين مستنجدين، يطلعون الأمراء ورجال الدين والبابا بشكل خاص على أحوالهم السيئة، لإنقاذ ما تبقى من الكيان الصليبي في الشرق، فبعد أن فشلت الحملة العلمانية التي قادها ملوك أوروبا العظام[1] في تحقيق أي نجاح مؤثر على مسيرة الحركة الصليبية، جاء الدور على البابوية لاتمام المشروع الذي بدأته في أول حملة صليبية بقيادة البابا أوربان الثاني[2].

لم يكن من الممكن أن يقوم بهذا العمل الكبير سوى البابا أنو سنت الثالث (1198-1216م /595-613هـ)[3]،الذي كان يرى أنه لا مجال لحملة صليبية يشرف عليها ملوك أوروبا ، ويقتصر فيها دور الكنيسة اللاتينية على دعوة مسيحي الغرب للمشاركة فيها[4]، بل لا يمكن أن تخرج حملة دون السيطرة الكاملة عليها لغير البابوية، وجعل من الفكرة الصليبية هدفه الأول في أوروبا والمشرق لمواجهة أعدائه وتحقيق السيادة البابوية على جميع المناطق ، وأفصح عن ذلك بقوله :" كما أن القمر يستمد نوره من الشمس فان السلطة الزمنية تستمد سلطانها وكرامتها من البابوية "[5].

بدأ التحضير للحملة الصليبية الرابعة بدعوة من البابا أنو سنت الثالث ،حيث أعلن أمام الجميع وبشكل علني عن رغبته في الدعوة إلى حرب صليبية جديدة ، هدفها السيطرة على مصر لأنها مركز العالم الإسلامي والقاعدة الخلفية للمسلمين في الدفاع عن الأراضي والمقدسات الإسلامية في الشرق ، فكتب إلى بطريريك[6] بيت المقدس سنة 1199م / 596هـ ، يطلب منه تقرير وافيا عن أوضاع المملكة الصليبية التي أصبحت عكا عاصمة لها[7] ، و عن مدى قوة المسلمين أو ضعفهم في بلاد الشام [8]، وقام بارسال سفراء له إلى كل من عموري الراهب Amori le

---

[1] يتعلق الأمر بـ: ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا، وفيليب أوغسطس ملك فرنسا، وفريدريك بربروسا ملك المانيا.

[2] ياسر عبد الوهاب، الدعم الأوربي للإمارات الصليبية في بلاد الشام، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، 2014، ص22.

[3] أنوسنت الثالث: اسمه في الأصل لوثاريو كونتي Lotarion count، وهو من أسرة رومانية نبيلة، درس اللاهوت في باريس، والقانون الكنسي في بولونيا وله عديد المؤلفات الدينية، اعتلى كرسي البابوية في 08 جانفي 1198م، بعد وفاة البابا أربان الثالث.

أنظر: عبد اللطيف الهادي السيد، في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب السياسة الصليبية للبابا انوسنت الثالث (1198-1216م)، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2005، ص12-24.

[4] جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الاوربية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1984، ص189.

[5] ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 75.

[6] بطريرك Patriarches: كلمة يونانية تعني رئيس الأباء، يتم تعينه من قبل البابا، وهو منصب يأتي على قمة الهرم الكهنوتي، يقوم صاحبه برعاية وادارة شؤون النصارى في بلاد الشام كلها. أنظر: شعبان خلف، المرجع السابق، ص69.

[7] قاسم عبده قاسم: الخلفية الأيديولوجية، ص 121 Grousset. Op.cit. vol3. P169.

[8] عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص 183.

Moineبطريرك بيت المقدس سنة(1202-1190م/586-601هـ) ، وجلبرت دي دورالGilbert de Doralمقدم الداوية (1204-1194م/590-601هـ)، وجودفري دونجونGeoffroy Danjonمقدم الاسبتارية (1204-1192م/ 588-601هـ)، طالبا منهم إرسال تقارير مفصلة ودقيقة عن الأوضاع السائدة في مناطقهم وممتلكاتهم وكان ذلك في 1199 م /595هـ[1].

سعت الإمارات الصليبية على إثارة العاطفة الدينية المسيحية لدى ساكنة الغرب اللاتيني وقادتها و لدى البابوية بشكل خاص، واستخدمت في ذلك العديد من الأساليب والحيل نذكر منها تلك اللوحات الكبيرة التي تتضمن رسوما معبرة عن قبر المسيح وكنيسة القيامة اللتان أصبحتا تحت سيطرة المسلمين ، وصورة لفارس مسلم يدوس عليهما بفرسه، و قد أخذ القساوسة والرهبان هذه الصورة وطافوا في أسواق ومدن ومجامع الغرب المسيحي ليستنفروا بها الناس ويشعلوا حماستهم [2] ، كما قام البابا أنوسنت الثالث بالسعي إلى تهدئة الخلافات بين الصليبيين وتوحيد صفوفهم [3]، وذلك بمنح الداوية والاسبتارية عددا من الامتيازات وإعفائهم العديد من الضرائب، كما أرسل لهم سفينة محملة بالأسلحة والحبوب وناشدهم الاستعداد للمشاركة في الحملة الصليبية المزمع القيام بها[4].

ومن أجل تمويل الصندوق الموجه للحملة الصليبية المزمع القيام بها، قام البابا بفرض ضريبة على دخول رجال الدين تجمعا للصليبيين في بلاد الشام، حيث فرض على نفسه وعلى رجال كنيسته ضريبة قدرها 10% من دخلهم لهذا الغرض، وأمر رجال الدين في كافة الغرب الأوروبي بدفع 40/1 من مداخيلهم[5] ، ثم أصدر مرسوما يحرم على التجار الأوربيين التعامل مع المسلمين، أو تزويدهم بكل المواد التي تعينهم على قتال المسيحيين، وخصوصا مواد الحديد والخشب، وما يستعان به في الحروب[6].

وحتى تشجع البابوية العامة من الناس الاشتراك في الحملة الصليبية منحتهم الكثير من التسهيلات والامتيازات ، و أعلنت عن عدة توصيات منها حماية العائلات وممتلكاتهم لقاء مشاركة أفرادها في الحملة ، مع اعفاء كل من كان عليه دين طيلة غيابه عن وطنه، ومن يشترك من الفلاحين الأقنان في الحملة الصليبية يتحرر من التبعية لسيده وتعود له حريته للأبد

[1]ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 48.
[2] ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص288-289.
[3]Gousset. op. cit. Vol3. P170.
[4]مصطفي محمد الحفناوي، جماعة الفرسان الاسبتارية ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي في عصر الحروب الصليبية، مكتبة الرشد، السعودية، 2004، ص295.
[5]ميشال بيلار: المرجع السابق، ص217؛ عبد اللطيف الهادي، المرجع السابق، ص 60 – 61.
[6]نفسه، ص 97.

[1]، وبالاضافة إلى ذلك وجهت البابوية العديد من من رجال الدين إلى مختلف دول أوروبا لدعوة الناس للاشتراك في الحملة المزمع إرسالها إلى الشرق ، وقد تمكن هؤلاء الدعاة من إثارة حماسة الأوربيين فكانوا في الغالب هم حطب تلك الحملات على بلاد المسلمين[2] ، كما قام البابا أنوسنت الثالث ايضا بمراسلة الملوك في دول أروبا يطلب منهم العمل على تجاوز الخلافات فيما بينهم، واعداد جيوش للمشاركة في حملة صليبية باتجاه المشرق، لكن دعوته لم تجد آذانا صاغية من ملوك إنجلترا وفرنسا و إيطاليا وألمانيا، بل اقتصرت على بعض الأمراء الإقطاعيين فقط[3].

ومن الملاحظ هنا أن الاختلاف كان واضحا جدا بين سياسة البابا أنوسنت الثالث وطموحاته عندما وجه الدعوة لملوك أوروبا للقيام بالحملة، و البابا أوربان الثاني عند مناداته لأول حملة صليبية على المشرق ، حيث حاول إبعاد الأباطرة وملوك الغرب اللاتيني عن التدخل في هذا الأمر وكان نداؤه للأمراء الإقطاعيين وعامة السكان في الغرب الأوروبي، حيث كانت الاستجابة واسعة وحققت مالم يُتوقع منها أبدا، كما أراد البابا أن يكون الإنجاز خاصا بالبابوية فقط ولا ينسب لأي حاكم علماني[4] ، أما أنوسنت الثالث كان يعلم مدى ضعف وهوان الملوك في الغرب الأوربي، حتى ولو نجحت الحملة سوف يكون للبابوية الكلمة العليا عليهم، نظرا للقوة التي بلغتها في ذلك الوقت.

لقد كانت الحملة الصليبية الرابعة مثالا واضحا على تدخل المصالح الشخصية في شؤون الحركة الصليبية، فبعد الاتفاق على أن تكون مصر هي الهدف الأساسي للحملة، تم عقد اتفاقية مع البندقية في شهر مارس 1201سنة م/598هـ، تعهد فيها البنادقة بإعداد السفن اللازمة لنقل الحملة، لكن عندما حان الوقت ولم تتوفر الأموال لدفعها للبنادقة قام أميرها بتوجيه الحملة نحو بيزنطة وعاصمتها، وتحويلها الى وجهة أخرى غير مصر حتى لا تفسد علاقة البنادقة التجارية مع مصر لأهمية ذلك بالنسبة لهم[5].

---

[1] نفسه، ص 96.

[2] فايز نجيب إسكندر، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، توزيع الكتب العلمية، مصر، (د. ت)، ص 193.

[3] عبد اللطيف الهادي، المرجع السابق، ص 46؛ نجيب إسكندر، المرجع السابق، ص 205. Grousset. op. cit. Vol3. P170.

[4] ر نسيمان، المرجع السابق، ج3، ص 150 – 153.

[5] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية على يد الصليبين، ترجمة: حسن حبشي، (د. ن)، (د. م)، 1964 ص 49 – 66.
قلهاردوان، من مذكرات قلهاردوان فتح القسطنطينية، ترجمة: حسن حبشي، جامعة الملك عبد العزيز، ط1 ،1403 هـ، ص 77.

والملاحظ أن الحرب الصليبية الرابعة جاءت نذيراً بفشل الحركة الصليبية بأكملها كما يقول ذلك المؤرخ الفرنسي رينيه غروسيه:" فقد كان من المفروض أن تدعم مركز الصليبين بالشام وتعينهم على مقاومة الضغط الإسلامي الواقع عليهم، لكن الذي حدث هو أنها أدت الى إضعاف مركزهم بطريق مباشر أو غير مباشر"، ذلك لأن قيام مملكة لاتينية صليبية بالقسطنطينية وبلاد البلقان، عمل على جذب أعداد كبيرة من الفرسان الصليبين بالشام الذين فكرو في التسلسل سرا وعلانية إليها لينعموا بقسط من الحياة الهادئة بعيدا عن تهديد المسلمين ومتاعبهم، وكذلك الحال بالنسبة للفرسان الغربين الذين لجأوا هم الآخرين إلى القسطنطينية، بدلا من التوجه إلى الصليبين بالشام ومساعدتهم ضد المسلمين".[1]

وغدا واضحا أن انحراف الحملة الرابعة عن هدفها الأصلي، وفشل البابا في السيطرة عليها قد أضاع قدرا كبيرا من هيبة البابوية، وكان على البابا أن يقوم بعمل صليبي كبير، يجني من ورائه نصرا يعوض به فشل الحملة الرابعة ويمحو الآثار التي ترتبت عليها، ويستكمل انتصاراته على ملوك أوربا وأباطرتها.[2]

دع البابا إلى عقد مؤتمر بكنيسة اللاتيران[3]بروما 1215م/612هـ، للإعداد والتحضير لحملة صليبية خامسة، حضره كبار رجال الدين من الشرق والغرب وسمح فيه البابا للحكام العلمانيين بالحضور أيضا ، وأن الذين لا تسمح لهم مشاغلهم بالحضور يمكنهم إرسال مندوبين عنهم ، و بالفعل حضر وفد من صليبي المشرق بقيادة يوحنا الأول ابلين[4] مندوبا عن ملك بيت المقدس جان دي بريين ، بالاضافة الى مندوب عن كل من انجلترا وألمانيا وهنغاريا وإسبانيا فضلا عن مندوب الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ، وعدد من المهتمين بالشئون الدينية والسياسية في الغرب.[5]

[1] رينيه غروسيه، موجز تاريخ الحروب الصليبية، تر: أحمد إيبش، دار الكتب الوطنية، الامارات العربية المتحدة، 2014م، ص 70؛ أسمت غنيم، المرجع السابق، ص 111.

[2] ارنست باركر، المرجع السابق، ص 104.

[3]مجمع اللاتيران: المقر البابوي في روما العصور الوسطى، ومجلس اللاتيران الرابع يعد أيضا المجمع المسكوني الثاني عشر من وجهة نظر الكنيسة الكاثوليكية. انظر: علي عمر بدوي، بلاجيوس ودوره في الحركة الصليبية1165-1230م، نور حوران للدراسات والنشر والتراث، دمشق، 2019، ص115.

[4] يوحنا ابلين: ولد عام 1177م/576هـ، ينتسب الى بيت ابلين الذي يعد أكبر البيوت الاقطاعية في مملكة بيت المقدس على الاطلاق في ظل عدد كبير من افراده بالوظائف الكبرى في المملكة بجانب الزيجات المتبادلة مع كبرى الاسر الصليبية في الشام وقبرص، تولى يوحنا ابلين عددا من الوظائف كان أهمها منصب الوصي على عرش المملكة 1205م/602هـ، حتى بلغت الملكة ماري سن الرشد عام 1210م/607هـ، توفي عام 1236م/634هـ.
انظر، فوزي رحيل، المرجع السابق، ص45.

[5] رأفت عبد الحميد، الفكر السياسي الأوربي في العصور الوسطى، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص 117، ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 100.

افتتح البابا أنوسنت الثالث أعمال المؤتمر في 11 نوفمبر 1215 م./ 22 ربيع الأول سنة 612 هـ ، ألقى على المجتمعين خطابا ذكر فيه ما تقاسيه مدينة بيت المقدس والإمارات الصليبية، وطلب من الحاضرين مساندة الحملة[1] وعد نفسه نائبا عن المسيح عليه السلام في الأرض، ثم يقول للحضور : " لا تترددوا في أن تقدموا أنفسكم وأموالكم فداء لإخوانكم الصليبيين في الشرق "، ونهض يوحنا ابلين رئيس الوفد الصليبي يتحدث عن الحالة السيئة التي وصلت إليها الإمارات الصليبية في بلاد الشام، وأنه يجب الإسراع بالحملة الصليبية خاصة وأن الهدنة مع المسلمين سوف تنتهي 1217م/614هـ، وانتهى الأمر بأن قرر الحاضرون أن تكون مصر هي هدف الحملة الصليبية القادمة.[2]

لم يمضي على موت انوسنت الثالث يومان قبل انطلاق الحملة الصليبية الخامسة حتى تولى كرسي البابوية البابا هونوريوس الثالث،Honorius III(1216-1227م) ، الذي فضل توجيه جهده وجهد الغرب الأروبي نحو مساندة الامارات الصليبية ، حيث قام بإرسال رسالة إلى الملك جان دي برين يؤكد له عزمه على إرسال الحملة في الموعد المحدد وأنه سيواصل جهود البابا انسونت الثالث في دعم الصليبين في الشرق بنفس الحماسة والإخلاص[3]، وكان لابد أن تحظى الدعاية للحملة الصليبية الخامسة والتبشير لها بعناية خاصة في الإمارات الصليبية ببلاد الشام باعتبارها نتاج الحركة الصليبية ومركز المواجهة مع المسلمين، فضلا على أن الأماكن المقدسة التي قامت من أجلها الدعوة للحركة الصليبية منذ أكثر من مئة عام موجودة في الشام ، و قدحاول البابا هونوريوس تجديد الدعم المادي والروحي للصليبيين ، زيادة على حل الخلافات السياسية القائمة بين الإمارات الصليبية وتقريب وجهات النظر فيما بينها.[4]

اتجهت الحملة الصليبية الخامسة (1217-1221 م/ 614-618ه) إلى مصر بهدف استرداد بيت المقدس،[5] لكنها سرعان ما انتهت بالخسران المبين وخروج ماتبقى من الصليبيين من مصر بعد أن تكبدوا خسائرا فادحة في الأرواح والممتلكات ، و تبددت كل أمانيهم في استعادة الأرض المقدسة و ما استولى عليه المسلمون أثناء حطين ، و أنزل هذا الإخفاق ضربة جديدة للمشروع الصليبي و أهداف البابوية و الإمارات الصليبية [6]، و أكدت من جديد الصراع الكبير بين السلطة الروحية و السلطة الزمنية في الغرب الأوروبي، وأيضا الصراع الكبير بين

[1] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص 191؛ قاسم عبده، الخلفية الايديولوجية، ص 124.
[2] سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة، دار المعارف، الإسكندرية، 1985، ص 148. ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 101، رأفت عبد الحميد، المرجع السابق ، ص 56.
[3] سعيد عمران، الحملة الصليبية، ص 159.
[4] ميخائيل زابروف: المرجع السابق، ص 259.
[5] ابن الأثير، الكامل، ج 10، ص 373.
[6] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص 216.

الصليبين سواء في الشرق أو الغرب ، وبدأت تطلعات صليبيي الشام تضعف وموقفهم يتراجع أمام المسلمين الذين توحدت قواتهم في هذه الحملة في مصر وبلاد الشام ؛ تحت قيادة الملك الكامل الأيوبي[1] و أخوه المعظم[2] .

رغم الفشل الذريع الذي منيت به الحملة الصليبية الخامسة، إلاّ أن ذلك لم يجهض الحلف الدفاعي الإستراتيجي الذي تقوده البابوية من أجل إنقاذ الكيان الصليبي، إلى جانب استعدادات الغرب الأروبي في تقديم المساعدات للإمارات الصليبية ، خاصة بعد تلقي العديد من التقارير ورسائل النجدة ، مما جعل الأنظار تتطلع من جديد لإرسال حملة صليبية جديدة تمكنهم من الصمود في وجه الصراعات الداخلية والتهديد الخارجي الذي تعرضوا إليه في تلك الفترة.[3]

حاول البابا هونوريوس الثالث تقديم يد العون للفرنجة في بلاد الشام، وكان حريصا على منح امتيازات خاصة للفرسان التيوتون والداوية والإسبتارية، نظير جهودهم في الدفاع عن صليبيي الشام، ويمكن القول إن آخر محاولة لذلك، كانت اعلان الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع، الذي أخذ يستعد لتنفيذ حملته المرتقبة بكل شغف واهتمام، حتى أنه لجأ إلى توفير الأموال اللازمة للحملة، عن طريق الاستعانة بالبابا الذي قام بفرض العديد من الضرائب على رجال الدين والتجار والنبلاء والإقطاعيين[4].

- اتخذت الحملة الصليبية السابعة طابعا فرنسيا خالصا ، حيث أبحر الملك لويس التاسع من فرنسا في أواخر سبتمبر سنة 1248م / صفر 646 هـ قاصدا الشرق مصطحبا معه زوجته وإخوته فضلا عن عدد آخر من كبار الأمراء الفرنسيين وصغارهم ، الفرنسي نحو مصر ، ورغم تحذيرات الدولة الرومانية المقدسة والبنادقة من عاقبة مهاجمة مصر ، إلاّ أن الملك الفرنسي أصرّ على ذلك ولقي كل الدعم والتموين خاصة من طرف القبارصة ، وكان يرى أن الطريق السليم للحصول على بيت المقدس هو البدء بغزو مصر ، وأن مفتاح المدينة المقدسة موجود فعلا في القاهرة ، ولا فائدة من أن يقوم الصليبيون في الشام بالاستيلاء على بيت المقدس ، ثم تخرج الجيوش الأيوبية من مصر لهدم البناء ، إلاّ أن الحملة الصليبية لم تحقق هدفها ، وتم أسر الملك لويس التاسع وعدد

[1] الكامل: هو محمد بن العادل الأيوبي ورث عن أبيه طريقته في السياسة والحكم، من أبرز مواقفه السماح لفريدريك باسترداد بيت المقدس دون قتال سنة 1228م/626هـ. أنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، 1972. ص 96.

[2] المعظم: عيسى ابن أخ صلاح الدين كان حاكما للشام. أنظر: عبد الفتاح عاشور، مصر والشام، ص 97.

[3] ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 119؛ عبد الفتاح عاشور، الحركة، ج 2، ص 236.

[4] محمد مصطفى زيادة، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، (د. ن)، القاهرة، ط1، 2000، ص 75-78، مؤلف مجهول، تتمة كتاب وليام الصوري، المنسوب خطأ الى روثلان (1261-1229)، ترجمة وتحليل وتعليق أسامة زكي زيد، الدلتا للطباعة، الإسكندرية، 1989، ص 139.

من أمرائه ، ليضطر إلى قبول الصلح و والجلاء عن دمياط و مغادرة الأراضي المصرية نحو عكا سنة 1250م/648هـ[1].

كانت أمال الصليبيين في الشرق حرجة للغاية خلال هذه الفترة، تنتظر الدعم والمساندة للصمود والبقاء في بلاد الشام، أمام القوة العسكرية والوحدة السياسية التي شهدها العالم الإسلامي تحت حكم المماليك، وزاد من يأسهم وفاة البابا جريجوري العاشرGrégori PP. X[2] في أوائل سنة 1276م/ 674 هـ، على الرغم من الجهود المضنية التي بذلها لتهيئة المناخ في أوروبا للقيام بالحملة الصليبية المرتقبة، فالوعود التي تلقاها من الأمراء والملوك كانت مجرد شعارات لم تجد طريقها للتنفيذ، لانشغال كل منهم بمشكلاته الداخلية[3].

لقد تعاقب على كرسي البابوية، بابوات ضعاف غير قادرين على مساعدة الامارات الصليبية[4] التي ازدادت أوضاعها سوءا، وكانت الضحية في هذه المرة إمارة طرابلس، آخر إماراة في بلاد الشام إذ استطاع السلطان المملوكي سيف الدين قلاوون انتزاعها من أيديهم في عام 1289م/688هـ، وبات واضحا أن البابا نيقولا الرابع Nicolaus IV أعجز من أن يحرك ملوك الغرب الأوروبي وأمراءه لحشد الجيوش لمساعدة صليبي الشام [5].

وفي أثناء ذلك نجح السلطان الأشرف خليل في الاستيلاء على عكا وبيروت وصيدا وصور وجبيل وعثليث وانطرطوس، وسقطت معظمها دون قتال بعد فرار سكانها لقبرص، كان ذلك في أواخر عام 1291م/ 690هـ[6]، دون أدنى تدخل من أية قوة أوروبية سواء علمانية أو روحية، منهيا بذلك الوجود الصليبي في بلاد الشام، ولم يتركوا وراءهم سواء خرِاب قلاعهم، لتكون حتى اليوم شاهدة على ما أشعلوه من حروب صليبية، وعلى مملكة شيدوها ثم أضاعوها [7].

---

[1] عاشور، الحركة، ج2، ص281. باركر، المرجع السابق، ص 120، ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 286
W.B. Stevenson. Op. cit. P329

[2]جريجوري العاشر: تولى عرش البابوية بين عامي 1271-1276م/670-675هـ، وكان ينتسب الى عائلة عريقة في بيزا، عرف بتأييده للمشروع الصليبي، وجعل من أولوياته الدعوة الى حملة صليبية لإنقاذ الشرق اللاتيني المتداع. أنظر: رحيل، المرجع السابق، ص65.

[3]محمد فوزي رحيل، المرجع السابق، ص 237.

[4]رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص 464.

[5]نهى الجوهري، المرجع السابق، ص 310.

[6]ابن الحريري، الاعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تحقيق سهيل زكار، مكتبة دار الملاحق، دمشق، 1981، ص 106. عاشور، الحركة، ج2، 386-387.

[7] باركر، المرجع السابق ، ص 132. ويعلق المؤرخ الفرنسي رينه غروسيه على تلك الاحداث بمرارة قائلا:" سوريا الفرنجية ألقيت في البحر في ربيع سنة 1291، فضاع سدى قرنان من البطولة وأحرزت آسيا ثأرها من أوربا ". أنظر: مؤنس عوض، العلاقات بين الشرق والغرب، ص 355.

2- الإمبراطورية والإمارات الصليبية:

بعد وفاة الإمبراطور فريدريك الأول تولى ابنه هنري السادس Heinrich VI(1190-1197م/586-593هـ) عرش الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وكان عمره لا يتجاوز الثالثة والعشرون، ولم يكن أقل رغبة من والده في إعادة مجد الإمبراطورية ، و إبراز دورها في الصراع الصليبي الإسلامي[1]، ومما زاده حماسا للاتجاه نحو الشرق أن الصليبيين كتبوا إليه أن يأتي لتخليص رفات أبيه، فريدريك من الأسر إذ كانت بصور، وإنه لا يمكن دفنها في القدس إلا بعد الاستيلاء عليها من المسلمين[2].

ومما يجب ذكره أن سنوات حكم الامبراطور هنري السادس قد أضافت إليه الكثير من الخبرات وصقلته سياسيا، ومن ثم أخذ يستعد عسكريا لتنفيذ مخططه ضد الشرق الإسلامي، حيث وجه رسائل إلى كل رجال الدين والقانون، والقديسين الموجودين في الإمبراطورية، وطلب منهم أن يعجلوا بانطلاق المحاربين نحو الشرق، واستطاع خلال عام واحد أن يشكل جيشا من قوات مختلفة من الغرب المسيحي ، و قد وعد كل من يشترك في الجيش ثلاثين أوقية من الذهب ، فاستجاب عدد كبير تحت هذا الاغراء واستعدوا لعبور البحر لمساعدة الصليبيين في حربهم مع المسلمين في بلاد الشام[3].

وفي سنة 1197م/593هـ وصلت جيوش الإمبراطورية إلى عكا، وتمكنت من الاستيلاء على بيروت، وبعض مدن الساحل، وبعد هذه الانتصارات اقترح بعض قادة الجيش الصليبي الزحف نحو بيت المقدس، معتقدين أن هذه المدينة لن تتمكن من الصمود أمام انتصارات المحاربين الصليبيين، وفي هذه الأثناء وردتهم أخبارا سيئة حول وفاة ملكهم هنري السادس بمدينة مسينا[4] في 28 سبتمبر 1197م/ذو القعدة 593هـ بمسينا [5].

كان لوفاة الملك هنري السادس تأثيرات سلبية على الأمراء الألمان وعناصر الجيش الموجودين بالشرق، لأن انتخاب إمبراطور جديد ، من شأنه أن يحدث مشاحنات وخلافات بينهم في الشرق والغرب، وكان منهم من يريد الرجوع إلى الغرب للمشاركة في انتخاب إمبراطور

---

[1] عادل عبد الحافظ، العلاقات السياسية بين الدولة الايوبية والامبراطورية الرومانية المقدسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001م، ص211-212.

[2] أبو شامة، المصدر السابق، ج2، ص222.

[3] عادل عبد الحافظ، المرجع السابق، ص214.

[4] مسينا: (Messina) مدينة إيطالية في جزيرة صقلية، على شاطئ المضيق المعروف باسمها مضيق ميسينا، وهي ميناء بحري ومركز اقتصادي.
أنظر: عمر بدوي، المرجع السابق، ص120.

[5] مكسيموس مونرود، الحروب المقدسة في المشرق، تر: كيريو مكسيموس مظلوم، دير الرهبان الفرنسيسكان، القدس، 1865، م2، ص 173.

جديد لهم، ولم تمض أياما من وصولهم إلى صور حتى شرع الجيش الألماني رفي كوب السفن عائدا إلى أوروبا[1] ، والواقع أن هذه الحملة بأسرها لقيت الفشل الذريع و لم تحقق شيئا يعيد لألماميا هيبتها ، ومع ذلك فإنها أسهمت في اعادة بيروت إلى الفرنج وخلفت من بعدها هيئة ثابتة ، تتثمثل في طائفة الفرسان التيوتون[2].

لم يكتب النجاح لمشروع الإمبراطور هنري السادس بعد وفاته، فترك إمبراطوريته لأخيه فليب السوابي الذي دخل في صراع مع أعدائه من أجل عرش الإمبراطورية استمر طيلة عشر سنوات، لم يستطع خلالها تقديم أي عون يذكر للإمارات الصليبية ببلاد الشام باستثناء إسهامه في الحملة الصليبية الرابعة، ولم تكن موجهة ضد المسلمين في الشرق، ولكن وجهت ضد الإمبراطورية البيزنطية ، ويمكن القول أن الأوضاع السياسية التي كانت تمر بها الإمبراطورية الرومانية المقدسة حينئذ، كانت عاملا رئيسيا أبعدها عن ميدان الصراع بين الشرق والغرب طيلة عشرين عاما، باستثناء مساهمتها ببعض الإمدادات في الحملة الصليبية الخامسة على دمياط، لتشهد بعد ذلك علاقات دبلوماسية مع المسلمين بالشرق، خاصة في عهد الإمبراطور فريدريك الثاني[3].

بعد إخفاق الحملة الصليبية الخامسة1221م/618هـ، قرر الملك جان دي بريين Jean de Brienne(1210-1225م/606-622هـ)[4] السفر إلى أوروبا لمقابلة البابا هونوريوس الثالث [5] وبعض ملوك أوروبا للتداول معهم حول مستقبل مملكة بيت المقدس الثانية وللبحث عن زوج مناسب لابنته الملكة الصغيرة ايزابيل(يولاند) التي كان وصيا عليها[6]، وبالفعل فقد أبحر من ميناء عكا سنة 619هـ/ 1222م[7] وبرفقته المندوب البابوي بيلاجيوس[8]، واجتمع بالبابا

---

[1]رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص179.

[2]Stevenson, op.cit. 299.

[3] عادل عبد الحافظ، المرجع السابق، ص245.

[4]جان دي بريين: فرنسي الأصل، أحد القادة العسكريين في فرنسا، اختاره الملك الفرنسي فيليب أغسطس ليتزوج من الملكة ماريا، وعلى الرغم من أن جان كان مفلسا وفي الستين من عمره، الا أنه كان صليبيا متحمسا للفكرة الصليبية، وقد وصل الى عكا في 13 سبتمبر 1210م ومعه ثلاثمائة فارس صليبي، توفي سنة 1237م. أنظر: رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص238-240؛ Grousset, op, cit, vol. 3. P. 192-193.

[5]البابا هونوريوس الثالث: هو سينسيو سافلي، Cencio Savelli، ينتسب الى طبقة رومانية ارستقراطية عريقة، تدرج في العديد من المناصب الكنسية من راهب إلى شماس ثم كردينالا، تم انتخابه لمنصب البابوية بعد وفاة البابا انوسنت الثالث في 18 جويلية 1216م، وظل بمنصبه حتى 18 مارس 1227م.أنظر: عمر بدوي، المرجع السابق، ص42.

[6] زكار، المرجع السابق، ج39، ص788-789، عمران، الحروب الصليبية، ص277.

[7]رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص309.

[8]بيلاجيوس: جالفاني، أحد الشخصيات التي أدت دورا مهما في الحركة الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي، ولد بإسبانيا عام 1165م/559هـ، عينه البابا انوسنت الثالث مندوبا بابويا له الى الشرق، وذاع اسمه أثناء الحملة الصليبية الخامسة، توفي سنة 1230م/627هـ.
أنظر: عمر بدوي، المرجع السابق، ص42-44.

غريغوري التاسع Gregorius PP. IX[1] في روما في وقت كان فيه البابا هونوريوس قد توفي، وكان النزاع خلال هذه المرحلة قد تطور بين البابا غريغوري والإمبراطور الألماني فريدريك، فعمل جان على تسوية الخلاف وتحقيق المصالحة بينهما، وبعد النقاش حول أوضاع الصليبيين في بلاد الشام، وأسباب إخفاق الحملة الصليبية الخامسة، تم الاتفاق على تجهيز وإعداد حملة صليبية جديدة، وأيضا إيجاد زوج مناسب للأميرة يولاند ابنة جان دي بريين وماري[2].

وعلى الفور اقترح مقدم جماعة الفرسان التيوتون هرمان فون سالزا Herman Von Salza (1211-1239م/608-637هـ)[3] في الاجتماع أن الإمبراطور الألماني فردريك الثاني الذي صادف وفاة زوجته كونستانس منذ مدة وجيزة هو الشخص المناسب للأميرة يولاند، ورأى المجتمعون أن تلك الزيجة تعدُّ صفقة سياسية مناسبة جداً لمملكة بيت المقدس وللتواجد الصليبي في بلاد الشام، لأنها ستجعل فريدريك يسرع في تنفيذ وعده للبابا في قيادة حملة صليبية إلى بلاد الشام[4].

كان البابا يهدف من دعم فريدريك وتتويجه إمبراطوراً أن يجعله أداة طيعة في يده ليحكم من خلاله، فأقنعه بضرورة قيادة حملة صليبية لاسترداد مملكة القدس من سيطرة المسلمين، وأجبره أن يُقسم على ذلك عام 612 ه/ 1215م[5]، ولكن فريدريك الذي - على ما يبدو - لم يكن مقتنعا بجدوى الحملات وظل يماطل ويُسوف ويعتذر للبابا، ولم يفي بقسمه إلاّ بعد اثنتي عشرة سنة[6] ،

[1] جريجوري التاسع: ابن عم البابا انوسنت الثالث، تولى جريجوري الكرسي البابوي بعد وفاة البابا هونوريوس الثالث في مارس سنة 1227م/624هـ، وخاض صراعا عنيفا ضد الامبراطور فريدريك الثاني لمساسه بحقوق البابوية حسب زعمه، وأصدر قرار الحرمان ضده في نفس العام الذي تولى فيه البابوية، ثم رفع الحرمان بعد عقدهما صلح سان جرمانو 1230م/627هـ، ولما تجدد الصراع، واشتدت وطأة فريدريك على مصالح البابوية حرمه البابا مرة ثانية سنة1239م/637هـ، توفي البابا في سنة 1241م/639هـ وهو في الثامن والتسعين من عمره.
أنظر: عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج1، ص 377- 382؛ مؤنس عوض، العلاقات بين الشرق والغرب، ص289.

[2] عمران، الحروب الصليبية، ص278..Grousset. Op. cit. vol3. P272

[3] هرمان فون سالزا: تولى منصب مقدم جماعة الفرسان التيوتون سنة 1210م /607هـ، ويعد المؤسس الحقيقي لها، كان حريصا على قوة الجماعة وتوسيع أملاكها، حيث حصلت الجماعة في عهده على الكثير من الامتيازات بفضل سياسته الناجعة، خاصة في بلاد الأرمن.
أنظر: حسن عبد الوهاب حسين، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص153-156.

[4] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص310؛ عمران، الحروب الصليبية، ج3، 310.

[5] سهيل زكار، المرجع السابق، ج34، ص32.

[6] Setton, op.cit. vol2.p430.

وعندما أبحرت الحملة الخامسة نحو دمياط، وهزمت هُناك بعد إصابتها بخسائر فادحة اعتبر البابا أن تخلف فريدريك عن الحملة هو سبب فشلها[1].

وفي عام 1225م/622هـ تم الزواج بين يولاند وفريدريك الثاني[2]، ولم يستغرق الأمر طويلاً حتى تصاعد الصراع على عرش مملكة القدس وظهر جلياً بينهما، إذ أن فردريك أخبر حميه جان دي بريين John of Brenne اذ بتويج يولاند في صور ومن ثم زواجها، قد انتهت بشكل آلي نيابته عنها، وأنه لم يعد وصياً على عرش مملكة القدس، وبذلك غادر فردريك برنديزي[3] مع زوجته دون أن يخبر جان دي برين ، فلحق بهما وأخبره برغبته في البقاء في الوصاية على عرش مملكة القدس لمدة عامين آخرين - إلى غاية سنة 624هـ / 1227م- حتى تبلغ ابنته سن السادسة عشر ، ويبدو أن جان ذكر فردريك بشروط الزواج السالفة التي تم الاتفاق عليها والتي تضمنت احتفاظ الأول بتاجه طيلة حياته، إلاّ أن الأخير أصر على موقفه وأخبره بأنه لم يعده بمثل ذلك، ولم يكن بينهما اتفاق مكتوب، إذا ليس للملك جان أي حق شرعي في العرش[4].

أدرك جان بأنه استبعد من الوصاية وتأكد له ذلك عندما قام جنود فردريك بسلبه المال الذي كان قد منحه إياه الملك الفرنسي فيليب أغسطس قبل وفاته[5]، وبما أن جان كان قد تسلم العرش من خلال زواجه من ماري والدة يولاند لم يكن بوسعه المناورة كثيراً أو إبداء مقاومة شديدة لفردريك، فازداد موقفه ضعفاً عندما أعلن البارونات السوريون الذين قدموا معه إلى إيطاليا تأييدهم لفردريك، واعترفوا به ملكاً عليهم وعلى الفور قام فردريك بإرسال أسقف ملفي إلى مملكة القدس ليضمن الحصول على ولاء من فيها ويوطد شرعيته فيها[6]، وأضيفت على الألقاب الإمبراطورية لفريدريك لقب ملك بيت المقدس[7].

ولا شك أن في تلك الزيجة أهمية كبرى للإمبراطور فريدريك تتمثل في إمكانية توحيد عرش المملكة الصليبية والإمبراطورية الرومانية المقدسة وصقلية، وبالتالي لا يصبح مشروع الحملة الصليبية مشروعا بابويا، وانما مشروعا إمبراطوريا، لأنه يدخل الملكة الصليبية في نطاق

---

[1] منذر الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، الأوائل للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 2006م، ج2، ص301.
دي نافار، حروب فريدريك، ص32.

[2] زكار، المرجع السابق، ج39، ص34.

[3] برنديزي: Brindisiأو أبرنطس أو أبرندس، مدينة إيطالية في إقليم بوليا على ساحل الأدرياتيكي، كانت حصنا لفريدريك الثاني، ومركزا بحريا رومانيا. انظر: الأدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص632؛ عمر بدوي، المرجع السابق، ص 120، 233.

[4] زكار، المرجع السابق، ج 39، ص34.

[5] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص220.

[6] عمران، الحروب الصليبية، ص280؛ غروسيه، المرجع السابق، ص72.

[7] ارنست باركر، المرجع السابق، ص112. Setton, op.cit. p441.

الإمبراطورية[1] ،وفي ذلك الوقت أرسل البابا هونوريوس الثالث المبشرين والدعاة في مختلف أنحاء أوروبا للدعوة لحملة مرتقبة ، حتى وصلت أخبار تلك الحملة إلى أقاليم بعيدة مثل جورجيا التي اهتم أهلها بأمر هذه الحملة، ويتضح ذلك من خلال مراسلات الملكة روسودان Reine Rusudan و البابا هونوريوس الثالث ، أذ أرسلت إليه تخبره بأنها ستساعد جيش الإمبراطور الألماني في حالة مجيئه إلى الشرق ، ومن ناحية أخرى عمل الإمبراطور فريدريك على الاستفادة من صداقة هرمان مقدم التيوتون وقدرته على الإقناع، فوجهه إلى بعض الأمراء الألمان المناوئين لسياسته، ونجح هرمان فعلا في إقناعهم بالخضوع للإمبراطور، كما نجح في توطيد نفوذ الإمبراطور في صقلية مما عاد بالفائدة على فريدريك، والحملة المرتقبة التي كان ينوي القيام بها[2].

كان على فريدريك الاستعداد للتوجه نحو الشرق استجابة لنداءات البابوية المتكررة للاشراف على قيادة الحملة المرتقبة[3]، وواصل تصرفه كحاكم لمملكة بيت المقدس حيث منح جماعة الفرسان التيوتون في شهر جانفي 1226م/محرم 623 هـ امتيازات عدة في الأراضي المقدسة، وأعفاهم من بعض الضرائب، وعزز من مكانتهم في الشرق بأنه لا يجوز أن يدّعى أحد عليهم أي حق دون اللجوء إلى القضاء[4]، وألا يكلفهم للغرب بشي، وأرسل في العام نفسه توماس الأكويني Thomas d'Aquin ليقوم بمهمة للوصاية على المملكة الصليبية بدلاً من أودو أوف مونت بيليارد Oddo du Mont Billard فأظهر توماس من التصرفات ما جعل الأمراء والبارونات الصليبيين لا ينظرون إليه بارتياح[5].

بعد وفاة البابا هونوريوس الثالث في 18 مارس1227م/624هـ، خلفه البابا جريجوري التاسع (1227 - 1241م / 624 - 638هـ)، وكان على النقيض تماما من هونوريوس الثالث في شخصيته وطريقة تعامله، ووضع جريجوري نصب عينيه التفوق على الإمبراطورية في السيادة على العالم المسيحي في المقام الأول، أما مسألة الحملة الصليبية فقد كانت في المقام

[1] ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص125.
[2] نفسه، ص126.
[3] Setton, op.cit. p431.
[4] Setton, op.cit. p443.
[5] ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص128-129. زكار، المرجع السابق، ج39، ص35. رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص319؛
Setton, op.cit.
p444.

الثاني من اهتماماته، على أن جريجوري التاسع كان يتابع باهتمام الاستعدادات للحملة الصليبية الجديدة ويخطر الإمبراطور بوجوب مراعاة تعهداته[1].

وفي الثامن من شهر سبتمبر 1227م/19 رمضان 624هـ، تجتمع قوات ألمانية وإنجليزية وإيطالية في موانئ إيطاليا الجنوبية استعدادا للحملة، لكن الطاعون كان قد دمر عددا كبيرا من الجيش[2]، حتى أن الامبراطور فريدريك الثاني أرغمته أوضاعه الصحية على ارجاء الحملة والعودة إلى ميناء أوترانتو[3]بعد مرور ثلاثة أيام، يسبب أوضاعه الصحية السيئة وإن كان قد عهد بعشرين سفينة حربية إلى هنري الرابع دوق ليمبورجHeinrichIV، وإلى بطريرك القدس لإكمال المسير الى الشرق[4] .

وهذا ما حمل البابا جريجوري التاسع على إصدار قرار الحرمان من الكنيسة ضد فريدريك عام 1227م/ 624هـ، وفي الواقع فإن فريدريك كان أثناء ذلك في حالة تفاوض انفرادي مع سلطان مصر، لأن الملك الكامل كان في نزاع مع شقيقه المعظم حاكم دمشق، فاعتزم الاتكال على معونة الإمبراطور[5].

ركب فريدريك الثاني البحر باتجاه المشرق في 28جوان 1228 م/625هـ، وتوقف في قبرص حيث أعاد لنفسه الوصاية على الملك الشاب هنري الأول دي لوزينانHenri de Lusignan ولما نزل في عكا في7 سبتمبر1228 م/625هـ كان بدون قوات عسكرية [6]، لأنه استفاد من صداقته مع السلطان الملك الكامل لإرساء قواعد وفاق، وكانت الغاية من ذلك كما رسم في مخيلته هو إنهاء عصر الحملات الصليبية، ووضع حد للحرب المقدسة، وذلك بإنشاء نظام من التسامح الديني، وبموجب المعاهدة التي أبرمت في يافا في ربيع الثاني626هـ/18فيفري1229م[7]، والتي كانت متقدمة كثيراً عن مدارك ذلك العصر[1]، شرع

[1]مكسيموس مونرود، المصدر السابق، م2، ص272.

Grousset،op.cit. vol.3 p289.

[2]Setton, op.cit. p446.

[3] أوترانتوOtrante: أحد موانئ مدينة ابوليا الشهيرة، وهو ثغر تجاري في جنوب إيطاليا. أنظر: علي عمر بدوي، المرجع السابق، ص239.

[4] ميشال بيلار، المرجع السابق، ص227. زكار، المرجع السابق، ص36. Setton, op.cit. p437,446.

[5] زكار، المرجع السابق، ص37.

Stevenson, op.cit.310.

[6] عاشور، قبرص ، ص41-42، زكار، المرجع السابق، ص38.

[7] صلح يافا: تقرر في هذا الصلح أن يسلم الكامل مدينة بيت المقدس الى فريدريك وتكون خرابا، ولا يجدد سوره، وألا يكون للفرنج شيء من ظاهره مطلقا، وأن يبقى الحرم الشريف بما حواه من الصخرة المقدسة والمسجد الأقصى بأيدي المسلمين، ويكون للفرنج بعض القرى التي تقع على طريق عكا – بيت المقدس، ليقوموا بتأمين الزائرين للمدينة، ولما اتفقا على ذلك عقدت الهدنة بينهما مدة عشر سنين وخمسة أشهر وأربعين يوما.

السلطان في إعادة المدن المقدسة الثلاث إلى الفرنجة، وهي: القدس، وبيت لحم، والناصرة، فضلاً عن إقطاع تبنين[2] la seigneurie de Toron في الجليل الأعلى، والأرباض الداخلية لمدينة صيدا على الشاطئ الفينيقي[3].

إن ما واجهه الإمبراطور فريدريك في مملكة بيت المقدس قد يكون أقسى ما واجهه وسيواجهه مع المسلمين، فقد عارض قُدومَهُ فُرسانُ الرهبانيات؛ لتبعيتها الدينية للبابا وبطريرك القدس، ومعظم أمراء الفرنجة في الساحل الشامي، وأما بخصوص بوهيمند أمير أنطاكية وطرابلس، فكان أقل الأمراء قلقا واضطرابا، لأنه لم يعترف بالسيادة لفريدريك، واعترف بها للإمبراطور البيزنطي[4]، وبلغ بهم الأمر أن تآمروا عليه، و كتبوا إلى السلطان الكامل: " إذا حصل المصاف مسكوا الإمبراطور"، لكنَّ الكامل كان له رأي آخر، أذ أرسل كتبهم إلى فريدريك ليحذرهم، لأنه على ما يبدو كان يميل لتسليم القدس إلى فريدريك، ومباشرة حاول الامبراطور أن ينتقم ، فدبر لإلقاء القبض على صاحب بيروت يوهان فون إبلين Jean d'Ibelin، لكنه نجا من المكيدة[5]، ثم التفت فريدريك لتعزيز مواقعه على الأرض، فاستولى على صيدا، وكانت مناصفة مع مسلمين، فأخرجهم منها وعمر شورها، رغم أن ذلك تم بغير رضا فرنج الساحل، لأن ما قام به يعد مخالفة للمعاهدات السابقة مع المسلمين، إلى جانب ذلك انتقل فريدريك إلى قيسارية ودعم تحصيناتها[6].

ومن أجل أن يتجنب الفوضى التي يمكن أن تعم الصليبيين بالشرق عامة، منح الامبراطور القيادة الاسمية للسيد الكبير هيرمان أوفسالزا، والمارشال ريتشارد الفلانجييري Maréchal Richard Falangieri[7] و للقائد الكند سطبل[1] بالمملكة أودو اف مونت بيليارد[2] Addo du

---

انظر: ابن الأثير، الكامل، ج9، ص378؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج4، ص241-243؛ أبو الفدا، المختصر، ج3، ص175؛ المقريزي، المصدر السابق، ص 229-231.

Grousset, op. Cit. Vol3. P314-315.

[1] غروسيه، المرجع السابق، ص73؛ كلود كاهن، المرجع السابق، ص236-237. Grousset, op. cit. vol3. P314

[2] تبنين: ويسميها الفرنج تورون Toron بلدة في جبال بني عامر المطلة على بانياس، بين دمشق وصور. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص14.

[3] زكار، المرجع السابق، ج 39، ص46؛ ابن الاثير، الكامل، ج11، ص481، مكسيموس مونرود، المصدر السابق، مج2، ص275.

[4] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص323.

[5] Grousset. Op.cit. vol3. P321.

[6] منذر الحايك، المرجع السابق، ج2، ص308. Grousset,op.Cit. Vol3. P320-321

[7] فيلانجيري: اسمه ريتشارد فيلانجيري من مدينة نابولي الايطالية، عمل مارشالا للإمبراطور فريدريك الثاني، ثم مندوبا الى بيت المقدس سنة 628هـ/1231م، ليتولى بعدها ادارة شؤون المدينة الى غاية سنة641هـ/1243م، ثم استدعاه من قبل الامبراطور الى إيطاليا، والقى عليه القبض، ليختفي بعدها.
أنظر: رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص345، 381، 388.

Mont Billard، حتى لا يكون هناك أحد في حاجة إلى أن يطيع إمبراطورا محروما من الكنيسة وليس هذا فحسب، ولكن الإمبراطور أذعن لفرسان الداوية، بأنه يجب أن تصدر الأوامر " باسم الله تعالى والمسيحية وليس بالاسم الإمبراطوري"[3] ، وكانت المقايضة الإقليمية التي تم التوصل إليها دون قتال، بفضل البراعة السياسية لفريدريك الثاني، صاحبها شيء من السكينة الدينية، فالقدس رغم عودتها سياسياً إلى أيدي الفرنجة، اعتبرت مدينة مقدّسة ومباحة لأتباع الديانتين الإسلامية والمسيحية، وبدت خاضعة لسيادة طائفية مزدوجة، وقد استعاد المسيحيون فيها كنيسة القبر المقدس، فيما احتفظ المسلمون بقبة الصخرة والمسجد الأقصى[4].

ولا شك أن فريدريك الثاني استطاع أن يحقق ما لم ينجح أحد من الصليبيين في تحقيقه، منذ معركة حطين ودخول صلاح الدين القدس[5] ، لكن هذه الاتفاقية لم تلقى الترحيب إلا من فئات قليلة من صليبي الشرق مثل الألمان والصقليين[6]، أما البقية فقد عارضوا ذلك لتبدأ مرحلة جديدة من الآلام والمتاعب فيما بينهم[7]، وبرروا رأيهم بأن المسلمين يمكنهم استرداد بيت المقدس بسهولة، وأن هذا العرض قد رفضوه سابقا في دمياط[8] سنة 1220م-1221م/ 617-618هـ، ولو كان فيه مصلحة لقبلوه عندما عرضه الملك الكامل عليهم، بالإضافة أن اتفاقية يافا قطعت بمقتضاها الإمدادات عن الصليبيين بالشرق وقضت على فكرة الحروب الصليبية[9].

وزاد من سوء الأوضاع في الأراضي المقدسة انضمام كثير من الصليبيين المحليين ورجال الدين للجبهة المعارضة للإمبراطور، بعد أن ثبت في أذهانهم أن الامارات الصليبية لم تستفيد شيئا مما حققه الامبراطور[10]، وظهر في الحزن الذي خيم على الجميع، عندما تسلم الامبراطور

---

[1] الكند سطبل: constableقائدا للجيش، يحمل لواء الملك في حالة تتويجه، ويقود الجند في المعركة في حالة غياب الملك، وفي باقي الحملات يعتبر قاض عسكر يفصل في قضايا الفرسان والطبقة الوسطى، وينظر في أمور الجند المأجورة، وفي القضايا الخاصة بالأرزاق.
أنظر: عادل عبد الحافظ، المرجع السابق، ص 359.

[2]Setton, op.Cit. Vol2.P452.

[3] عادل عبد الحافظ، المرجع السابق، ص304. Setton, op.cit. vol2. p454.

[4]غروسيه، المرجع السابق، ص73. زكار، المرجع السابق، ج39، ص47.

[5] زكار، نفسه، ص47.

[6] زكار، المرجع السابق، ص48.

[7] مرسي الشيخ، عصر الحروب الصليبية في الشرق، دن، الاسكندرية، 2004، ص489؛ ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص140؛ صلاح ضبيع، دور الالمان في الحروب الصليبية في بلاد الشام، المكتب العربي للمعارف، ط1، القاهرة، 2009، ص331.

[8] دمياط: مدينة قديمة تقع بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل، مخصوصة بالهواء الطيب وعمل ثساب الشرب الفائق، وهي ثغر من ثغور الإسلام. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص472.

[9]رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص332.

[10]Setton, op. cit. vol2. p456.

مدينة بيت المقدس في مارس 1229م/ربيع الثاني 626هـ، ووضع التاج فوق رأسه[1]، ولكن الحرمان الذي أنزله غريغوري التاسع به كان قد لحقه حتى إلى القدس، وحرّض ضده بارونات الأرض المقدسة والمنظمات العسكرية، وبذلك عمّ الشجار ما بين أنصار البابا وأنصار الملك في بلاد الشام، فما كان من فريدريك إلاّ أن عاد إلى عكّا في ماي 1229م/جمادى الثانية 626هـ في جو يُنذر بالحرب الأهلية[2]، وغادر الشرق تاركا المشكلة بينه وبين صليبي الشام دون أن يتخذ قرارا حاسما يعيد الوئام فيما بينهم وبين الغرب الأوربي بصفة عامة[3].

وبغض النظر عما يكتبه مؤيدو فريدريك أو معارضوه، فقد ثبت أنه المساوم الأفضل، استطاع بفضل براعته السياسية أن يحقق نصرا عجزت عنه بقية الحملات الصليبية التي وفدت الى بلاد الشرق بعد حطين،مع أن وضع الفرنج في بلاد الشام أصبح أكثر سُوءاً بعد المعاهدة، فانقسام الولاء بين البابا والإمبراطور، ومنع الطوائف الدينية من فرض هيمنتها، وتوقف الدعم البابوي، كل ذلك أدى إلى زعزعة الوُجُود الفرنجي في بلاد الشام، وزاد من الضعف الذي يعاني منه منذ معركة حطين[4].

3-الصراع البابوي الامبراطوري وتأثيره على الوجود الصليبي في بلاد الشام:

شهد الغرب الأوروبي في فترة العصور الوسطى نزاعا حادا بين البابوية من جهة والامبراطورية من جهة أخرى خاصة خلال الفترة الممتدة من سنة 1057م/456هـ إلى غاية 1250م/648هـ، حيث كان جوهر الصراع هو البحث عن الزعامة والسمو بين السلطتين الدينية والعلمانية، وأيهما أسمى من الآخر البابا أم الامبراطور؟ [5]، فالبابوية تريد من الامبراطورية أن تكون قوية وقادرة على حمايتها ولكنها أضعف منها، أما الامبراطور فيريد من البابوية أن تكون بجانبه وتحت سيطرته[6] ، و قد تطور هذا الصراع بشكل ملفت بداية من القرن 13م / 7 ه ، وأخذ أبعادا خطيرة وكانت له تأثيرات سلبية على الوجود الصلبي في بلاد الشام.

ساهمت الظروف السياسية التي سادت أوروبا في تحقيق السمو البابوي ، حتى أصبحت البابوية اليد العليا في أوروبا خلال العقد الأول من القرن 13م /7 ه ، ولا نستثني من ذلك فقط إلاّ الملك فليب اوغسطس الملك القوي لفرنسا، وإن كان الرجل قد آثر عدم الدخول في مواجهة

[1] ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص143.
[2] غروسيه، المرجع السابق، ص74.
Stevenson, op.cit. vol2.315.
[3] ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص144. زكار، المرجع السابق، ص49.
[4] منذر الحايك، المرجع السابق، ج2، ص315. Setton, op. Cit. Vol2. P462.
[5] ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص119.
[6] أشرف صالح، الحقبة الهوهنشتاوفنية في الإمبراطورية الرومانية المقدسة، دورية كان الالكترونية، السنة الثانية، العدد الثالث، 2009، ص89.

مع البابوية، كما لم تكن شخصية الامبراطور الألماني فريدريك الثاني، قد ظهرت على المسرح السياسي آنذاك، وهكذا خلت الساحة للبابوية - البابا أنسونت الثالث- بأن تفعل ما يحلو لها مع ممثلي السلطة الزمنية في أوروبا، وأن تندفع بكل قوتها لتحرك أوروبا من جديد في حملة صليبية تحقق لها الجزء الباقي من حلمها الكبير في السيادة العالمية[1].

حتى أن الدعوة للحروب الصليبية اعتبرت انها تندرج في إطار الصراع البابوي الامبراطوري، حيث أرادت البابوية من وراء تبني المشروع الصليبي ترسيخ مكانتها في مواجهة ادعاءات الأباطرة الالمان، وزيادة نفوذها وهيبتها على حساب الإمبراطورية، عن طريق توليها زعامة العالم المسيحي في صراعه الطويل ضد المسلمين، فلقد كان في الواقع صراعا بين إيديولوجيتين مختلفتين يصعب إيجاد توافق بينهما لبحث كل واحد منهما عن الزعامة والهيمنة[2].

وكان بطل هذا النزاع في القرن 13م/7 ه هو الامبراطور الألماني فريدريك الثاني، الذي ساعدته البابوية في الحصول على حقه في العرش والقضاء على خصومه، دون أن تدري أن هذا الامبراطور سيكون أخطر خصومها في القريب العاجل[3]، ذلك أن فريدريك لم يكد أن يحكم سيطرته على ألمانيا حتى تطلع الى إعادة إيطاليا وصقليه الى حكم الإمبراطورية، وهذا ما جعل مركز حكم البابوية بين شقي الرحى من جديد، ما جعل البابوية تنظر الى ذلك بشيء من الريبة والخوف لما سيكون عليه الأمر مستقبلا[4].

وكان فريدريك الثاني قد وعد البابا أنوسنت الثالث سنة 1215م/612هـ بالقيام بحملة عسكرية لدعم الامارات الصلبية ببلاد الشام، كما وعده بفصل صقلية عن الإمبراطورية[5]، ولكنه أخذ يماطل في القيام بالحملة التي وعد بها، ويبدو أنه لم يكن جادا في مشروعه الصليبي في الوقت الذي كانت فيه البابوية تتوق لإرسال حملة صليبية على وجه السرعة لتعويض هزيمة الحملة الخامسة ونتائجها[6]، اذ أن البابوية كانت تستخدم الفكرة الصليبية كسلاح فتاك ترهب به خصومها أصحاب السلطة الزمنية، وتلوح لهم به لقاء مساندة عروشهم[7]، إلاّ أن جهودها لم تأتي بنتيجة وكانت تجربة قاسية في الحملة الصلبية الرابعة والخامسة، وقد تميزت هذه المرحلة

[1] رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص112.
[2] حيدر اليساري، عباس الزهاوي، الصراع بين البابوية والامبراطورية الألمانية في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وأثره في الحركة الصليبية، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد139، 1443-2021م، ص175.
[3] ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص120.
[4] عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج1، ص ص350، 352.
[5] Stevenson, op.cit.307.
[6] عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج1، ص352-353.
[7] رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص113.

بالطابع الفردي للحملات الصليبية، فلم تعد أوروبا تخرج عن بكرة أبيها بملوكها وأمراءها وأقنانها، إنما اقتصرت الحرب على ملك بعينه، يقود جيشه، باتجاه الشرق قاصدا بلاد الشام أو مصر التي أصبحت هدف الحروب الصلبية في القرن الثالث عشر[1].

كان فريدريك رافضا منذ البداية لفكرة الحرب الصليبية ، غير مؤمن بأسبابها، وغير مقتنع بجدواها، خاصة وأن نشأته كانت في صقلية ، ووقف على منجزات الحضارة الإسلامية المتميزة التي خلفها المسلمون هناك[2]، كما كانت تسيطر عليه فكرة قيادة العالم المسيحي بأجمعه ورفع شأن الإمبراطورية في العالم المسيحي[3] ، فلذلك ظل يماطل في أمر الخروج حاملا الصليب على امتداد خمسة عشر عاما كاملة (1227-1213م/610-624هـ)، رغم ما قدمته له البابوية من إغراءات كتزويجه من يولاند وريثة عرش مملكة بيت المقدس 1225م/622هـ ، لذلك أصدر البابا جريجوري التاسع ضده قرارا بالحرمان الكنسي عام 1227م/624هـ[4]، وقد قام قبل أسابيع من اصدار هذا القرار ، بسلسلة من الانتقادات وجه فيها له العديد من الاتهامات ، مثل القاء اللوم عليه بسبب تأجيل القيام بالحملة ، وتحميله مسؤولية فشل الحملة الصليبية الخامسة على مصر 1221م/ 618هـ [5]، واتهامه بإبقاء الحجاج المسيحيين في سواحل وموانئ المدن الإيطالية تحت حرارة الشمس، مما أدى الى تعرضهم الى الوباء وموت الألاف منهم ستة 1227م/624هـ، كما أنه لم يجهز السفن بالمؤن الكافية لتتمكن من نقل الجيش الصليبي ، وأنه تصنع المرض ، حتى يعود الى قلعته وغيرها من الاتهامات [6] ، وهنا لم يجد فريدريك بدا من الخروج لحملة صليبية تحت قيادته[7].

والجدير بالذكر، أن البابا جريجوري التاسع عندما علم بقرار فردريك السفر إلى بلاد الشام أرسل إليه مندوبين ليطلبا منه عدم القيام بالحملة، لكن فردريك لم يتنازل عن قصده ، فكلما اعترض البابا على رحيله أظهر فردريك عدم صبره على ذلك ، والواقع أن تمسك الإمبراطور فردريك بالذهاب إلى بلاد الشام واصراره على ذلك لم يأت من فراغ، بل بسبب استعانة السلطان الكامل به ضد الأخطار التي واجهته من ناحية أخيه المعظم عيسى حاكم دمشق والخوارزمية الذين هددوا الجبهة الشرقية للدولة الأيوبية[8] ، وهناك من يرى أن ذهاب فريدريك

---

[1] نفسه، ص115.

[2] عاشور، الحركة، ج2، ص237. Setton, op. Cit.vol2. P461

[3] نورمان كانتور، المرجع السابق، ج2، ص370. زابوروف، المرجع السابق، ص249.

[4] رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص120

[5] Stevenson, op.cit.307.

[6] صلاح ضبيع، المرجع السابق، ص296.

[7] عاشور، الحركة، ج2، ص242.

[8] صلاح ضبيع، المرجع السابق، ص301.

الى بلاد الشام لم يكن الغرض منه الدفاع عن الامارات الصلبية ، بل لمحاولة توسيع حدود امبراطوريته والحصول على الشهرة والنفوذ فضلا عن عدم اطاعة أوامر البابوية[1].

عندما قام فريدريك الثاني بالحملة الصليبية السادسة1228م/625هـ، أرسل البابا جريجوري التاسع الى صليبيي الشام رسائلا يحثهم فيها بعدم مساعدة هذا الامبراطور[2]، و تضمنت أيضا قرارا بالحرمان الكنسي، وأمرا موجه للجماعات الرهبانية العسكرية بعدم تقديم المساعدة له[3] ، و اتهمه البابا بسعيه لعقد تحالف مع المسلمين، ويذكر ابن واصل ذلك بقوله :" أن البابا كان يكن كراهية ومقتا شديدا لفريدريك وبنيه، وإن كان قد علل ذلك بميله للمسلمين"[4] ، وقد كتب البابا الى الملك الكامل بأن لا يمنح بيت المقدس الى الامبراطور وأن يستمر في قتاله[5].

والملاحظ أن خوف البابا من نجاح الامبراطور في حملته الصليبية يعني أن البابوية خسرت صراعها وقوتها ومكانتها، وهكذا نجد أن البابوية التي ملأت الدنيا صياحا وعويلا على ضياع بيت المقدس من أيدي الصليبين عام 1187م/583هـ، تعمل على افشال الامبراطور في استرداد تلك المدينة، حتى لا يكسب الرهان ويعد ذلك نصرا له في صراعه ضدها[6] ، ومن الواضح موقف البابوية تجاه الامبراطور فريدريك الثاني وحملته الصليبية، لا يصب في مصلحة الصليبيين في بلاد الشام[7]، بل بالعكس فقد زاد من حدة الصراعات والنزاعات الداخلية في المنطقة.

خلال هذه الفترة عرفت الامارات الصليبية مرحلة خطيرة من الصراعات الداخلية هددت وجودها وكيانها، بين أنصار الإمبراطور وبارونات الشرق الموالين للبابوية، وحاول كل طرف القضاء على الآخر[8]، اذ أنه بوصول خبر الحرمان من الكنيسة الى صليبي بلاد الشام، رفض فرسان جماعتي الداوية والاسبتارية والكثير من رجال الدين التعاون مع الامبراطور، ولم يقف الى جانبه سوى جماعة فرسان التيوتون، باعتبارهم ألمان وأن مقدمهم هيرمان فون سالزا كان صديقه له ومقربا منه [9].

---

[1] مكسيموس مونرود، المصدر السابق، ج1، ص273.

[2]Stevenson, op.cit. vol2.309.

[3] زكار، المرجع السابق، ص42.

[4]ابن واصل، المصدر السابق، ج 4، ص 248-251.

[5] زكار، المرجع السابق، ص43.

[6]عاشور، الحركة، ج2، ص247.

[7] حيدر اليساري، المرجع السابق، ص188.

[8] فوزي رحيل، المرجع السابق، ص145.

[9]حسن عبد الوهاب، الفرسان التيوتون، ص277. Grousset. Op. Cit. Vol3. P320-321.

حاول الامبراطور فريدريك بما توفر لديه من قوات أن يعيد تنظيم صفوفه لمواجهة القوات الإسلامية، ومقاومة سخط الأمراء الصليبيين الذين تخلوا عنه، ولكنه فوجئ بإبحار أعداد كبيرة منهم الى أوروبا خوفا من غضب البابا عليهم إذا ساندوا امبراطورا مطرودا من رحمة الكنيسة[1] ، فلجأ الى العنف فقوبل بعنف أشد منه[2]، ووصل الأمر الى تدبير اغتياله إلاّ أنه منع من الامر[3].

ورغم العراقيل التي حاولت البابوية أن تضعها في وجه الامبراطور ، وتراجع اهتمام السلطان الكامل بالمبادرة الإمبراطورية[4]، إلاّ أن فريدريك الثاني استطاع بفضل مهارته وحذقه من استخدام مواهبه الدبلوماسية، والاستفادة من الصراع في البيت الأيوبي ببلاد الشام، أن يحصل على العديد من التنازلات التي قدمت له من خلال معاهدة يافا سنة 627هـ/ 1229م[5]، حيث تم بمقتضاها الحصول على مدينة القدس وبعض المدن الأخرى من المسلمين[6]، و عقد هدنة لمدة عشر سنوات، و تعهد بصفته ملك لبيت المقدس بالمشاركة في الدفاع عن الملك الكامل ضد أي عدوان خارجي ولو كان من الافرنج، وبمنع أي حملة صليبية من أوروبا طوال فترة العشر سنوات[7].

سرعان ما رفضت هذه الاتفاقية من المسلمين والمسيحيين على السواء، وانتقد الملك الكامل كثيرا بسببها، خاصة في تنازله على بيت المقدس للصليبيين، كما أرسل الامبراطور رسلا الى البابوية لطلب توضيح قرار الحرمان الكنسي، لأنه تمكن من الإيفاء بوعوده في القيام بحملة صليبية واسترجاع البيت المقدس، إلاّ أن البابا جريجوري التاسع رفض ذلك، ولم يعترف بتحالفه مع المسلمين واعتبره" خادمهم"[8].

وهكذا دخل البابوية والامبراطوية في صراع مرير و طويل ، حتى وصل بهم الأمر إلى توجيه حملات عسكرية ضد بعضهما البعض ، لم تقدم شيئا مملموسا لمساعدة الامارات الصليبية ، و الأمثلة على ذلك أن فريدريك الثاني قرر غزو الأراضي البابوية في شهر فيفري عام 1240 م / 637 هـ ، فلم يجد البابا مفرا من إعلان حملة صليبية ضده ، و أرسل مندوبيه الى أنحاء أوروبا كافة للدعوة لذلك ، و استبدل القسم الخاص بالمشاركة في الحملة الصليبية اتجاه الشرق بقسم

[1] حيدر اليساري، المرجع السابق، ص187.
[2] نفسه، ص135.
[3] عاشور، الحركة، ج2، ص254.
[4] ميشال بيلار، المرجع السابق، ص227، زكار، المرجع السابق، ص43.
[5] باركر، المرجع السابق، ص113؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص330.
[6] انظر الملحق رقم : 6.
[7] المرجع نفسه، ص331.

Stevenson, op.cit.312.

[8] حيدر اليساري، المرجع السابق، ص189؛ زكار، المرجع السابق، ص45-46.

Stevenson, op.cit.313.

آخر خاص بحروبه ضد فريديريك و قال : " إن المسيحية في خطر محدث ، الأمر الذي جعل العمل العسكري أمرا لا مفر منه "[1] ، وهذا يشير الى التطور الذي طرأ على مفهوم الحركة الصليبية آنذاك، فبعد الحروب المعلنة ضد المسلمين والهراطقة أصبحت الحملات توجه ضد امبراطور أوروبي لخدمة البابوية، في الوقت الذي كانت فيه الإمارات الصليبية في بلاد الشام بحاجة ماسة للمساعدات الأوروبية[2] .

ويبدو أنه خلال هذه الفترة 13م/7ه، قد استجاب الغرب الأوروبي للدعوة الصليبية، لكنها ليست بنفس الروح و الحماسة التي استجاب لها عند نهاية القرن الحادي عشر و بداية القرن الثاني عشر، و كانت جميع الدلائل و الشواهد تدل على أن عصر البابا أوربان الثاني قد ولى ومضى ، ليفسح المجال أمام أفاق جديدة و عصر مغاير هو عصر النهضة الأوروبية ، و نمو المدن ، و الملكيات ، و ظهور الآراء و المذاهب التي انتقدت الكنيسة و استهدفت الحد من سطوتها ، و كان من الصعب جدا في عصر شهد كهذا أن يظل الناس عبيدا للكنيسة و رجالها ، و أن يستنفدوا كل طاقاتهم و إمكاناتهم في حروب ضد المسلمين أثبتت التجارب عدم جدواها و قلة نفعها.[3]

[1] رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص121-122.
[2] ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 174 – 175.
[3] عاشور، الحركة، ج2، ص 281 – 282.

الفصـــــل الرابع:

دور التنظيمات العسكرية والدينية في العلاقات العسكرية بين الامارات الصليبية

1-الجيوش النظامية للإمارات الصليبية

1-1- أقسام الجيش الصليبي وبنيته

1-2-التحصينات الدفاعية الصليبية في بلاد الشام

1-3-امدادات الغرب الأوربي للإمارات الصليبية

2-التنظيمات العسكرية الدينية الصليبية في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية

2-1- الاسبتاريةThe Hospitallers:

2-2- الداويةThe Knights Templar:

2-3-الفرسان التيوتونTeutonic Order:

3-علاقات الهيئات الدينية مع الامارات الصليبية

3-1- تحول الهيئات الدينية الى النشاط العسكري في بلاد الشام

3-2- دورها العسكري في بلاد الشام

3-3-مظاهر العلاقات بين الهيئات الدينية والامارات الصليبية

3-4-عيوب المؤسسة العسكرية الفرنجية

من الواضح جدا أن الجيوش عبر العصور التاريخية التي انقضت والى غاية يومنا هذا يقع على عاتقها دوما مهمة توفير الأمن والحماية للمجتمع، ويعتبر هذا الأمر انعكاساً لاتجاه عناصر المجتمع صوب الحرب، ولا يمكن استثناء الجيوش الصليبية والاسلامية خلال فترة العصور الوسطى من ذلك.

لقد أظهرت الجيوش الصليبية تقاليدها السياسية والاجتماعية والعرقية الخاصة بها، واحتفظت باحترام تقاليد غير عادية ، وهي التقاليد التي انبثقت من تصوراتهم للحرب خلال فترة الصراع العسكري الذي دار بينها وبين المسلمين لمدة قرنين من الزمان، وإلى حد ما كان هذا نتيجة التوقف التام للتقنية العسكرية ، و يمكن تفسيره أيضاً في ضوء وجود عدد قليل من الجيوش المحترفة والدائمة حتى نهاية القرن الثاني عشر ، إلى جانب بعض التحولات التي كان لها تأثيرا على ذلك ، وفى العادة كانت هذه التحولات استجابة لتغير ظاهري مثل النمط المختلف للأسلحة والتسليح أو أسلوب حرب غير المتوقعة[1].

وقد شهدت بلاد الشام في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس للهجري تدفقًا كبيرًا من العناصر الأوروبية المختلفة التي قدمت عبر أوروبا في طريقها إلى آسيا الصغرى، حيث استغرق الأمر حوالي عامين حتى وصلوا إلى بيت المقدس، هذا التدفق الهائل جلب بين جنباته أفرادًا مجهولين بالنسبة لسكان الشرق، سرعان ما تشكل منهم فريقا رئيسيا هدفه الغزو والاستيطان (الفرنجة)، ليجد نفسه في مواجهة فريقا آخرا، اختار الدفاع عن أرضه ومقدساته (المسلمون)، وبين هذا وذاك ظهرت صورة الفنون الحربية لكل منهما ببلاد الشام[2].

وفي حقيقة الأمر فإن الدويلات اللاتينية التي كانت تحت سيطرة الفرنجة في القرن الثاني عشر، استخدمت الحرب كوسيلة لتعزيز بقاءها والحفاظ على وجودها في المشرق، فكانت المواجهة العسكرية جزءًا لا يتجزأ من الحياة اليومية في بلاد الشام، كما كانت وسائل القتال المتاحة للفرنجة أنذاك ترتبط بالتصورات السياسية والعلاقات الأسرية والاقتصادية داخل تلك المجتمعات الإقطاعية[3].

لقد كانت الحروب الصليبية في البداية تحمل طابعا هجوميا، لكن بعد تزايد قوة الجيوش الإسلامية في المنطقة وتطور أساليبها، اضطر الصليبيون للتراجع ، واتباع استراتيجية الحرب الدفاعية[4]، لأنهم كانوا يخشون الهزيمة، اذ كانت تعتبر بالنسبة اليهم النهاية و الاستسلام ، وهذا ما حدث بعد معركة حطين سنة 583هـ/ 1187م- خاصة في ظل حقيقة مفادها أن الدعم والامداد الذي كان يأتي من الغرب، لا يمكن أن يكون بديلا عن أي خسارة بشرية في صفوف الجيش الصليبي ، على خلاف الجيوش

[1] يوشع براور، الاستيطان الصليبي في فلسطين، تر: عبد الحافظ البنا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، 2001، ص388.
[2] الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد، دار المعارف، القاهرة، 1979م، ص 149.
[3] ريلي سميث، المرجع السابق، ص 24.
[4] ماير، المرجع السابق، ص 298.

الإسلامية التي كانت تعتمد على خزان بشري هائل، يمكنهم في حالة الهزيمة من العودة الى قواعدهم، وإعادة ترتيب صفوفهم واستكمال أعمالهم العسكرية[1].

المبحث الأول: الجيوش النظامية للإمارات الصليبية

شهدت الجيوش النظامية الصليبية أعداد كبيرة من المقاتلين الذين سعوا بكل ما يملكون لتنفيذ مخططاتهم واستعادة الأراضي المقدسة في بلاد الشام، وقد كانت قوتهم تتفاوت من حملة إلى أخرى حسب الأهداف المسطرة والخطط العسكرية، اذ من الصعب جدا الوقوف على عدد دقيق لتلك الجيوش ، بسبب تباين الإحصاءات المتاحة في المصادر التاريخية، ومع ذلك يُعتقد أن عدد المقاتلين في الحملة الأولى سنة 1096م/489 هـ بلغ حوالي مائة ألف مقاتل (100,000مقاتل)، وفي الحملة الثانية سنة 1148م-543هـ ، مائتي ألف مقاتل (200,000 مقاتل)، أما في الحملة الثالثة سنة 1189-1192 م/585-587هـ، فقد تجاوز عددهم مائة ألف مقاتل (100,000 مقاتل)[2].

يتضح عند استقراء هذه الأرقام، أنها تقديرات نسبية فقط وليست مطلقة، وقد تختلف من مصدر إلى آخر، تبعا لعدة عوامل منها الزمان والمكان، والظروف المصاحبة لكل حملة وقادتها، بالإضافة أيضًا إلى المرافقين لكل جيش من الجيوش من أشباه العسكريين كالأطباء والممرضين و قوات الاسناد فضلا عن رجال الدين و التجار والمدنيين، و يجب أن نذكر أيضا أن تلك الجيوش واجهت العديد من التحديات والصعوبات في طريقها إلى الشرق، كالتضاريس الجغرافية الصعبة ونقص الموارد والصراعات الداخلية، والأمراض و الأوبئة ، والظروف المناخية القاسية ، مما أثر سلبا على أعدادها [3].

يظل حجم الجيش ومدى تنظيمه وقدرته على مواجهة الظروف والتحديات عنصرًا مهمًا في استمرار وبقاء الصليبيين في الشرق والحفاظ على مكتسباتهم التي تم تحقيقها منذ تنفيذ الحملة الأولى.

1-أقسام الجيش الصليبي وبنيته:

كانت الجيوش التي ينظمها حكام أوروبا الغربية خلال القرن الثاني عشر، تقوم على الخدمة المفروضة على أصحاب الاقطاع من الطبقة العسكرية، أما في حالات

[1] عامر عادل ونوس، الإدارة والقضاء والجيش في مملكة بيت المقدس الصليبية 492-583هـ/1099-1187م، ماجستير، جامعة تشرين، سوريا، 2018، ص 128.
[2] رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص503.
[3] Alan TAMI, L'art la guerre au temps des croisades (491/1098-589/1193), Thèse de doctorat, Université Bordeaux, France, 2012, p319.

الطوارئ فتقوم على إلتزام شعبي قديم يتعهد فيه كل رجل حر بالخدمة العسكرية عندما تدعو الحاجة الى ذلك، وقد تم في بلاد الشام أيضا إضافة المتطوعة من جماعات الحجيج والفرق الرهبانية الفرسانية العسكرية التي كانت هيمنتها تتزايد يوما بعد يوم[1].

ومع ذلك لا بد من الإشارة إلى أن الجيوش الصليبية التي قدمت إلى الشرق الإسلامي لم تكن هي ذاتها الجيوش التي برزت خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، والتي أرهقت الجيوش الاسلامية من الأيوبيين والمماليك عبر قرنين من الزمان، وهنا يجدر بنا العودة إلى تلك الظروف التي تشكلت فيها جيوش الحملة الصليبية الأولى.

عندما ألقى البابا أوربان الثاني خطابه في كليرمون في 18 نوفمبر 1095م/ 23ذو القعدة 488 ه ، قام بتكليف رجال الكنيسة والرهبان الكلونيين[2] بالترويج لهذه الدعوة قصد تجنيد أكبر عدد من الفرسان والأمراء البارزين، وفي هذه الأثناء كان الفرسان عاكفين على تدبير المواد اللازمة لرحيلهم في الموعد الذي أتفق عليه في كليرمون، ومن قلاع السادة الإقطاعيين تسربت الأنباء إلى الفلاحين الذين أهاجهم ما نقل إليهم من كلام البابا محملاً بالمبالغات المعهودة والتفسيرات العاطفية التي صاحبت رغبة الفلاحين من ربقة الاحباط والجزع[3].

وبعد نجاح الدعوة للقيام بحملة مقدسة، تزعم بطرس الناسك جيشاً من الفرسان والمشاة ترافقهم أعداد كبيرة من الرجال والنساء والأطفال، مصحوبة بعربات من العتاد والمؤن والأموال التي تم جمعها من أثرياء أوروبا، وقد ضم هذا الجيش عدد من المقاتلين والمئات من المجرمين وقطاع الطرق والفلاحين والفقراء من أهل المدن فضلاً عن عدد صغير من الفرسان[4]، وحين وصلوا إلى القسطنطينية عاثوا فيها نهبا وفساداً، ووجد الامبراطور نفسه مضطراً لنقلهم عبر المضائق إلى آسيا[5].

ومن الملاحظ أيضا في إطار الجغرافية السياسية لمنطقة بلاد الشام أن تركيبة المجتمع ونمط السيادة كانت من العوامل الأساسية التي ساهمت في تشكيل بنية الجيوش

---

[1] ريلي سميث، المرجع السابق، ص 149-150.

[2] الرهبان الكولونيون: ينتسبون الى حركة الإصلاح الديري المعروفة بالكولونية، التي ظهرت في دير كلوني في برجنديا شمال فرنسا، لتمثل الطور الثاني من أطوار الديرية الاوربية في العصور الوسطى، تهدف الى تشديد الرقابة على المقيمين في الدير ووضع حد للتهاون في الأديرة وتوحيد النظام في جميع الأديرة التابعة للنظام الجديد مع تحديد وتوزيع أعباء الحياة الديرية على المقيمين في الدير.
أنظر: عاشور، اوروبا العصور الوسطى، ج1، ص30-31؛ كانتور، المرجع السابق، ج1، ص303-306.

[3] قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، الكويت، 1990، ص94.

[4] المرجع نفسه، ص 96-97.

[5] شعبان خلف، المرجع السابق، ص98-99.

الصليبية، إذ أن البناء الاجتماعي يفترض وجود طبقة وراثية من المحاربين فيما مايعرف باسم الفرسان النبلاء ، أما نمط السيادة الصليبية فتتطلب القيام بعمل مزدوج يجمع بين التوسع الجغرافي و الدفاع، وقد كانت التحصينات والقلاع و الجيش المتحرك والزاحف من الوسائل اللازمة لتنفيذ هذه المهمة ، كما أن التقاليد الاثنية (العرقية) ساهمت بشكل كبير في احداث تغييرات عملية في الأساليب والخطط العسكرية خلال فترة الصراع ، وقد وجدت هذه التغييرات استجابة قوية لدى الصليبيين[1] ، وقد ساعدهم في هذه المهمة مجموعة من الجنود ومن أبرزهم:

أ- **الفرسان**:

كان الفرسان يمثلون العنصر الأساسي والأكثر فاعلية في الجيوش الصليبية، حيث شكلوا العمود الفقري لهذه الحروب وربما كان لهم دور كبير في اندلاعها نتيجة لتوسع النزاعات بينهم. قليل من هؤلاء الفرسان كانوا يدافعون عن ممتلكاتهم، بينما كان معظمهم يسعون للاستيلاء على أراضٍ جديدة، خاصة في ظل النظام الإقطاعي الذي يمنح الابن الأكبر كل ممتلكات الأب، مما يترك باقي الإخوة دون أي نصيب[2]. كان من أهداف الحروب الصليبية أيضا تخليص المجتمع الأوروبي من هذه الحروب الداخلية التي كان يشنها الفرسان، الذين امتدت أيديهم إلى كل شيء، بما في ذلك الأموال والأملاك التابعة للكنيسة[3]. ورغم هذا الدور البارز، كان عددهم في الجيوش الصليبية محدودًا بسبب التكلفة العالية لتجهيزاتهم[4]، حيث كان ثمن حصان الحرب يعادل قيمة 24 ثورًا تقريبًا. وكان الفارس يتمتع بميزة إضافية بفضل حصانه الذي يتيح له حمل أسلحة متنوعة، ويمنحه سرعة وقدرة على الاختراق في ساحة المعركة[5].

كان تدريب الفرسان يتم على خيول مخصصة، حيث يُعزل الجواد عن بقية الحيوانات ويتلقى تدريبًا خاصًا ليتحمل الفارس مع معداته الثقيلة. كما كانت هناك خيول إضافية لنقل الفارس إلى ساحة المعركة[6]، لكن في النهاية كان الفارس ملزمًا

[1] يوشع براور، المرجع السابق، ص 388.
[2] عاشور، اوروبا العصور الوسطى، ج2، ص49.
[3] توماس ماتزناك، السلام الصليبي، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ص18؛ قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، ص76.
[4] موريس بيشوب، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، تر: علي السيد علي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2005م، ص95.
[5] جوزيف داهموس، سبع معارك فاصلة في القرون الوسطى، تر: محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، د.ت. ص12-13
[6] المرجع نفسه، ص12-13.

بأن يركب حصان الحرب أثناء القتال. كما يصف أبي شامة الفارس قائلاً: "مادام فرسه سالمًا، فإنه لا يهزم بسهولة، فهو يرتدي درعه من رأسه إلى قدميه كأنه قطعة حديد، وضربه ورميه لا يفيدان، لكن إذا هلك فرسه، فقد خسر كل شيء"[1].

فيما يتعلق بالمكانة الاجتماعية، كان الفروسية تمثل تميزًا اجتماعيًا واضحًا في أواخر القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر، حيث أصبح الجنود من الخيالة المدرعين (milites) يشكلون طبقة اجتماعية نبيلة[2]، وكان قبول الفتى في هذه الطبقة يتوقف على بلوغه سنًا معينة تؤهله لحمل السلاح. كان الفتى لا يصبح فارسًا إلا إذا كان والده من أسرة نبيلة تنحدر من سلالة الفرسان بالوراثة. بالإضافة إلى ذلك، شهدت تلك الفترة تطورًا في المعدات العسكرية، حيث أصبحت الدروع والخوذات أكثر دقة وفاعلية، مما جعلها أكثر تكلفة ووزنًا، وبالتالي أصبح الفارس بحاجة إلى تجهيزات أكثر قوة لحمايته في المعركة[3].

ب- السرجندارية:

فرقة من الفرسان خفيفة التسليح يطلق عليهم إسم: المساعدين (sergeants)، تنحصر مهمتهم في تقديم المساعدة والدعم لسلاح الفرسان الثقيلة بالقتال أمامهم[4] ، قدر عددهم في مملكة بيت المقدس فقط حوالي خمسة ألاف شخص[5] ، يتألف سلاحهم من الرمح والقوس والنشاب، ويرتدون الزرديات أو اللباد (القماش المبطن) أو الجلود السميكة والخوذة لتحميهم من ضربات العدو[6].

انحصرت مهمة السرجندارية في الدفاع عن الفرسان، اذ كانوا قادرين بتراصهم وبأسلحتهم إبقاء خيالة العدو بعيدا عنهم، ومما يذكر أن تشكيلتهم وأسلحتهم ومهامهم في الحرب بقيت على هذا النحو طوال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[7]، اذ كانوا وفقا لترتيب قتال الفرنجة في الميدان، يدعمون سلاح الفرسان الثقيلة بالقتال أمامهم[8]، وقد أكد ابن شداد ذلك في معرض حديثه عن الجنود المشاة في الجيش الصليبي بإحدى المعارك، في قوله:

[1] ابي شامة، االمصدر السابق، مج2، ص78.
[2] موريس بيشوب، المرجع السابق، ص85.
[3] ريلي سميث، المرجع السابق، ص 173-174.
[4] منذر الحايك، المرجع السابق، ج2، ص 135.
[5] الحويري، المرجع السابق، ص159.
[6] عامر عادل، المرجع السابق، ص 135.
[7] سميث، المرجع السابق، ص190.
[8] منذر الحايك، المرجع السابق، ج2، ص212.

"وكان عسكر العدو المخذول قد ترتب فكانت الرجالة حوله كالسور (أي حول الفرسان) وعليهم الكبورة الثخينة، والزرديات السابغة المحكمة، بحيث يقع فيهم النشاب ولا يتأثرون، هذا والخيالة في وسطهم لا يخرجون عن الرجالة الا في وقت الحملة لا غير" [1]، وهذا ما يؤكد القدرة الدفاعية التي تتمتع بها السرجندارية لدرجة أن السهام لم تكن تؤثر فيهم.

لم يقتصر دور السرجندارية على المشاركة في المعارك والحروب فقط، بل لعبوا دورًا هامًا في الحفاظ على الأمن الداخلي للممالك والإمارات الصليبية، ينظمون دوريات ليلية للحفاظ على النظام العام والحد من تصرفات المجرمين الذين يسعون للتلاعب بالممتلكات العامة وزعزعة الاستقرار في المدن، وبالإضافة إلى ذلك، يقومون بتنظيم حركة الأسواق والتجارة لضمان الانسيابية والنظام في التعاملات التجارية[2].

ج- التركبولي:

هم خليط من نصارى الشرق وأسرى المسلمين، وهم فرقة من الرماة يرتدون زي الفارس المسلم، ويعملون كوحدة استطلاعية في الجيش الصليبي [3]، يمتهنون إلقاء السهام أثناء التحرك[4]، وقيل إنهم كانوا يستخدمون بشكل خاص للقيام بمهام الاستطلاع[5]،يتمتعون بفعالية عالية في المناورة السريعة وفي عملية الانقضاض المفاجئ خاصة في المناطق ذات المرتفعات[6].

لم تكن هذه القوات تحارب بشكل مباشر في المعارك، بل كانت عبارة عن وحدات احتياطية مساعدة، مهمتها الأساسية دفع الهجمات المفاجئة التي يشنها خيالة المسلمين، ومنعهم من الإستفادة من ميزة استخدام القوس والسهم الذي برعوا فيه[7]، لذلك كانوا يشكلون القوة الداعمة للجيوش الفرنجية[8].

وهناك من الأراء التي تفيد أن هذه الفرقة هي مزيجًا من الأقليات مثل الأرمن والإغريق، ويفسر الاسم الذي يطلق عليهم "تروكوبول" على أنهم خليط من أبناء

[1]ابن شداد، المصدر السابق، ص 269-270.
[2] عامر عادل، المرجع السابق، ص 136.
[3]ربيعي، عبد الله بن عبد الرحمن، مستقبل الصراع على فلسطين في ضوء مقارنة بين الإستعمارين الصليبي والاسرائيلي، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة،2002، ص 66.
[4]باركر، المرجع السابق، ص58.
[5]ريلي سميث، المرجع السابق، ص 181.
[6]زكارسهيل، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية اوروبا العصور الوسطى، الموسوعة الشامية، دمشق، 1995م/1416هـ، ج3، ص336.
[7]أبو شامة، الروضتين، ج2، ص 144؛ يوشع براور، عالم الصليبيين، ص173.
[8]كاهن، المرجع السابق، ص222.

الأتراك حصرياً، أو من السريان والمسلمين[1]، إلا أن المستشرق كلود كاهن[2] يفند تلك الآراء ويقول: "لا يبدو أن ذلك صحيحاً، ويرجح أن الجيش البيزنطي في القرنين الحادي عشر والثاني عشر استخدم التروكوبولوا أو الفرانكوبولوا على نطاق واسع ويتعلق الأمر فيما يبدو بأتراك تحولوا للمسيحية، وبفرنجة مرتزقة تزوجوا بيونانيات"، ولهذه ستكون هذه الفرقة شبيهة بفرقة الجاسمود اللاتينية في القسطنطينية، وهم من أبناء الزيجات المختلطة بين اللاتين واليونانيات.

ويبدو أن التروكبول كان منهم أيضا فئة من الخيالة المدرعة في الشرق اللاتيني، وقد وصفهم وليم الصوري بهذه العبارة بالذات، يجندون لتكملة أعداد الفرسان الفرنجة، ويشكلون جزءا طبيعيا من الجيوش التي تطبق أساليب التكتيك الغربية المعدلة وفق متطلبات العصر، وكان منهم من يقاتل على الخيل.[3]

د- القوات المستأجرة (المرتزقة):

يقصد بالمرتزقة أصحاب الأجور والرواتب الموظفة الذين يأخذون أرزاقهم من الدولة التي جنّدوا لها وجردوا لها سلاحهم [4] ، يتم استئجارهم للخدمة العسكرية مشاة أو فرسانا ، يجندون من ببين جموع الحجاج الذين جاؤوا من أروبا لتأدية الشعائر الخاصة بالحج أو من قوميات مختلفة كالأرمن و الموارنة أو جنسيات أروبية ، ويفضلون البقاء في الممالك والامارات الصليبية ، يتلقون رواتب مما يتم تحصيله من أموال الاقطاعات نظرا لاحتياجاتهم المادية [5]، ذلك أن عملية كسب الرزق أصبحت أمراً عسيراً خاصة في القرن الثالث عشر الميلادي ، مما تحتم على الكثير من سكان بعض المدن البحرية مثل عكا وصور ابداء رغبتهم في الالتحاق بالخدمة العسكرية[6].

جند ملوك أروبا الصليبين فرقا من المرتزقة في جيوشهم أثناء حملاتهم الصليبية ، ودأبت البابوية والممالك والمدن الأروبية على اكتراء جموع من المرتزقة الغربيين وارسالهم الى الأراضي المقدسة ، وتكفلت تلك القوى بأجور نقلهم واعاشتهم ودفع رواتبهم و نفقاتهم ، انطلاقا من الموارد المالية المتوفرة، وخير مثال على ذلك ما فعله

[1]باركر، المرجع السابق، ص58، ربيعي، عبد الله بن عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 66
[2]كاهن، المرجع السابق، ص222.
[3]ريلي سميث، المرجع السابق، ص180-181.
[4]الخوارزمي، ناصر ابن عبد السيد أبي المكارم، المغرب في ترتيب المعرب، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، د.ت، ص 188، الفيومي، أحمد بن محمد ابن علي الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، د.ت، ج1، ص225

[5]نعيمة الساحلي، المرجع السابق، ص 332.
[6]باركر، المرجع السابق، ص65

الملك الإنجليزي هنري الثاني، و الملكان الفرنسيان فيليب الثاني ولويس التاسع، ففي مجمع ليون الثاني 1274م/673هـ كان من المستحيل أن يقوم سادة أوربا بتحديد رواتب الفرسان المحاربين في المناطق الصليبية في بلاد الشام وفلسطين وتدوين هذه الحصص في جداول الرواتب الخاصة بهؤلاء السادة الأوربيين، وكان من الطبيعي أن تعتمد عملية تزويد الجيش الصليبي بالمقاتلين على المنح المالية المؤقتة التي كانت تأتي من الخارج والتي لم تكن عملية مرضية على الاطلاق، بيد أن بعض الأموال التي كانت ترد إلى المملكة الصليبية من البابوية - والتي كانت تجبى باستمرار من الحكام الأوربيين المسيحيين كانت هي الأخرى تعتمد بقدر او باخر على الدخل الثابت للبابوية من الموارد الخارجية[1].

2- التحصينات الدفاعية الصليبية في بلاد الشام:

واجه الفرنجة منذ بداية تأسيس مملكتهم في بلاد الشام مشكلة تثبيت وجودهم على الأرض وحماية أنفسهم من أي هجوم إسلامي، ولما كان عدد الذين مكثوا في فلسطين قليلاً بسبب عودة معظمهم إلى أوروبا، فقد ترتب على هذا الأمر البحث عن وسائل أخرى للدفاع والحماية، وحتى يتم ذلك كان لابد من اقامة شبكة متنوعة من التحصينات لحماية المملكة والدويلات اللاتينية[2]، ولهذا الغرض أنشأ الفرنج لحظة وصولهم العديد من القلاع والحصون المنيعة في كافة أنحاء بلاد الشام[3].

كانت السيادة الفعالة على مقاطعة ما ترتكز على حيازة المدن المسورة والقلاع المحصنة الموجودة فوق أراضيها، ويستطيع الغازي أن يسيطر على منطقة ما طالما قام باحتلالها بجيشه لكن سيطرته تنتهي بانسحاب قواته إذا لم يتخذ لنفسه مكاناً حصيناً، وكان الهدف الأول لكل غاز يرغب في إلحاق أرض بممتلكاته، هو الاستيلاء على نقاطها الحصينة[4]، وهذا ما فعله الفرنج حينما احتلوا بلاد الشام، اذ اتبعوا خطة إقامة خطوط دفاعية حول المناطق التي سيطروا عليها لتعترض طريق المسلمين والتصدي لأي محاولة من جانبهم للهجوم عليهم[5].

كان عنصر القوة العسكرية هو الأساس الذي استندت إليه الامارات الفرنجية في بلاد الشام، وكانت إحدى مظاهر التعبير عن تلك القوة هي السيطرة على الأرض وبناء

---

[1] يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص389-390؛ محمد عبد الله المقدم، المرتزقة في مصر والشام زمن الحروب الصليبية، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية، جامعة تعز، اليمن، العدد 2، مارس 2018، ، ص132.

[2] داهموس، المرجع السابق، ص116.

[3] البير شاوندر، المرجع السابق، ص50.

[4] ريلي سميث، المرجع السابق، ص55-56.

[5] فولفغانغ، المرجع السابق، ص10.

القلاع والحصون عليها، ثم الشروع في حملات واسعة لجعل ضد الهجمات الإسلامية المتواصلة[1].

لم يكن للفرنج خطة واضحة ومسبقة لبناء القلاع، بل اعتمدت على الظروف المستجدة وتطورات الأوضاع العسكرية وبالتالي فقد كان بناؤها لمواجهة المستجدات العسكرية الطارئة[2] ، فبعد تأسيس الممالك والإمارات الفرنجية، بدأوا في التوسع والسيطرة على الأراضي المحيطة بهم، وأقاموا عددا لا بأس به من القلاع والحصون توزعت في الجبال والسهول والمنخفضات والسواحل، و يمكن ربط بناء تلك التحصينات بأهداف مختلفة تتعدى الجانب العسكري، حيث تشمل كذلك الجوانب الاقتصادية والإدارية، وإن كان الهدف النهائي هو تثبيت الوجود والاستمرار الصليبي في بلاد الشام[3].

استخدمت التحصينات العسكرية كنقاط للحراسة والمراقبة أمام التهديد الإسلامي والمتمثل في إمارة دمشق من جهة الشمال ومن الفاطميين من جهة الجنوب ، بهدف منع التنسيق والتواصل بين الطرفين، خاصة إذا علمنا ان مملكة الفرنج جوبهت بمقاومة عنيفة من هذه الأطراف ليس فقط في بيت المقدس بل في معظم أنحاء الشام مما اضطرهم إلى بناء هذه القلاع والحصون والمدن المسورة في سبيل المحافظة على ما استولوا عليه[4]، وخشية أن يسترده أصحابه الأصليون، و قد مكنتهم هذه القلاع من وضع خصومهم تحت رقابتهم المستمرة على طول الشريط الذي تمتد عليه الدويلات الفرنجية من أعالي الفرات شمالاً حتى البحر الأحمر جنوبا[5].

لقد ساعدت هذه القلاع في نفس الوقت على تسهيل سيطرة الفرنج على المناطق التي لم يتم الاستيلاء عليها في الحملة الأولى، وجاء بناؤها لتوفير الأمن والحماية لإماراتهم الناشئة من أجل ضمان أنفسهم وممتلكاتهم من المقاومة الإسلامية و حماية القادة من العدو القريب[6]، ذلك أن ممالك الفرنج بحدودها الممتدة على خط طولي يتراوح ما بين 400-500كم من الشمال الى الجنوب وعرض يتراوح ما بين 50-70كم، كانت معرضة دوما للهجوم من جانب القوى الإسلامية المحاذية لها شرقاً وخاصة حلب ودمشق وحمص ذات القلاع القوية[7] ، وهو مايتطابق مع النظرية

[1] طالب عبد الفتاح الصوافي، القلاع في شمال فلسطين في فترة الصراع الفرنجي الإسلامي، ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن،1997، ص83.
[2] يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص339.
[3] طالب عبد الفتاح الصوافي، المرجع السابق، ص83.
[4] زكي عبد الرحمن، القلاع في الحروب الصليبية، المجلة التاريخية المصرية، المجلد 15، العدد 15، القاهرة، 1969، ص53.
[5] مولر فولفغانغ، المرجع السابق، ص 16.
[6] زابوروف، المرجع السابق، ص129.
[7] فولفغانغ مولر، المرجع السابق، ص9.

العسكرية التي تشترط في اقتحام أي منطقة في أوقات الحرب احتلال قلاعها والسيطرة عليها[1]، وقد رأينا أن الفرنج لم يتمكنوا من احتلال العديد من القلاع التي تقع في المدن الإسلامية والمحاذية للشريط الساحلي، ولهذا السبب فقد عوض الفرنج عن ذلك ببناء المزيد من القلاع المقابلة لها على الساحل.

لقد كانت تلك القلاع أيضا قواعدا هجومية لتنفيذ العمليات العسكرية، بحيث كانت مصممة لتكون مرتكزاً للقوات الفرنجية التي تحاصر المدن الحصينة، وخطوطا لانطلاق الحملات والغارات السريعة في عمق الأراضي العربية[2]، وقد وصف القاضي الفاضل أساليب الفرنج القتالية وحاجتهم لبناء القلاع بقوله: «وعلم أن الفرنج قد تسللوا لوادا، وتعللوا بالحصون احتجازاً ولياذاً، وأنهم لا يقاتلون إلا في قرى محصنة، لا يقاتلون إلا على نجاة متيقنة"[3].

وبهدف وضع موطئ قدم على الساحل الشامي، كان على الفرنج أن يحتفظوا بسيادتهم على البحر، كوسيلة لاستمرار صلاتهم مع أوروبا، لامدادهم بالرجال والعتاد والمؤن، وكان عليهم إقامة التحصينات الساحلية لكي ينطلقوا منها في تنفيذ عملياتهم ضد المسلمين، ولهذا قاموا بتحصين مدن صور وصيدا وعكا ويافا وغيرها عن طريق إنشاء الأبراج لاستخدامها في مراقبة الساحل وحمايته، كما قاموا في الوقت نفسه بإنشاء العديد من القلاع الأخرى[4].

ونظراً لافتقار هذه الإمارات للعنصر البشري الكافي للدفاع عنها فقد أصبحت الحاجة ملحة لإقامة التحصينات للاحتفاظ بما تم الاستيلاء عليه من أراض، ذلك لأن معظم الجيش الفرنجي الذي شارك في احتلال فلسطين قد عاد أدراجه إلى أوروبا، لاعتقادهم أن الهدف من الحملة انتهى بمجرد احتلال القدس[5]، ولهذا فقد أصبحت المملكة تعاني من نقص شديد في عدد المحاربين للدفاع عما حققوه من إنجازات[6]، ولم يكن هناك من طريقة سوى مضاعفة الجهود لبناء شبكة من الحصون والقلاع في معظم أنحاء بلاد الشام وخاصة الجهات الغربية منها ، كوسيلة للتعويض عن النقص في العناصر البشرية العسكرية، ويشير وليم الصوري إلى ذلك بقوله: "ورأينا أننا إن أقمنا قلاعاً، وجهزناها بمزيد من الجند الذين نجمعهم من شتى أرجاء تلك النواحي أكثر

[1] طالب الصوافي، المرجع السابق، ص84.
[2] الصوري، المصدر السابق، ج3، ص131؛ مولر، المرجع السابق، ص 86.
[3] أبو شامة، الروضتين، ج2، ص28.
[4] زكي عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 54.
[5] طالب عبد الفتاح، المرجع السابق، ص 85.
[6] زكي عبد الرحمن، االمرجع السابق، ص54.

استعداداً لصد هجمات الأعداء"[1] ، وعلى صعيد آخر، لما كان الفرنج قد جاؤوا من أوروبا ذات النظام الاقطاعي ، فقد رأوا أنه باستطاعتهم ان يطبقوا هذا النظام في الشرق عن طريق تشييد المزيد من القلاع والحصون[2].

لقد اعتبرت القلاع الملجأ الآمن للسكان الفرنج الذين وصلوا قبل الحملة الثانية خاصة المستوطنين منهم ، وقد تطلب هذا الأمر بناء العديد منها بغرض استيعاب هذه الفئات ، وقد ساعد ذلك على فرض السيطرة وزيادة النفوذ على المناطق المتاخمة لها[3] ،كما مارست القلاع دورا دينيا يتمثل في حماية الحجيج الوافدين الى الأراضي المقدسة بسبب تعرض الطريق الواصل ما بين المناطق الساحلية وبيت المقدس الى الهجمات على الدوام، ولهذا بم بناء بعض القلاع لحراسة الطريق وتأمين وصولهم الى أماكن العبادة في القدس وبيت لحم، ومن الأمثلة على هذه القلاع نذكر : قلعة بيت نوبة[4] على مشارف القدس من الغرب ، وقلعة اللطرون[5] في عمق الطريق التي تصل بين مدينتي القدس ويافا وقد ساهم هذا الأمر في تخفيف حدة الهجمات ، خاصة وأن هذا الطريق يعتبر المنفذ الوحيد لمملكة الفرنج من داخل فلسطين الى سواحلها، وهو الطريق الرئيسي لتزويد المملكة بما تحتاجه من الموارد البشرية والمادية القادمة من أوروبا[6].

وهكذا شيد الصليبيون العديد من القلاع والحصون في مناطق استراتيجية هامة على حدود المملكة أو على طول الشريط الساحلي، أو بالقرب من المسالك والمنافذ المؤدية الى قلب فلسطين، على نحو يسمح بوصف مملكة بيت المقدس على أنها (مملكة القلاع)[7] ، لتكون بذلك مباني منيعة ووحدات دفاعية مستقلة، تزداد قوة باتصال احداها بالأخرى كحلقات في سلسلة أو شبكة محكمة من المواصلات مع المعاقل المجاورة[8].

وفي الغالب كان تشييد القلاع مصمما بدقة واحكام، بحيث تتمكن كل قلعة أن تتواصل مع الأخرى عن طريق الإشارات النارية، (بالنار ليلا وبالدخان نهارا) وتعد قلعة كوكب الهوى أحسن مثال على ذلك[9] ، كما كانت مهمتها الرئيسية ذات طبيعة اقتصادية

---

[1] الصوري، المصدر السابق، ج3، ص 131.
[2] براور، الاستيطان، ص 339.
[3] سميل، المرجع السابق، ص210-216.
[4] قلعة بيت نوبة: تقع الى الشمال الغربي من القدس، بنيت زمن الملك فولك الانجوي في العام 1133م، وذلك لتأمين طريق الحجاج بين يافا والقدس حررها صلاح الدين عام 1187م. أنظر: الصوري، المصدر السابق، ج3، ص102.
[5] قلعة اللطرون: قريبة من بيت المقدس بناها فرسان الداوية في القرن 12م، واستولى عليها صلاح الدين عام 583هـ/1187م، ودمرت في عام 587هـ/1191م. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص286.
[6] الصوري، المصدر السابق، ج3، ص102.
[7] مؤنس عوض، الحروب الصليبية، ص 136-137؛ باركر، المرجع السابق، ص58.
[8] زكي عبد الرحمن، المرجع السابق، ص67.
[9] مقامي نبيلة، المرجع السابق، ص 79.

ودفاعية، لأنها لم تمنع دخول القوات المعادية فقط[1]، بل تحكمت في طرق التجارة بين مصر والشام والجزيرة العربية، وفي فرض الضرائب على سكان المنطقة واستغلالها كمورد اقتصادي[2].

ولمنع المنجنيقات وأبراج الحصار من الاقتراب[3] كان الصليبيون يحفرون الخنادق حول القلاع ويملؤونها بالمياه، ويتم وضع جسر متحرك فوقها للتحكم في الدخول الى الحصن أو الخروج منه[4]، وتسند هذه المهمة إلى قوات السرجندارية، كما قد يشارك الفرسان أيضا في هذه العمل خاصة في حالات الطوارئ كان [5]، وقد أفاد الصليبيون في هذا الصدد بما وجدوه في البلاد من القلاع البيزنطية، فضلا عما نقلوه معهم من الغرب من أساليب البناء الحربي[6].

وهنا يمكن القول أن القلاع الصليبية كان لها دور مهم في بقاء الصليبيين في الشرق، اذ كان لها من القوة ما يسمح بصد أي هجوم إسلامي على المدن الصليبية [7]، حتى ترسخت لدى الصليبيين قيم عسكرية جديدة في الشرق مفادها أن توفير الأمن لا يتحقق الا إذا أقيمت الحصون المنيعة والاسوار المرتفعة[8] ، لكن في النهاية انهارت هذه الفكرة بتهاوي هذه الحصون واحدا بعد الآخر أمام قوة وحنكة المسلمين[9].

3- امدادات الغرب الأوربي للإمارات الصليبية:

إن إنشاء الكيان الصليبي في بلاد الشام لم يقتصر على جيش قوامه الفرسان والمشاة والقلاع فقط، ـ بل حظي بدعم مادي وعسكري من الغرب الأوروبي لتعزيز قوته في مواجهة التحديات في الشرق[10]، وتم ذلك بشكل رئيسي على نحوين:

---

[1]الصوري، المصدر السابق، ج3، ص406؛ بيشوب موريس، المرجع السابق، ص 96؛ هانس ماير، المرجع السابق، ص299.
[2]الشارتري، المصدر السابق، ص226؛ سميل، المرجع السابق، ص59.
[3]أبو شامة، الروضتين، ج3، ص25.
[4]داهموس جوزيف، المرجع السابق، ص15.
[5]يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص412.
[6]الحويري، المرجع السابق، ص188.
[7]المحمود، إبراهيم مصطفى، موسوعة السياسة والحرب في بلاد الشام، الهيئة السورية للكتاب، دمشق، 2011م، ج1، ص166.
[8]الحايك، العلاقات الدولية، ج2، ص230.
[9]الحريري، الاعلام والتبيين، ص87.
[10]مؤنس عوض، عالم الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2005، ص201؛ يوشع براور، عالم الصليبيين، ص 104.

أولاً: تم تزويدهم بقيم مالية معتبرة من أوروبا، حيث تبرع المسيحيون الغربيون الراغبون في القيام بأعمال الخير بمبالغ مالية، وقاموا بتقديم هبات للمنشآت الدينية في البلاد المقدسة[1].

ثانيًا: تنظيم حملات صليبية متتالية من الغرب الأوروبي، خاصة عندما تعرض الكيان الصليبي للكوارث أو الهزائم: ومن أمثلة ذلك الحملة الصليبية الثانية التي جاءت بعد استعادة الرها من طرف المسلمين عام 539/1144هـ، إلى جانب الحملة الصليبية الثالثة بعد هزيمة الصليبيين في معركة حطين[2].

يجب أن نذكر هنا أن الحركة الصليبية شملت كافة أنحاء الغرب الأوروبي، حيث تحركت الجيوش من مختلف أنحاء أوروبا إلى بلاد الشام، ولا يجب أن ننظر إلى هذه الحركة على أنها مجرد ثماني حملات صليبية فحسب، بل كانت حركة واسعة شملت عدة حملات في فترات مختلفة لا تنقطع على مدار السنوات، أو على حد تعبير يوشع براور كانت بمنزلة " تقاطر مستمر من الحجاج والمهاجرين"[3] ، ويدعم ذلك ابن الحريري في حديثه عن الدعم والاسناد الأروبي قوله:

" إنهم كانوا يصلون من البحر بأعداد ضخمة، فإذا قتل أحد الفرنجة، تعوضه الألوف من الفرنجة الآخرين"[4].

وتوجد العديد من الأمثلة التاريخية التي تشير إلى استفادة الصليبيين من المساعدات الأروبية القادمة من الغرب[5] وبمن يفد إليهم عند القيام بشعيرة الحج إلى بيت المقدس، ففي حوادث عام 1102م/496ه، يذكر ابن الأثير أن بلدوين اضطر للاستعانة بالفرنجة القادمين من أوروبا لمحاربة القوات الفاطمية في عسقلان[6] ، ويصف ابن القلانسي عمليات الإمداد الأوروبي بعد تحرير الرها، في قوله : " بأن الأخبار تواصلت من القسطنطينية وبلاد الفرنج والروم، وأن الفرنج ظهروا من بلادهم بأعداد ضخمة وثروات لا تحصى، ونادوا في بلادهم بالانضمام إليهم والإسراع نحوها"[7] ، و جاء في قول ابن الأثير:" لما ملك اسد الدين شيركوه مصر قد خافوه وايقنوا بالهلاك وكاتبوا الفرنج الذين بصقلية والاندلس وغيرها يستمدونهم ويعرفونهم ما تجدد من ملك الاتراك

[1]الساحلي نعيمة، المرجع السابق، ص243.
[2]الشيخ محمد مرسي، المرجع السابق، ص 256-379؛ غروسيه، المرجع السابق، ص 58-67.
[3]يوشع براور، عالم الصليبيين، ص22.
[4]ابن الحريري، الاعلام والتبيين، ص86.
[5]الشارتري، المصدر السابق، ص148؛ الصوري، المصدر السابق، ج4، ص246؛ ابن القلانسي، المصدر السابق، ص171؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص12-13-14؛ بيلار ميشال، المرجع السابق، ص117-118.
[6]ابن الاثير، الكامل، ج9، ص68.
[7]ابن القلانسي، المصدر السابق، ص297.

مصر وأنهم خايفون على البيت المقدّس منهم فارسلوا جماعة من القسوس والرهبان يحرضونهم على الحركة"[1]، ومع ذلك يجب أن نلاحظ أن حجم الدعم المادي والعسكري كانا يعتمدان على عاملين رئيسيين:

-أولا : نوعية العلاقة بين الامارات الصليبية والبابوية ، ففي بداية الحركة الصليبية كانت هناك علاقة وطيدة بينهما، حيث تأسست مملكة بيت المقدس و الامارات الأخرى بدعوة ومباركة من البابوية[2]، هذا إلى جانب ارتباط المملكة بالكنيسة، حيث لم يعترف ملوك مملكة بيت المقدس لأحد بالسلطة عليهم سوى البابوية التي دعمتهم بإرسال جيوش اضافية وتحملت مسؤوليتها الكاملة في إقامة مملكة صليبية لهم في الشرق[3] ، ومع ذلك فقد تراجعت العلاقة بين الطرفين بعد فشل الحملة الصليبية الثانية عام543هـ /1148م حيث أصبحت الامارات الصليبية تعاني من العجز المالي و غير قادرة على تحمل العبء الذي وضعت فيه في الشرق، و عامل ارهاق بالنسبة للبابوية[4] خاصة عندما كان البابا ألكسندر الثالث[5] (577-554ه/1181-1159م) مشغولًا بنزاعه مع الإمبراطور الألماني فريدريك الأول بربروسا[6] (547-586هـ/1190-1152م)، خلال الفترة الممتدة مابين سنتي 554هـ/1159م/ 573 هـ/1177م، عندما رفض الإمبراطور الاعتراف ببابوية البابا ألكسندر، هذا أدى إلى تعقيد الأمور في الغرب ومنع البابا ألكسندر من استدعاء حملة صليبية جديدة لإنقاذ مملكة بيت المقدس[7].

وعلى الرغم من التوسلات المتكررة من طرف البابا و ملوك الغرب الأوروبي وأمرائه للانظمام إلى الحملة الصليبية، إلا أنها لم تلق اهتمام كبيرا ، باستثناء الاستجابة التي أبداها الأمير فيليب كونت فلاندر في شهر سبتمبر عام 1177م / ربيع الأول 573 ه، حيث جاء الى مملكة بيت المقدس على رأس قوة من الفرسان الفلمنكيين ، الى جانب

---

[1] ابن الاثير، الكامل، ج10، ص22.

[2] يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص193-194.

[3] عامر ونوس، المرجع السابق، ص158.

[4] مؤنس عوض، حركة الاستعمار الأوربي، ص80-81.

[5] البابا إسكندر: ولد سنة 494هـ/ 1100م، ثم تعيينه شماسا سنة 545هـ/ 1150م، ثم كردينالا سنة 547هـ/1152م، ثم مستشارا حتى تم اختياره لكرسي البابوية في روما سنة554هـ/1159م. أنظر: عامر ونوس، المرجع السابق، ص159.

[6] فريدريك الأول بربروسا: هو ابن أخ الملك الألماني كونراد الثالث، ووريثه الشرعي، ولد عام 1122م/516هـ، اتصف بالشجاعة والمرح، والشغف في القتال والنزال وولعه بالمغامرة، وحب العدل بين الناس، لذلك احاطته مدائح المؤرخين المعاصرين له لدرجة انهم قالوا فيه : لم يعتل عرش ألمانيا منذ شارلمان ملك تم فيه من الخصال المؤهلة لحكم الالمانيين مثلما تم في بربروسا، اعتلى العرش عام 1152م/547هـ، فقد سعى لإحياء الإمبراطورية الرومانية القديمة، وقاتل من اجل سمو الامبراطورية على البابوية، وشارك بجيش ضخم في الحملة الصليبية الثالثة، ولكنه لقي حتفه غرقا في نهر بقليقية عام 1190م/586هـ وهو بصحبة جيشه متجها لقتال المسلمين في بلاد الشام.
أنظر: عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج1، ص360، 375؛ فشر. هربرت. ا. ل، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، تر: محمد مصطفى زيادة، الباز العريني، دار المعارف، ط6، مصر، دت، ج1، ص198.

[7] ماير، المرجع السابق، ص247.

أسطول بيزنطي وصل إلى عكا مؤلف من سبعين سفينة ، ومع ذلك فقد تبين أن الكونت فيليب غير مستعد لقيادة الحملة ، وجرى حوار حاد بينه وبين أمراء بيت المقدس ، ممادفع المبعوثين البيزنطيين إلى التشكيك في جدّية الصليبيين الاشتراك في حملة لغزو مصر ، فانسحبوا عائدين إلى القسطنطينية[1].

يتضح من ذلك أن أوضاع البابوية في أوروبا كانت لها تأثير كبير على الدعم الغربي للإمارات الصليبية في بلاد الشام، فأثناء صراع البابا والإمبراطور، كان ملوك بيت المقدس وأمراء الدويلات الصليبية مضطرون لإرسال السفارات ورسائل الاستغاثة للغرب الأوروبي سنويًا لطلب المساعدة لكن دون جدوى[2]، حيث ظهر جليا أن صليبو الشام تأثروا الى حد كبير بالأوضاع السياسية التي سادت الغرب الأوربي آنذاك، فيما عرف بالصراع البابوي الامبراطوري ومحاولة كل طرف منهما استخدام الامارات الصليبية كورقة سياسية في الصراع.

ـ **ثانيا**: الدعاية الصليبية التي لعبت دورًا بارزًا في تحريض وإثارة الغرب الأوروبي لدعم الصليبيين في الشرق ماديا وعسكريا[3]، مستغلين في ذلك مختلف وسائل وأساليب التحريض المتاحة، بدءًا بالخطابات الدينية المؤثرة بقوة في اثارة المشاعر والحماسة لنصرة الصليب ، مثل الخطبة الشهيرة التي ألقاها الراهب برنار دي كليرفو في 31 مارس 1146م/541هـ، في أحد حقول فيزيلاي محرضًا على القيام بالحملة الصليبية الثانية، وذلك بحضور لويس السابع ملك فرنسا، وكان لها تأثير كبير في حشد الدعم الملكي والشعبي للحرب ، ومن جملة ماجاء فيها: "ارتدي علامة الصليب وسوف تغفر جميع خطاياك بإخلاص، فالقماش المستخدم لصنع الصلبان لا يكلف الكثير إذا تم بيعه، ولكن إذا ارتداه شخص مؤمن ومخلص، فإنه سيكون قيما كملكوت الله"[4]، هذا الى جانب استخدام الشعر والغناء وكل ما من شأنه التأثير على الوجدان المسيحي الأوروبي والدعوة إلى الحملات الصليبية[5].

لقد كانت الرسوم واللوحات التمثيلية أيضا من الأساليب القوية المستخدمة في الدعاية الصليبية وحشد الدعم ، حيث صوّرت معاناة المسيحيين في الشرق، والاعتداءات التي يتعرضون لها على يد المسلمين ، فبعد تحرير صلاح الدين للقدس في عام

[1] الصوري، المصدر السابق، ج4، ص200؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص 473.
[2] الصوري، المصدر نفسه، ج4، ص226-227؛ ماير، المرجع السابق، ص247.
[3] عبد الرحيم، رائد مصطفى، وسائل الدعاية الصليبية" صورة المسلمين في أدب الرحلات الاوربية والروسية الى الأماكن المقدسة في العصور الوسطى انموذجا"، مجلة جامعة الازهر، سلسلة العلوم الإنسانية، مجلد 13، ع1، غزة، 2011م، ص 168.
[4] رايلي سميث، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص 91.
[5] نفسه، ص 91.

583ه/1187م، يذكر ابن الأثير استخدام هذه الدعاية على نطاق واسع وقد جاء ذلك في قوله :" ثم إن الرهبان والقسس وخلقا كثيرا من مشهوريهم وفرسانهم لبسوا السواد وأظهروا الحزن على خروج البيت المقدس من أيديهم...وصورو المسيح عليه السلام، وجعلوا صورة رجل عربي والعربي يضربه، وقد جعلوا الدماء على صورة المسيح عليه السلام، وقالوا لهم هذا المسيح يضربه محمد نبي المسلمين، وقد جرحه وقتله..."[1]، ويؤكد لنا ابن شداد هذا الأمر في قوله :" وللصور عمل في قلوبهم، فإنها أصل دينهم، فهاج بذلك خلائق لا يحصى عددهم الا الله تعالى"[2] .

وبغض النظر عن الوسائل والعوامل التي ساهمت في حشد الدعم الأوربي للامارات الصليبية في بلاد الشام ، فإننا لا نبالغ في الاعتقاد بأن بقاء الصليبيين واستمرار وجودهم كان مرتبطا بقدوم هذه المساعدات، فاعلان الحرب أو إبرام السلام مع المسلمين لفترات محددة ، لم يكن كافيا لحل مشكلات الفرنج و تثبيت وجودهم ، وكان لا بد من قيام علاقات وطيدة بين الامارات الصليبية ودول غرب أوروبا قوامها الاستمرارية في الدعم والاسناد دون انقطاع ، خاصة في أشد مراحل العداء والصدام مع المسلمين[3] ، لذلك كثفت أوروبا من توطيد علاقاتها السياسية و استغلال امكانياتها المادية في دعم هذه الامارات، و ساهمت بشكل كبير في تسوية الخلافات الداخلية بين القوى الصليبية في الشرق، وتقريب وجهات النظر خدمة للمسيحة ونصرة للصليبية في الشرق.

المبحث الثاني: التنظيمات العسكرية الدينية الصليبية في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية

يعد تأسيس التنظيمات الدينية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية حدثاً تاريخياً بارزا له آثار واضحة في تاريخ المملكة اللاتينية الصليبية وفي مجريات الصراع الإسلامي الصليبي، وقد حملت تلك التنظيمات لواء الدفاع عن الوجود الصليبي قرابة قرنين من الزمان، واستمرت في تأدية ذلك الدور حتى اللحظات الأخيرة التي انتهت بطرد الصليبيين من الشام بأكملها على أيدي المماليك في عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون في عام 690هـ / 1291م[4].

[1] ابن الاثير، الكامل، ج10، ص183.
[2] ابن شداد، المصدر السابق، ص208.
[3] ابن الاثير، الباهر، ص143-144.؛ ابن شداد، المصدر السابق، ص83-84؛ الفيتري، المصدر السابق، ص24.
[4] مؤنس عوض، التنظيمات الدينية، ص27.

ويلاحظ أن تأسيس هذه التنظيمات كان يرتبط ارتباطًا وثيقًا بفكرة الحرب المقدسة[1](The just war) وتطورها في الفكر المسيحي الديني، حتى وصولها إلى ذروة تطبيقها خلال فترة الحروب الصليبية في بلاد الشام[2]، ومن ثم كان من الأهمية بمكان تتبع الجانب الايديولوجي الذي انطلقت من خلاله ظروف التأسيس والتكوين ثم التحول من العمل الديني(الخيري) الى النشاط الحربي خلال فترة الحروب الصليبية (لعنف) لتحقيق أهداف سياسية واقتصادية واسعة[3].

إن هذا التحول في مسار التنظيمات الدينية سرعان ما أدى الى ظهور رباطا مقدسًا جمع بين الرهبنة وما ترمز إليه من أمن وسلام ، وبين الفروسية ذات الطبيعة الدموية ، والتي تعبر عن روح انتقامية طبعت بشكل ملحوظ بايديولوجية الحركة الصليبية، وحصلت في آن واحد على تأييد قوي من دول أوروبا ، متمثلا في الهبات والتبرعات المالية والعينية ، حتى عدت موفورة الثراء ،و لم تتدفق هذه الهبات من فراغ ، بل جاءت بفعل الخدمات التي قدمتها هذه الهيئات في مجالات مختلفة مثل خدمة الحجاج ، وعلاج المرضى ، ومداواة الجرحى ، ودفن الموتى[4].

وقد باركت البابوية نشأة هذه الهيئات، وجعلتها تحت وصايتها وتوجيهها المباشر، على أن تقوم بتقديم خدمات ملموسة للصليبيين في الأغراض المدنية و العسكرية عند الحاجة، ومن ثم صار البابا هو المرجع الأعلى لهذه التنظيمات وليس لحكام الامارات الصليبية أو مملكة بيت المقدس أي سلطان عليهم[5]، ومن هنا صارت هذه التنظيمات كيانات قائمة بذاتها داخل الدول الصليبية، وهو ما ترك ظلالا قاتمة على أسلوب إدارة الصراع الإسلامي الصليبي خاصة في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، حين ضعفت الامارات الصليبية، وتقلصت في شريط ساحلي تراجعت معه امكانياتها المادية والبشرية، في حين اتخمت هذه التنظيمات بالمال والرجال، فصارت لها اليد الطولى في إدارة الصراع الإسلامي الصليبي[6].

لعبت هذه التنظيمات دورا سياسيا وحربيا هاما ضد المسلمين في كل من الشام ومصر، خاصة عندما توحدت أهدافها مع أهداف الصليبيين في ضرورة الاستيلاء

---

[1]شروط الحرب العادلة او المقدسة: في الواقع أن القديس اوغسطين أشهر أباء الكنيسة المسيحية في القرن الخامس ميلادي هو الذي وضع مبررات دينية للحرب التي يشنها المسيحي، ووضع شروطا للحرب العادلة التي تحظى بقبول الرب، وأن يتوفر حسن القصد من هذه الحرب، وأن تشن بناء على قرار يتخذه قائد عسكري أي سلطة علمانية للدفاع عن الأملاك والأعراض. أنظر: يوشع براور، الاستيطان، ص 308.

[2]مؤنس عوض، التنظيمات الدينية، ص 27.

[3]نبيلة مقامي، المصدر السابق، ص9.

[4]محمد فوزي رحيل، الرباط المقدس، مركز التاريخ العربي للنشر، ط1، إسطنبول، تركيا، 2020، ص7

[5]موريس بيشوب، تاريخ أوروبا، ص111.

[6]فوزي رحيل، المرجع السابق، ص 8.

على مصر طمعا في ثرواتها، وتأمينا لوجودهم بالشام، وتكونت فرق الرهبان الفرسان (التنظيمات الدينية العسكرية) من الفرسان النبلاء الذين سيطرت عليهم روح الدين وروح القتال ضد المسلمين، وقد كانت هذه ظاهرة جديدة بالنسبة لطبقة النبلاء الفرسان الموجودة في الغرب الأوربي في ذلك الوقت[1].

1- الاسبتارية The Hospitallers:

تعتبر الاسبتارية من أقدم التنظيمات الدينية الحربية التي شهد الوجود الصليبي قيامها في بلاد الشام ، وكانت النموذج الأول الذي تأثرت به كافة التنظيمات الدينية الحربية الأخرى، حيث شهدت مدينة القدس قبل قيام الحروب الصليبية توافد العديد من المسيحيين الأوروبيين بهدف القيام بالحج إلى هذه المدينة المقدسة، نتيجة لذلك تم تطوير نوع من الرعاية الاجتماعية والطبية لهؤلاء الزوار، و تأسست عدة مؤسسات خيرية ومستشفيات، منها المستشفى الذي أسسه مجموعة من التجار المنحدرين من مدينة أمالفي في إيطاليا ، بعد أن تحصلوا على تصريح من الحاكم الفاطمي في بيت المقدس عام 1080م/473هـ، يسمح لهم بتأسيس دير وبجانبه مستشفى لرعاية الحجاج[2] ، وقد قدر لهذا المستشفى أن يلعب دورا هاما في حياة الصليبيين في بلاد الشام خاصة في الفترة الباكرة[3].

والواقع ان نجاح الصليبيين في دخول بيت المقدس والسيطرة عليها في عام 492هـ/ 1099م يعد حدثا هاما في تاريخ الاسبتارية ، اذ اعتبره أحد المؤرخين بمثابة الميلاد الحقيقي لهذه الهيئة لما حظيت به من اهتمام كبير من جانب الصليبيين، حيث تزايد نشاط أتباعها بشكل ملحوظ خاصة في ايواء الحجاج ومعالجة المرضى[4] ، وكانوا موضع احترام ودعم من جود فري البويوني ملك بيت المقدس ، فأقطعهم أحد الضواحي ، وأغدق عليهم الأموال والهبات، تقديراً لجهودهم في خدمة الصليبيين، واستمر في دعمهم على كافة المستويات السياسية والمالية ، وحافظ من بعده الملك بلدوين الأول على نفس النهج ، فبعد انتصاره على المصريين في معركة الرملة عام 495 هـ / 1101م خصص عشر الغنائم للهيئة، وبعد ذلك بنحو تسع سنوات صادق بلدوين على الهبات التي خصصت للهيئة في انحاء المملكة، وبعد ذلك بعامين أي في

---

[1] مقامي نبيلة، المرجع السابق، ص 7.

Stevenson, op.cit, p136.

[2] مصطفى محمد الحناوي، العلاقات بين جمهورية أمالفي والمسلمين في مصر والشام، مكتبة الرشد، ط1، السعودية، 2002، ص154-155، رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص248.

[3] مؤنس عوض، التنظيمات الدينية، ص33.

[4] مصطفى الحناوي، الفرسان الاسبتارية، ص100، سالم، المرجع السابق، ص85، منذر الحايك، المرجع السابق، ج2، ص215-216

عام 506هـ / 1112م وافق على كافة ممتلكاتها، وحتى عند وفاته في عام 512 هـ / 1118م، فإن جسده ربما يكون قد كُفَّن في المستشفى قبل دفنه في كنيسة الضريح المقدس ،وقد عكس ذلك بطبيعة الحال العلاقة الوطيدة بالمستشفى وبالهيئة وبخدماتها الخيرية والعلاجية ، ويلاحظ أن النهج التي اتبعه ملوك بيت المقدس الأوائل ازاء التنظيمات الدينية المسيحية في بلاد الشام أصبح سياسة عامة اتبعها خلفاؤهم من بعدما بقيت تلك التنظيمات تؤدي دورها خدمة للنشاط الصليبي، وحذا حذوهم الامراء الصليبيون فقدموا المنح والعطايا العديدة للاسبتارية[1].

2-الداوية:The Knights Templar

منظمة الداوية أو فرسان الهيكل أو جنود المسيح الفقراء، تأسست في مدينة بيت المقدس سنة 512 هـ/1118م أي بعد حوالي عشرين سنة من نشأة الاسبتارية في ظروف مغايرة تماما عن الظروف التي نشأت فيها هيئة الاسبتارية، ذلك لأنها نشأت بعد استقرار الصليبيين في بلاد الشام وظهور مشكلة الطرق الغير آمنة لحجاجهم ورعاياهم نتيجة لاغارات المسلمين عليها، وسطو قطاع الطرق عليهم بغرض السلب والنهب[2].

اهتم الملك بلدوين الثاني بمشكلة تأمين الطرق التي يسلكها الحجاج، وبغرض ايجاد حل لهذه المشكلة، قام بتشجيع بعض الفرسان الفرنجة المتحمسين لتكوين هيئة أمنية هدفها الأساسي حماية وحراسة الحجاج، وهي الهيئة التي تطورت فيما بعد لتشكل أكبر تنظيم عسكري صليبي في الشرق، سيعرف بإسم فرسان الداوية[3].

ومن أجل تحقيق الهدف المنشود تحصل هؤلاء الفرسان على تصريح من طرف الملك بلدوين الثاني وبطريرك بيت المقدس جو ريموند (1118-1128م/512-522هـ) للقيام بهذه المهمة، وأقسموا على ذلك بجانب القسم الكنسي الأول القائم على الفقر والعفة والطاعة[4] .

أما عن موقف مملكة بيت المقدس، فقد كان مساندا للهيئة الجديدة، حيث قام بلدوين الثاني بتخصيص مسكن خاص بهم، وقد عمل الصليبيون من قبل ذلك على تحويل قبة الصخرة الى كنيسة تسمى معبد السيد Templum Domini، كما أنهم استخدموا

[1] مؤنس عوض، التنظيمات الدينية، ص34-35

[2] منذر الحايك، المرجع السابق، ج2، ص 215، نبيلة مقامي، المرجع السابق، ص16، يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص311.

[3] إبراهيم خميس سلامة، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، جماعة الفرسان الداوية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002، ص46.

[4] سهيل زكار، الموسوعة، ج39، ص127، رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص249-250.

المسجد الأقصى لمصالحهم وأهدافهم وأطلقوا عليه اسم معبد سليمانTemplumSolomonis، وقد قسموه الى ثلاثة أقسام الأول كنيسة، والثاني مسكنا للداوية، والثالث مستودعا لدخائرهم، وقد عملوا بعد ذلك على تعمير المنطقة المجاورة لهذا المكان، وأنشأوا العديد من المباني والكنائس[1].

تشدد المسؤولون عن الهيئة في بداية تكوينها في شروط الانضمام اليها، وكان الشرط الأساسي في ذلك أن يكون العضو المتقدم فرنسيا ومن طائفة الفرسان، وبسبب ذلك ظل عدد أفرادها محدودا، إذ أنه لم يزد عن التسعة أشخاص أثناء انعقاد مجمع تروي الديني بفرنسا سنة 1128م/522ه، لكن العدد أخد في التزايد بعد ذلك بعد انظمام شخصيات بارزة مثل هيودي تروي، كونت شامبني، فولك أنجو[2].

تلقت الداوية دعما كبيرا من الغرب الأوربي، مما سمح لها بتمويل نشاطاتها المختلفة، والتي شملت حراسة القلاع، واعداد المقاتلين، وتوفير الدعم العسكري للزوار الصليبيين، وبحلول سنة 1130م/524هـ تحصلت على مسؤولية الدفاع عن قلعة بغراس في جبال الأمانوس شمال انطاكية، وعلى قلعة ترون في مملكة بيت المقدس في الطريق بين رام الله والقدس سنة 1140م/535هـ، وأيضا على غزة في الجنوب بحلول عام 1150م/545هـ، وبتعاونهم مع الاسبتارية تزايد دورهم وعددهم بحيث بلغ حوالي 600 فارس و2000 سرجنديا عام 1160م/555هـ[3].

ومع بداية القرن الثالث عشر، تراكمت لدى الهيئة العديد من الهبات والعطايا والامتيازات، حتى أصبحت لها في الغرب الأوربي عدة مراكز في بروفانس، وفرنسا وانجلترا وأرغونة وكتالونيا وقشتاله والبرتغال ولمبارديا وصقلية والمجر وألمانيا، وكانت هذه المراكز العديدة بمثابة قواعد خلفية أمدت الصليبيين في الشرق بسيل مستمر من الشباب المحارب، حتى أصبحت هيئة الداوية بمثابة جيش دائم تميز عن سائر جيوش الصليبيين الاقطاعيين بعدة امتيازات، ذلك لأن هؤلاء الفرسان كانوا يهبون حياتهم كاملة لمحاربة المسلمين، وبذلك شكلوا خطرا ظل يشكل أهمية خاصة لدى القادة المسلمين[4].

3-الفرسان التيوتون Teutonic Order:

[1] مؤنس عوض، التنظيمات الدينية، ص34-35.
[2] سهيل زكار، الموسوعة، ج39، ص127-128، نبيلة مقامي، المرجع السابق، ص20.
[3] فوزي رحيل، المرجع السابق، ص44.
[4] مقامي نبيلة، المرجع السابق، ص20.

هيئة عسكرية مسيحيّة ألمانية تأسست بشكل رسمي أثناء حصار الصليبيين لعكا سنة 1190م/586ه، الاّ أن وجودها كمنظمة تمريضية في بيت المقدس يعود بالتحديد إلى سنة 1127م/521هـ، في صورة مستشفى أنشئ في الجنوب الشرقي من القدس خصيصا لرعاية الزائرين من المرضى والفقراء والحجاج، لما يواجهونه من مشكلة اللغة وصعوبة التواصل عند قدومهم الى بلاد الشام واستقرارهم بها ، لأن أهلها كانوا يتحدثون اللاتينية والفرنسية القديمة، وسرعان ما اعترف البابا أنوسنت الثالث بالهيئة الألمانية الجديدة كان ذلك في 9 ديسمبر 1143م/9 جمادى الأولى 589هـ ، على أن يكون قانونها الكنسي والحربي مطابقا لقانون الداوية، وأن يكون قانونها الخاص بالمستشفى والاعمال الخيرية مطابقا لذلك القانون الذي سارت عليه هيئة الاسبتارية[1].

وقد ارتدى أعضاء هيئة الفرسان التيوتون الجديدة الرداء الأبيض الذي نقش عليه الصليب باللون الأسود[2]، كما منحت الهيئة من جانب البابوية تلك الامتيازات والاعفاءات التي منحت لهيئتي الاسبتارية والداوية من قبل[3].

ويلاحظ أن الهيئة قد شاركت في الأحداث الرئيسية التي مر بها الكيان الصليبي في بلاد الشام خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ولم يقدر لها أن تلعب دورا كبيرا في بلاد الشام مثل الاسبتارية والداوية، فقد كانت أصغر وأفقر من حيث السلاح بالمقارنة معهم، ولذلك فإن معظم تاريخ هذه الهيئة ينتمي الى التاريخ الأوربي[4].

وعلى غرار التنظيمات الدينية العسكرية الكبرى سابقة الذكر، فقد ظهرت أيضا هيئات أقل أهمية وتأثيرا في بلاد الشام خلال فترة الحروب الصليبية، وكان دورها محدودا جدا، نذكر من بينها هيئة فرسان القديس لعازر[5]St. Lazarus، وهيئة الثالوث المقدس، وهيئة السيف المقدس، وهيئة الروح القدس[6].

---

[1] حسن عبد الوهاب حسين، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة حوالي 1190-1291م/586-690 ه، تقديم جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعية، ط1، الاسكندرية، 1989، ص 64-65، فوزي رحيل، المرجع السابق، ص68.

[2] مؤنس عوض، التنظيمات، ص45.

[3] مقامي نبيلة، المرجع السابق، ص 22.

[4] عوض، التنظيمات، ص46.

[5] هيئة فرسان القديس لعازر: هيئة رهبانية محاربة تأسست في مدينة بيت المقدس في وقت مبكر، كانت نواتها في البداية بيت المجذومين الذي تأسس لاستضافة من يفد إلى المدينة من مرضى الجذام الفقراء، ثم بنيت قرب النزل كنيسة أوقفت للقديس لعازر، وفي مرحلة تالية تأسس مستشفى مرضى الجذام التابع لكنيسة القديس لعازر، ثم تحول المشفى إلى جماعة عسكرية عرفت بأخوة بيت المقدس ثم هيئة فرسان القديس لعازر
Leper Brothers of Jerusalem. أنظر: فوزي رحيل، نهاية الصليبيين، ص143، فؤاد عبد الرحيم الدويكات، هيئة فرسان القديس لعازر في مملكة بيت المقدس الصليبية 492-690 هـ / 1099-1291 م، دراسة وثائقية، مجلة جامعة الشارقة، للعلوم الانسانية والاجتماعية، مج 12، ع1، الامارات، جوان 2015، ص 115-120

[6] يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص336.

المبحث الثالث: علاقات التنظيمات الدينية مع الامارات الصليبية

1- تحول التنظيمات الدينية الى النشاط العسكري في بلاد الشام:

يمثل الدور الحربي الذي قامت به التنظيمات الدينية المسيحية في بلاد الشام خلال فترة الحروب الصليبية جانباً مهما من تاريخ الامارات الصليبية في الشرق، فلأمد طويل صار الدفاع عن الوجود اللاتيني بأسره مرتبطاً بتلك التنظيمات، الأمر الذي جعلها تحتل عاملا مؤثراً في كيان الجيوش الصليبية المقاتلة ، حتى أن بعض المؤرخين أصبحوا ينظرون إليها من خلال الارتباط الوثيق بتاريخ نشأة وتوسع الامارات الصليبية في المنطقة ، فلا يوجد تقريباً أي حدث عسكري هام مرتبط بالوجود الصليبي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني والثالث عشر الميلاديين إلا ونجد أن تلك التنظيمات قد أسهمت فيه بشكل كبير ، مما جعل بعض المؤرخين يدركون أهمية ذلك الدور و يرون أن تاريخ المستعمرات اللاتينية في الشرق هو في حقيقة الأمر تاريخ فرسان المستشفى (الاسبتارية)، وفرسان المعبد (الداوية)، مع النظر بطبيعة الحال إلى الأدوار الجانبية التي قامت بها باقي التنظيمات الأخرى خلال فترة الصراع الإسلامي الصليبي، و كافة القوى السياسية والاقتصادية والاجتماعية الفاعلة في تاريخ الصليبيين في بلاد الشام.[1]

في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي ، بدأت التنظيمات العسكرية تلعب دورًا بارزًا في استقرار وتوطين الصليبيين بالشام، فخلال الثلاثين سنة الأولى من الوجود الصليبي في المنطقة لم تكن هذه التنظيمات قد تحولت بعد للعمل الحربي، ذلك أن ملوك الصليبيين و أمرائهم كانوا قادرين على الدفاع عن أراضيهم ، ولم تكن قوة المسلمين وتهديدهم للصليبيين قد ظهرت بعد، لذلك لم تكن الحاجة ملحة لقوات اضافية تدافع عن أراضي الصليبيين في الشرق[2] ، لكن مع تعاضم قوة المسلمين، خاصة بعد استيلاء عماد الدين زنكي على المزيد من الأراضي، وتراجع ميزان القوة لدى الصليبيين ، أصبح من الضروري البحث عن قوات دعم واسناد لحماية ما تبقى من أراضي الصليبيين، ليتضح بشكل بارز دور التنظيمات العسكرية من الاسبتارية والداوية للمساهمة في هذه العملية العسكرية[3].

[1] مؤنس عوض، التنظيمات، 34؛ يوشع براور، الاستيطان، ص321.
[2] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص250؛ سميل، فن الحرب، ص163.
[3] براور، المرجع السابق، ص198، سميل، المرجع السابق، ص164.

استفاد الملوك والأمراء من هذه التنظيمات بشكل واضح، و بدأوا في الاعتماد عليها عسكريا في التصدي للتهديدات المتزايدة ، ونظرا لتزايد قوة السلطان عماد الدين زنكي وسيطرته على أراضٍ واسعة تابعة للاقطاع الصليبي، تأثرت الأراضي الإقطاعية بشكلٍ كبير، وتم تجريد الإقطاعيين من دعامتهم الأساسية، المتمثلة في الأراضي الزراعية والمكاسب الاقتصادية التي كانوا يحصلون عليها من خلالها ، وبالإضافة إلى ذلك ، فقد تأثرت أيضا الخدمات الحربية التي كان يقدمها الإقطاعيون للملوك الصليبيين بموجب العقود الاقطاعية، حيث لم يكن بإمكانهم تسديد التزاماتهم المالية والمشاركة بفاعلية في الحروب والدفاع عن الأراض ، وبناءً على ذلك، اضطر الملوك والأمراء الصليبيين للبحث عن مصادر بديلة ، مثل الاسبتارية و الداوية ، التي باتت قادرة على تعويض النقص الحاصل في القوات الصليبية والمشاركة بفاعلية في الحروب والمعارك[1].

كانت التنظيمات الدينية العسكرية أكثر المصادر البشرية عددًا ونظامًا في الدفاع عن استقرار الصليبيين بالشام، و قد تجلى ذلك في قدرتها على تقديم الخدمات الحربية للصليبيين بشكل متواصل، حيث كان شرطهم الأساسي في الانضمام والعمل في الهيئة هو الالتزام الدائم بالمشاركة في الحروب والقتال في أي وقت و في أي مكان يكونون فيه، دفاعا عن الصليب والأراضي المقدسة ، واعتبروا هذا الواجب النبيل شرفًا يفتخرون به ويميزهم عن غيرهم من الصليبيين[2]، و ما ساهم بشكل كبير في الحفاظ على أراضيهم ومصالحهم في ظل التحديات القائمة[3]، أن أفرادها كانوا يتمتعون بكفاءة عالية من حيث التدريب والقتال في الحروب ومواجهة الآخر دون خوف أو تردد[4]، واستطاعوا اثبات ذلك في ميادين القتال ضد المسلمين، حيث كان أفرادها يشعرون بهذا التفوق في كثير من المعارك ، وبالتدريج أصبحت هذه التنظيمات لما لها من تأثير واضح في الأحداث تتمتع بمزيد من الاستقلالية العسكرية والسياسية في اتخاذ القرارات المناسبة لها ، مما أضعف القادة اللاتين في التحكم أو السيطرة على نشاطها .[5]

وبسبب الخطر الذي كانت تشكله قوات المسلمين بقيادة نور الدين زنكي في بلاد الشام، اضطر ملوك وحكام الامارات الصليبية الى بيع العديد من الأراضي والقلاع ،

[1] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص250، مقامي، المرجع السابق، ص24. سميل، المرجع السابق، ص164-168.
[2] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص251؛ سميل، المرجع السابق، ص163.
[3] مقامي، المرجع السابق، ص25.
[4] سميل، المرجع السابق، ص170.
[5] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص503؛ سميل، المرجع السابق، ص163.

فانتهزت التنظيمات العسكرية هذه الوضعية واستطاعت بما لديها من أموال متراكمة ، شراء الكثير من الأملاك [1]، و أصبحت بذلك تمثل طبقة اقطاعية هامة قادرة على تسيير الجيوش والحملات ، وبناء الحصون وشراء المزيد من الممتلكات، حتى أصبح للاسبتارية والداوية ممتلكات في جميع انحاء بلاد الشام، هذا الى جانب ممتلكات أخرى لهم في أرمينيا الصغرى والقسطنطينية وقبرص وأوروبا[2].

شرعت التنظيمات الدينية بعد هذه المرحلة الهامة في القيام بدور جديد في الشرق الصليبي لم يكن مقدرا لها أن تقوم به في بداية نشأتها، فقد جاء ثراءها على حساب الملوك والأمراء، بالإضافة الى أنها لم تكن خاضعة لمملكة بيت المقدس أو الكنيسة الكاثوليكية بالشرق، بل كانت تابعة للبابوية في روما وبشكل مباشر، وبفضل هذه الامتيازات وما اكتسبته من قوة ونفوذ تمكنت من وضع سياسة خاصة بها تختلف تماما عن سياسة الامارات الصليبية، وقد اتضح ذلك بشكل جلي في إمارتي انطاكية وطرابلس أين كان لها فيهما سلطات واسعة[3].

اتسمت السياسة الحربية للتنظيمات الدينية بالطابع العدائي اتجاه المسلمين في بلاد الشام ، واعتبرت ذلك من وجهة نظرها واجب ديني مقدس ، ومع ذلك فقد كان لكل هيئة من الهيئتين الكبيرتين سياستها الخاصة في ميادين الحرب و القتال ، ومن الأمثلة على ذلك ماقامت به الاسبتارية من تسخير لامكانياتها وتشجيع لأتباعها للمشاركة في الحرب المعلنة على مصر ، على خلاف الداوية التي وقفت موقفا معارضا بشدة لذلك في عهد الملك عموري الأول[4] ، وكذلك تكرر الأمر نفسه في كثير من المجالات الحربية الخاصة، خاصة عندما أصبحت الهيئتان في مستوى واحد من القوة ، فأصبح التنافس الحربي والسياسي محتدم بينهما [5].

2- دورها العسكري في بلاد الشام:

أ- الاسبتارية:

تجسد الدور العسكري للاسبتارية في رد الهجوم الإسلامي على امارة أنطاكية سنة 1119م/513هـ ، و يعد ذلك أول مشاركة رسمية لها في حماية المستعمرات الصليبية ، وتكرر الأمر مرة أخرى في حصار مدينة صور سنة 1124م/518هـ، لتشرع بعد ذلك

[1] جمعة الجندي، المرجع السابق، ص 208.

Stevenson, op. cit. p147.

[2] Lamont, op, cit, p221.

[3] رنسيمان، المرجع السابق، ص502-503، منذر الحايك، العلاقات الدولية، ج2، 216

[4] Lamont, op, cit, p223.

[5] مقامي، المرجع السابق، ص26-29؛ الحناوي، الاسبتارية، ص149.

في القيام بالعديد من الأدوار العسكرية المعلنة [1] مثل الدفاع عن القلاع والحصون ، ففي وقت مبكر من عام 1137م/531هـ، تمكنت من الحصول على قلعة جبرين شرق مدينة عسقلان من الملك الصليبي فولك الانجوي[2]، أما كونت طرابلس ريموند الثاني فقد اضطر للتنازل لها عن العديد من القلاع والحصون من أجل ضمان حمايتها والدفاع عنها مثل حصن الاكراد والبقيعة ورفينة وبعرين ، واشترط موافقتهم النهائية في ابرام أي هدنة مع المسلمين ، وقد كان ذلك سببا رئيسيا في تعرضهم لمواجهات عسكرية شديدة الوطأة مع المسلمين الذين حرصوا على مواصلة الهجوم على حدود امارة طرابلس[3].

ورغم فشل الحملة الصليبية الثانية سنة 1148م/543هـ، إلاّ أن الاسبتارية قامت بالعديد من الأدوار العسكرية في حملات الملك بلدوين الثالث، نذكر من بينها حصار مدينة عسقلان سنة 1153م/548هـ، أين اتخدت من قلعة بيت جبرين[4] قاعدة خلفية لها لامداد الصليبيين بكل ما يحتاجونه من المقاتلين و السلاح ، وكان لها دور كبير في التوجيهات الحربية التي قبلها الملك وأسفرت عن سقوط المدينة التي طالما سببت ازعاجا كبيرا للصليبيين[5] ، كما أثبتت مشاركتها أيضا في الدفاع عن القلعة الواقعة على حدود مدينة بانياس وقلعة نوف على حدود دمشق سنة 1157م/ 552هـ ، وثمة تقديرات تفيد أنها استطاعت السيطرة على ثمانية قلاع حتى عام 1160م/555 ه، وبحلول سنة 1244م أصبحت تسيطر على ستة وخمسين حصنا وقلعة في بلاد الشام[6].

ظلت الاسبتارية تشارك بفاعلية كبيرة في إدارة الصراع الإسلامي الصليبي حتى موقعة حطين عام 583هـ/1187، حيث أثبتت وجودها في مجلس الحرب الذي عقد خصيصا للاستعداد للمعركة، ونجحت في تحقيق الصلح بين القادة الصليبيين المتنازعين قبيل انطلاق المعركة[7]، وقام أتباعها بدور كبير في ميدان المعركة رغم انتصار المسلمين وتفوقهم فيها على الجيش الصليبي، حيث أمر صلاح الدين على الفور بقتل من بقي على قيد الحياة من مقاتلي الاسبتارية والداوية لعلمه بخطورتهم وتعصبهم الأعمى[8]، وقد وصفت المصادر التاريخية هذا العمل بقولها:

---

[1]فوزي رحيل، الرباط الصليبي، ص23؛ الحناوي، الاسبتارية، ص149.
[2]يوشع براور، الاستيطان، ص321.
[3]Stevenson, op. cit. p147.
[4]بيت جبرين: حصن بين بيت المقدس وعسقلان. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص101.
[5] فوزي رحيل، الرباط، ص23-24؛ الحناوي، الاسبتارية، ص160-161.
[6]يوشع براور، الاستيطان، ص321.
[7]الحناوي، الاسبتارية، ص232-233.
[8]العماد الاصفهاني، المصدر السابق، ص63؛ أبو شامة، االمصدر السابق، ج2، ص75-76؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص187.

" أطهر الأرض من هذه الجنسين النجسين، فما جرت عادتهما بالمفاداة، ولا يقلعان عن المعاداة ولا يخدمان في الأسر، وهما أخبثُ أهل الكُفْر" [1] ، ثم شرع خلال الشهور الثلاثة التي أعقبت المعركة في السيطرة على معظم مدن وحصون مملكة بيت المقدس[2]، وقد اضطر الناجون من أعضاء الهيئتين من حمل وثائقهم وكنوزهم والهجرة إلى امارة طرابلس والاستقرار في حصن المرقب[3]، وبذلك فقدت الاسبتارية حصن جبرين، وهونين[4] ، وكوكب[5] ، وحصن الشوبك[6] سنة 585هـ/1189م، كما فقدت أيضا مدينة بانياس[7].

أرسل فرسان الاسبتارية الى الغرب الأوربي بأخبار الفتوح الإسلامية وما أصابهم وغيرهم من الصليبيين من هزائم ونكبات، وذلك لاطلاع البابوية وكبار زعماء أوروبا الكاثوليكية من الملوك والبارونات على أحوال اللاتين السيئة وقرب نهاية الحكم الصليبي في بلاد الشام، كي يسارعوا بارسال النجدات، التي تعوض الصليبيين عما فقدوه في حروبهم مع صلاح الدين من الرجال والعتاد والأموال، وهنا يبرز دور الجماعة و سعي الدائم من أجل انقاذ المملكة الصليبية بكل ما تستطيع من الوسائل، بما في ذلك ضمان لبقائهم واستمرار مصالحهم وما يرتبط بها من المنافع من جراء الوجود الصليبي على ارض الشام[8].

لم ينته دور الاسبتارية عسكريا بعد هذه الهزائم ، بل شاركت أيضا في حماية مدينة صور حين حاصرها صلاح الدين وتفانوا في الدفاع عنها، ولعبوا أيضا دورا كبيرا في أحداث الحملة الصليبية الثالثة[9] ، ومع نهاية القرن الثاني عشر أصبح لها مكانة بارزة بين العناصر الرئيسية المحاربة في المملكة اللاتينية، وساعدهم في ذلك ما يملكون من إمكانات مادية وعسكرية متجددة فبالرغم من الخسائر الجسيمة التي لحقت بهم في الحروب التي خاضوها مع صلاح الدين والتي كانت تنبئ بنهاية عهد الجماعة في بلاد الشام، إلاّ أن المراكز التابعة لها في الغرب الأوروبي كانت بمثابة نقاط امداد

[1] الأصفهاني، المصدر السابق، ص86.
[2] أبو شامة، الروضتين، ج2، ص313.
[3] العماد الاصفهاني، المصدر السابق، ص 116.
[4] هونين: بضم السكون ونون ياء ونون أخرى، بلد في جبال عاملة مطل على نواحي مصر. أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص420.
[5] كوكب: حصن معروف في الحوليات الصليبية باسم" Beauvoir" يطل على جبل طبرية ويشرف على جند الأردن. أنظر: الصوري، المصدر السابق، ج4، ص340.
[6] حصن الشوبك: أو مونتريال عند الصليبيين، قلعة حصينة في أطراف أيله والقلزم قرب الكرك. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج3، ص370؛ الصوري، المصدر السابق، ج4، ص240.
[7] أبو شامة، االمصدر السابق، ص381-382.
[8] الحناوي، الاسبتارية، ص245-246.
[9] فوزي رحيل، الرباط الصليبي، ص25؛ مؤنس عوض، التنظيمات، ص123.

بالمحاربين والمعدات والمؤن لا ينضب معينها بفضل الجهود المستمرة التي بدلها أعضاء الاسبتارية هناك[1].

سرعان ما استرد الاسبتارية بالشرق اللاتيني قوتهم ومارسوا نشاطهم الحربي ضد المسلمين على نحو أشد ضراوة، وأصبح لهم سياسة خاصة في تحديد موقفهم وعلاقاتهم من المسلمين، إما بتنفيذ حملات عسكرية ضد الأقاليم الإسلامية المجاورة، أو توقيع معاهدات صلح منفردة مع أمرائها، مثلما كان الحال مع إمارات حمص وحماه وحلب، ضمانا للأمن والاستقرار [2].

أدرك الصليبيون بعد حطين أن مصر هي قلب المقاومة الإسلامية، لذلك أصبحت هدفا مشروعا لهم ، ونالها بشكل مباشر حملتان عسكريتان شاركت فيهما الاسبتارية مشاركة فعالة،فكانت الحملة الصليبية الخامسة (1221-1218م/615-618هـ) بقيادة ملك بيت المقدس حنا دي بريين(1225-1210م/607-622هـ)، انتهت بقطع طريق العودة على الصليبيين و حصارهم في دلتا النيل سنة 1221م/618ه ـ، وقد كان للاسبتارية المسؤولية الكاملة في تحمل الهزيمة بعد وقوع العديد من أتباعها في الأسر، وتعنتها في رفض عروض الصلح المقدمة من طرف السلطان الكامل الأيوبي[3] ، أما الحملة السابعة (1250-1248م/646-648هـ) فقد شنها الصليبيون على مصر سنة 1249 م بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا في عهد السلطان الصالح نجم الدين أيوب،حيث شاركت فيها الاسبتارية بنحو خمسمائة فارس وخمسمائة من التركبولية كانوا في مقدمة القوات الصليبية عند الهجوم على المسلمين[4]، وقدموا نصائحا هامة لقائد الجيش في الحملة ، غير أن عدم الاستماع لهم والأخذ بنصائحهم مان سببا في الفشل ووقوع الجميع في الأسر بما فيهم الملك لويس التاسع[5].

ومهما يكن من أمر فقد بذلت الاسبتارية جهودا كبيرة في محاولة منها لوقف تقدم المماليك لكن دون جدوى، ومن ثم بدأوا يفقدون أملاكهم بصورة تدريجية، حيث خسروا حصن الأكراد سنة 1271م/669هـ[6]، و أيضا حصن المرقب[7]سنة 1275

---

[1]الحناوي، الاسبتارية، ص290.

[2]فوزي رحيل، الرباط، ص27

[3]محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة– حملة جان دي برين على مصر1218-1221م/615-618هـ - دار المعارف، الاسكندرية، 1985 ص358، مؤنس عوض، التنظيمات، ص126؛ مقامي، المرجع السابق، ص65؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص ص210، 225-226.

[4]King. E. J. The Knights Hospitallers in The Holy Land, London, 1931, p,94.

[5]الحناوي، الاسبتارية، ص402-405.

[6]King, op. Cit., p270.

[7]الحناوي، المرجع السابق، ص453-451.

Stevenson, op.cit. p349.

م/474هـ ، وكان ذلك علامة على قرب نهاية الصليبيين في بلاد الشام، ورغم أنهم قاوموا المنصور قلاوون بشدة حين حاصر طرابلس عام 1289م/688هـ، إلاّ أن قوتهم سحقت وخرجوا منها صاغرين[1]، وقد استغاث مقدم الاسبتارية بالغرب عقب فتح طرابلس لكن دون جدوى في ظل ما عانته أوروبا من صراعات وحروب دينية في تلك الفترة، واستمرت الاسبتارية في الدفاع ببسالة أثناء حصار عكا ـ إلاّ أن أغلب أتباعها قتلوا على أيدي القوات المملوكية ، وحمل مقدمهم جريحا الى قبرص[2]، وتم طردهم من بلاد الشام مع بقايا الصليبيين.

ب- الداوية:

قامت جماعة الداوية بأول عمل عسكري ضد المسلمين سنة 1138م/532هـ ، حيث ساهمت بفرقة صغيرة من فرسانها في التحالف الصليبي أثناء الهجوم على مدينة بزاغة [3] و الاستيلاء عليها ، كما شاركت أيضا في حصار قلعة شيزر[4] بالقرب من معرة النعمان لمدة أربعة وعشرين يوما ، رغم المقاومة العنيفة التي أبداها بنو منقد في الدفاع عن قلعتهم ، ويمكن أن نعتبر هذا العمل تطورا نوعيا في الأنشطة الحربية للجماعة ، فبعد أن التزمت بسياسة الدفاع في فترات سابقة ، أصبحت تشارك جنبا الى جنب مع الجيوش الصليبية في عمليات الهجوم ضد جيرانها المسلمين، حيث دخلت في صراع مع الفاطميين في مدينة عسقلان سنة 1141م/ 535ه ، ومع ذلك فقد تعرضت لهزيمة نكراء[5].

و نظرا للخبرة العسكرية التي اكتسبها فرسان الداوية ، فقد تكفلت بالدفاع عن عدد من القلاع والحصون مثل قلعة صفد[6] ، و قلعة بغراس الواقعة شمال أنطاكية ، ليتسع نشاطها العسكري بشكل كبير في بلاد الشام[7]، حيث شاركت خلال الحملة الصليبية الثانية في حصار دمشق سنة 1148م/543هـ لمدة أربع أيام ، واضظر أتباعها رفقة الجيش الصليبي الى الانسحاب في اليوم الخامس ، وعندئذ رفع الصليبيون الحصار عن دمشق بعد أن أعلنوا أن الخيانة كانت السبب الرئيسي لهذا الفشل ، كما ألقوا اللوم

[1] الحناوي، الاسبتارية، ص 460-461.
[2] مؤنس عوض، التنظيمات، ص133.
[3] بزاغة: بلدة من أعمال حلب في وادي بطنان، تقع بين منبج وحلب. أنظر: ياقوت الحموي ـ المصدر السابق، ج1، ص 409
[4] قلعة شيزر: تشمل على كورة في الشام قرب المعرة بينهما يوم واحد وتعد من كور حمص. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص324.
[5] خميس إبراهيم، المرجع السابق، ص78-82
[6] صفد: مدينة في *جبل عامل* مطلة على حمص بالشام، وهو من جبال لبنان، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص367.
[7] إبراهيم خميس، المرجع السابق، ص83.

على فرسان الداوية وأعلنوا أنهم تلقوا مبلغا ضخما من الذهب من حاكم دمشق مقابل تضليل الصليبيين وإفساد خطتهم [1].

أسم فرسان الداوية بشكل كبير في حصار مدينة عسقلان يوم 25 جانفي 1153م/548ه لمدة ستة أشهر رغم وصول امدادات فاطمية من القاهرة ، واستخدموا في ذلك كل الأساليب الحربية وآلات الحصار كآلة البرج التي لم تكن معروفة حينئذ ، واستطاعو بعد ذلك تدمير سور القلعة ، إلأ أن قواتهم لم تكن كافية لاحتلالها ، ورغم مبادرة الاقتحام التي نفذها مقدم الداوية وأتباعه إلأ أنهم تعرضوا للحصار من قبل المسلمبن المرابطين داخل القلعة ، فعجزوا عن الانسحاب ، وألقوا حتفهم جميعا ، حيث قطعت رؤوس أربعين رجلا من رجالهم وعلى رأسهم برنارد دي ترملاي مقدم الداوية وعلقت جثثهم على أسوار القلعة[2].

بعد الفشل الذريع للصليبيين فكر بلدوين ملك بيت المقدس في رفع الحصار عن القلعة، إلاّ أن مقدم الداوية والاسبتارية ومعهما البطريك فولشر استطاعوا اقناع الملك بضرورة الاستمرار، وبالفعل استمر الحصار، وأخيرا أستسلمت الحامية المصرية بعد مقاومة قاسية ووصول امدادات كبيرة للصليبيين، ليتم اقتحام المدينة في 19 سبتمبر سنة 1153م/548هـ[3].

حرص صلاح الدين بعد توحيد مصر و بلاد الشام على تصفية المعاقل الصليبية في الأراضي المقدسة ، وكله رغبة في تشديد الخناق على فرسان الداوية الذين كادوا أن يتسببون في مقتله في معركة عسقلان سنة 1177م/573هـ ، لذلك وضع قواته العسكرية في بانياس وعمل على ارسال الفرق للاغارة على الصليبيين ، فأراد بلدوين الرابع وضع حد لهذه الاغارات فاشترك في خطة عسكرية مع ريموند كونت طرابلس لقتال صلاح الدين ، وكان اللقاء في موقعة مرج عيون في 10 جوان 1179م /575ه وحقق فيها المسلمون انتصارا عظيما [4] ، في حين قتل عدد كبير من الصليبيين ، ووقع في الأسر مقدم الداوية أود دي سان أدموند Eude de St. Amand[5] ، وفي هذا

---

[1] يوحنا فورزبورغ، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة وتعليق، سعيد عبد الله البيشاوي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 1997، ص52، سعد خليل الشعيبات، المرجع السابق، ص 227

[2] مقامي، المرجع السابق، ص38.

[3] أبو شامة، الروضتين، ج1، ص225، مقامي، المرجع السابق، ص38.

[4] أبو شامة، الروضتين، ج2، ص9.

[5] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص 672، شريف عبد الحميد محمد الهادي، نيابة طرابلس الشام في عصر سلاطين المماليك (922-688 هـ/ 1289-1516م) دراسة تاريخية، دار التعليم الجامعي للطباعة والنشر، ط1، الاسكندرية، 2019، ص17-18

Grousset, op, cit, vol II, p677.

الحدث ينقل لنا ابن الجوزي[1] حيثيات المعركة في قوله : "وفي ربيع الأول كانت وقعة مرج عيون[2] ، التقى صلاح الدين الفرنج على مرج عيون ، فأسر مقدم الداوية الاستبار وصاحب طبرية ، وابن بارزان صاحب نابلس والرملة وعسقلان يافا ، وصاحب القدس ، وصاحب جبيل ، وكانت وقعة عظيمة فخلّص بعضهم نفسه ، ومات بعضهم في الأسر ." ، وقد استغل صلاح الدين هذا النصر العظيم في تصفية قلعة مخاضة بحص بيت الأحزان[3] التابعة للداوية والتي كانت واحدة من أخطر قلاع وحصون هيئة الداوية ، بسبب موقعها الاستراتيجي ، وشدة بأس تحصيناتها وما حوته من مؤن ورجال[4] .

و رغبة في الانتقام مما ألم بهم في موقعة مرج عيون ومواصلة للنهب واللصوصية ، شارك فرسان الداوية في حملة الفارس الفرنسي رينالد دي شاتيون (أرناط) صاحب الكرك في مهاجمة الأراضي المقدسة في الحجاز سنة 1183م/580هـ[5]، مما جعل صلاح الدين يضعهم في مقدمة من تجب تصفيتهم بسبب طبيعتهم الدموية وتعصبهم الأعمى ، وقد تحققت رغبته في معركة رأس الماء في منتصف شهر مارس1187م/583هـ والتي تمكنت فيها قوات الأفضل ابن صلاح الدين من سحق عدد كبير من فرسان الداوية والإسبتارية، وفي مقدمتهم مارشال الداوية جاك دي ميلي، في حين تمكن مقدم الداوية جيرار ريد فورت من النجاة بروحه[6].

كذلك قامت جماعة الداوية بدور حربي له أهميته خلال أحداث معركة حطين الحاسمة سنة 1187م/ 583 هـ[7]، واستطاع مقدمهم أن يدفع مبالغا طائلة للملك الصليبي للاستعداد أكثر للمعركة، إلاّ أن عددا من المشاركين منهم تعرضوا للأسر وقطعت رؤوسهم بلا تردد بسبب حقدهم وشدة بأسهم، ولم ينجو منهم سوى مقدمهم جيرار ريد فورت بعد توسل الملك الصليبي لصلاح الدين العفو عنه، وما أن تمكن صلاح الدين

[1] سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان وبذيله (ذيل مرآة الزمان)، تحقيق كامل الجبوري وقيس الجنابي وأحمد الأنباري، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2013، ج14، ص 280.
Grousset, op, cit, vol II, p677

[2] مرج عيون: بالترجيح انها " مرجعيون"، وهي المرادف للفظ اللاتيني Mergum، الذي استعمله وليم في الأصل، وقد ذكرت المراجع الجغرافية في العصر الوسيط " مرج عيون" وعرفته بأنه مرج في الأراضي الشامية الساحلية. أنظر: الصوري، المصدر السابق، ج4، ص246.

[3] بيت الأحزان: أو حصن الأحزان، بناه الصليبيون في جمادى الأولى 574هـ/ أكتوبر1178م على الطريق بين دمشق وساحل البحر، على نهر الأردن، شمالي بحرية طبرية وعلى مسافة عشرة أميال من بانياس. انظر: حسين عطية، امارة انطاكية، ص192.

[4] مقامي، المرجع السابق، ص50.

[5] Stevenson, op, cit, p226.

[6] مصعب حمادي نجم الزيدي، الصليبيون في بلاد الشام، دار النهضة العربية، ط1، لبنان، 2013، ص 213-214، ابراهيم خميس، الداوية، ص158.

[7] ابراهيم خميس، الداوية، ص 160..

الدخول إلي القدس عقب حطين حتى أزال مظاهر وجود الداوية في المسجد الأقصى وقبة الصخرة[1].

وفي أعقاب الحملة الصليبية الثالثة أثبت ما تبقى من فرسان الداوية مشاركتهم في العديد من معاركها ، غير أنهم تعرضوا لخسائر فادحة، وفقدوا في يوم واحد فقط أمام عكا مقدم الهيئة جيرار ريد فورت والعديد من فرسانهم دفعة واحدة[2]، ليتراجع دورهم بشكل كبير خلال القرن الثالث عشر، بسبب انحسار المناطق التي كانت بحوزة الصليبين في الساحل الشامي، ورغم مشاركتهم في الحملة الصليبية الخامسة على مصر سنة 1218م/609هـ ، إلاّ أنهم تعرضوا لهجمات المعظم عيسى بن العادل خاصة في قلعة عثليث والقيصرية سنة 1220م / 611 هـ[3] بغرض تخفيف لضغط العسكري الصليبي عن دمياط [4].

كما شاركوا في الحملة الصليبية السابعة على مصر مشاركة فعالة بحكم قيادة لويس التاسع للجيش الصليبي وما للداوية من مكانة كبيرة لدى التاج الفرنسي، ونتيجة لعدم استجابة روبرت كونت أرتوا لنصائح الداوية ، تعرض الصليبيون لهزيمة نكراء فيما يعرف بـ "معركـــــة المنصورة "في الرابع من ذي القعدة عـــام 647 هـ /8 فيفري 1250م [5]؛ حيث حوصر الجيش الصليبي في حواري المنصورة الضيقة مما مهد لوقوع مقدمة الجيش بين قتيل وأسير ، و كان على رأس القتلى روبرت كونت أرتوا ، أما لويس التاسع فقد تعرض بدوره للأسر وتم احتجازه بدار ابن لقمان بالمنصورة [6]، وفي أعقاب فشل الحملة الصليبية السابعة ، انتقلت مقاليد الحكم إلى قوة إسلامية فتية هي دولة المماليك الذين أثبتوا بجدارة أنهم أقوى دولة إسلامية في ذلك العصر في أعقاب انتصارهم على المغول في عين جالوت[7] عام 1260م/658هـ، ومن هنا كان هدفهم التالي هو تصفية معاقل الصليبيين[8].

على الرغم من الدور الأساسي الذي قامت به الهيئات الدينية في مقاومة المسلمين والتمكين للوجود الصليبي ، إلاّ أنها لم تتمكن من تحقيق أهدافها بعد فقدانها للعديد من

[1]أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج6، ص33؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص207، إبراهيم خميس، الداوية، ص169

[2]إبراهيم خميس، المرجع السابق، ص193.

[3]عثليث: قلعة حصينة تعرف بالحصن الأحمر أو قلعة الحجاج، ويحدها من الشمال مدينة حيفا ومن الجنوب قيسارية، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج6، ص123.

[4]إبراهيم خميس، المرجع السابق، ص246.

[5] قاسم عبده قاسم، الأيوبيون والمماليك، ص 136، ابراهيم خميس، المرجع السابق، ص305.

[6]محمد مصطفى زيادة، حملة لويس التاسع، ص157-158.

[7]معركة عين جالوت: للمزيد حولها، أنظر: محمد عبدالله عروة وآخرون، مختصر التاريخ الإسلامي، عمان، الأردن، 1989، ص 135-136.

[8]إبراهيم خميس، المرجع السابق، ص 314.

القلاع والحصون في معارك فاصلة خاصة على يد الظاهر بيبرس والسلطان المنصور سيف الدين قلاوون والأشرف خليل الذي تمكن من محاصرة عكا سنة 1290م/689هـ، وقتال الداوية بضراوة حتى قتل معظمهم ، وفي مقدمتهم مقدم الداوية وليم بيجيWilliam Biggie[1]، بعدها تساقط ما تبقي بأيدي الداوية من مدن وقلاع مثل صيدا وعثليت، وهنا فر الجميع إلى قبرص وإن بقيت فئة من الداوية في جزيرة أرواد قربساحل انطرطوس حتى 1302م/702هـ[2]، غير أن البر الشامي فقد الى الابد.

أ- التيوتون:

لعبت هيئة التيوتون دورًا ثانويًا في المجال العسكري والسياسي في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، مقارنة بالأدوار الكبيرة التي قامت بها هيئتا الداوية والاسبتارية ، ولا مجال للشك أن وجود الهيئتين الكبيرتين لفترة طويلة في الشرق كقوة عسكرية معترف بها من قبل البابوية والملوك كان له أهميتة الخاصة، حيث أصبح لهما نفوذ سياسي وقوة عسكرية مستقلة قبل استقلال التيوتون لوقت طويل ، وقد امتلكتا إلى جانب ذلك العديد من الحصون والقلاع الضخمة والجيوش ، مما منحهما شكلاً أكثر شمولية وقوة مقارنة بهيئة التيوتون التي لم يكن لها من القلاع والحصون إلاّ القليل [3].

بدا واضحًا أن هيئة التيوتون أدركت منذ البداية أهمية الدور الثانوي الذي انحصر نشاطها فيه في ظل المنافسة الشرسة والدعم السياسي الذي حضيت به الداوية والاسبتارية، لذا عملت على نقل نشاطها إلى مجال آخر يظهر فيه كفاءتها، فنقلت الهيئة بذلك نشاطها إلى المجال الأوروبي منذ عام 1256م/654 هـ ، بعيدًا عن الشام الصليبي المضطرب الذي كانت فيه القوى الصليبية تتصارع بطريقة غير منظمة[4].

أما بخصوص بعض الأدوار العسكرية التي قامت بها حصريا في بلاد الشام، فهيئة التيوتون تميزت بكونها أكثر اعتدالا وتعقلا وأقل شدة من الهيئتين السابقتين في علاقاتها مع المسلمين، وقد أظهرت ميلا كبيرا لقبول سياسة المهادنة منذ معاهدة 18

[1]وليم بيجي: أحد فرسان الداوية، كان ذا خبرة واسعة في قتال المسلمين، فقد شارك في قتالهم عدة مرات، وأسر عام 1261م/659هـ، وبعد إطلاق سراحه أصبح مقدم الداوية في بلاد الشام، وقتل في حصار عكا على يد قوات الاشرف خليل. انظر، رحيل، نهاية الصليبيين، ص71.

[2]محسن محمد صالح، الطريق إلى القدس، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ط1، بيروت، 2023، ص 141-142، راهيم خميس، المرجع السابق، ص374-375، مقامي، المرجع السابق، ص194-196

[3]فوزي رحيل، الرباط، ص79.

[4]مقامي، المرجع السابق، ص176.

ربيع الثاني 626 هـ / 27 شباط 1228م [1] بين الامبراطور الألماني فريدريك والسلطان الكامل، وكانت الهيئة السند الوحيد للإمبراطور في الشرق، الذي وجد الرفض من الجميع بسبب أنه كان محروم كنسيا[2].

كان النشاط العسكري لهيئة التيوتون محدودا، رغم اشتراكها في بعض الحروب والمعارك ضد المسلمين، وقد يعود ذلك الى قلة أفرادها في المجال الحربي بالدرجة الأولى، إلى جانب ماتعرضت له من هزيمة في معركة غزة عام 1244م/642هـ[3]، تلك المعركة التي سحقت فيها الجيوش الأيوبية الجيش الصليبي على آخره، وجل من شارك فيها من الفرسان التيوتون، ولم ينج منهم سوى ثلاثة فرسان فقط[4].

وفي إطار جهود الملك الظاهر ركن الدين بيبرس لتصفية الوجود الصليبي في المنطقة، تعرض الفرسان التيوتون في عهده لسلسلة من الهجمات[5]، حيث بدأت هذه الهجمات بشكل استطلاعي لاختبار مدى قوة أو ضعف حصن القرين الذي كان مقرا للهيئة، ليتم بعد ذلك الاستهداف المباشر سنة 1266م/ 664 هـ[6]، ثم يتكرر الهجوم مرة ثانية سنة 1270م/668هـ، حيث شدّد الحصار على الحصن بشكل كبير، واستخدمت في ذلك مختلف الحيل العسكرية حتى تمكن الملك الظاهر من الاستيلاء عليه[7].

إن إصرار الملك الظاهر على فتح حصن القرين لم يكن مجرد تصفية للوجود الصليبي فحسب، بل كان أيضًا عقابًا فوريًا للهيئة بسبب تحالفها المباشر مع المغول والأرمن ضد سلطنة المماليك، وعلى الرغم من سقوط هذا الحصن، إلا أن الهيئة استمرت في العمل العسكري بكل ما أوتيت من قوة للبقاء في الساحل الشامي، وحاولت تعويض

---

[1] تم بموجب هذه المعاهدة تعهد الامبراطور فريدريك بالتحالف مع السلطان الأيوبي الملك االكامل ضد أعدائه ووقف الحملات الصليبية، في مقابل تنازل الملك الكامل على بيت المقدس للصليبيين. أنظر: نجاة سليم محمود محاسيس، معجم المعارك التاريخية، دار زهران للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2011، ص 213-214.

[2] حسن عبد الوهاب، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون، ص199.

[3] معركة غزة أو معركة الحربية وتسمى أيضا معركة لافوربي، معركة قامت بجوار قرية الحربية في شمال شرق غزة يوم 17أكتوبر 1244م بين تحالف للصليبيين مع أيوبيين انفصاليين في دمشق وحمص والكرك من جهة، والجيش المصري التابع للسلطان الأيوبي الصالح أيوب مع قوات خوارزمية من جهة أخرى .انتهت المعركة بنصر الأيوبيين بقيادة ركن الدين بيبرس والسيطرة على القدس والخليل ودمشق. أنظر: نجاة سليم محمود محاسيس، المرجع السابق، ص 372-373

[4] ابن ابيك، كنز الدرر، ج7، ص352. حسن عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 250، عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص277،

stevenson,

op, cit, p323

[5] حسن عبد الوهاب، المرجع السابق، ص290.

[6] ابن عبد الظاهر محي الدين، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عبد العزيز الخويطر، الرياض، ط1، 1976م، ص253.

[7] ابن عبد الظاهر، المصدر نفسه، ص386.

خسائرها من الأراضي بشراء مزيد من الأملاك، واستمرت في هذه المساعي حتى فُرض الحصار الأخير على عكا، عاصمة الصليبيين في القرن الثالث عشر الميلادي[1].

شارك فرسان التيوتون في الدفاع عن مدينة عكا أثناء الحصار، وعلى الرغم من جهودهم الدفاعية، إلا أنها لم تكن جديرة بالفائدة[2]، فقد شدد الأشرف خليل بن قلاوون الحصار بقوات لا قبل للصليبيين بها، وفي ذلك الوقت لم تقدم أوروبا الدعم الكافي للقوات الصليبية، مما ساهم في سقوط المدينة، ليتم طُرد الصليبيين بعد ذلك من الساحل، ومن معهم مما تبقى من أفراد الهيئة، حيث قتل معظم أعضائها تقريبًا[3].

وبسقوط عكا فقدت تلك التنظيمات مركزها القيادي الحصين على امتداد المائة عام السابقة على سقوطها ولم يبق لهم سوى بعض القلاع مثل أنطرطوس وعثليث التي سقطت بدورها سنة 690هـ / 1291م، وارتحلت حامياتها إلى جزيرة قبرص بينما ظلت جزيرة أرواد الحصينة أمام انطرطوس مركزاً صليبياً حتى عام 703هـ / 1303م، وعلى اثر تلك الأحداث ، انتقلت تلك التنظيمات مرة أخرى إلى العديد من جزر البحر المتوسط مثل قبرص ورودس ومالطا، حيث أسسوا كيانات سياسية هناك دامت أمداً طويلاً ، وهي تحاول بعث فكرة العمل الصليبي ضد دار الاسلام كلما استطاعت إلى ذلك سبيلا[4].

3-مظاهر العلاقات بين التنظيمات الدينية والامارات الصليبية:

ساهمت التنظيمات الدينية العسكرية في تمديد عمر الوجود الصليبي لفترة طويلة في المنطقة، إلا أنها أيضًا كانت سببا في تأصيل عوامل الضعف والانقسام، اذ كان لديها من القوة مايكفي للتأثير على سلطة الدولة والكنيسة في بيت المقدس[5] ، وقد حازت أيضا بفضل جهودها المخلصة التي يذكيها حماس بالغ لصالح الصليبيين ثقة الملوك والأمراء الصليبيين، الذين لم يتوانوا في تقديم العطاء والدعم الكامل لها، مقابل ماتقوم به من أنشطة لصالح الصليبيين في الأراضي المقدسة[6].

لم تكن هذه التنظيمات خاضعة يوما لأي حاكم صليبي سواء كان علمانيا أو كنسيا ، إنما كانت تعتز باستقلالها وحريتها الكاملة ، حيث انتهجت في العديد من المناسبات سلوك الحلفاء الأحرار في اتخاد القرارات السيادية ، خاصة في إبرام العديد من

[1] حسن عبد الوهاب، التيوتون، ص315-317.
[2] نفسه، ص332.
[3] فوزي رحيل، الرباط، ص84.
[4] مؤنس عوض، التنظيمات، ص133.
[5] يوشع براور، الاستيطان الصليبي، 311.
[6] الحناوي، الاسبتارية، ص151.

الاتفاقيات والمعاهدات مع الأمراء اللاتين، فكانت تنشد دائماً سلطة الإشراف على سياستها العسكرية الخاصة مع الحكام المسلمين في المناطق المجاورة، فإن أعلنت الحرب أو اختارت الهدنة، وجب على الحاكم الصليبي الالتزام بمراعاة ذلك، ومن ناحية أخرى لم يكن بوسعه عقد هدنة أو اتفاق نهائي إن لم تكن التنظيمات الدينة راغبة في ذلك، فإن قام بهذا الأمر فلا يتعين عليها الالتزام بما ورد في بنودها ، وقد انتهزت أيضا في كل فرصة تتاح لها في الحروب والمعارك انتزاع ما يمكن انتزاعه من الأملاك التي استولت عليها أو منحت لها ، حتى أصبحت تلك الامتيازات جزاء لا يتجزأ من ممتلكاتها [1].

لقد وجد الأمراء اللاتين في طوائف الرهبان العسكريين جنوداً من نوعية ممتازة، خاصة في تعويض النقص الحاصل في الجيش الاقطاعي أو خلال عجزهم عن استئجار العدد الكافي من المرتزقة في كثير من المعارك، إلاّ أن فرسان الداوية والاسبتارية كانوا في البداية مجرد حلفاء فقط، ليتطور دورهم في عهد ريموند دي بوي الى منظمة عسكرية الطابع، وأصبحوا بذلك يشكلون قوة حربية لها شأنها بالنسبة للصليبيين[2].

ازدادت التنظيمات العسكرية قوة منذ سنة 1163م/558 هـ، بعد حصولها على عدد غير محدود من الاقطاعات الكبرى في بعض المدن و القرى مثل: حصن الأكراد،حصن بعرين[3]، البقيعة ، رفينه[4] ، قلعة بانياس[5] ، قلعة المرقب[6]، قلاع عكار[7]، عرقة[8] وغيرهما ، ولم تتوقف منطقة النفوذ عند هذا الحد ، بل اتسعت لتشمل العديد من

[1] يوشع براور، المرجع السابق، ص323؛ سالم عبد العزيز، المرجع السابق، ص216.
[2] الجنيدي، المرجع السابق، ص207-208
[3] بعرين: لفظ تستخدمه العامة من سكان الشام وصوابها بارين، وهي احدى القلاع المهمة القريبة من مدينة حماه التي كانت تتحكم في الطريق المؤدية جنوباً الى حمص، فضلاً عن أهميتها في حماية طرابلس من الجهة الشمالية الشرقية.. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص ص321 ،452، رشيد عبد الله الجميلي، العرب والتحدي الصليبي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1990، ص 36
[4] رفنية: كورة، ومدينة من أعمال حمص، وقيل عند طرابلس. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص55.
[5] بانياس: بلدة صغيرة، بلدة صغيرة تقع جنوب غرب دمشق عند رأس وادي الأردن وبها قلعة حصينة تعرف باسم الصبيبة، وهي من الحصون المنيعة.
أنظر: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، تقويم البلدان، تحقيق: رينود، ماك كوكين ديسلان، طبعة باريس، 1850، دار صادر، بيروت، ص249.
[6] المرقب: بلد وقلعة حصينة تشرف على ساحل الشام بين أنطرسوس وبانياس، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص108.
[7] عكار: هو حصن في جبل عكار الواقع في شرقي طرابلس، أبو الفداء، المصدر السابق، ص68
[8] عرقة: بلدة في سفح جبل، شرقي طرابلس، بينهما أربع فراسخ، وهي اخر عمل دمشق، بينها وبين البحر ميل واحد، وعلى جبلها قلعة حصينة.
أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص109.

القلاع والأراضي والقرى في مختلف أنحاء الشام الصليبي[1] ، ليصبح لها دورا جديدا في الشرق الصليبي لم يكن مقدرا لها من قبل ، فقد جاء ثراءها واتساع نفوذها على حساب الملوك والبارونات، كما أنها لم تعد خاضعة لملك بيت المقدس أو الكنيسة الكاثوليكية بالشرق ، بل كانت خاضعة للبابوية في روما مباشرة ، وبفضل هده الميزات استطاعت أن تضع لنفسها سياسة خاصة بها تختلف تماما عن سياسة الامارات الصليبية، وقد اتضح ذلك جليا في إمارتي انطاكية وطرابلس حيث مارست فيهما سلطة واسعة بعيدا عن تحكم أو سيطرة الأمراء ، كما كانت مدينة المرقب التي منحها بوهيمند للاسبتارية بمثابة دولة مستقلة تماما ، حتى أطلق عليها إسم دولة الاسبتارية[2].

كانت هذه التنظيمات مصدرا أساسيا للمعلومات وتنفيذ أوامر البابوية، من خلال ارسال تقارير منتظمة عن الأوضاع الدائرة في بلاد الشام والامارات الصليبية إلى روما من قبل البطريرك ومقدمي الاسبتارية والداوية، للوقوف على مجريات الأحداث ولاتخاذ القرارات المناسبة، وكانوا يعملون دوما كمرشدين وممثلين للسياسة البابوية، وبدور الوساطة لحل الخلافات بين الامارات الصليبية، وعلى الرغم من ذلك فإنها لم تسلم هي نفسها من الخلافات والصراعات الداخلية[3].

كان التنافس بين التنظيمات الدينية في بلاد الشام على أشده، وقد ظهرت المصالح الذاتية على حساب مواقفهم، نتيجة لانقسام المملكة بسبب النزاعات حول التاج مع البارونية ، فكانت الأسبتارية تؤيد الملك في معظم الأزمات السياسية، بينما كانت الداوية تدعم البارونية، وعلى ما يبدو فقد تبنى كل تنظيم فلسفة سياسية تناسب مصالحه، إلاّ أن هذه النزاعات سرعان مابددت قوتهم وأضعفت نفوذهم في اللحظة التي بلغوا فيها أوج قوتهم[4]، ومن الأمثلة على ذلك ما حدث في شمال بلاد الشام أثناء حكم جيوفري دونجون، فعندما توفي ريموند، الابن الأكبر لأمير أنطاكية بوهيمند الثالث، ترك وراءه ابنًا صغيرًا يُدعى "ريموند روبين"، وكانت أمه ابنة أخ الملك ليو الثاني ملك أرمينيا، كان ريموند روبين هو الوريث الطبيعي للإمارة ، وتم الاعتراف به رسميًا في اجتماع كامل للبارونات الأنطاكيين سنة 1198م/594هـ، لكن بوهيموند صاحب طرابلس الابن الثاني لريموند، والذي كان قوي الشخصية ومقتدراً لا يقبل بفكرة خلافة ابن أخيه الصغير لعرش الإمارة، و كان يؤيده في ذلك كوميونة أنطاكية

[1]مؤنس عوض، التنظيمات، ص111؛ السيد عبد العزيز، المرجع السابق، ص217.
[2]السيد عبد العزيز، طرابلس الشام، ص218، مقامي، المرجع السابق، ص27-28؛ براور، الاستيطان، ص310-312.
[3]سميث، الاسبتارية، ص152-153.
[4]الحناوي، الاسبتارية، ص482، سميث، المرجع السابق، ص157.

والداوية، اللذان كانا يعترضان بصلابة على ملك ليو أرمينيا وسبب استيلائه على قلعتهم ورفضه إعادتها لهم[1].

لقد كان مقدما الداوية والاسبتارية وسطاء في ابرام اتفاق صلح بين ملك قبرص والكنيسة سنة 1260م/658هـ، و اجتهدوا أيضا في تسوية الخلافات بين الملك هيو و باروناته سنة 1272م/670هـ رغم أنهم فشلوا في ذلك ، وفي نهاية سبعينات القرن الثالث عشر عقد مقدم الاسبتارية سلاما بين بوهيمند أمير انطاكية والداوية، أما في سنة 1287م/686هـ لما تعرضت عكا للحصار من طرف أسطول جنوة كخطوة في صراعها مع بيزا في المشرق، تمكن وفد ضم مقدمي الداوية والاسبتارية من اقناعه بالمغادرة ، ويبدو أن أوضاع الصليبيين في شمال الشام كانت في ذلك الوقت على حال سيئة من الضعف، بحيث أصبح المقيمين منهم يحدهم شعور الخوف إزاء الاخطار المرتقبة من جانب المسلمين او التتار، وقد وجدوا في قلاع الهيئات الدينية العسكرية الضخمة ملاذا للحماية لثقتهم في امكاناتهم الدفاعية، فاتجه الكثيرون منهم الى وضع أنفسهم واموالهم وممتلكاتهم او بعضا منها تخت تصرف هذه الهيئات[2].

وعلى الرغم من مساهمة هذه التنظيمات في العديد من المعارك الهامة التي تصارعت فيها المملكة اللاتينية مع جيرانها من القوى السياسية المسلمة، إلا أنها كانت عاملا من عوامل ضعف المملكة بحكم الانقسام والتناحر الذي كان بينهما خاصة الاسبتارية والداوية[3]، حتى أصبح لكل منهما سمعة سيئة ، فزيادة على الخلاف الذي كان قائما بينهما ، كان أعضائها كثيرا ما يخلقون صداما بين المسيحيين والمسلمين من أجل الحصول على الأموال من الحجاج القادمين من كل مكان والعمل على إكتنازها [4]، حتى غدوا صيارفة ، وإن كان يعبر بحق عن الافلاس الايديولوجي التي وصلت إليه تلك التنظيمات والتي قامت أساساً على مبادئ الرهبنة والفروسية، واذا كان دورها الحربي على نحو خاص قد ساعد على اطالة عمر الوجود الصليبي على امتداد ما يقرب من قرنين من الزمان[5].

4-عيوب المؤسسة العسكرية الفرنجية:

[1] سميث، المرجع السابق، ص157
[2] نفسه، ص152، الحناوي، الاسبتارية، ص417.
[3] سهيل زكار، الموسوعة، ج40، ص1782، كاهن، المرجع السابق، ص223.
[4] زكار، الموسوعة، ج40، ص1135، 1782.
[5] عوض مؤنس، التنظيمات، ص133.

على الرغم من الدور الايجابي الذي قامت به المؤسسة العسكرية الفرنجية في في بلاد الشام، إلا أنها واجهت العديد الصعوبات والعراقيل التي أثرت سلبًا على حياة الصليبيين في تلك المنطقة، نذكر من بينها:

أ- مشكلة التجنيد:

لم يكن هناك عائقا في المرحلة الأولى من الاحتلال الصليبي لبلاد الشام في تجنيد العناصر الراغبة في القتال من أجل نصرة الصليب واسترجاع الأماكن المقدسة ، سواء كان ذلك من المشاة أو الفرسان ، فقد كانوا متوفرين وبأعداد كافية للسيطرة على الأراضي والاقطاعات وضمان حمايتها ، وقد عرف عنهم الولاء و الاخلاص على وجه العموم، ولم تكن خدمتهم تخضع للقيود التي كانت شائعة في الغرب ، لكن ما إن توحدت بلاد الشام ومصر، حتى أصبح الفرنج بحاجة الى قوة عسكرية متزايدة من أجل مجابهة المسلمين وحماية ممتلكاتهم ، وتوسيع نطاق وجودهم ، ولم يجدوا في المقاتلين العدد الكافي فأصبحوا مضطرين الى الاعتماد على الجنود المرتزقة[1].

لقد كانت تكاليف الجنود المرتزقة وخدماتهم باهظة الثمن ومرهقة جدا للأمراء الصليبين، خاصة بعد تراجع الموارد العسكرية الاقطاعية لدى الفرنجة ، بسبب استرداد المسلمين للأراضي التي كانوا يسيطرون عليها، وبمجرد أن تمكن الزنكيون خلال الفترة الممتدة ما بين 1135م/529هـ و1150م/545هـ من استرجاع الأراضي الشمالية التابعة لإمارة انطاكية، والأراضي الواقعة شرقي نهر العاصي وكونتية الرها بكاملها من أيدي الفرنجة، واستردوا أيضا بانياس والمقاطعات المحيطة بها من مملكة بيت المقدس سنة 1164م/559هـ ، حتى فقد الأمراء الصليبيون على هذا النحو القوة العسكرية التي كانت تعززها ملكيتهم لتلك الأراضي[2].

اضطر الأمراء الى الانفاق على الجنود المرتزقة من موراد مالية بديلة كالهبات الخاصة التي كانت ترد إليهم من حكام أوروبا أو من البابوية، أو عن طريق الضرائب المفروضة في المدن والامارات الصليبية وعلى اختلاف أنواعها ، بحيث أصبح الاعتماد على المرتزقة يشكل عبئا ماليا ثقيلا على عاتق الأمراء والملوك، لأن هؤلاء الجنود يعتبرون محاربين موسميين يؤدون الخدمة طالما ظلوا يتلقون أجورهم، أو ظل لديهم الأمل في الحصول عليها، إلاّ أن تنظيم مثل هذه القوة، مهما كان شأنها ولمدة طويلة، كان يتسبب في ارهاق النظام المالي البدائي لدويلات العصور الوسطى ارهاقا

[1] سميل، المرجع السابق، ص163-164، جمعة الجنيدي، المرجع السابق، ص201.
[2] سميل، المرجع السابق، ص163-164.

شديدا[1] ، ويقول في ذلك المؤرخ دافييد نيكولا : *David C. Nicolle* [2] أن جيش الفرنجة كان محدودا بالقوة الشرائية للحاكم أكثر من مجموعة المقاتلين المتاحة، والمبدأ هو :" إذا كانت الأموال متوفرة، فإن القوات متوفرة".

لقد كان عدد الجنود القادمين من أوروبا غير كاف ، ولم تكن لهم الخبرة الكافية بالمنطقة ، بالاضافة الى صعوبة التحكم بهم، اذ استحوذت عليهم الرغبة في اثبات وجودهم والصعود الى المجد أمام أقرانهم، لاسيما أولئك الذين تحملوا عناء السفر وطول الطريق من أوروبا الى الشرق لملاقاة المسلمين والاقتصاص منهم[3]، هذا من ناحية أما من ناحية ثانية فمن الملاحظ أن هؤلاء الجنود لم يزيدوا من القدرة الدفاعية أو الهجومية للإمارات الصليبية بصورة كاملة، لأن بقائهم مرتبط بتحقيق هدف معين في الشرق، وهذا الأمر كان سمة مميزة من سماتهم[4]، مما أجبر الصليبيين في كثير من الأحيان على تقييد عملياتهم العسكرية وتأجيلها الى حين وصول جموع الجنود من الغرب وبصحبتهم الحجاج المقاتلين فترة أو اثنين من كل عام، وإيقاف العمليات العسكرية بصورة شبه كاملة خاصة في فصل الشتاء[5].

وتشكل العديد من الجنود المرتزقة من المحرومين والمجرمين والمعاقبين في الغرب و، كان رحيلهم واستقرارهم في بلاد الشام يتم بصورة إجبارية ، لأن الكنيسة كانت تحكم بالنفي المؤبد الى الأراضي المقدسة عن المجرمين، ليكفروا عن خطاياهم هناك بقتال المسلمين، ومن المرجح أن من هؤلاء كانت تتشكل بقدر كبير الامدادات التي كانت ترسلها البابوية الى دول الصليبيين في الشرق، وبالتأكيد فان هذا الخليط من المجرمين لن يقدم الدعم المادي أو العسكري بصورة فعالة ، بل على العكس سيكون ضررهم أكبر من فائدتهم بالنسبة الى الصليبيين في بلاد الشام[6].

ومن الصعوبات التي واجهتها الجيوش الصليبية في بلاد الشام، هي انعدام أو قلة المدافعين عن القلاع الصليبية ومعاقلها، خاصة عندما تكون هناك دعوة للجيوش للخروج في حملة أو من أجل صد هجوم قادم، اذ أن وجود جيش ميداني قوي مع حاميات مناسبة في آن واحد كان أمرا مستحيلا[7]، ومن الأمثلة على ذلك عندما كانت

[1] جاسر علي العناني، فتح صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس بين السياسة والحرب، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2012، ص 151-152، سميل، المرجع السابق، ص 168.

[2]David C. Nicolle, The Crusader States and their Neighbours: A Military History, 1099–1187, OXFORD, Britain,2020, p148.

[3]زابروف، المرجع السابق، ص158.

[4]مقامي، المرجع السابق، ص25.

[5]عامر ونوس، المرجع السابق، ص163.

[6]زابروف، المرجع السابق، ص157.

[7]سميل، المرجع السابق، ص171.

القوات الصليبية في مهمات شمال بلاد الشام استغلت القوات الفاطمية الأمر وأغارت على المدن الصليبية الجنوبية العديد من المرات، لعلمها بأن الفرسان الذين يقيمون فيها موجودون عادة مع الجيش هناك، مثلما حدث سنة 507هـ/1113م فقد أورد فوشيه الشارتري مايوضح ذلك في قوله: إن رجال عسقلان وهم عرب شرقيون، مع قلة عددهم تقدموا الى القدس، وقد وصلوا في أحد الأيام الى سور البلد الخارجي وأشعلوا النيران في المحاصيل المجمعة هناك ...ولم يكن جنودنا في المدينة لأنهم خرجوا لمقابلة العدو ، وقد تكررت الهجمات على مدينة القدس أكثر من مرة من قبل حامية عسقلان ، وذلك بسبب خلوها من المقاتلين كما حدث في عامي 509هـ/1115م، و518هـ/1124م[1] ، حيث أشار ابن الأثير الى خلو الفرسان والمدافعين عن المملكة في قوله : " ثم سار نور الدين فيمن عنده من العساكر، فدخل بلاد الفرنج فنهبها وأغار عليها واستباحها، ووصلت الغارات الى ما لم تكن تبغه لخلو البلاد من مانع"[2].

وهنا يمكن القول إن ضعف التجنيد وقلة عدد الجنود كان مشكلا وعائقا خطير عانت منه الجيوش الصليبية بشكل كبير في بلاد الشام، وكان سببا في سقوط المدن الصليبية الواحدة تلو الأخرى بسهولة تامة خاصة بعد معركة حطين، ويذكر أيضا أن مدينة بيت المقدس بعد معركة حطين لم يتبقى فيها إلاّ فارسين اثنين للدفاع عنها، وكانت مدينة عكا من بين المدن العديدة التي تركت دون حامية تكفي لتلبية احتياجات الدفاع عنها، مما اضطر سكانها الى الاستسلام دون مقاومة تذكر، وفتحت أبوابها أمام الجيوش الإسلامية[3].

وقدم لنا في هذا الجانب وليام الصوري شرحا مطولا يشكو فيه من الصفات القتالية للفرنجة المعاصرين، ولاحظ أنه في الماضي تمكنت الامارات الصليبية من هزيمة جيوش كبيرة بحفنة من الفرسان، وقد أصبحوا الآن غير قادرين على تحقيق النصر حتى لو كان الفرنجة يمتلكون أعدادا متفوقة ، ويرتكز في ذلك لقناعاته أن الفرنجة الشرقيين أداروا ظهورهم الى الله وبالتالي فقدوا الدعم الإلهي، وأيضا بسبب توقفهم عن التدريب الصارم على الأسلحة حتى أصبحوا خاملين غير قادرين على القتال، كما أن وحدة البلاد الإسلامية تحت حكم نور الدين محمود وصلاح الدين ، مكنت من جمع أعداد كبيرة من الجيوش شكلت تهديدا وجوديا دائما للصليبيين في بلاد الشام[4].

[1] الشارتري، المصدر السابق، ص 153،207.
[2] ابن الأثير، الباهر، ص144.
[3] سميل، المرجع السابق، ص170-171-172؛ براور، الاستيطان الصليبي، ص394.
[4] الصوري، المصدر السابق، ج4، ص186-188.

لقد كان الوجود صليبي في بلاد الشام مرهونا في النهاية بوجود جيش ميداني وحاميات للقلاع في آن واحد، وكانت تلك مشكلة الحكام اللاتين الذين عجزوا عن حلها بعد أن أعجزهم ضعفهم العسكري الذي ساهم في زوالهم من المنطقة[1].

ب-ضعف الاسطول البحري:

عان الجيش الصليبي من المعارك البحرية نتيجة لعدم امتلاكه أسطولا حربيا قويا يمكنه من مواجهة الأساطيل الإسلامية خاصة المصرية منها ، مما اضطره للاستعانة بالقوى البحرية الأروبية أو بالأسطول البيزنطي أو الصقلي، عند التفكير في مهاجمة أو غزو المدن الساحلية للمسلمين[2]، ومع أن وليم الصوري استخدم لفظة أسطول، في حديثه عن بعض السفن ، التي ساهمت في حصار عسقلان وعددها خمسة عشر سفينة، إلاّ أن هذه التسمية ليست في محلها اطلاقا[3]، ولا تعكس حقيقة الأسطول البحري في العصور الوسطى، ومن الأمثلة على ذلك ما أورده ابن واصل في معرض حديثه عن الأسطول الصقلي الذي قدم المساعدة للجيش الصليبي أثناء حصاره لمدينة الإسكندرية سنة569 هـ/1173م، حيث قال : " فأمكن الأسطول النزول، فاستنزلوا خيلهم من الطرايد[4]، وراجلهم من المراكب، وكانت خيلهم ألفا وخمسمائة رأس، وكانت عدتهم ثلاثين ألف مقاتل، ما بين فارس وراجل، وكان عدد الطرايد ستا وثلاثين طريدة، تحمل الخيل، وكان معهم مائتا شيني[5]، في كل شيني مائة وخمسون راجلا، وكان عدة السفن التي تحمل آلات الحرب والحصار من الأخشاب الكبار وغيرها ست سفن ، وكان عدد المراكب الحمالة برسم حمل الأزواد والرجال أربعين مركبا..."[6]. ويفهم من هذا الحديث أن الاسطول الحربي الحقيقي تكون سفنه مجهزة خصيصا للقيام بأكثر من دور، وعدد المقاتلين المستعدين للقيام بالعمليات الحربية كبير جدا ومتنوع يضم في مجمله المشاة والفرسان وغيرهم من العساكر، أما الامكانيات المادية هائلة...، وهذا مالم يكن يتوفر في الامارات الصليبية في بلاد الشام.

ج- عتاد الفرسان:

[1]سميل، المرجع السابق، ص173.
[2]رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص362؛ ماير، المرجع السابق، ص314.
[3]الصوري، المصدر السابق، ج3، ص354-355.
[4]الطرايد: مفردها طريدة، عبارة عن سفينة بحرية مخصصة لحمل الخيول، ولا تتسع لأكثر من 40فرسا، ابن مماتي اسعد، قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م، ص339.
[5]شيني: يطلق عليه اسم الغراب أحيانا، وهو مركب بحري يستخدم في حمل المقاتلين، وله 140مجدافا على جانبيه؛ ابن مماتي، المرجع السابق، ص340.
[6]ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص12-13-14.

عانى الفرسان الصليبيين من نوعية العتاد العسكري في كثير من الحروب والمعارك خاصة ما يتعلق بالخيول، واللباس المخصص للقتال، ونوعية الأسلحة التي كانوا يستخدمونها، حيث كان لدى الفرسان الصليبيين خيولٌ ضخمة وقوية جدًا، إلاّ أنها بطيئة الحركة، ليس لها القدرة على التحرك بسرعة، والقتال في أرض المعركة[1]، فحينما كانوا يتقدمون أو يتراجعون، كانوا يتعرضون بسرعة لهجمات مضادة من فرق الخيالة الإسلامية، وكانت تستخدم رماحها بدقة وبسرعة فائقة، مما تسبب في مقتل العديد منهم[2].

وثمة عدد من المؤرخين تركوا لنا وصفا حيا للمعارك التي دارت رحاها بين الجيوش الإسلامية والجيوش الصليبية، حيث وصفوا الخيالة والفرسان في الجيوش الإسلامية بالنحل الذي يحوم حول الفرسان الصليبين بسبب سرعة وخفة الحركة[3].

أما عن العتاد العسكري في أرض المعركة، فقد كان الفرسان مثقلين بالعدة والعتاد، وكلها مصنوعة من المعادن، مثل السيوف والرماح والدروع الواقية و. يرتدونها صيفا وشتاء، مما أثر سلبا في قدرتهم على المناورة والحركة ودورهم في القتال [4]، وبطبيعة تسليحهم هذا لا يستطيعون البقاء في أرض المعركة لفترة طويلة، ذلك أنهم كانوا يصابون بالتعب والارهاق، ومع أن طاقتهم كانت جبارة إلاّ أنهم كانوا عديمي المرونة ليس لهم القدرة على الانسياب [5] ، حتى أصبحوا هدفا سهلا للرماة وفرق الخيالة الإسلامية، إلى درجة أن الدرع الواقي أصبح عاجزا عن حماية الفرسان من هذه الهجمات، وسببا في وفاتهم أو تعرضهم للإصابات والجروح[6] .

ففي القرنين 12 و13م، لم يعد من الممكن حماية الفرسان من السهام والحراب التي كانت تُطلق عليها في ميدان المعركة، وكان من السهل على الخصوم إسقاط فارس صليبي عن سرج حصانه بعد قتل الحصان، فبمجرد أن يترك الفارس سرجه، يقلل ذلك من حركته ويجعله عرضة للهجمات من أي محارب آخر من الأعداء[7]، مما أفقد العديد من الفرسان الصليبيين

[1] براور، الاستيطان الصليبي، ص389.
[2] نفسه، ص404.
[3] نفسه، ص404.
[4] أحمد الشامي، صلاح الدين والصليبيون، ص 127.
[5] سهيل زكار، حطين مسيرة التحرير من دمشق إلى القدس، دار احسان للطباعة والنشر، ط1، دمشق، 1984، ص 82.
[6] مؤنس عوض، حركة الاستعمار الأوربي في العصور الوسطى، د.ن، القاهرة، 2014، ص53.
[7] موريس بيشوب، المرجع السابق، ص94.

لقد عان الفرسان في الحصول على خيول مقاتلة كتلك كانوا يستخدمونها في أوروبا أثناء المعارك والحروب، ورغم أن الحصان العربي كان متوفرًا في المنطقة، إلأ أنه باهظ الثمن، ولم يكن مناسبًا للعدة الثقيلة التي يستخدمها الفرسان الصليبيون[1].

وعلى الرغم من استفادتهم من الحصان العربي في تشكيل فرق التركبولي بسبب سرعته في الجري[2]، إلاّ أنه لم يكن بديلاً جيدًا لخيولهم التي قتلت أغلبها في المعارك، ولهذا لم يكن أمامهم سوى جلب الخيول من دول أوروبا[3]، لتأمين تزويد الفرسان بخيول قوية.

[1]عامر ونوس، المرجع السابق، ص166.
[2]نفسه، ص166.
[3]كلود كاهن، المرجع السابق، ص226.

الخاتمة

بعد البحث في حيثيات ومضامين موضوع الدراسة الموسوم: العلاقات السياسية والعسكرية بين الامارات الصليبية في بلاد الشام مابين القرنين 11-13م/5-7هـ، ومحاولة منا للإجابة على التساؤلات الفرعية والإشكالية الرئيسية، توصلنا في الختام إلى مجموعة من النتائج النهائية، يمكن تحديدها في النقاط التالية:

- تمكّن الأمراء الصليبيون بعد أول حملة لهم على المشرق الاسلامي من السيطرة على أجزاء واسعة من

بلاد الشام والجزيرة الفراتية، ونجحوا في اقامة مملكة لهم في بيت المقدس (1099 هـ/ 492 هـ) وثلاث امارات: الرها في أعالي الفرات (1097م/ 490 هـ)، أنطاكية في شمال الشام (1098م/ 491 هـ)، وطرابلس على الساحل الشامي (1109م/ 502هـ).

- انّ تعدد الكيانات الصليبية في بلاد الشام والجزيرة، وعدم قدرتها على الاندماج ضمن كيان واحد

أو قبولها للوحدة السياسية، سببه التباين الكبير في أصول وأعراق القادة الصليبيين، فضلا عن التقسيمات الجغرافية واللغوية التي بدت واضحة بين الأمراء أثناء اعداد وتنظيم الحملة الصليبية الأولى، مما يفسر بشكل دقيق اختلاف النوايا ومصالح كل طرف على حدي.

- انّ غياب قيادة موحدة للصليبيين بالمفهوم السياسي والعسكري خلال الحملة الصليبية الأولى، يعد أحد العوامل الهامة التي أثرت على وحدة الصف الصليبي، وسببا رئيسيا في تفرق الصليبيين وتشتت جهودهم، وتضارب مصالحهم في كثير من الحالات، كل ذلك كان على حساب الهدف الأساسي للحملة.

- شكلّت مملكة بيت المقدس أكبر ممالك الصليبيين فى الشرق وقاعدة للعديد من عملياتهم العسكرية ، حيث تمتعت بأولوية ظاهرة ، وذلك بحكم أوضاعها الدينية والتاريخية ، و استمرت فى الوجود نحو قرنين من الزمن، اذ كانت فى العديد من الأوضاع في حالة تحالف مع بقية الامارات الصليبية بحكم الأمر الواقع ، لكنها لم تكن تملك من السيادة الكاملة عليهم إلاّ الاسم ، ذلك أن مصالح الأمراء كانت تتجاوز في بعض الأحيان سلطة الملوك وتصطدم مع طموحاتهم وأهدافهم ، مما فتح المجال للكثير من الاختلاف في المواقف و التوتر في العلاقات .

- شهدت العلاقات الصليبية الصليبية نوعا من التعاون السياسي والعسكري البنّاء ، في اطار الصراع الاسلامي الصليبي ، وذلك لمواجهة الخطر الاسلامي المحذق بهم ، ولضمان استرجاع الأراضي التي فقدوها خلال الحملة الصليبية الأولى، و المحافظة على ماتبقى في حوزتهم ، حيث توحدت جيوش الامارات في أوقات كثيرة وظروف عصيبة ، وخاضت مجتمعة العديد من الحروب و المعارك الكبرى ضد المسلمين على غرار معركة الرملة الثانية سنة 1102م/495هـ ، معركة تل دانيث سنة 1115م/509هـ ، معركة اعزاز 1125م/519ه وموقعة قنسرين 1133م/527هـ ، وتمكنت بفضل ذلك من احراز النصر على حساب المسلمين ، والسيطرة على مساحات شاسعة من الأراضي والحصون والقلاع ، وتعزيز موقعها ومكانتها العسكرية في المنطقة .

- لم تخلو العلاقات السياسية والعسكرية بين الامارات الصليبية من مظاهر التنافس والصراع ، وكان من نتائج ذلك فشلها في المحافظة على إمارة الرها ، أولى الامارات الصليبية تأسيسا وتوطينا ببلاد الشام، حيث كان للتنافس الحاد بين الأمراء، والمصالح الشخصية لكل إمارة عاملا أساسيا في سقوطها بعد مرور ما يقرب من نصف قرن على تأسيسها ، حيث تعرضت هذه الإمارة لتهديدات قوية من الجيوش الإسلامية ، و بعد حصار دام لأكثر من شهر، تمكن "عماد الدين زنكي" من استعادتها من أيدي

الصليبيين ، وكان هذا الانتصار بمثابة البداية لانحسار السيطرة الصليبية في المنطقة ، كما أصبح الطريق إلى القدس أقل أمانًا للصليبيين، مما جعلهم أكثر عرضة للهجمات من قبل الجيوش الإسلامية التي كانت تسعى لتحرير الأراضي المحتلة ، أما على المستوى العسكري ، فقد تسبب سقوط الرها في فقدان أحد أهم القواعد العسكرية التي كانت تساهم في تأمين طرق الإمداد والاتصالات بين المناطق الصليبية في الشرق، و أصبح الصليبيون في المدينة في موقف ضعف أمام الهجمات المحتملة من قبل الجيوش الاسلامية ، ومع اختفاء هذا الدعم باتت القدس أكثر عزلة عن القوى الصليبية الأخرى في المنطقة، مما زاد من تعقيد الوضع العسكري في بيت المقدس.

- جاءت الحملة الصليبية الثانية الى الشرق لتثبيت دعائم الامارات الصليبية واسترداد الرها ، والحد من ضغط المسلمين الذي تزايد على يد زنكي وولديه ، ولكن وللمرة الثانية انحرفت عن أهدافها الحقيقية بسبب الأطماع المتزايدة لملك بيت القدس ، و توجهت نحو دمشق متناسية الرّها ، لمهاجمة حاكمها الفعلي "معين الدين أنر" الذي كان حليفا للصليبيين ، وكانت محاولتهم فاشلة ، وممّا زاد من حرج الصليبيين هو تلك الخلافات و الانقسامات التي وقعت بينهم حول تبعية دمشق ومصيرها بعد السيطرة عليها ، مما عجل بفشل الحملة الصليبية الثانية وعجزها عن تحقيق هدف واحد من أهدافها ، فانحطت هيبة الصليبيين ومكانتهم بالشام وازداد نفود المسلمين ، وكان فشل هذه الحملة نقطة تحول خطيرة في تاريخ الحروب الصليبية وفي تاريخ الصليبيين بالشرق الأدنى.

- ان الصراعات الداخلية داخل مملكة بيت القدس وغيرها من الامارات الصليبية قد تسببت في

تشتت الجهود وضعف الوحدة في مواجهة التحديات الخارجية. كما أن التنافس الداخلي بين الأمراء والنبلاء أدى إلى تشكيل تحالفات مع القوى الإسلامية المحلية لتحقيق مصالح شخصية، مما أضعف جهود الحرب الصليبية بشكل عام.

- كان لظهور شخصية عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود، دورا هاما في تعميق الانقسام

السياسي والضعف العسكري داخل الإمارات الصليبية، حيث برزت معهما بوادر القوة والوحدة لدى المسلمين في شمال الجزيرة وبلاد الشام، مما ساعد على استرجاع العديد من الأراضي التي كانت بحوزة الصليبيين، كما تميز الربع الأخير من القرن 12م/6 ه بظهور شخصية القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي، الذي قاد حركة التحرير والوحدة بين مصر وبلاد الشام، وألحق بالصليبيين خسائر فادحة في معركة حطين، واستطاع أن يعيد بيت المقدس للمسلمين، ليسقط بذلك مركز الوجود الصليبي في بلاد الشام.

- شهدت الامارات الصليبية مراحلا حاسمة في تاريخ وجودها ببلاد الشام، حيث كانت المرحلة

الأولى فترة للتأسيس والتوسع والقوة ، امتدت من عام (1097م/ 490 هـ) الى غاية استرجاع المسلمين لمملكة بيت المقدس عام (1187م/583 هـ) بعد هزيمة الصليبين في معركة حطين ، أما المرحلة الثانية فكانت فترة للضعف والتداعي لما تبقى من الكيانات الصليبية في بلاد الشام (أنطاكية، طرابلس، المملكة الاسمية في عكا)، على الرغم من كثرة الحملات العسكرية التي انطلقت من الغرب الأوروبي لدعمهم و مساندتهم، إلاّ أنها لم تحقق لهم ما كانوا يطمحون إليه من الأمن و التوسع، فتحولت هذه الإمارات إلى الدفاع عن وجودها بدلًا من الهجوم و التوسع.

- حاولت المملكة الصليبية الاسمية في عكا 1193م/589هـ، أن تكون مركز للقيادة لما تبقى من

الإمارات الصليبية في بلاد الشام، وأن تنوب عن مملكة بيت المقدس فيما كانت تقوم به من أدوار، إلاّ أنها كانت أضعف بكثير مما كانت تطمح إليه، حيث ازدادت حدة الصراعات والانقسامات بين الصليبيين في بلاد الشام.

- إنّ خضوع إمارة طرابلس لحكم أمراء أنطاكية ساهم في إضعافها وتحجيم دورها في بلاد الشام خلال

هذه الفترة الحرجة للوجود الصليبي في المنطقة، هذا الوضع دفعها إلى الانجرار نحو التحالف المغولي الأرميني ضد بلاد المسلمين، مما جعلها هدفًا لدولة المماليك الذين سعوا للانتقام منها.

- حاولت كل من الإمبراطورية والبابوية مساندة ودعم الكيان الصليبي في بلاد الشام، لكن الصراع المحتدم بينهما حول أحقية القيادة والسيطرة (السلطة الزمنية والروحية) على الوجود الصليبي أسهم في ضعفه وسقوطه، وقد تفاقم هذا الوضع خاصة بعد أن خمد الحماس والاندفاع الأعمى لتأييد القضية الصليبية في الشرق من قبل الغرب الأوروبي.

-كان للإمارات الصليبية في بلاد الشام جيوشا نظامية دائمة، استخدمتها للتوسع والدفاع عن وجودها في المنطقة، وأقامت لها الحصون والقلاع كأماكن إقامة لها، ومع ذلك فقد ظهرت في هذه الجيوش عيوب كثيرة ساهمت في هزيمتها في العديد من المعارك الحاسمة ضد المسلمين، وكانت سببا في فقدانها للعديد من الاراضي والاقطاعات.

- نتيجة لضعف الجيش الصليبي النظامي برزت للوجود العديد من التنظيمات الدينية، والتي تحولت بمرور الزمن الى النشاط العسكري، وأصبح لها شأن كبير في سياسة الصليبيين، حيث سيطرت على الأمور وتدخلت في الشؤون السياسية والعسكرية داخل وخارج الامارات الصليبية، ويحسب لها القيام بأدوار هامة في تاريخ الوجود الصليبي في بلاد الشام.

وفي الختام، يمكن القول إن سوء العلاقات القائمة على المنافع والمصالح الشخصية بين الإمارات الصليبية كان السبب الرئيسي في استنزافها وإضعافها بشكل تدريجي إلى أن وصلت إلى وضع حرج، لا تستطيع فيه الدفاع عن نفسها، هذا بالإضافة إلى الخلافات والصراعات الداخلية التي كانت تمزقها وتفتت عضدها، فضلاً عن الصراعات المذهبية والسياسية الأخرى.

وعلى الجانب الآخر، فقد لعب المسلمون دورًا حاسمًا في استغلال هذه الانقسامات، حيث استطاعوا توحيد صفوفهم تحت قيادات قوية مثل عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي. وكذلك المماليك، مما ساعدهم على تحقيق انتصارات حاسمة واستعادة أراضيهم من الصليبيين في بلاد الشام، واتمام مشروع الوحدة الاسلامية.

قائمة الملاحق

الملحق رقم 01: جدول لقادة الحملة الصليبية الأولى وعدد قواتهم.

القائد	المنطقة الاصلية	عدد القوات التقديرية	
		المشاة	الفرسان
ريموند الصنجيلي[1]	جنوب فرنسا	8800	1200
بوهيمند[2]	تارانتو جنوب ايطاليا	9500	500
جودفري[3]	بويون بلجيكا حاليا	حوالي 8000	حوالي 2000
روبرت الثاني[4]	نورماندي شمال فرنسا	6000	1000
روبرت الثاني[5]	كونت فلاندرز بلجيكا الحالية	5500	500

الوحدة: جندي

الملحق رقم 02: خريطة توضح مسارقادة الحملة الصليبية الأولى وتأسيسهم للامارات الصليبية في بلاد الشام[6].

---

[1] رنسيمان، الحروب الصليبية، ج1، ص507.

[2] Jonathan Riley-Smith, The First Crusade and the IDEA of Crusading, Continuum, London, 2003, p50-58.

[3] God's War by Christopher Tyerman, Penguin Books, LONDON, 2006, p134-142.

[4] The Crusades: *The Authoritative History of the War for the Holy Land* by Thomas Asbridge.89-97.

[5] Jonathan Riley-Smith, Op.cit, P60-65

[6] https://www.worldhistory.org/image/9193/map-of-the-crusader-states-1229-1240-ce/

(بتصرف من الطالب)

الملحق رقم 03: خريطة توضح الامارات الصليبية في بلاد الشام1098-1144م/491-539ه

من إنجاز الطالب[1]

[1]حسين مؤنس، أطلس تاريخ الاسلام، 263.

الملحق رقم 04: جدول يوضح أهم المعارك التي توحدت فيها جيوش الامارات الصليبية.

المعركة	التاريخ	مملكة بيت المقدس	امارة طرابلس	امارة انطاكية
حصار طرابلس[1]	1109م/503هـ	1000	300	700
معركة تل الجزر[2]	1177م/573ه	حوالي 4000	لم تشارك بشكل فعال	لم تشارك بشكل فعال
معركة حطين[3]	1187م/ 583ه	حوالي 15.000	حوالي2000	عدد قليل
معركة ارسوف[4]	1191م/587ه	حوالي 15000	2000	2000

الوحدة: جندي

الملحق رقم 05: جدول يوضح عدد المعارك التي خاضتها الامارات الصليبية ضد جيوش المسلمين في الفترة ما بين 1099 و1188م.[5]

الفترة الزمنية	بيت المقدس	الرها	انطاكية	طرابلس	المجموع

[1]ألبرتأخن، تاريخ الحملة، ص281، 282؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 162؛ ابن الاثير، الكامل، ج9، ص131.

[2]

[3]Thomas Asbridge.op.cit, p330-321.

[4]Jonathan Riley-Smith, Op.cit, P 310-320. Thomas Asbridge.op.cit, p370-380.

[5]Nicolas Marton, op.cit, p2016.

1099-1108م	05	05	02	01	13
1109-1118م	01	/	02	/	03
1119-1128م	02	02	01	/	05
1129-1138م	/	/	01	03	04
1139-1148م	01	01	02	01	05
1149-1158م	02	/	/	/	02
1159-1168م	02	/	/	/	02
1169-1178م	03	/	1	/	04
1179-1188م	02	/	/	/	02
المجموع	18	08	09	05	40

الوحدة: معركة.

الملحق رقم 06: دائرة نسبية توضح نسبة المعارك التي إنتصرت أوإنهزمت فيها الامارات الصليبية على المسلمين في الفترة ما بين 1099 و1188م.[1]

[1]Nicolas Marton, op.cit, p2016.

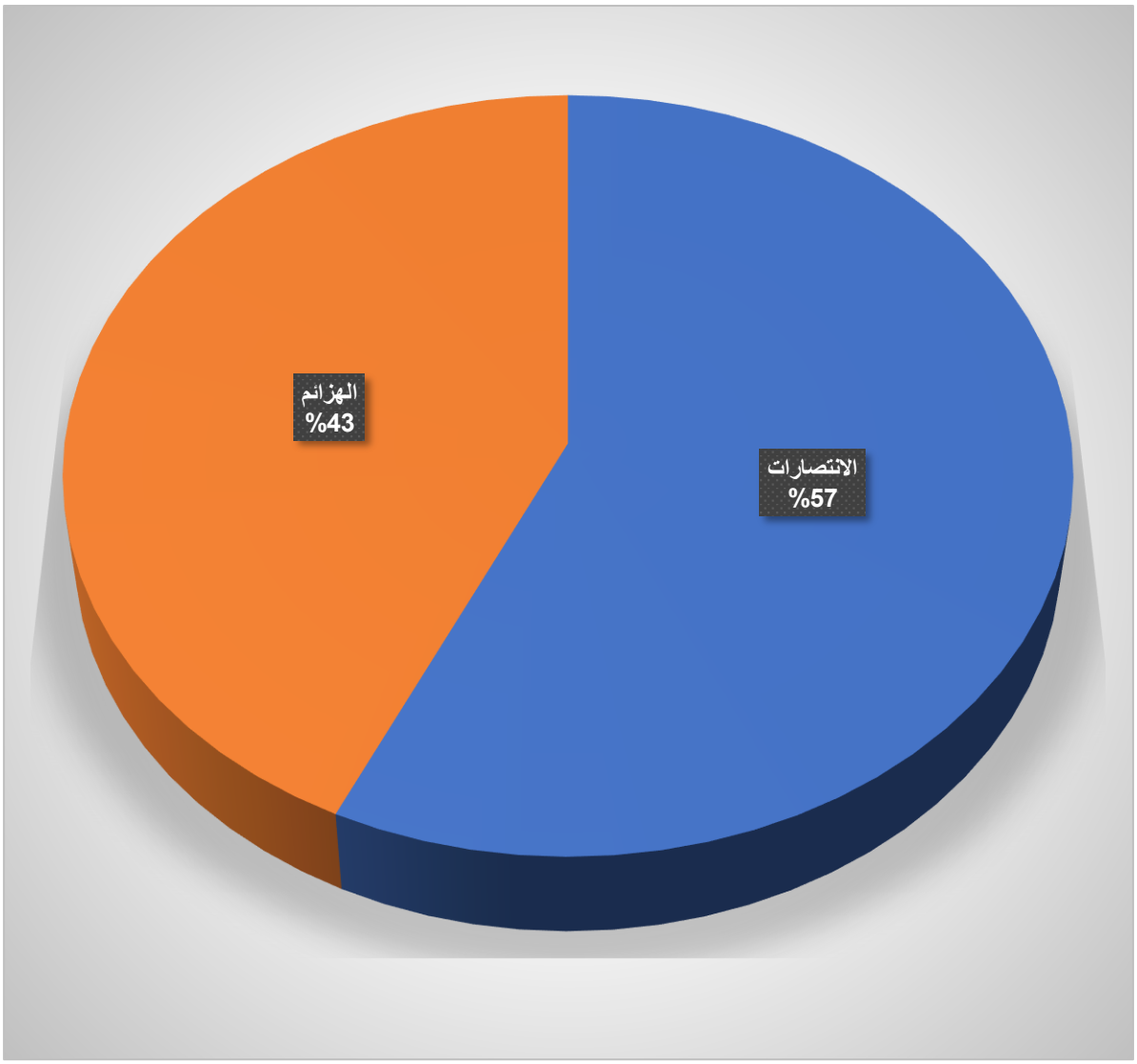
الهزائم
%43
الانتصارات
%57

الملحق رقم 06: المناطق التي بقت بيد الامارات الصليبية في الفترة ما بين 1229و1240م[1]

[1]https://www.worldhistory.org/image/9048/the-near-east-in-1135-ce/

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1. ابن الأثير عز الدين الجزري(ت630هـ)، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق: عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د.ت.
2. ، الكامل في التاريخ، مراجعة وتحقيق: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط4، بيروت، 2002، ج9. ج10.
3. ابن الحريري، الاعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تحقيق: سهيل زكار، مكتبة دار الملاحق، دمشق، 1981.

4. ابن العديم، الحلبي(ت660هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: المهدي عيد الرواضية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1438هـ/2016م، ج1.
5. ابن العديم، الحلبي، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1996، ج1.
6. ابن الفوطي(ت723هـ)، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، ط1، إيران، 1416هـ، ج3.
7. ابن القلانسي، ابي يعلي حمزة(ت821ه)، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الإباء اليسوعيين، بيروت، 1908.
8. ابن الكثير، أبو العباس أحمد بن محمد(ت774ه)، البداية والنهاية، الدار المتوسطية للنشر والتوزيع، ط1، تونس، 2005، ج10.4 .
9. ابن تغري بردي جمال الدين ابي المحاسن(ت874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1357ه-1938م، ج1. ج6.
10. ابن حوقل ابي القاسم النصيبي (ت بعد 367ه)، صورة الارض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992.
11. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين احمد محمد(ت681ه/1457م)، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1987، مج2.
12. ابن عبد الظاهر محي الدين(ت692هـ)، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تح: عبد العزيز الخويطر، الرياض، ط1، 1396هـ/1976م.
13. ابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن بن عبد الله الشافعي(ت571هـ)، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1995، ج19.
14. ابن فضلان(ت309هـ-921م)، رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة الى الترك والخزر والروس والصقالبة، تح: سامي الدهمان، دار صادر، لبنان، د.ت.
15. ابن واصل، أبو الحسن علي بن محمد، (768ه)، مفرج الكروب في اخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، الطبعة الاميرية، القاهرة، 1957، ج1، ج2.
16. ابن واصل، مفرج الكروب، تحقيق: حسين محمد ربيع، مراجعة سعيد عاشور، دار الكتب المصرية، 1972، 1977، ج4،5.
17. أبو الفدا، المختصر في اخبار البشر، تعليق: محمد ديوب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان،2019 ، ج4.ج3.
18. أبو الفداء إسماعيل(ت732ه)، تقويم البلدان، ت: رينود وماك كوكين ديسلان، طبعة باريس، دار صادر، بيروت، 1850.
19. ابي شامة، أبو شامة عبد الرحمن بن علي (ت665)، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، المرجع السابق لبنان، 2002، ج1.

20. ابي عبد الله محمد عماد الدين الكاتب الاصفهاني(ت597هـ)، الفتح القسي في الفتح القدسي، دار المنار، 2004.
21. الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1409هـ، ج2.
22. أسامة بن منقذ الشيزري، الاعتبار، تحقيق: عبد الكريم الاشر، المكتب الإسلامي، ط2، بيروت، 2003.
23. الأصبهاني عماد الدين الكاتب، تاريخ دولة ال سلجوق، تحقيق: يحي مراد، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1424هـ-2004م، ج1.
24. ألبرت فون أخن(اكس)، تاريخ الحملة الصليبية الأولى، تحقيق وترجمة: سهيل زكار، دمشق، 1427هـ/ 2007م، ج51.
25. انا كومنينا، الكسياد، تر: حسن حبشي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2004،
26. بطرس تديبود، تاريخ الرحلة الى بيت المقدس، ترجمة: حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999.
27. بن شداد بهاء الدين، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تح: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1415هـ/1994م.
28. بيبرس المنصوري(ت725هـ)، مختار الاخبار تاريخ الدولة الايوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة 702هـ، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1413هـ-1993م.
29. الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748 هـ /1374 م): سير أعلام النبلاء، تع: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، 1985، ج19.
30. روبرت كلاري، فتح القسطنطينية على يد الصليبين، ترجمة: حسن حبشي، (د. م)، (د. ن)، 1964.
31. مجهول، تتمة كتاب وليام الصوري لمؤلف مجهول المنسوب خطأ الى روثلان (1229-1261)، ترجمة وتعليق أسامة زكي زيد، الدلتا للطباعة، الإسكندرية، 1989.
32. رودولف دي كان، أعمال تانكرد ملك صقلية في الحملة على بيت المقدس، تر: حسن عبد الوهاب، طلعت عبد الرزاق زهران، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، مصر، 2019.
33. ريموناجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، تر: حسن محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية، 1990.

34. سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان وبذيله (ذيل مرآة الزمان)، تحقيق كامل الجبوري وقيس الجنابي وأحمد الأنباري، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2013، ج14، 21.
35. شمس الدين الذهبي(ت748هـ)، سير اعلام النبلاء، تح: شعيب الارناؤوط واخرون، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، 1405-1985، ج4.
36. الشهرستاني، ابي الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تصحيح: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 1992.
37. الصفدي صلاح الدين (ت764)، الوافي بالوفيات، تح: احمد الارناؤوط، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2000، ج 2، ج24،
38. (ــــــــــ) (ت764هـ)، الوافي بالوفيات، دار صادر، ط3، بيروت، 1411هـ/1991م، ج5.
39. العمري شهاب الدين(ت749هـ)، التعريف بالمصطلح الشريف، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م.
40. الغزي كامل بن حسين(ت1351هـ)، نهر الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، ط2، سوريا، 1419هـ، ج1.
41. فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، تر: زياد العسلي، ط1، دار الشروق، عمان، 1990.
42. الفيومي أحمد بن محمد(ت770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت،1987، ج2.
43. القلقشندي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي(ت821ه/1418م)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م، ج4.
44. قلهاردوان، من مذكرات قلهاردوان فتح القسطنطينية، ترجمة: حسن حبشي، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، 1403ه.
45. مار ميخائيل الكبير، تاريخ مار ميخائيل الكبير، تر: مار غريغوريوس صليبا شمعون، دار ماردين، حلب، 1996، ج3.
46. متى الرهاوي، تاريخ متى الرهاوي، تر: الرويضي محمود، عبد الرحيم مصطفى، مؤسسة حمادة للدراسات، الأردن، 2009.
47. مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، تر: حسن حبشي، دار الفكر العربي، مصر، 1958،
48. محمد العظيمي الحلبي(ت556هـ)، تاريخ حلب، تحقيق: إبراهيم زعرور، د.ن، دمشق،1984.
49. المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد مصطفى زيادة، ط2، القاهرة، 1956، ج2.

50. مكسيموس مونرود، الحروب المقدسة في المشرق، تر: كيريو مكسيموس مظلوم، دير الرهبان الفرنسيسكان، القدس، 1865، م2.
51. مؤلف مجهول، ذيل وليم الصوري، تر: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002.
52. الهمذاني، رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ، تح: صادق نشأت واخرون، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1960، م2، ج1.
53. وليم الصوري، الحروب الصليبية (تاريخ الاعمال المنجزة ما وراء البحار)، تر: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991، ج1.
54. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1995، ج5.ج4،
55. يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ترجمة وتعليق: سعيد البيشاوي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1998.
56. اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر(ت284هـ)، البلدان، تح: محمد امين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.
57. يوحنا فورزبورغ، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة وتعليق: سعيد عبد الله البيشاوي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 1997.

ثانيا: المراجع

أ- العربية

58. إبراهيم خميس سلامة، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية: جماعة الفرسان الداوية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002.
59. ابن سعيد الحسن علي بن موسى المغربي، كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت،1970.
60. ابن مماتي اسعد، قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.
61. إسحاق عبيد، روما وبيزنطة، دار المعارف، مصر، 1970.
62. أسد رستم، الروم في سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوفة، ط2، لبنان، 1956، ج2.
63. أسمت غنيم، الحملة الصليبية الرابعة ومسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية، دار المعارف، الإسكندرية، 1982.
64. أسمت غنيم، الدولة الايوبية والصليبيون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990.
65. برجاوي سعيد احمد، الحروب الصليبية في المشرق، دار الافاق الجديدة، بيروت، 1404هـ-1984م.
66. البيشاوي السعيد، نابلس في عصر الحروب الصليبية، د.ن، ط1، عمان، 1991.

67. جاسر علي العناني، فتح صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس بين السياسة والحرب، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2012.
68. الجنزوري علية عبد السميع، امارة الرها الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001.
69. جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، دار النهضة العربية، ط3، الإسكندرية، 1981م.
70. جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الاوربية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1984.
71. جوزيف يوسف، العدوان الصليبي على بلاد الشام هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة، دار الكتب الجامعية، ط3، الإسكندرية، 1971م.
72. جوني وفاء، دمشق والمملكة اللاتينية في القدس منذ أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثاني عشر الميلاديين، 492-569 هـ/ 1098-1174م، دار الفكر، ط1، بيروت، 1997.
73. حسن البطاوي، الصليبيون بين الكنيسة والقلعة، فرست بوك للتوزيع والنشر، القاهرة، 2023.
74. حسن حبشي، الحرب الصليبية الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1958.
75. حسن عبد الوهاب حسين، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة حوالي 1190-1291م/586-690 ه، تقديم: جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعية، ط1، الاسكندرية ،1989.
76. حسين عطية، امارة انطاكية الصليبية والمسلمون 1171-1268م/567-666هـ، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية،1989.
77. حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، ط1، القاهرة، 1987، ص279.
78. حسين مؤنس، نور الدين محمود، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1959.
79. حمد علي حسين، قاموس المذاهب والأديان، دار جبل، ط1، بيروت، 1998.
80. الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد، دار المعارف، القاهرة، 1979م.
81. الخطيب، تاريخ الدولة الزنكية في بلاد الشام والجزيرة، دار قنديل للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2004.
82. الخوارزمي، ناصر ابن عبد السيد أبي المكارم، المغرب في ترتيب المعرب، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، د.ت، ص 188.
83. سهيل زكار، الموسوعة الشامية، دمشق، 1998م، ج34،
84. ر.سي. سميل، فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر، تر: وليد الجلاد، مركز الدراسات العسكرية، دمشق، 1985.

85. رشيد عبد الله الجميلي، العرب والتحدي الصليبي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1990.
86. رأفت عبد الحميد، الفكر السياسي الأوربي في العصور الوسطى، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002.
87. زينب عبد المجيد، الانجليز والحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، 1996.
88. سهيل زكار، حطين مسيرة التحرير من دمشق إلى القدس، دار احسان للطباعة والنشر، ط1، دمشق، 1984.
89. سهيل زكار، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية اوروبا العصور الوسطى، الموسوعة الشامية، دمشق، 1995م/1416هـ، ج3
90. سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، 1995، ج13.
91. سهيل زكار، الموسوعة، ج31.
92. سهيل زكار، الموسوعة الشامية، دار الفكر، بيروت، 1414/1993هـ، ج8.
93. سهيل زكار، الموسوعة، دمشق، 1416هـ/1995م، ج10،
94. سهيل زكار، الموسوعة الشامية، دار الفكر، دمشق، 1422هـ/2001م، ج40.
95. سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق، 1995م/1416هـ، ج5،
96. سالم محمد الحميدة، الحروب الصليبية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990، ج2.
97. سعيد عاشور، الحركة الصليبية، مكتبة الانجلو مصرية، ط1، القاهرة، 2010، ج1.
98. سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج2، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة ،1986.
99. سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1976.
100. سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، 1972.
101. سعيد عبد الفتاح، قبرص والحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 2002.
102. سعيد عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، جامعة بيروت، لبنان، 1977.
103. سعيد عبد الله البيشاوي، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية (1099-1291)، دار المعرفة الجامعية، 1990.
104. سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة، دار المعارف، الإسكندرية، 1985.

105. السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية323-1081م، دار النهضة العربية، بيروت، دت.
106. السيد الباز العريني، مؤرخو الحروب الصليبية، د.ن، القاهرة، 1962م.
107. شريف عبد الحميد محمد الهادي، نيابة طرابلس الشام في عصر سلاطين المماليك (922-688 هـ/ 1289-1516م) دراسة تاريخية، دار التعليم الجامعي للطباعة والنشر، ط1، الاسكندرية ، 2019.
108. شعبان محمد حمزة، بلغاريا والحروب الصليبية، دار الافاق العربية، القاهرة، دت.
109. صبحي حموي اليسوعي، معجم الايمان المسيحي، دار المشرق، ط2، بيروت، 1994.
110. صلاح ضبيع، دور الالمان في الحروب الصليبية في بلاد الشام، ط1، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، 2009.
111. عادل عبد الحافظ، العلاقات السياسية بين الدولة الايوبية والامبراطورية الرومانية المقدسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001م.
112. عادل هلال، العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي، عين للدراسات، القاهرة، 1997.
113. عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1966.
114. عبد اللطيف الهادي السيد، في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب السياسة الصليبية للبابا انوسنت الثالث (1216-1198م)، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2005.
115. علي بن صالح المحميد، الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الاناضول، مؤسسة شباب الجامعة، ط1، الإسكندرية، 1994.
116. علي عمر بدوي، بلاجيوس ودوره في الحركة الصليبية1165-1230م، نور حوران للدراسات والنشر والتراث، دمشق، 2019.
117. عماد الدين خليل، الامارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1980.
118. عمران، تاريخ الحروب الصليبية1095-1291م، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2000.
119. عوض محمد مؤنس، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، 1995.
120. فايز نجيب إسكندر، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، توزيع الكتب العلمية، مصر، (د. ت).

121. الفيومي، أحمد بن محمد ابن علي الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، د.ت، ج1.
122. قاسم عبده قاسم، الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة،1999.
123. قاسم عبده قاسم، علي السيد علي، الايوبيين والمماليك، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، د.ت.
124. قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، الكويت، 1990.
125. محسن محمد صالح، الطريق إلى القدس، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ط1، بيروت، 2023.
126. محمد جمال الدين سرور، دولة الظاهر بيبرس في مصر، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1960.
127. محمد عبد القادر الداغستاني، النظرية العسكرية والمذهب العسكري والعقيدة العسكرية دراسة تحليلية بضمنها تطور النظريات العسكرية عبر تاريخ فن الحرب، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2019.
128. محمد عبدالله عروة واخرون، مختصر التاريخ الإسلامي، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1989.
129. محمد فوزي رحيل، الرباط المقدس، مركز التاريخ العربي للنشر، ط1، إسطنبول، تركيا، 2020.
130. محمد فوزي رحيل، نهاية الصليبيين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، 2009.
131. محمد مصطفى زيادة، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، (د. ن)، ط1، القاهرة، 2000.
132. محمد مؤنس عوض، في الصراع الإسلامي الصليبي – السياسة الخارجية للدولة النورية -، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 1998، القاهرة.
133. المحمود، إبراهيم مصطفى، موسوعة السياسة والحرب في بلاد الشام، الهيئة السورية للكتاب، دمشق، 2011م، ج1.
134.
135. محمود شيت خطاب، بين العقيدة والقيادة، دار القلم، ط1، دمشق، 1998.
136. مرسي الشيخ، عصر الحروب الصليبية في الشرق، دن، الاسكندرية، 2004.
137. مصطفى الحيارى، صلاح الدين القائد وعصره، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1994،
138. مصطفى محمد الحناوي، العلاقات بين جمهورية امالفي والمسلمين في مصر والشام، مكتبة الرشد، ط1، السعودية، 2002.

139. مصطفي محمد الحناوي، جماعة الفرسان الاسبتارية ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي في عصر الحروب الصليبية، مكتبة الرشد، السعودية، 2004.
140. المكين جرجس بن العميد، اخبار الايوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دت.
141. منذر الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، الأوائل للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 2006م، ج2.
142. عوض محمد مؤنس، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، 2000/1999.
143. عوض محمد مؤنس، عالم الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2005.
144. نبيلة إبراهيم مقامي، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنيين الثاني عشر والثالث عشر، مطبعة جامعة القاهرة، مصر، 1994.
145. نجاة سليم محمود محاسيس، معجم المعارك التاريخية، دار زهران للمشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2011.
146. نعيمة الساحلي، الاستيطان الفرنجي وتأثيره في البيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للكيانات الصليبية في فلسطين والساحل الشامي، دار قتيبة، ط1، سوريا، 2009.
147. نهى الجوهري، امارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، دار العالم العربي، ط1، القاهرة، 1429هـ/2008م.
148. نقولا زيادة، دراسات إسلامية، دار الاندلس، بيروت، 1960، ج1.
149. نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في اوربة، دار الفكر، دمشق، 1402-1982، ج1.
150. ياسين الخطيب، القدس بين أطماع الصلبيين وتفريط الملك الكامل الايوبي، دار المناهج، ط1، الأردن، 2001م.
151. ٍاسر عبد الوهاب، الدعم الأوربي للإمارات الصليبية في بلاد الشام، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، 2014.
152. يحي الشامي، موسوعة المدن العربية والاسلامية، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، 1993.

ب- المعربة

153. انتوني بردج، تاريخ الحروب الصليبية، تر: أحمد سبانو، نبيل الجيرودي، دار قتيبة، سوريا، 2014.
154. باركر ارنست، الحروب الصليبية، تر: السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، ط2، بيروت، 1997.
155. بير تولد شبو لير، المغول في التاريخ، تر: يونس شلبي، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، 1989.

156. البير شاندور، صلاح الدين الايوبي البطل الأنقى في الإسلام، تر: سعيد أبو الحسن، تح: نديم مرعشلي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط2، سورية، 1993.
157. توماس ماتزناك، السلام الصليبي، تر: بشير سباعي، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط2، 2009.
158. جوزيف داهموس، سبع معارك فاصلة في القرون الوسطى، تر: محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، د.ت.
159. جوناثان ريلي سميث، الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص (1050 - 1310م) ، تر: صبحي الجابي، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، دمشق، 1989.
160. سهيل زكار، الموسوعة الشامية، دمشق، 2000، ج39.
161. رينيه غروسيه، موجز تاريخ الحروب الصليبية، تر: أحمد إيبش، دار الكتب الوطنية، ط1، الامارات العربية المتحدة، 2014م.
162. فشر. هربرت. ا. ل، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، تر: محمد مصطفى زيادة، الباز العريني، دار المعارف، ط6، مصر، دت، ج1.
163. فولفغانغ مولر-قيز، القلاع أيام الحروب الصليبية، تر: محمد وليد الجلاد، سعيد طيان، دار الفكر، ط2، دمشق، 1984.
164. كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، تر: أحمد الشيخ، سينا للنشر، ط1، القاهرة، 1995.
165. كنيث سيتون، تاريخ الحروب الصليبية، تر: سعيد عبد الله البيشاوي واخرون، منشورات بيت المقدس، فلسطين، 2004، ج1.
166. كوبلاند وفينوجرادوف، الاقطاع والعصور الوسطى في غرب أوروبا، ت: محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية، ط3، القاهرة، 1958.
167. لين بول ستانلي، صلاح الدين وسقوط مملكة القدس، ترجمة: فاروق سعد أبو جابر، الاهرام للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1995.
168. موريس بيشوب، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، تر: علي السيد علي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2005م.
169. مونروند مكسيموس، تاريخ الحروب المقدسة في المشرق المدعوة حرب الصليب، تر: مكسيموس مظلوم، دير الرهبان الفرنسيسكانيين، القدس، 1865م، م1.
170. ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، تر: الياس شاهين، دار التقدم، موسكو،1986.
171. ميشال بيلار، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني (من القرن الحادي عشر الى القرن الرابع عشر الميلادي)، تر: بشير السباعي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، 2003.

172. رنسيمان ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، تر: السيد الباز العريني، دار الثقافة، ط3، بيروت،1993، ج1.
173. نورمان بينز، الإمبراطورية البيزنطية، تعريب: حسين مؤنس، محمد يوسف زايد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1950م.
174. نورمان كانتور، التاريخ الوسيط قصة الحضارة البداية والنهاية، ترجمة قاسم عبده قاسم، دار المعارف، ط2، 1997، ج2.
175. هانس ابرهارد ماير، تاريخ الحروب الصليبية، تر: عماد الدين غانم، د.ن، 2008، ليبيا.
176. يوشع براور، الاستيطان الصليبي في فلسطين، تر: عبد الحافظ البنا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، 2001.

ج- الأجنبية

177. Alan TAMI, L'art la guerre au temps des croisades (491/1098-589/1193), Thèse de doctorat, Université Bordeaux, France, 2012,
178. Bernard Hamilton, Crusaders, Cathars and the Holy Places, Routledge Revivals, 2018, New York, USA
179. Claude Cahen, La Syrie Du Nord A L'Epoque des Croisades paris, 1940..
180. **Cloud Cahen, La Syrie Du Nord A l'époque des croisades** et la principaute franque d'Antioche ; libraire orientalistePaulGeuthner, paris VI, 1940
181. *David C. Nicolle, The Crusader States and their Neighbours: A Military History, 1099–1187*, OXFORD, Britain,2020, p148
182. **Encyclopedia Britannica, article Baldwin king of** Jerusalem, six the edition,2001.
183. [1]God's War by Christopher Tyerman, Penguin Books, LONDON, 2006, p134-142.
184. Grosset, Histoire des Croisades et du royaume franc de Jérusalem, Paris, 1934, vol1.
185. Grousset R, Histoire des Crusades et du Reaume Franc de Jérusalem, Paris,1946, vol3. p11
186. Jonathan Riley-Smith, The First Crusade and the IDEA of Crusading, Continuum, London, 2003, p50-58.
187. King. E. J. The Knights Hospitallers in The Holy Land, London, 1931, p,94.
188. RalphYewdale, Bohémond 1. Prince Of Antioch, University of Wisconsin, USA, 1917, p.4.5
189. Riley smith, Jonathan, Corrado di Monferrato, v1, Roma,1983

190. Setton (K M) ,A history of the Crusades, London, 1969, vol1
191. Stevenson; the crusades in the East, Cambridge University Press, 12 déc.2012, p69.
192. T. A. Archer, Charles Lethbridge, The Crusades, The Latin Kingdom of Jerusalem, Third impression, Fisher union, London, 1894.
193. The Crusades: *The Authoritative History of the War for the Holy Land* by Thomas Asbridge.89-97.
194. W.B. Stevenson, thecrusades in the East, London,1907.

د- الرسائل الجامعية

195. حسين كاظم ال طعمة، امارة طرابلس الصليبية502-688هـ/1109-1288م، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، 2004.
196. خالد حسين الدكيفي، لويس التاسع والنشاط الفرنسي الصليبي من معركة المنصورة حتى وفاته (669-648هـ/1250-1270م)، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، سوريا، 1432هـ/2011م.
197. الرويضي محمود، امارة الرها الصليبية1097-1155/ 490-550هـ، أطروحة دكتوراه، جامعة الأردن، 1997.
198. زينب خير الدين، الأوضاع السياسية للساحل الشامي ما بين (585-690هـ/1189-1291م)، دكتوراه، غير منشورة، جامعة دمشق، 1438هـ/2016م.
199. سلامين اديب موسى، دور تنكريد في الحروب الصليبية، أطروحة دكتوراه، جامعة مؤتة، الأردن، 2016.
200. طالب عبد الفتاح الصوافي، القلاع في شمال فلسطين في فترة الصراع الفرنجي الإسلامي، ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن،1997.
201. عامر عادل ونوس، الإدارة والقضاء والجيش في مملكة بيت المقدس الصليبية 492-583هـ/1099-1187م، ماجستير، جامعة تشرين، سوريا، 2018.
202. عبد الله سعيد الغامدي، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين، رسالة دكتوراه، جامعة ام القرى، 1986، السعودية.
203. عقيل جبار جاسم الاسدي، عكا في ظل الحكم الصليبي(498-690هـ/1104-1291م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة البصرة، العراق، 1431هـ/2010م.
204. علي سرور عبد المنعم، السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس عهد فولك الانجوي (1143-1131م/526-538)، أطروحة دكتوراه، جامعة عين شمس، 2000.

205. مبروك بن مسعود، العلاقات الخارجية لإمارة انطاكية الصليبية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2012-2013.
206. هالة الوريكات، الحملة الصليبية الأولى على بلاد الشام، أطروحة دكتوراه، جامعة الأردن، 2010.

ه- الدوريات

207. أشرف صالح، الحقبة الهوهنشتاوفنية في الإمبراطورية الرومانية المقدسة، دورية كان الالكترونية، السنة الثانية، العدد الثالث، 2009.
208. اميرة مصطفى أمين، العداء بين النورمان والبيزنطيين وأثره على موقف الاميرين النورمانيين بوهيمند وتانكريد من امبراطور القسطنطينية اثناء تقدم الحملة الصليبية الأولى عام 1097م، مجلة كلية الآداب، المجلد 2، العدد 26، جامعة طنطا، مصر، 2013.
209. حيدر اليساري، عباس الزهاوي، الصراع بين البابوية والامبراطورية الألمانية في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وأثره في الحركة الصليبية، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد139، 1443-2021م.
210. زكي عبد الرحمن، القلاع في الحروب الصليبية، المجلة التاريخية المصرية، المجلد 15، العدد 15، 1969.
211. عائشة مرشود حميد الحربي، ملوك بيت المقدس القاصرون :الملك بلدوين الرابع أنموذجا (581-569 هـ – 1174-1185م)، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، مج. 14، ع 1، جامعة طيبة، السعودية، 2021.
212. عبد الرحيم، رائد مصطفى، وسائل الدعاية الصليبية" صورة المسلمين في ادب الرحلات الاوربية والروسية الى الأماكن المقدسة في العصور الوسطى انموذجا"، مجلة جامعة الازهر، سلسلة العلوم الإنسانية، مجلد 13، ع1، غزة، 2011م.
213. فؤاد عبد الرحيم الدويكات، هيئة فرسان القديس لعازر في مملكة بيت المقدس الصليبية 492-690 هـ / 1099-1291 م، دراسة وثائقية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 12، ع 1، الامارات، جوان 2015.
214.
215. علي سرور عبد المنعم، "جودفري البويوني حاكما للكيان الصليبي في بلاد الشام 1099-1100م/493-494هـ"، مجلة بحوث الشرق الأوسط، عدد14، 2004م، جامعة عين شمس، القاهرة.
216. يوسف بن نصرة الله محمد، الخطط العسكرية الاسلامية في استرداد الامارات الصليبية (الرها- أنطاكية- طرابلس) ، المجلة العلمية لكلية الأداب والعلوم الانسانية، جامعة طيبة، ع 82، السعودية، أفريل 2022.

و- المواقع الالكترونية:

217. أنظر: 3جانفي 2024، 10:35سا https://www.marefa.org
218. **https://www.britannica.com/biography/Tancred-of-Hauteville**
219. https://www.universalis.fr/encyclopedie/baudouin-ier-1058-1118-roi-de-jerusalem-1100-1118 25 جانفي 2024. 17:41سا.
220. https://www.worldhistory.org/image/9048/the-near-east-in-1135-ce/
221. https://www.worldhistory.org/image/9193/map-of-the-crusader-states-1229-1240-ce/

الفهارس

فهرس الأعلام

1 100, 117
أبو العساكر سلطان بن منقد 100
ادهيمار 51, 61
أدهيمار 26, 30, 31, 42, 52, 54, 55, 57, 83
ادهيمار دي مونتيل 49
أدهيمار دي مونتيل 80
أرسلان 40
أرناط 142
أسامة بن منقذ 101
اسد الدين شيركوه 224
إسماعيل 155
أغنس 139
أغنس كورنتاي 139
افتخار الدولة 61, 85
الأشرف خليل 193, 243
الأشرف خليل بن قلاوون 169, 227, 246
الأفضل ابن صلاح الدين 242
البابا أوربان 37
البرسقي 113
البطريرك هرقل 139, 160
الدقاق الدمشقي 64
السلطان قلاوون 183, 184
الصالح أيوب 166
الظاهر بيبرس 167, 181, 182, 243
الظاهر ركن الدين بيبرس 245
الظاهر صاحب حلب 173
الظاهر غازي 164
العادل 155
العزيز حاكم حلب 175
ألفونسو جوردان 131
ألفونسو كونت تولوز 127
الفيرا 48
الكامل 155, 175, 199, 200, 202, 205, 207, 245
الكامل الأيوبي 162, 191
ألكسندر الثالث 224

الكسيوس..... 24, 35, 37, 38, 44, 52, 53, 54, 58, 61, 62, 68, 79, 98
ألكسيوس..... 119
الكسيوس كومنين 24, 26, 43, 51, 54
المعظم 191, 199
المعظم عيسى 205
المودي دي لاما..... 48
إليانور..... 130
أليس.....101, 106, 114, 117, 122
إلين 139
أنسونت الثالث..... 203
أنطاكية..... 41
انوسنت الثالث.....175, 190
أنوسنت الثالث..... 165, 173, 186, 187, 188, 190, 232
أود دي سان أدموند..... 241
أودو اف مونت بيليارد..... 201
أودو أوف مونت بيليارد 198
أودو بونز..... 76
اوربان 49, 61
اوربان الثاني.....20, 23
أوربان الثاني..... 24, 30, 31, 77, 186, 188, 208, 212
أوستاش الثاني 18, 66
أوشين 81
ايدا.....18, 66
ايزابيل(يولاند 195
ايزابيلا 153
إيزابيلا 159, 160
ايلغازي 122
ايلغازي بن أرتق..... 95
ايمري دي ليموج 157
أيوب 155
بأوربان الثاني..... 52
ببرترام..... 104
برترام.....99, 104, 105, 120, 121
برترام الصنجيلي..... 116
برترام بن ريموند.....98, 119
برترام بن ريموند الصنجيلي..... 116
برتراند..... 132
برتراند الثاني 131
برسق بن برسق 113
برنار دي كليرفو..... 226
برنارد دي فالنس 100
برنارد فالنسيا 109
بطرس أف سانت ماريا..... 165
بطرس الناسك.....44, 68, 82

بفيروز 58
بقراط(باكراد) 70
بلدوين.... 20, 22, 23, 28, 57, 66, 67, 68, 69, 70, 71, 72, 73, 74, 75, 80, 81, 92, 93, 94, 98, 99, 100, 109, 110, 121, 224
بلدوين الأول 95, 97, 101, 104, 111, 112, 113, 116, 120, 129, 154, 229
بلدوين البولوني 108, 115
بلدوين الثالث 123, 127, 133, 134, 135, 236
بلدوين الثاني 95, 96, 100, 105, 106, 107, 109, 113, 116, 117, 122, 125, 129, 230
بلدوين الخامس 140, 141
بلدوين الرابع 138, 139, 141
بلدوين دي بورج..... 67, 84, 87, 88, 93, 94, 97, 98, 104, 109, 110, 111, 112, 113, 116
بلك الارتقي..... 116
بلك الأرتقي..... 95
بلك بن بهرام الأرتقي 106
بنو عمار 65
بونز 48, 99, 100, 101, 105, 106, 117, 121
بونز بن برترام..... 116, 117
بونز دي 48
بوهيمندم, 17, 19, 26, 29, 31, 33, 34, 35, 36, 37, 38, 39, 40, 41, 42, 43, 44, 45, 46, 47, 52, 53, 54, 57, 58, 59, 62, 63, 66, 67, 68, 69, 74, 75, 76, 77, 78, 79, 80, 82, 83, 87, 88, 92, 93, 96, 98, 99, 101, 106, 108, 109, 110, 111, 114, 117, 118, 119, 122, 133,135, 137, 145, 156, 165, 172, 173, 174, 175, 176, 177, 178, 179, 180, 181, 182, 183, 200, 248, 249, 263, 285, 307, 309
بوهيمند الرابع..... 173
بوهيمند الثالث..... 137, 139, 140, 156, 157, 158, 171, 172, 248
بوهيمند الثالثBohemond II..... 135
بوهيمند الثاني..... 96, 101, 113, 117, 122
بوهيمند الثانى..... 112
بوهيمند الخامس 165, 175, 176, 177
بوهيمند الرابع..... 157, 158, 164, 171, 172, 174
بوهيمند السابع 182, 183
بوهيمند السادس..... 177, 179, 180, 181, 182
بوهيموند..... 25
بوهيموند الثاني 101
بوهيموند الرابع 163
بيلاجيوس..... 174, 195
بيموندجيجاس 33
تانكرد 26, 29, 31, 35, 43, 55, 59, 63, 69, 75, 76, 77, 79, 80, 81, 82, 83, 84, 86, 87, 88, 92, 93, 94, 97, 98, 99, 104, 105, 108, 109, 110, 111, 112, 119, 120, 121
تانكريد 44
توماس الأكويني 198
ثوروس 70, 71
جاك دي ميلي 242
جان دي برين 190, 197

جان دي بريين 190, 195, 196
جاولي 111
جاي الثاني 182
جريجوري التاسع 198, 199, 205, 207
جريجوري الثالث عشر 70
جريجوري العاشر 192
جود فري البويوني 229
جودفري .18, 19, 21, 22, 23, 24, 25, 27, 28, 29, 31, 32, 36, 38, 40, 42, 52, 53, 55, 58, 60, 61, 62, 66, 67, 68, 69, 74, 75, 80, 86, 93, 109, 115, 118
جودفري دونجون 187
جودفير أف توسني 67
جوسلين 95, 96, 104, 110, 115, 116, 117, 139
جوسلين اف كورنتاي 114
جوسلين الأول 113
جوسلين الثالث 137
جوسلين الثاني 97, 101, 106, 114, 117, 123, 124, 125, 127, 133
جوسلين دي كورتناي 94, 95
جوسلين دي كورنتاي 117
جويسكارد 112
جيرار ريد فورت 242
جيوفري دونجون 248
حسام الدين طرنطاي 183
حنا كومنين 102, 103, 114
دايمبرت 62, 75, 97
دبيس بن صدقة 116
دي لوزينان 199
رالف 114
رتشارد 158
رسل باليل 36
رضوان 28, 63, 111, 121
رضوان بن تتش 88, 93
رضوان تتش 45
روبرت جويسكارد 25, 33, 35, 76
روبرت دوق نورماندیا 31, 42
روبرت فلاندرز 40, 85, 86
روبرت كونت الفلاندرز 29, 31
روبرت كونت فلاندرز 42, 55
روبرت كونت نورماندي 26
روبين الثالث 158
روجر 100, 101, 113, 122
روجر الصقلي 35, 99
روجر دي سالرنو 112
روسودان 198
ريتشارد 159, 160, 161

ريتشارد الفلانجييري..... 201
ريتشارد ساليرن 111
ريتشارد قلب الأسد 148, 152, 162
ريموند ...29, 31, 32, 37, 40, 48, 49, 50, 51, 52, 53, 54, 55, 56, 57, 58, 59, 60, 61, 63, 64, 65, 80, 83, 86, 87, 104, 114, 119
ريموند ابن بوهيمند الثالث 157
ريموند الثالث 135, 139, 140, 141, 158, 171
ريموند الثاني..... 107, 118, 120, 127, 131, 132, 135, 236
ريموند الصنجيلي..... 29, 42, 46, 62, 119, 120
ريموند بواتييه..... 102, 103, 114, 125, 133
ريموند دي بواتيه 123
ريموند روبين..... 163, 172, 174, 248
ريموند سان جيل..... 26
ريموند صنجيل 103
رينالد..... 142
رينالد دي شاتيون..... 135, 141, 142
رينالد دي شاتيون (أرناط) 242
رينالد مزوار 102
رينوار 173
رينوارت..... 164
زنكي..... 97, 115, 118
سقمان بن أرتق 45, 109
سو فريد دي سانت برا كسيد 165
سيبلا 156
سيبيلا 138, 139, 140, 158
سيتفن بلوا 40
سيسليا..... 112
سيسيليا..... 121
سيف الدين المشطوب 149, 150
سيف الدين غازي..... 128
سيف الدين قلاوون 193, 243
شارل أنجو 167
شرف الدولة مودود 94
شرف الدين مودود 98, 99
شرف المعالي ابن الوزير الأفضل 97
شمس الدولة جكرمش..... 93
صلاح الدين ...138, 139, 140, 142, 143, 147, 149, 150, 151, 153, 156, 161, 162, 171, 180, 185, 201, 226, 237, 242
صلاح الدين الايوبي 133
صلاح الدين الأيوبي 141, 146
طبرية 86
طغتكين 99, 100, 117, 121
عماد الدين زنكي 96, 97, 102, 107, 114, 115, 118, 123, 124, 125, 146
عمر 93

عموري 138, 159
عموري الأول 134, 137, 138
عموري الأول (امارليك) 136
عموري الراهب 187
عيسى أمير منبج 116
غازي كمشتكين 63
غريغوري 196
غريغوري التاسع 202
غي 147
غي دي لوزينيان 138
غي لوزنيان 158
غي لوزينان 158, 161
غي لوزينيان 147
فخر الملك 64
فخر الملك بن عمار 115
فردريك الثاني 162, 167, 196
فريدريك 175, 197, 199, 200, 205, 206, 245
فريدريك الأول 193
فريدريك الأول بربا روسا 224
فريدريك الثاني 195, 203, 204
فريدريك بربروسا 148, 158
فريدريك دوق سوابيا 158
فلسطين 85
فليب السوابي 195
فليب اوغسطس 203
فولك 101, 106, 117, 118, 122
فولك الأنجو 96
فولك الانجوي 129, 236
فولك الأنجوي 101, 123
فولك أنجو 231
فيروز 45, 46
فيليب أغسطس 148, 149, 197
فيليب الثاني 217
فيليب كونت فلاندر 225
قسطنطين بودين 51
قلاوون 168, 169, 183
قلج أرسلان 26, 39, 55, 63
كتبغا 180
كربوغا 46, 47, 83
كوغ باسيل 70, 73
كولمان 28, 68
كومنين 68
كونراد 159, 160, 162
كونراد الثالث 127, 167

كونراد الرابع..... 167
كونراد دو مونتيفرات 153
كونراد دي مونتفرات 147, 148, 158
كونستانس 101, 102, 118, 122, 134, 196
لاوستاش الثالث..... 66
لبلدوين الأول..... 105
لجوسلين 118
لروجر دوق أبوليا 115
لفريدريك الثاني..... 201
لوسي دي سيني..... 175
لويس 127
لويس التاسع..... 166, 177, 191, 192, 217, 243
لويس السابع..... 129, 130, 131, 226
لويس السابعLouisVII 126
ليو الأرمني..... 164
ليو الأرميني..... 158
ليو الثاني..... 156, 157, 163, 172, 248
ماريا 134
مارياكومينوس 159
مارية السالرنية 113
مانويل كومنين 115, 125, 137
محمد السلجوقي..... 113
محمود بن محمد بن ملكشاه..... 112
مسيلند 115
معين الدين أنر 127, 128, 132
مليسند 97, 124, 127, 129, 135
منصور بن نبيل..... 156
مودود 112, 116, 120, 121
ميخائيل السابع 36
ميلسند 124
نور الدين 252
نور الدين زنكي..... 127
نور الدين محمود 128, 129, 131, 133, 134, 135, 136, 146
نور الدين محمود زنكي..... 132
نورالدين محمود 137
نيقولا الرابع 193
هرمان فون سالزا 196
همفري..... 160
هنري الثاني..... 168, 217
هنري الرابع..... 19, 24
هنري الرابع دوق ليمبورج..... 199
هنري السادس..... 193, 194
هنري دي شامبنيا..... 157, 158
هنري دي شمبانيا..... 153, 155

هوديرنا 107, 135
هونوريوس 195
هونوريوس الثالث 173, 190, 191, 195, 198
هيثوم 175
هيثوم الأول 165, 176, 180
هيج كونت فيرماندو 24
هيرمان أوفسالزا 201
هيرمان فون سالزا 206
وجلبرت دي دورال 187
وروبرت كونت فلاندرز 57
وروبرت كونت نورمانديا 80
وليام الرابع 48
وليام الصوري 137
وليام النجار 44
وليام جوردان 103
وليام مونتفرات 139
وليم 101
وليم الصوري 113, 139, 140, 217, 253
وليم النجار 82
وليم بيجي 244
وليم جوردان 104, 105, 116, 120
ياغي سيان 41, 46, 58
يوحنا ابلين 167
يوحنا الأول ابلين 190
يوستاش 22
يولاند 196, 197, 205
يوهان فون إبلين 200

2 فهرس الأماكن

2

أبوليا 35
أدنه 80, 81, 108
اذنة 87
ارتاح 88
أردن 18
ارسوف 60, 62
أرسوف 154
أرغون 48
أرغونة 231
أرمينيا 91, 176, 248
أرمينية 157
أرمينية الصغرى 156, 172
أروبا 217
إسبانيا 48, 190

آسيا 179, 213
آسيا الصغرى 25, 38, 39, 53, 54, 56, 63, 69, 73, 80, 123, 210
اعزاز 113
افاميه 131
أفاميه 88
أفرسا 34
افرن 50
افلونا 35
إقطاع تبنين 200
اكس لاشابيل 19
الادرياتيكي 50
الأراضي المنخفضة 69
الاسكندرونة 81
الإسكندرية 136, 168, 254
الأناضول 41
البارة 58
ألبانيا 35
البحر الأحمر 219
البحر الادرياتيكي 78
البحر الأسود 63
البحر المتوسط 59, 75, 84, 90
البرتغال 231
البقيعة 184, 236, 247
البلقان 35, 78
البندقية 154, 168, 189
البوسفور 25, 26, 68, 79
البيرة 74
الجامع الأموي 121
الجزيرة الفراتية 73
الجليل 86, 92, 110
الجليل الأعلى 200
الحجاز 242
الراوندان 28, 70
الرملة 60, 62, 97, 151, 153, 162, 229
الرها .. أ, د, ه, ز, م, ن, 17, 23, 57, 59, 66, 68, 69, 70, 71, 72, 73, 74, 75, 77, 87, 89, 90, 92, 93, 94, 95, 96, 97, 98, 99, 100, 101, 104, 106, 107, 108, 109, 110, 111, 112, 113, 114, 115, 116, 117, 118, 119, 120, 122, 123, 124, 125, 126, 129, 130, 132, 133, 137, 139, 146, 223, 224, 250, 257, 258, 267, 276, 285, 286, 307, 308
الرّها 28
السودان 97
السويدية 43, 106
الشقيف أرنون 147
العراق 111, 129, 163
العريمة 171

العياضية 152
الغرب الأوروبي..... 19
الغرب اللاتيني..... 18
الفرات..... 71, 74, 123, 125, 219
القاهرة 192,240
القدس 95, 119, 128, 142, 143, 154, 155, 161, 193, 197, 200, 207, 221, 252
القسطنطينية ...24, 36, 37, 41, 42, 45, 51, 54, 57, 63, 68, 79, 125, 161, 165, 189, 190, 213, 224, 235
القصير..... 176
الكرك 141, 143, 242
اللاذقية..... 62, 63, 84, 87, 88, 137, 156, 172, 175, 180, 181, 183
اللد..... 97, 153
اللورين..... 22, 56, 66, 67, 80, 90
اللورين الأدنى 31
ألمانيا..... 90, 188, 190, 204, 231
المجر..... 23, 28, 68, 231
المرقب..... 102, 248
المصيصة..... 81, 87, 108, 119
المنصورة..... 243
الموصل..... 47, 83, 93, 98, 99, 110, 111, 117, 125, 128
الناصرة..... 155, 200
إمارة كركر..... 73
أمالفي 34, 229
انجلترا 190, 231
إنجلترا 148, 154, 188
انطاكية أ, د, ه, ل, م, ن, 17, 26, 27, 28, 29, 33, 38, 39, 41, 42, 43, 44, 45, 46, 47, 57, 58, 59, 62, 63, 64, 65, 66, 72, 73, 74, 75, 76, 79, 80, 81, 82, 83, 86, 87, 88, 89, 91, 92, 93, 94, 95, 96, 97, 98, 99, 100, 101, 102, 103, 104, 105, 106, 107, 108, 109, 110, 111, 112, 113, 114, 115, 116, 117, 118, 119, 120, 121, 122, 123, 124, 125, 127, 129, 130, 131, 133, 134, 135, 136, 137, 138, 139, 140, 141, 145, 146, 156, 157, 158, 163, 164, 165, 171, 172, 173, 174, 176, 177, 178, 180, 181, 183, 200, 231, 235, 236, 240, 242, 248, 249, 250, 257, 259, 266, 267, 277, 285, 286, 307, 308, 309
أنطاكية..... 31, 38, 41, 42, 43, 44, 45, 46, 47, 58, 72, 74, 93, 96, 98, 116, 118
انطرطوس..... 120, 121, 173
أنطرطوس..... 103
انطرطوس..... 120, 173, 182, 193, 244, 246
أنطرطوس..... 246
إنكلترا..... 161
أوترانتو 199
أوربا 30, 36
أوروبا..... 18, 21, 181, 185, 192, 194, 204, 207, 213, 218, 220, 221, 223
ايطاليا 76
إيطاليا 26, 33, 34, 44, 50, 90, 188, 199, 204, 229
باب الكلب 42, 57

باب بولس 42, 82
باري 78
بأنطاكية.....59, 63
بانياس..... 103, 127, 135, 137, 138, 236, 250
ببلاد الشام 99
بحصن بغراس 81
بحيرة طبرية 99
برجنديا..... 50
برنارد..... 114
برنديزي 197
بروفانس 49, 231
بزاغ..... 100
بعرين 106, 118, 236
بعلبك 132
بغداد..... 179
بغراس 157, 176
بلاد البلقان..... 189
بلاد الشام 27, 28, 55, 63, 75, 90, 91, 95, 98, 103, 104, 108, 110, 119, 122, 123, 125, 127, 142, 143, 146, 155, 158, 163, 166, 170, 174, 178, 180, 181, 183, 185, 187, 191, 193, 195, 196, 204, 205, 206, 210, 212, 217, 220, 223
بلاكنتيا 27
بميناء السويدية..... 63
بوايون..... 22, 31, 32, 62, 66, 86
بوهيمند..... 42
بويون 23
بيت المقدس أ, د, ه, و, ز, ح, ط, ل, م, 17, 18, 19, 20, 21, 27, 28, 29, 30, 31, 32, 36, 41, 44, 45, 47, 48, 49, 55, 58, 59, 60, 61, 62, 63, 65, 66, 68, 73, 74, 75, 76, 79, 81, 82, 83, 84, 85, 86, 87, 89, 90, 91, 92, 93, 94, 95, 96, 97, 98, 100, 101, 102, 103,104, 105, 106, 107, 109, 111, 112, 114, 115, 116, 117, 118, 119, 120, 121, 122, 123, 124, 125, 127, 128, 129, 130, 131, 133, 134, 135, 136, 138, 139, 140, 141, 142, 143, 145, 146, 147, 151, 152, 153, 154, 155, 156, 157, 158, 160, 162, 163, 164, 166, 185, 186, 187, 190, 191, 192, 194, 195, 196, 197, 198, 200, 201, 202, 205, 206, 207, 210, 211, 215, 219, 221, 223, 224, 225, 228, 229, 230, 231, 232, 233, 235, 236, 237, 238, 241, 244, 246, 248, 250, 252, 257, 258, 259, 266, 267, 273, 274, 275, 278, 282, 285, 286, 307, 308, 309
بيت لحم..... 29, 84, 93, 155, 200
بيروت 65, 94, 105, 106, 116, 155, 168, 184, 193, 194, 200
بيزا..... 154
بيزنطة 24, 27, 28, 37, 52, 55, 61, 63, 68, 73, 87, 103, 130, 143, 189
بيسان..... 86
تراقيا 35
تل باشر 28, 70, 71, 74, 97, 104, 110, 111, 124, 125, 127
تل دانيث 122
تلة الحجاج..... 103

تولوز 31, 37, 40, 48, 53, 57, 104, 131
تولوز 48
تولوز، 56
جبال الالب 50
جبال الامانوس 81
جبال القيصرية 59
جبال طوروس 27, 56, 69
جبل الحجاج 104
جبل اللكام 69
جبل صهيون 61
جبل طور 99
جبلة 28, 156, 172, 180, 184
جبيل 64, 65, 104, 120, 182, 184, 193, 242
جزيرة أرواد 244, 246
جسر الحديد 56
جسر الصنبرة 99
جنوة 154, 184, 249
جنوى 49
جورجيا 198
حارم 45, 136, 137, 164
حران 110
حصن الأتارب 102
حصن الاكراد 64, 120, 121, 135, 136, 171, 181, 236, 239, 247
حصن الشوبك 237
حصن القرين 245
حصن المرقب 172, 181, 183, 237
حصن بعرين 247
حصن جبرين 237
حصن صهيون 102, 106
حصن عكار 181
حطين 140, 142, 143, 146, 147, 159, 166, 180, 201, 202, 211, 223, 237, 252
حلب 28, 42, 45, 63, 93, 95, 100, 102, 111, 113, 116, 117, 121, 122, 123, 124, 129, 130, 132, 134, 137, 164, 176, 219
حماة 45, 60, 102, 130
حمص 45, 59, 64, 83, 102, 132, 136, 173, 219, 238, 240, 247
حيفا 60, 86, 154, 170
خوزستان 113
دالماشيا 50
دانيث 113
دربساك 176
دمشق 86, 100, 106, 117, 121, 125, 127, 128, 131, 134, 138, 142, 168, 180, 199, 205, 219, 236, 240
دمياط 192, 195, 196, 202, 243
دورولیوم 63

دوريليوم 26, 56, 80
ديار بكر 45
رام الله 231
رفينة 106, 236
رودس 246
روسا 37
روما 103, 180, 189, 248
سان جيل 19, 48, 49
سانت جيل 65
سروج 73
سكوتاري 51
سميساط 70, 73
سهل البقيعة 59, 136, 171
سوريا 37, 47
سيرا 79
شفرعم 149, 151
شيزر 102, 114, 120, 129
صافيتا 121, 171
صفد 155
صقلية 78, 114, 197, 198, 204, 231
صقليه 204
صنجيل 31, 42
صور 99, 106, 143, 146, 147, 148, 153, 154, 159, 160, 168, 170, 185, 193, 197, 217, 220, 236
صيدا 60, 170, 185, 193, 200, 220, 244
ضورليوم 39
طبريا 155
طبرية 97, 99, 142, 241
طرابلس.. أ, ه, ل, م, ن, 17, 48, 49, 59, 60, 62, 64, 65, 66, 89, 90, 93, 98, 99, 100, 101, 103, 104, 105, 106, 107, 113, 115, 116, 117, 118, 119, 120, 121, 122, 123, 127, 129, 130, 131, 132, 133, 135, 136, 137, 138, 139, 140, 143, 145, 146, 156, 157, 158, 163,164, 168, 171, 172, 173, 174, 175, 176, 177, 180, 181, 182, 183, 184, 193, 236, 237, 239, 241, 247, 248, 249, 259, 266, 267, 278, 279, 281, 284, 286, 307, 308, 309
طرسوس 60, 62, 64, 69, 80, 87, 104, 108, 120, 170, 171, 172
طرطوس 108
عثليت 244
عثليث 170, 185, 193, 246
عرقة 29, 60, 61, 103, 104, 120, 247
عزاز 28, 58, 93
عسقلان 61, 62, 86, 97, 135, 136, 139, 141, 153, 155, 160, 162, 224, 236, 252
عكا . 60, 99, 105, 118, 127, 131, 143, 146, 147, 148, 149, 150, 151, 152, 153, 154, 155, 157, 158, 160, 161, 167, 168, 169, 170, 177, 185, 187, 192, 194, 195, 199, 217, 220, 232, 243, 246, 253
عكّا 202

عمواس 84
عين جالوت 243
عينتاب 70
غزة..... 231, 245
فالونيا 67
فامية(افاميه)..... 121
فاميه..... 112
فرنسا..... 26, 33, 34, 50, 54, 78, 90, 104, 122, 148, 149, 188, 192, 226, 231
فلسطين 62, 86, 121, 132, 143, 217, 218, 221
فيزيلاي..... 226
قبرص 44, 59, 91, 153, 156, 158, 163, 164, 169, 170, 193, 199, 235, 244, 246, 249
قشتاله 231
قلاع عكار 247
قلعة الخوابي..... 173
قلعة العريمة..... 132
قلعة القصير 102
قلعة اللطرون..... 221
قلعة المرقب 184, 247
قلعة بانياس 247
قلعة بعرين 102, 131
قلعة بغراس..... 156, 163, 165, 240
قلعة بيت نوبة 221
قلعة ترون 231
قلعة جبرين..... 236
قلعة سيس..... 157
قلعة شيزر 240
قلعة صافينا..... 181
قلعة صفد 240
قلعة صنجيل..... 120
قلعة عثليث 243
قلعة عزاز 117
قلعة كوكب الهوى 222
قليقية 69, 80, 157
قنسرين..... 102
قونية..... 27, 56, 80
قيسارية 60, 131, 154, 200
قيصرية 27, 56, 80
قيليقية 108
كتالونيا..... 231
كفر طاب 59, 117
كليرمون 212
كليرمونت..... 48
كليكيا(قليقية) 123
كنيسة القديس جرجس..... 98

كنيسة اللاتيران 189
كول دي جنيفر 50
كولمان 23
كولونيا 19
لآسيا الصغرى 63
لبلاد الشام 57
لبنان 121
لبيت المقدس 20, 22
لجيمور 171
للقسطنطينية 52
للورين 18
لمباردیا 231
لموصل 112
لوثارينجيا 18
لي بويه 49, 55, 83
ليون 21, 217
مالطا 246
مالطية 75
مرج عيون 241
مرعش 27, 42, 56, 69, 70, 80, 114
مرقية 121
مسينا 194
مصر . 29, 85, 91, 134, 136, 137, 142, 146, 167, 178, 184, 186, 189, 191, 192, 199, 204, 205, 222, 224, 235, 243
معرة النعمان 59, 83, 240
معركة البلاط 122
معركة إنب 133
معركة حطين 242
معركة عين جالوت 180
مكة 142
ملطية 87, 110
منبج 116
موقعة حطين 186
موقعة مرج عيون 241
ميناء السويدية 57
ميناءأياس 156
نابلس 85, 86, 97, 241
نابولي 34
نهر الأردن 59
نهر الاورنت 42, 58, 59
نهر الأورنت 156
نهر العاصي 42, 43, 57, 112, 121, 250
نهر الفرات 70, 74
نهر الموبز 21

نهر الوردار 78
نهرالراين 18
نورماندیا..... 33
نيقية 26, 39, 41, 43, 56, 79, 80
نيقية، 55
هرقلة.....56, 69
هرقلية..... 80
همذان 113
هنغاريا..... 190
هونين 237
واد البقاع 59
والرها..... 94
وأنطاكيا..... 90
وجبال لبنان..... 59
يازور 97
يافا.....94, 97, 139, 153, 162, 166, 175, 185, 199, 202, 207, 220

ا

اللورين 21

ب

بوايون 22

ج

جريجوري التاسع 205
جودفري..... 21

و

بيت المقدس..... 21

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
الإهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ
الفصل الأول **قادة الحملة الصليبية الأولى ودورهم في تأسيس الامارات ببلاد الشام**	

المبحث الأول :جودفري البويوني واستيلائه على بيت المقدس	18
1- شخصيته	18
2- من الغرب اللاتيني الى القسطنطينية	21
3- دوره في آسيا الصغرى وبلاد الشام	26
4- جودفري حامي القبر المقدس	30
المبحث الثاني : بوهيمند النورماني وتأسيسه لإمارة انطاكية	33
1- شخصيته	33
2- بوهيمند في البلاط الملكي البيزنطي	35
3- بوهيمند في آسيا الصغرى	39
4- استيلاء بوهيمند على انطاكية وتأسيس الإمارة	41
المبحث الثالث : ريموند الصنجيلي (كونت تولوز) ودوره في تأسيس إمارة طرابلس	48
1- شخصيته ومكانته في الغرب اللاتين	48
2- موقف ريموند الصنجيلي من الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين	52
3- ريموند من آسيا الصغرى الى شمال بلاد الشام	55
4- مسير ريموند نحو بيت المقدس	59
5 – دور ريموند الصنجيلي في تأسيس إمارة طرابلس	62
المبحث الرابع : بلدوين البولوني: من تأسيسه لإمارة الرها إلى تنصيبه ملكًا لبيت المقدس	66
1- شخصيته	66
2- دوره في الحملة الصليبية الاولى	68
3- تأسيسه لإمارة الرها	69
4- بلدوين ملكا لبيت المقدس	75
المبحث الخامس : تانكرد حاكما لإمارة انطاكية	76
1- شخصيته	76
2- المشاركة في الحملة الصليبية الاولى وموقفه من الامبراطور البيزنطي	77
3- تانكرد في آسيا الصغرى ودوره في الاستيلاء على انطاكية	80
4- تانكرد وصيا ثم حاكما على انطاكية	86
الفصل الثاني **العلاقات بين الامارات الصليبية في المشرق الإسلامي** **1098-1144م/491-539هـ**	
المبحث الأول :إشكالية العلاقة بين مملكة بيت المقدس والامارات الصليبية	91
1 -العلاقة بين مملكة بيت المقدس وامارة الرها	93

2- العلاقة بين مملكة بيت المقدس وامارة انطاكية	97
3- العلاقة بين مملكة بيت المقدس وإمارة طرابلس	103
المبحث الثاني : العلاقات بين باقي الامارات الصليبية	108
1- العلاقة بين إمارتي الرها وانطاكية	108
2- العلاقة بين إمارتي طرابلس والرها	116
3- العلاقة بين امارة انطاكية وإمارة طرابلس	119
المبحث الثالث : الامارات الصلبية ما بين سقوط الرها وموقعة حطين1144 م-1187م /539-583هـ	123
1- سقوط إمارة الرها وردود فعل الامارات الصليبية	124
2- دور الامارات الصليبية في الحملة الصليبية الثانية 543هـ/1148م:	126
3- العلاقة بين الامارات الصليبية خلال الفترة النورية 1148-1174م/543-569هـ	127
4- الصراع الصليبي الصليبي وظهور صلاح الدين الايوبي	129
5- امارة طرابلس ودورها في الحملة الصليبية الثانية:	131
6- العلاقة بين الامارات الصليبية خلال الفترة النورية 1148 - 1174م /543-569ه	133
7- الصراع الصليبي الصليبي وظهور صلاح الدين الأيوبي	138
الفصل الثالث **الامارات الصليبية من تأسيس المملكة الاسمية بعكا الى سقوط اخر معاقلهم ببلاد الشام**	
1-علاقة مملكة بيت المقدس الإسمية (عكا) بالإمارات الصليبية	146
1-1- تأسيس مملكة عكا 1193م/589ه	146
1-2- أوضاع الامارات الصليبية بعد الحملة الصليبية الثالثة	154
1-3-الصراعات الصليبية – الصليبية	157
1-4- سقوط عكا	166
2- إمارتا طرابلس وأنطاكية: تفاعلات العلاقات السياسية والعسكرية (583–688هـ / 1187–1289م)	172
2-1-الإمارتين تحت حكم بوهيمند الرابع	172
2-2-طرابلس وأنطاكية تحت حكم بوهيمند الخامس	176
2-3- بوهيمند السادس(1275-1251م/649-674هـ) وسقوط انطاكية	178
2-4- سقوط إمارة طرابلس	182
3-الامارات الصليبية بين البابوية والامبراطورية خلال القرن 13م/07ه	185
3-1-البابوية والإمارات الصليبية	186
3-2-الإمبراطورية والإمارات الصليبية	193

3-3-الصراع البابوي الامبراطوري وتأثيره على التواجد الصليبي في بلاد الشام	203
الفصـــــل الرابع **دور التنظيمات العسكرية والدينية في العلاقات العسكرية بين الامارات الصليبية**	
1-الجيوش النظامية للإمارات الصليبية	211
1-1- أقسام الجيش الصليبي وبنيته	212
1-2-التحصينات الدفاعية الصليبية في بلاد الشام	217
1-3-امدادات الغرب الأوربي للإمارات الصليبية	222
2-أبرز الهيئات الدينية الصليبية في بلاد الشام.	227
2-1- الاسبتارية:The Hospitallers	229
2-2- الداوية:The Knights Templar	231
2-3-الفرسان التيوتون:Teutonic Order	232
3-علاقات الهيئات الدينية مع الامارات الصليبية	234
3-1- تحول الهيئات الدينية الى النشاط العسكري في بلاد الشام	234
3-2- دورها العسكري في بلاد الشام	237
3-3-مظاهر العلاقات بين الهيئات الدينية والامارات الصليبية	246
3-4-عيوب المؤسسة العسكرية الفرنجية	251
الخاتـــمة	258
الملاحق	263
الفهارس	
فهرس الأعلام والأماكن	
فهرس الموضوعات	
الملخص	

الملخص:

تتناول هذه الأطروحة طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية بين الإمارات الصليبية في بلاد الشام خلال القرنين 5–7هـ / 11–13م، من خلال تحليل أنماط التحالف والصراع والتنافس بينها، ومدى تأثير ذلك على استمراريتها في المنطقة. وتركّز الدراسة على ممالك وإمارات بيت المقدس، أنطاكية، الرها، وطرابلس، باعتبارها كيانات سياسية نشأت في ظروف عسكرية مشتركة لكنها سرعان ما دخلت في تباينات استراتيجية.

تهدف الأطروحة إلى إبراز دور المصالح السياسية، والعوامل الدينية، والتوازنات الإقليمية في تشكيل العلاقات البينية بين هذه الإمارات، مع توضيح أثر القيادات المحلية، والارتباطات الأوروبية، والعلاقات مع القوى الإسلامية المجاورة في توجيه سياساتها. كما تسعى إلى تفسير أسباب فشلها في بناء جبهة موحدة قادرة على الصمود أمام القوى الإسلامية الصاعدة.

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي المقارن، بالاستناد إلى مصادر صليبية وإسلامية معاصرة للأحداث، إضافة إلى دراسات حديثة، بهدف إعادة قراءة الوقائع بعيدًا عن الطرح التقليدي الذي يصوّر الإمارات الصليبية ككتلة واحدة متماسكة.

وتوصلت الأطروحة إلى أن العلاقات بين الإمارات الصليبية اتسمت بالتذبذب بين التعاون والصراع، حيث فرضت المصالح الخاصة والطموحات التوسعية طابعًا تنافسيًا أضعف قدرتها على التنسيق العسكري. كما بيّنت أن الخلافات الداخلية، إلى جانب الضغوط الخارجية، كانت من أبرز العوامل التي عجّلت بتفككها وسقوطها تباعًا.

وتخلص الدراسة إلى أن غياب الوحدة السياسية والعسكرية بين الإمارات الصليبية شكّل عاملًا حاسمًا في فشل مشروعها الاستيطاني في بلاد الشام، وأسهم في ترجيح كفة القوى الإسلامية التي استطاعت توظيف الانقسامات الصليبية لصالحها.

Abstract:

This thesis examines the political and military relations among the Crusader states in the Levant during the 5th–7th centuries AH / 11th–13th centuries AD. It analyzes the patterns of alliance, conflict, and rivalry that shaped interactions between the Kingdom of Jerusalem, the Principality of Antioch, the County of Edessa, and the County of Tripoli, highlighting their impact on the continuity of Crusader presence in the region.

The study aims to demonstrate how political interests, religious motivations, and regional power dynamics influenced inter-state relations. It also explores the role of local leadership, European connections, and relations with neighboring Muslim powers in directing the policies of these Crusader entities. Furthermore, it seeks to explain their failure to establish a unified front capable of resisting the rise of Muslim forces.

The research adopts a comparative historical-analytical approach, drawing on both Crusader and Islamic contemporary sources, as well as modern scholarly works, in order to reassess the traditional view that portrays the Crusader states as a cohesive political bloc.

The thesis concludes that relations among the Crusader states were marked by fluctuation between cooperation and conflict, as private interests and expansionist ambitions often undermined military coordination. Internal divisions, combined with external pressures, significantly contributed to their gradual decline and eventual collapse.

Ultimately, the study argues that the absence of political and military unity among the Crusader states was a decisive factor in the failure of their settlement project in the Levant, enabling Muslim powers to exploit these divisions to their advantage.